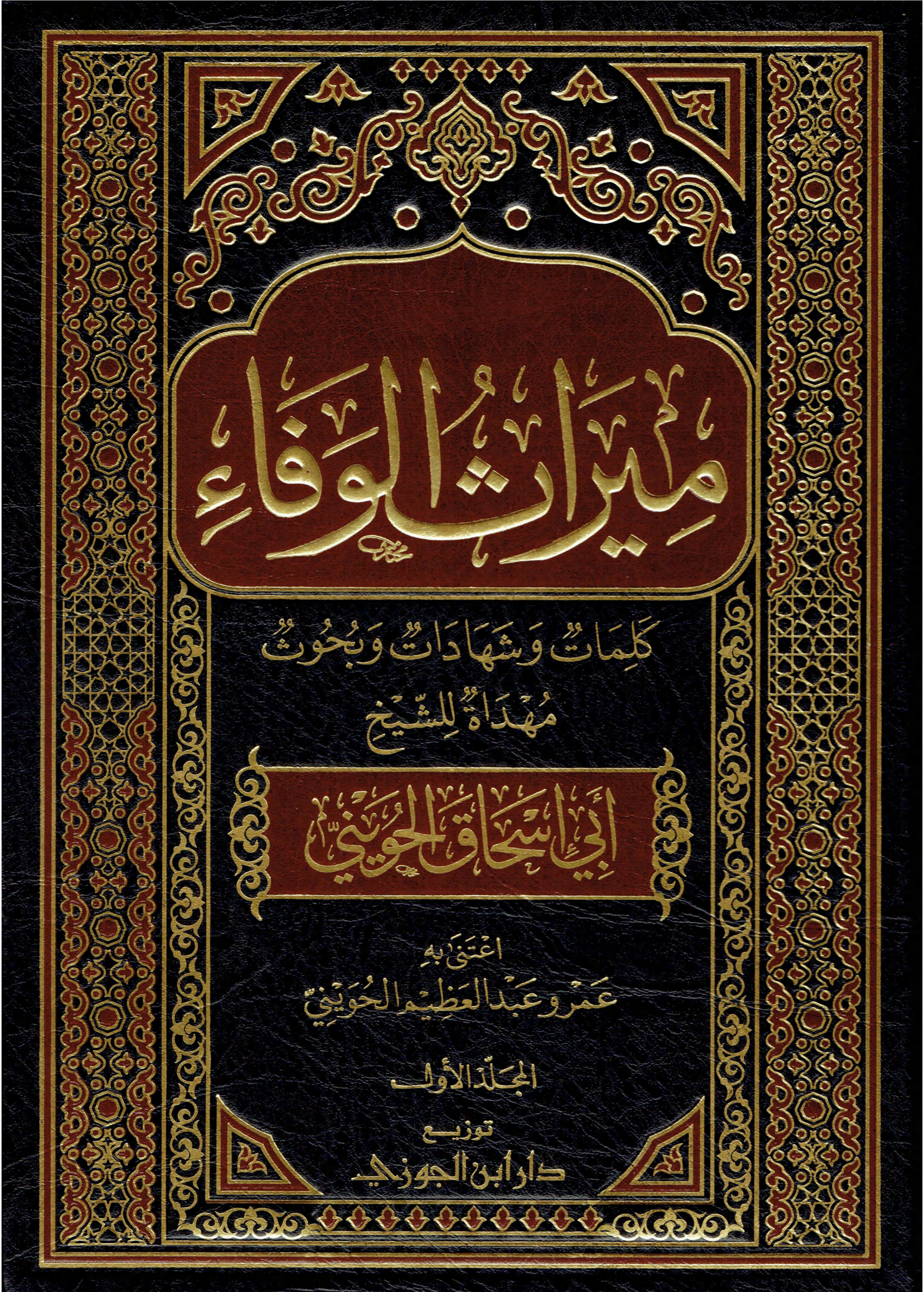
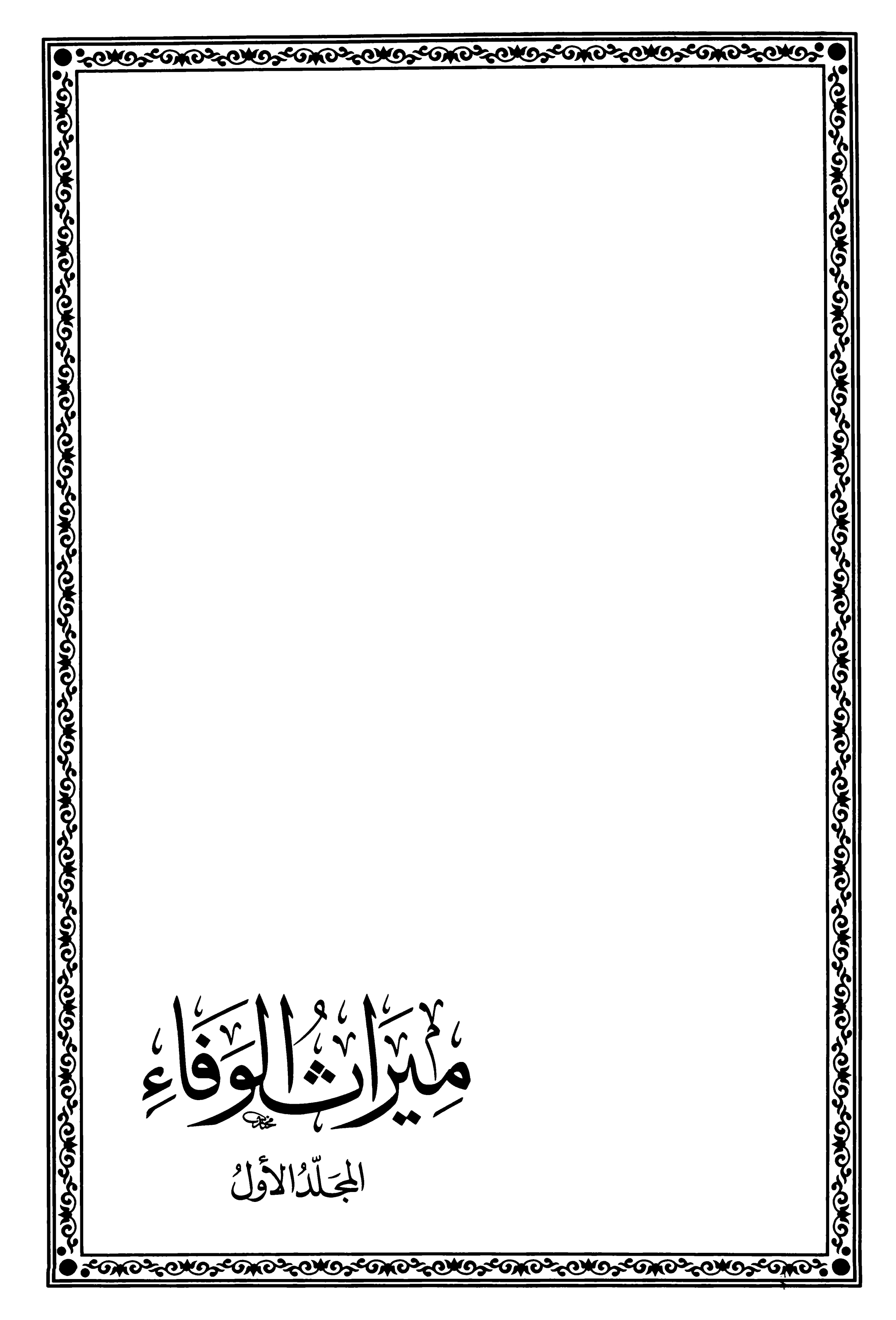

ميراث الوفاء
كلمات وشهادات وبحوث
مهداة للشيخ
أبي إسحاق الحويني
اعتنى به
عمرو عبد العظيم الحويني
المجلد الأول
توزيع
دار ابن الجوزي



ميراث الوفاء

المجلد الأول

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحويني، عمرو عبد العظيم
ميراث الوفاء. / عمرو عبد العظيم الحويني.- الدمام، ١٤٤١ هـ
١١١٢ ص ؛ .. سم
ردمك: ٠-٦٢-٨٢٧٤-٦٠٣-٩٧٨
١- التراجم أ.العنوان
ديوي ٩٢٠ ١٤٤١/١٦٠٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٦٠٠
ردمك: ٠-٦٢-٨٢٧٤-٦٠٣-٩٧٨

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت : ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ ، ص ب ٠ واصل: ٢٩٥٧ الرمــز البــريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي : ٨٤٠٦ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس : ٢١٠٧٢٢٨ جوال : ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحسـاء - ت : ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت : ٦٨١٤٥١٩- ٠٥٩٢٠٤١١٣٧١ بيـروت : هـاتف : ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فــاكس : ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهـرة - ج٠م٠ع - محمـول : ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨ تلفاكس : ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

الموقع الإلكتـروني : aljawzi.Net البـريد الإلكتـروني : aljawzi@hotmail.com.

Whatsapp : ٠٠٩٦٦٥٠٣٨٩٧٦٧١ | instagram : @aljawzi | Twitter : @aljawzi

دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : Facebook



توزيع
دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

مِيرَاثُ الوَفَاءِ

كَلِمَاتٌ وَشَهَادَاتٌ وَبُحُوثٌ

مُهْدَاةٌ لِلشَّيْخِ

أَبِي إِسْحَاقَ الحُوَيْنِيِّ

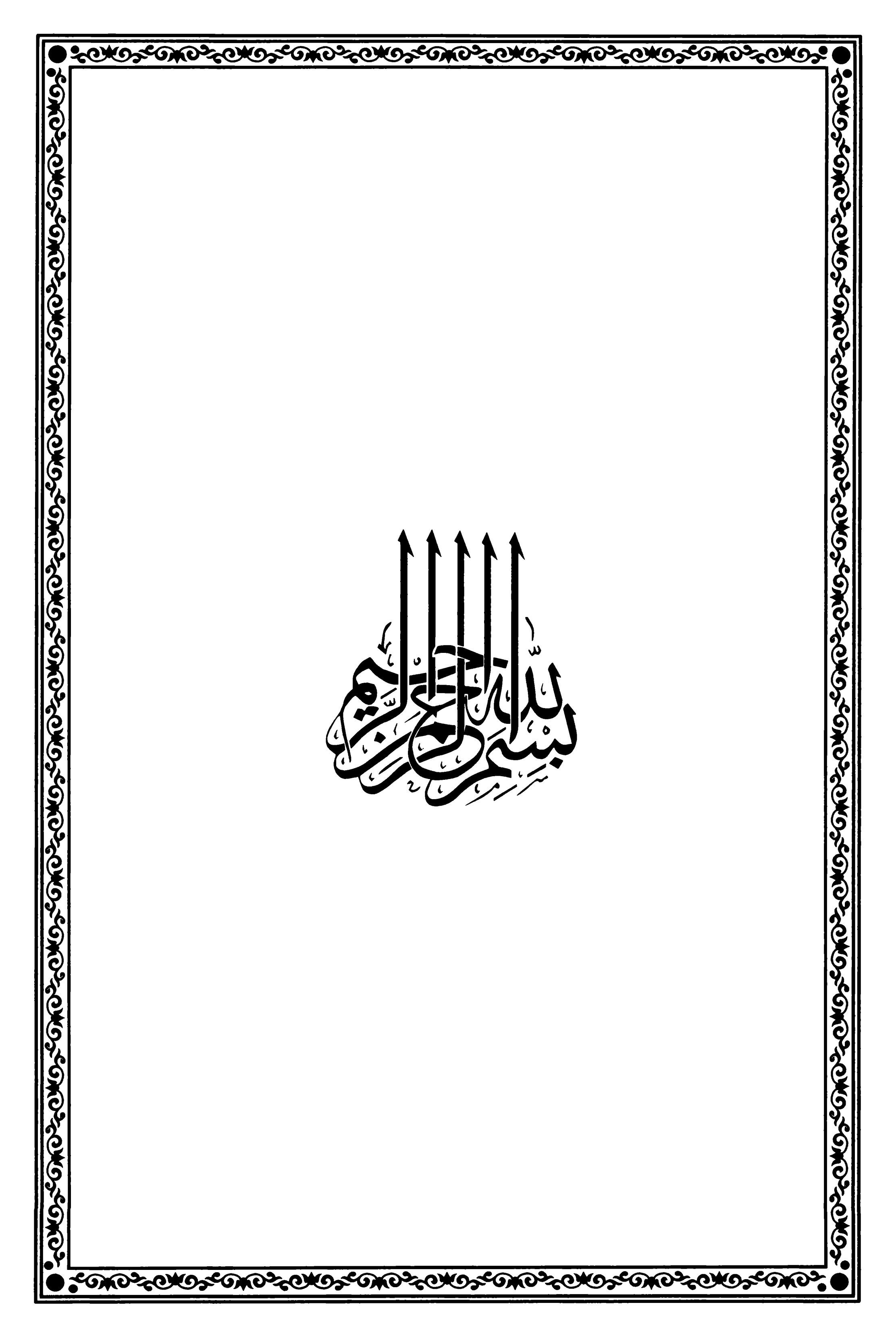
اعْتَنَى بِهِ

عَمْرو عَبْد العَظِيم الحُوَيْنِيّ

المجلّدُ الأوّلُ

تــوزيع

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله. نحمدُهُ، ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادِي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهَدي هَدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدَثة بِدعةٌ، وكل بِدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

شيخُنا أبو إسحاق الحُوَيْنيّ..

قد تكلَّفتُ شططًا وحملتُ نفسي على ما لا تطيق وأنا أكتبُ عن شيخنا، أخاف أن أغلو فيه فيقال: مُعْجَبٌ غلا به إعجابه!

وما عَسايَ أقولُ في رجل.. كُلَّما أمسكتُ القلمَ لأكتُبَ عنه تـهَيَّبْتُهُ من غيرِ خوفٍ، كما يَتـهَيَّبُ المؤمنُ قالَةَ الحقِّ تَـحيكُ في قلبه، خشية أن يَـجورَ فيها لسانه.

فكلامي عنه مأخذٌ عـجيبُ الأمر، كنتُ أرى تركَ البيان والتعبير أفصح من ذِكره، وأجدُني أنْطـقَ ما أكونُ إذا لم أنْطِق، وأتـمَّ ما أكونُ بيانًا، وأعلم أني وإنْ أكثَرْتُ وأسْهبْت فنهايتي القصورُ دون واجبه، والسقوطُ عن أدْنَى درجاته ومراتبه.

وأعلمُ -كما يعلم الجميع إن شاء الله- أنَّه لو سكَتَ الشاكرُ لنطقت المآثر.

ومع ذلك لا أدري من أين سأبدأ، أجدُ كثيرًا من الكلام بصدري يعجز عن الإفصاحِ به لساني، وكأنَّ أبا القاسم الزعفراني قد عبَّر عما بداخلي حين قال:

لي لِسانٌ كأنَّهُ لي مُعادي ... ليس يُنْبِي عن كُنْهِ ما في فؤادي
حكَمَ اللهُ لي عليه فلو أنْـ ... ـصَفَ قلبي عَرَفْتَ قدرَ وِدادي

لكنْ ما أُوقِنُه أنَّ عباراتي ولو نمَّقْتُها لا تَفِي بحقِّه عليَّ وعلى أترابي ممَّن كان الشيخُ -لطفَ اللهُ به- سببًا في وقوفهم على طريق السُّنَّة التي أسألُ اللهَ أن يُثبِّتنا عليها حتى نلقاه.

كنتُ أَعْجبُ من كلام تلامذة الأئمة في شيوخهم من الثناء الذي كنت -آنذاك- أظنُّه مبالغةً منهم في المدح والإطراء؛ لكن بعد ملازمةٍ لشيخنا -أتمَّ الله عليه العافية، ومتَّعنا بطول بقائه وحُسن عمله- بلغتْ حتى الآن ستَّة عشر عامًا، وفي هذا المقام الذي شُرِّفْت فيه بالكلام عن شيخنا -أمتع اللهُ بطول حياته مُحبِّيه-، أجِدُني أعترِفُ بأن هؤلاء التلاميذ إنما كتبوا ما كتبوه من عظيم ما أثَّر فيهم هؤلاء الشيوخ في سلوكهم قبل تعليمهم.

شيخُنا -فسحَ اللهُ في أجله على طاعته- لازمتُه في كثيرٍ من أوقات الليل والنهار، وتشرَّفتُ بقُرْبي منه في خاصَّة أمره وعلانيَته، فباللهِ أُقسِمُ يمينًا قد كنتُ عنها غنيًّا، وما كنتُ أُولِيها لو خِفْتُ حِنثًا فيها، أنِّي ما أنكرتُ طرفًا من أخلاقه، ولم أشاهد إلا مجدًا وشرفًا من أحواله، وما رأيتُه اغتاب غائبًا، أو سبَّ حاضرًا، أو حَرَم سائلًا، أو خيَّب آملًا -في حدود استطاعته ومقدرته-، وما وجدتُ المآثرَ إلا ما يتعاطاه، ولا المآثمَ إلا ما يتخطَّاه.

شيخُنا -أدامَ الله غِبْطتَهُ-، من أصحاب الهِمَم العالِية التي يَسمع عنها طلبة العِلْم في الكُتب، رأيتُ من أخباره في ذلك ما يَستحِقُّ أن يُفرَد بالكتابة؛ لكنْ لعلَّ الإشارة إلى بعضها تُلهِبُ همم أترابي ممَّن ركنوا إلى تسميَة الناس لهم بـ «طلبة العلم»، وهم لا يستحقُّون هذا الشرف؛ لعدم معرفتهم بأوَّل ما يجب عليهم أن يحافظوا عليه، وهو الوقت.

شيخُنا -أحسن الله عافيته- رُزِق محبَّة الخَلْق، وهذه من عاجل بُشرَى المؤمن، ولا

تزالُ تلك المحبَّة نامية، ما كانت فوائدُه قائمة، ولن تزال فوائدهُ قائمة موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثرٌ ما كان من فوائده على الناس أثر، فلو أحببْتُ وَصْفَه لقلتُ: رجلٌ بينَه وبين القُلوب نَسَبٌ.

شيخُنا -أيَّدَهُ الله- محدِّثٌ شهد له أرباب هذا الفنّ بنبوغه فيه، خطيبٌ مُفَوَّه، مُرَبٍّ من الطِّراز الأوَّل، مُخالِطٌ للناس يَحلُّ مشكلاتهم، مؤلِّفٌ ومُحقِّقٌ يشهد بذلك ما صنَّفَهُ ولا يزال -حفظه الله وحَمَى مُهجَتَهُ-، كلُّ ذلك يحتاج لرجُلٍ يَضِنُّ بكل دقيقةٍ من عُمُره.

أُصيب بمرض السُّكري في مقتبل عُمُره سنة ١٩٨١م، وكان شيخنا -أدام اللهُ تأييده- ابنَ خمسٍ وعشرين سنة آنذاك، فكان بالرغم من مرضه يجلس في مكتبته أكثر من خمس عشرة ساعة، يطوفُ المُدُن والقُرى، يطوف البلاد خارج مصر للدعوة إلى الله، بهمَّةٍ عالية، ولم تقلّ إلا قليلًا مع كبره ومرضه -أحسن اللهُ عافيَتَهُ-.

شيخُنا -آنسَهُ اللهُ-، يُشعِر كلَّ مَن يكون في مَجلِسه بأنَّه المُقرَّبُ منه المُحتَفَى به دون غيره، يسأل جالِسَه عن أحواله ومَن يعول، وزائِرُه في مَرَضه فور سلامه عليه يجيب عن أسئلة شيخنا -أيَّده الله- عنه وعمن يعرِف ممن خلَّف وراءه، له أيادٍ بيضاء على كثيرٍ ممن يَعرِفُهم، ولو أعارتني خُطباءُ إياد أَلْسِنتَها، وكُتَّابُ العِراقِ أيْدِيَها، في وصف أياديه التي اتَّصَلَتْ عندي كاتِّصال السُّعود، وانتظمتْ لديَّ في حالَتَيْ حُضوري وغيْبَتي كانتظام العقود، فقلتُ في ذكرها طالِبًا أمَدَ الإِسهاب، وكتبتُ في شكرها مادًّا أطناب الإطناب= لما كنتُ بعد الاجتهاد إلا ماثِلًا في جانب القصور، مُتأخِّرًا عن الغرض المقصود، فكيف وأنا قاصرُ سعي البلاغة، قصيرُ باعِ الكتابة؟!

شيخُنا -حَرَس اللهُ عِزَّهُ ومكانَهُ- أقامَ قناة الدِّين، وفاق مَن في الآفاقِ بمكارم الأخلاق:

وكادَ يحكيه صوْبُ الغيثِ مُنسَكِبًا	لو كان طلقَ المُحَيَّا يُمطِرُ الذَّهَبا
والدَّهرُ لو لم يَجُر، والشمسُ لو نطقَت	والليْثُ لو لم يُصَدْ، والبحرُ لو عذُبا

نعم، جدَّد رسومَ عِلْمِ الحديث في بلادنا بعد أن نسجت عليها العنكبوت، وأحيا أنواعه بعدما كادت أن تموت.

شيخُنا -أدام اللهُ جمال العالم بطول عمره- مع علم الحديث قصةٌ كبيرة: يحبُّه حُبَّ المُحسِن مَن أحسنَ إليه، والغارسِ غرْسَ يديه، ويتوفَّرُ على استجلاب ما بَعُدَ من دُرَرِه، واستثارة ما كَمُنَ من غُرَرِه، يحرِصُ عليه حِرْصَ النفس على تنفُّسِ الهواء، ويطلُبُهُ طلب طير الماء للماء؛ ذاك لامتزاجه بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه.

جمع فيه خِزَانَةَ كُتُبٍ عمرها الله تعالى بطول عُمُرِه، ونظام أمره، وهي أُمُّ الفِقَرِ والغُرَرِ، ومَعْدِنُ المُلَحِ والظُّرَفِ، وقانونُ التُّحَفِ والنُّكت.

وشيخُنا من الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ الْمُجِيدينَ حَوْكَ الْكَلَامِ، والمتقلبين فِي أَفَانِينِ الْبَيَانِ، وَالْمَشْهُودِ لهمْ فِي ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ، حتى لكأنَّه يصدُقُ عليه قولُ البُرهان القيراطِيّ، إبراهيم بن عبد الله الطائي (ت٧٨١هـ):

لِلـهِ مـا أحْـلَـى مُـكَـرَّرَهُ الّـذِي ... يَحْلُـوْ ويَعْـذُبُ فـي مَـذَاقِ السَّـامِعِ

ولما كان العلمُ جمالًا لا يَخفَى، ونَسَبًا لا يُجفَى، اقتَضى معه العمل، ويَعْلَمُ القريبُ من شيخنا -أعلى اللهُ أمرَه- أنَّه من أشدِّ الناس حِرْصًا على تطبيق هَدْي نبيِّنا ﷺ في أقواله وأفعاله، ولعلَّ بركة ذلك ظاهِرةٌ على مَنطِقِه؛ فقد قال الزاهِدُ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحِيرِيّ -كما في «حِلْيَة» أبي نعيم (١٠/ ٢٤٤):

مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾.

وفي ختام كلامي عن شيخنا أجدني مُمتثلًا قولَ الأوَّل: أسكتَني عن وَصفِك تَساوِي أفعالِك في السؤدَد، وحيَّرَني فيها كثرةُ عددها، فليس إلى ذكر جميعها سبيل، وإن أردتُ وَصفَ واحدةٍ اعترضتْ أختها؛ إذ لم تكن الأُولَى أحقَّ بالذكر، ولستُ أصِفُها إلا بإظهار العجز عن وَصفها!

فأسألُ اللهَ وأرْغبُ إليه أن يجعل أيَّامَهُ المَسعودة أعظمَ الأيَّامِ السالِفةِ يـُمنًا عليه، وأن يُديمَ إمتاعَهُ بظلِّ النِّعمة، ولباس العافية، وفِرَاش السلامة، ومركب الغِبطة، ويُطيلَ بقاءه مَصونًا في نفسه وأعِزَّته، مُتمكِّنًا مما يقتضيه عالِي هِمَّته، وأن يجمع له المَدَّ في العُمُر إلى النَّفاذ في الأمر، والفوزَ بالمَثوبة من الخالق، والشُّكرَ من المخلوقين، ويجمع آماله في الدنيا والدين.

كما أسألُه سبحانه أن يَزيد عُلُوّ أمره، ويُرِيَهُ من أشبالِهِ وأَهِلَّتِهِ ليُوثًا وبدورًا.

وبعدُ؛

فمنذُ وقعت عيني على «دراسات عربيَّة وإسلاميَّة مُهداةٌ إلى أديب العربيَّة أبي فِهر محمود محمَّد شاكر بمناسبة بُلوغه السَّبعين»، وأنا أتمنَّى أن لو قُدِّمَت مثلُها لشيخِنا أبي إسحاق -أطال اللهُ على الحقِّ بقاءَهُ-، ثم تمنَّيتُ أن أكون صاحب هذه المبادرة.

وفي شهر مارس من هذا العام ٢٠١٥م، اشتدَّ المرض بشيخنا وانضاف إلى قائمة الأمراض التي ابتُلِي بها (الفشل الكُلوي)، تلا ذلك في شهر مايو سفرُه -أحسن الله عافيته- إلى دولة قطر في رحلةٍ علاجيَّة استمرَّت أربعة أشهر، في هذه الفترة وتحديدًا في بداية شهر أبريل بدأت الفكرة تدخل حيِّز التنفيذ، حيث كانت في مطلعها مقتصرةً على بحوثٍ مُهداةٍ من مجموعةٍ من تلامذة شيخنا، اجتهدتُ في اختيارهم، ولم أقصد الحصر؛ وإلا فتلامذة شيخنا -ولله الحمد- كُثُر، وأبلغتهم برغبتي في أن نُقدِّم لشيخنا -حفظه الله- كتابًا تذكاريًّا على غرار المُقدَّم لشيخ العربيّة أبي فهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكُلٌّ أبدى إعجابَه بالفكرة، بل أخبرني بعض إخواني أنَّه كان حريصًا من فترة على البدء في عملٍ قريبٍ منه، ثم تطوَّرت الفكرة شيئًا فشيئًا حتى تمَّ ما سأذكرُهُ لاحِقًا في محتوى الكتاب.

وارتأيتُ أن أجمع في بداية هذا الكتاب شهادات أهل العلم في شيخنا -مدَّ الله في أجله-، فتواصلتُ مع مجموعةٍ من أهل العلم من مُختلِف بلاد المسلمين، وبما أنَّ شيخنا رجُل عامَّة بالإضافة لكونه متخصصًا في علم الحديث، فكان ما انتهجَهُ أسلافنا من العلماء الذين صنَّفوا في التراجم عندما يتعرَّضون لترجمة عالمٍ من العلماء الذين لهم اختلاط

بالعامَّة هو ما ارتضيته وانتهجته، حيث يذكرون في العالم أقوال طبقة مشايخه وأقرانه، بل ونُبهاء تلامذته، فجمعت شهادات مجموعة من فُضلاء طبقة مشايخ شيخنا، وكذا كثيرٍ من أقران شيخنا، وبعض نبهاء طبقة تلامذته -أبقاهُ الله ذُخرًا للإسلام والمُسلمين-، ولم أستوعب لقصوري عن ذلك، وعجزي عن التواصل مع كثيرٍ من فضلاء أهل العلم، فإذا لم تجد بينهم فاضلًا كنتَ تتوقَّع وجودَهُ؛ فإنما ذلك لعجزي عن التواصل معه.

وإنما اهتممتُ بجمع مثل ذلك؛ ليكون ردًّا عمليًّا على من يطعنون في أهل العلم ليل نهار ويجعلونه ديْدنَهم، وأوَّلُ منازل الحمد السَّلامةُ من الذَّمّ، فما بالك إن كان جُلُّ مَن كتب من الأفاضل مُطبقون على الثناء على جهود الشيخ وعلى علمه، أسألُ الله أن يرزُقنا الإنصاف، وأن يُجنِّبنا الشطط وهضم حقِّ الناس وتتبُّع عثراتهم!

وقد أنكر عليَّ أحد المشايخ، واشتدَّ علي في إنكاره؛ أن الدراسات والبحوث إنما تُكتب خالصةً لوجه الله لا أن تُهدَى لأحدٍ من أهل العلم!

وكان ردِّي عليه أنَّ غالبَ البُحوث التي وردتني كان أصحابُها انتهوْا منها قبل أن أتكلَّم معهم بخصوص الكتاب، فلما حادثْتُهم كتبوا مقدمةً لها وأرسلوها إليّ.

على أنَّه ما من حرجٍ أن يكون البحثُ بطلبٍ مُعيَّنٍ، وكم من كتابٍ لأسلافنا -رضوانُ الله عليهم- كانت بدايته طلبًا من أحد أقرانهم أو مشايخهم أو غيرهم.

والأمثلةُ كثيرةٌ على إهداء أهل العلم كُتبَهم لأميرٍ أو وزيرٍ أو سلطانٍ أو خليفةٍ أو عالمٍ، وأوَّلُ مَن وقفتُ عليه -والقائمة طويلة- هو الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلَّام رَحِمَهُ اللَّهُ كان يُهدِي كُتُبَه إلى عبد الله بن طاهرٍ، كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٩٢ ط بشار) و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٤٩٣).

وذكر ابنُ خَلِّكان في «وَفَيَات الأعيان» (٤/ ٤٥٦) أنَّ أبا يعلى بن الهبَّاريَّة نظم كتابًا على أسلوب «كليلة ودمنة»، وأهداهُ إلى الأمير أبي الحسن صدقة بن منصور صاحبِ الحِلَّة.

وذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٩٢) أنَّ أبا بكر الطرطوشي صنَّفَ كتابه «سراج الملوك» للمأمون بن البطائحي، وكتب على اللوحة الأولى منه هذين البيتين:

النـــاسُ يُـهــدُون عـــلـى قَـــدرِهـم لكـنَّـنـي أُهـــدِي عـــلـى قَـــدري
يُهـــدُون مـــا يَـــفـنـى وأُهـــدِي الـذي يَـبـقـى عـــلـى الأيـــام والـدَّهـــرِ

وترجم ابن الفرضي في «تاريخ الأندلس» (١/ ٤٠٤) لمحمد بن الحارث بن أسد الخُشني (ت٣٦٦هـ)، وذكر أنَّه استقرَّ بقرطبة وألَّف لأمير المؤمنين المستنصر بالله كُتُبًا كثيرةً، بلغني أنَّه ألَّف له مائة ديوان، وجمع له في رجال الأندلس كتابًا.

وذكر ابن عذاري المراكشي في تاريخه المُسمَّى «البيان المغرب» (٣/ ١٥٦) في ترجمة مجاهد العامري أحد ملوك الطوائف بالأندلس، قال: كان من أهل العفاف والعلم، قصدَهُ العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب، وألَّفوا له تآليف مفيدة في سائر العلوم، فأجزل صلتهم على ذلك بآلاف الدنانير، ومضى على ذلك طول عمره.

وترجم ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٨٠) لأبي جعفر بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) فذكر في مؤلفاته كتاب (القبائل الكبير والأيام) قال: جمعه للفتح بن خاقان.

وترجم ابن الوردي في «تتمَّة المختصر» لعضد الدولة ابن بوية، قال: كان مُحبًّا لأهل العلم يقصده العلماء، وصُنِّف له الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في تاريخ الديلم، وغير ذلك.

وصنَّف ابن رشيق القيرواني كتابة «العُمدة في صناعة الشعر» بإشارة من مخدومه علي بن أبي الرجال الشيباني، رئيس قلم المراسلات في دولة المعز، ونال به صلة فاخرة.

وذكر أبو جعفر الضبي في «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» في ترجمة يعيش بن سعيد الوراق، قال: ألَّف مسند حديث ابن الأحمر بأمر الحكم المستنصر.

وقال محمد عبد الحي الكتاني في «تاريخ المكتبات الإسلامية ومَن ألَّف في الكتب» (ص١٢٧): وكانوا في غالب الأحيان إذا ألَّفوا للمُلوك سمَّوا التأليف بما يُشعر بأنَّه أُلِّف للملك الفلاني، كما فعل الإمام أبو بكر الشاشي الشافعي، ألَّف كتابًا في الفقه بأمر الخليفة

المستظهر بالله، وسمَّاه بـ «المستظهري»، وإمام الحرمين أَلَّف كتابًا في الفقه باسم غياث الدين نظام الملك، وسمَّاه «الغياثي»، وأَلَّف أيضًا مختصر «الطبقات» سمَّاه «الرسالة النظاميَّة»، والإمام ابن فُورك أَلَّف كتابًا في أصول الدين باسم نظام الملك أيضًا، وسمَّاه «النظامي»، والإمام أبو الحسين ابن فارس اللغوي أَلَّف كتابًا في اللغة باسم الصاحب كافي الكفاة وسمَّاه «الصاحبي»، والإمام أبو علي الفارسي النحوي أَلَّف كتابًا باسم السلطان عضد الدولة، وسمَّاه «العَضُدي»، والإمام أبو زكريا محمد بن زكريا الرازي المُلقَّب بجالينوس العصر له كتاب في الطب في عشر مجلدات سمَّاه «المنصوري»؛ لأنه جعله تقدمة إلى منصور بن نوح الساماني أمير خراسان، والقاضي عضد الدين أَلَّف كتابًا في المعاني والبيان باسم السلطان غياث الدين، وأسماه «الفوائد الغياثية»، والحافظ السيوطي أَلَّف كتابًا باسم الخليفة المتوكل على الله، في الألفاظ التي وقعت في القرآن وذَكَرَ الصحابةُ والتابعون أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سِوَى العرب، سمَّاه «المتوكِّلي».

وقال في ترجمة الحافظ من تاريخ تلميذه السخاوي: تآليفه تهادتْها الملوكُ بسؤال علمائهم لهم في ذلك، حتى وردت كتاب في سنة ٨٣٣هـ من شاهرخ بن تيمور ملك المشرق يستدعي من السلطان الأشرف برسباي هدية من جملتها «فتح الباري» فجهَّز له صاحب الترجمة -يعني الحافظ- ثلاث مجلدات من أوائله، ثم أعاد الطلب في سنة ٨٣٩هـ ولم يتفق أن الكتاب كمُل، فأرسل إليه أيضًا قطعة أخرى، ثم في زمن الظاهر جقمق جهزت له نسخة كاملة، وكذا وقع للسلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي؛ فإنه أرسل يستدعيه، فجهز له ما كمل من الكتاب، وكان يجهز لكتبه الشرح ولجماعة مجلس الإملاء ذهبًا يصرف عليهم، هذا ومُصنِّفه حيّ.

ويراجع كتاب الكتاني السالف ففيه أمثلة كثيرة، نقلتُ بعضها وتركت البعض الآخر خشية الإطالة[1].

---

(١) وكذا يُراجع تقديم الأستاذ عبد السلام هارون، لتحقيق كتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان» للجاحظ (ج١/ ص ح، خ).

وبهذا تعلم أنَّ إهداء العلماء لكتبهم كانت طريقةً مسلوكةً لهم ولم يُنكر عليهم أحد، وعندما أهدى شيخنا -أيَّده الله- كتابه «غوث المكدود» لشيخه حسنة الأيَّام ومُحدِّث بلاد الشام أبي عبد الرحمن ناصر الدين الألباني -عليه شآبيب الرحمة- بقوله في مقدمة الكتاب:

«الإهداءُ.. إلى شيخنا، وأستاذنا، وقدوتنا، حافظ الوقت، ونادرة العصر، ناصر الدين الألباني، الذي لو حلفتُ بين الركن والمقام، أنني ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه -أرجو أن لا أكون حَنِثْتُ-».

اعترض عليه أحد تلامذة الغماريين كما وجدته بخط شيخنا على نسخته الخاصة من «غوث المكدود»، قال -صدَّق اللهُ قولَه، ولا أعدَمَ الدُّنيا جمالَه وطَوْلَه، كما أذاق العِدَا بأْسَه وصَوْلَه: «انتقد عليَّ بعضُ المبتدعة أنْ أُهدِي هذا الكتاب لشيخنا الألباني زاعمًا أنَّ الإهداء بدعة نصرانيَّة، وهو كاذبٌ في ذلك، فلا زال العلماء يُهدون كتبهم إلى مَن يُوَقِّرون. ومن ذلك أنَّ شيخه عبد الله الغماري أهدَى كتابه في نزول المسيح إلى رسول الله عليه السلام». انتهى كلام شيخنا -أيَّدهُ الله-.

قلتُ: اعلم -علَّمك اللهُ الخير، ودلَّك عليه، وقيَّضَهُ لك، وجعلَك من أهله- أنَّه بالإضافة إلى أنَّ ما ذكرتُه آنفًا يرَدُّ عليه؛ فإنَّه أيضًا مُنافٍ لمذهب مشايخه من الغماريين، فقد أرسل إليَّ أخي في الله أبو محمد عادل خزرون التطواني المغربي مجموعة من الورقات عليها إهداءات من شيوخ الغماريين للشيخ ناصر الدين الألباني، فمن ذلك:

- أنَّ أبا الفضل عبد الله محمد الصدِّيق الغماري، أرسل نسخةً من كتابه «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام، وإرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول عليه السلام» إهداءً للشيخ الألباني، وكتب عليه ما نصُّه: «إلى أبي جعفر منصور، ومنه إلى أخيه ناصر الدين نجاتي».

- وأبا الفيض أحمد بن محمد بن الصدِّيق الغماري، أرسل نسخة من كتابه «توحيد المسلمين في الصوم والإفطار» إهداءً للشيخ الألباني، وكتب عليها بخطِّه ما نصُّه: «هديَّةٌ من مؤلِّفِه إلى حضرة الأستاذ العلَّامة الأثري الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الدمشقي. كتبه أحمد بن الصديق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٧٧».

- وكذا ابن أخي الغماري: صهيب الزمزمي أهدى كتابًا للشيخ الألباني وكتب بخطِّه ما نصُّه: «هديَّةٌ من المؤلِّف إلى شيخنا الجليل، العلَّامة، الأستاذ، المُحدِّث، ناصر الدين الألباني، بارك الله في حياته. صهيب الزمزمي، طنجة، ٦/ ٣/ ١٤٠٥هـ».

- وكذا أرسل الأستاذ عبد الفتاح أبو غدَّة كتاب «الابتهاج بأذكار المسافر والحاجّ» تأليف أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، هديَّةً للشيخ الألباني، وكتب بخطِّه ما نصُّه: «هديَّة للأستاذ الفاضل الشيخ ناصر الدين سلَّمه المولى، من أخيه عبد الفتاح أبو غدَّة».

- وأيضًا أرسل الأستاذ عبد الفتاح أبو غدَّة كتابًا للشيخ الألباني، وكتب عليه بخطِّه ما نصُّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أُهدِي هذه «المقالات» تأليف شيخنا الكوثري رحمه الله تعالى، إلى الأخ الأستاذ الفاضل الشيخ ناصر الدين، سلَّمه الله تعالى، ونفع به العباد آمين. دمشق ١٥ من صفر سنة ١٣٧٤.. عبد الفتاح أبو غدَّة».

فإهداء الكتب والأبحاث ليس بدعةً غربية، بل كما رأيت لها أصلٌ أصيلٌ في تراثنا الإسلامي، ولولا أنِّي أحببتُ أن تسمع نوعًا من الكلام، ومبلغ الرأي، لتُحْدِثَ لله تعالى شُكرًا على السَّلامة، لَما ذكرتُ لك كثيرًا من هذا الجنس.

أما عمل مجموعة بحوث ودراسات، وإهداؤها إلى عالمٍ بعينه، فقد بدأت في الغرب ثم انتقلت إلى المشرق العربي، وفي ذلك يقول الباحث السعودي عبد الله الهدلق على حسابه بتويتر:

«ثمّة تقليدٌ علميٌّ شريفٌ عالٍ، عُرف أوّلَ ما عُرف في التراث التأليفيّ عند الغرب، وأبدع فيه المستشرقون، وهو ما يُسمّى «بكتب الإهداء» أو «الكتب التذكارية».. وهو أن يقوم جَمْعٌ من تلامذة أحد الأعلام الكبار ومحبيه وعارفي فضله؛ بتأليف كتاب يُهدى إلى هذا العَلَم تكريمًا له حيث يُذكَر فيه شيءٌ من سيرته، وتُنشَر فيه دراساتٌ وبحوثٌ من جنس اختصاص هذا العالم... وقد انتقل هذا الضرب من التأليف إلى المكتبة العربية في العصر الحاضر، فأُلِّفتْ كتب «تذكارية أو مهداة أو تكريمية» كلها بمعنى.. وكنتُ قد عزمتُ

- وأنا إذ ذاك في الأفق الشرقي من مباهج المعرفة! على تأليف كتاب يرصد هذه الكتب التذكارية في المكتبة العربية جمعًا وتعريفًا وانتقاءً، وشرعتُ بحماسٍ في ذلك، لكني مَلولٌ فتوقفت، والملل كما قالت السادة العرب: من كواذب الأخلاق.. هذه الكتب حافلة بالترجمة النادرة للمهداة إليه، ثريّة النفع، بالغة الغَناء، يَغفل عنها بعض القرّاء والباحثين.. كانت هناك رسالة مخطوطة ألفها أحد علماء اليمن في الردّ على شيخ الإسلام ابن تيمية ولم أظفر بها مطبوعة إلا في الدراسات المهداة إلى الدكتور علي سامي النشّار، ولم أعلم أن النشار أخٌ لجمال عبدالناصر من الرّضاعة إلا من هذا الكتاب، ووقفت على بحث نُشر عن الكوثري في الدراسات المهداة إلى الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، وسألت غير واحد من المهتمين بتراث الكوثري فلم يعرفه، ونقلت عنه في كتابي «الهادي والهاذي»... وأحسب أن أجَلّ كتاب تذكاري في المكتبة العربية هو المهدى إلى شيخ العربية محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ، وكَفْيُكَ أن تعلم أن بعض من شارك في تأليف هذا الكتاب قد أُهدِيت إليهم كُتب فيما بعد كإحسان عباس والطناحي رحمهما الله».

وقد وقفتُ على عناوين كثيرة في هذا الباب؛ إلا أنَّ ذلك يحتاج لدراسةٍ مستقلَّة، ولعلَّ ما سأذكره يكون نواةً لدراسةٍ تُلِمُّ بتاريخ الكتابة في ذلك، ومن أوَّل من نقلها إلى المشرق العربي، إلى غير ذلك من الاستفسارات، فمما وقفت عليه:

١ - دراسات عربيَّة وإسلاميَّة مُهداة إلى أديب العربيَّة أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين. طبع مكتبة الخانجي، سنة ١٩٨٢م.

٢- أعمال مُهداةٌ إلى المُفكِّر الدكتور عبد الوهاب المسيري، أشغال المنتدى الفكري الثالث لمنظمة التجديد الطلابي، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٨م.

٣- عبد الوهَّاب المسيري في عيون أصدقائه ونقَّاده، صدر عن دار الفكر.

٤ - الدكتور توفيق الطويل مُفكِّرًا عربيًّا ورائدًا للفلسفة الخلقية، بحوث عنه ودراسات مُهداة، إشراف وتصدير د. عاطف العراقي.

٥- بحوث ودراسات مُهداة إلى عبد العزيز الدوري.

٦- دراسات نفسيَّة مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور مصطفى سويف، تقديم وإشراف الأستاذ الدكتور محمد محمود الجوهري، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٤م.

٧- دراسات فلسفيَّة مُهداة إلى روح عثمان طه، تصدير الدكتور إبراهيم مدكور، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٩م.

٨- مازن المبارك، بحوث مُهداة إليه بمناسبة بلوغه السبعين، نشر دار الفكر المعاصر.

٩- العقَّاد، دراسة وتحيَّة، بأقلام طائفة من روَّاد الفكر الحديث.

١٠- كتاب تذكاري، تمَّام حسَّان رائدًا لغويًّا، إعداد وإشراف الدكتور عبد الرحمن حسن العارف، طبع عالم الكتب المصرية.

١١- في المخطوطات والتراث، دراسات مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي، بمناسبة بلوغه سن السبعين، تقديم أ. د. كمال عرفات نبهان، طبع مكتبة الإمام البخاري، سنة ٢٠٠٨م.

١٢- بحوث ودراسات تاريخية مُهداة إلى صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، القاهرة: اتحاد المؤرخين العرب، سنة ٢٠١٤م.

١٣- محمد محمد أمان، مجموعة بحوث مُهداة، تحرير: شعبان خليفة، وسيِّدة ماجد، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية.

١٤- بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، مُهداةٌ إلى الدكتور أحمد أبو زيد.

١٥- محمد سعيد رمضان البوطي، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه، مجموعة باحثين.

١٦- دراسات مغربيَّة مهداةٌ إلى المفكر المغربي محمد عزيز الجبالي، صدر عن جمعية البحث في الآداب والعلوم الإنسانية.

١٧- دراسات عربية وإسلامية مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال، أعدَّها وأشرف عليها الأستاذ محمود الجبالي، صدرت عن مكتبة الآداب.

١٨- دراسات أدبية ولغوية مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال، بمناسبة بلوغه السبعين، صدرت عن مكتبة الخانجي.

١٩- الدكتور زكي نجيب محمود، فيلسوفًا وأديبًا ومعلمًا، كتاب تذكاري، أبحاث وكتابات مُهداةٌ إلى الدكتور زكي نجيب محمود في عيد ميلاده الثمانين، صدر عن جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم الفلسفة.

٢٠- لويس عوض، مفكِّرًا، وناقدًا، ومبدعًا.

٢١- الدكتور فؤاد زكريا، باحثًا، ومثقفًا، وناقدًا، كتاب تذكاري، إعداد الدكتور عبد الله العمر، صدر عن جامعة الكويت، كلية الآداب، قسم الفلسفة، سنة ١٩٩٨م.

٢٢- الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية، جامعة الكويت: عبد السلام هارون، معلمًا، ومؤلفًا، ومحققًا، إعداد أ.د. وديعة طه النجم، أ.د. عبده بدوي.

٢٣- عبد الرحمن بدوي، نجم في سماء الفلسفة، مجموعة دراسات إشراف الدكتور أحمد عبد الحليم، صدرت عن: الجمعية الفلسفية المصرية.

٢٤- عبد العزيز المانع، الباحث المحقق، بحوث ودراسات مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية في مجال اللغة العربية وآدابها، للعام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، صدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي، طبع سنة ٢٠١٣م.

٢٥- إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين، دراسات مُهداةٌ من أصدقائه وتلاميذه، أشرف على إعدادها عبد الرحمن بدوي، صدر عن دار المعارف بمصر.

٢٦- في التاريخ والحضارة الإسلامية، بحوث مُهداةٌ إلى المؤرخ والمحقق الكبير أيمن فؤاد سيد، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

٢٧- مقالات ودراسات مُهداةٌ إلى الدكتور صلاح الدين المنجِّد.

٢٨- الكتاب التذكاري، بحوث مُهداةٌ إلى الدكتور عبد الله بن فهد الفهيد يرحمه الله، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود بالمملكة، سنة ١٤٣٠هـ.

٢٩- محمد عزيز شكري، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه.

٣٠- جودت سعيد، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه.

٣١- حسين عبد الله العمري، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه.

٣٢- وهبة الزحيلي، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه.

٣٣- شوقي أبو خليل، بحوث ومقالات مُهداةٌ إليه.

٣٤- الأمَّة والدولة والتاريخ والمصائر، دراسات مُهداةٌ إلى الأستاذ رضوان السيد، بمناسبة بلوغه الستين.

٣٥- الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات مُهداة إلى المفكِّر رضوان السيد، نشر سنة ٢٠١٣م.

٣٦- فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء، مُهداةٌ إلى ناصر الدين الأسد، نشر دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٩٣م.

٣٧- قطوفٌ دانية، بحوث ودراسات أدبيَّة مُهداةٌ إلى ناصر الدين الأسد، حررها عبد القادر الرباعي، وقدَّم لها محمد حوّر، نُشِرت بدعم من وزارة الثقافة، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

٣٨- يوسف القرضاوي، كلماتٌ في تكريمه، وبحوثٌ فقهية وفكرية مُهداةٌ إليه بمناسبة بلوغه السبعين، نشر دار السلام، سنة ٢٠٠٤م.

٣٩- بحوث تاريخية مُهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن صالح الهلابي، بمناسبة بلوغه السبعين، نشر الجمعية التاريخية السعودية، سنة ٢٠١٣م.

٤٠- ثمرات الامتنان، دراسات أدبية ولغوية مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور العلامة حسين نصار، بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين، نشر مكتبة الخانجي، سنة ١٤٢٢هـ.

٤١- المكتبات ودراستها في الإنتاج الفكري للأستاذ الدكتور حشمت قاسم، رحلة عربية في المكتبات وعلم المعلومات: دراسات مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور حشمت قاسم، بمناسبة بلوغه سن السبعين، نشر دار غريب، القاهرة، سنة ٢٠١٣م.

٤٢- بحوث ودراسات في التاريخ العربي مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور نور الدين حاطوم، بمناسبة بلوغه السبعين من عمره المديد.

٤٣- البرلمان الإنجليزي في القرن الثالث عشر الميلادي، حتى نهاية حكم الملك إدوارد الأول ١٢٠٧م، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مُهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، بمناسبة بلوغه الستين عامًا.

٤٤- ملامح حضارية في الأندلس، بحوث ودراسات مُهداةٌ إلى عبد الكريم محمود غرابية، بمناسبة بلوغه الخامسة والستين.

٤٥- بحوث ودراسات مُهداةٌ إلى الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاماه، بمناسبة بلوغه سن السبعين، من منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان- الأردن، سنة ٢٠١٠م.

٤٦- النهضة واكتساب المعرفة في الوطن العربي، دراسات مُهداةٌ إلى ذكرى أسامة أمين الخولي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٧- المجتمع الدولي وحقوق الشخصية الإنسانية، أعمال مُهداةٌ إلى روح المرحوم إدريس السلاوي، نشر الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

٤٨- في الدفاع عن الاجتهاد والتحديث في الفكر العربي الإسلامي، أبحاثٌ مُهداةٌ للأستاذ سعيد بنسعيد العلوي، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠١٣م.

٤٩- ذاكرة القدس، بحوث ودراسات مُهداةٌ لذكرى كامل جميل العسيلي، نشر الجامعة الأردنية، عمان- الأردن، سنة ١٩٩٦م.

٥٠- دراسات مُهداةٌ إلى العلامة الدكتور فضل حسن عباس، بمناسبة بلوغه السبعين، أشرف على إعدادها د. جمال محمود أحمد أبو حسان، نشر دار الرازي للطباعة والنشر، عمان- الأردن. سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥١- دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، بحوث مُهداةٌ للمؤرخ محمود إسماعيل.

٥٢- ورقات في تاريخ المغرب، دراسات مهداةٌ للأستاذ إبراهيم بو طالب.

٥٣- مُسافر زاده الحب، عبد الحكيم راضي، دراسات في أعماله بأقلام عدد من أصدقائه وتلاميذه، أشرف عليها: عماد عبد اللطيف، ومحمد مشبال، وهدى النبوي.

٥٤- محمود قاسم، الإنسان والفيلسوف، كتاب تذكاري، إشراف د. حامد طاهر.

٥٥- زهرة الآس في فضائل العباس، دراسات مُهداةٌ إلى عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري في عيد ميلاده الستين ١٩٣٧-١٩٩٧م.

٥٦- في محراب المعرفة، دراسات مُهداةٌ إلى إحسان عباس، تحرير إبراهيم السعافين، نشر دار صادر، بيروت.

٥٧- أعمال مُهداةٌ إلى الأستاذ عبد المجيد الشرفي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة في تونس، تقديم الأستاذ عبد القادر المهيري، تونس ٢٠١٤م.

٥٨- المدرسة النقديَّة في علم الاجتماع المصري، دراسات مُهداة للدكتور سمير نعيم أحمد - فرغلي هارون، نشر دار إنسانيات، القاهرة، سنة ٢٠١٢م.

٥٩- في النهضة والتراكم، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربيَّة مُهداةٌ للأستاذ محمد المنوني، تقديم السعيد بنسعيد، الدار البيضاء، دار توبقال، سنة ١٩٨٦م.

٦٠- التاريخ والفقه، أعمال مُهداة إلى المرحوم محمد المنوني، إنجاز الجمعيَّة المغربيَّة

للتأليف والترجمة والنشر، تنسيق محمد حجي، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة بالرباط، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٦١- الآيات القرآنيَّة على النقود الإسلاميَّة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيَّة وحضارتها، مُهداة إلى عبد الرحمن الطيّب الأنصاري، بمناسبة بلوغه سن السبعين عامًا، تحرير أحمد عمر الزيلعي وآخرين، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٢- الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، دراسات تاريخية مُهداة للأستاذ إبراهيم حركات، من إنجاز الجمعيَّة المغربيَّة للبحث التاريخي، تنسيق نفيسة الذهبي، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة بالرباط، سنة ١٩٩٧م.

٦٣- دراسات مُهداة للفقيد جرمان عياش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة بالرباط، سنة ١٩٩٤م.

٦٤- دراسات فلسفيَّة مُهداة إلى الأستاذ لطاهر واعزيز، من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سنة ١٩٩٥م.

إلى غير ذلك من الكتب التي لو فتَّش الباحث لظفر بها، وهذا الأمر يستحق الدراسة، فلعلَّ أحد الباحثين يقومُ بعبء هذا الأمر ويُشمِّر عن ساعد الجِّد، ويُتحِفَنا بدراسةٍ تشمل جميع نواحي هذا الموضوع المهم.

وبعد..

فقد استعنتُ بالله -وعليه المُعوَّل، وإليه المُتحوَّل، وله الشكر على ما قد حبَانِيه وخَوَّل-، ورتَّبْتُ الكتاب، بعد هذه المقدّمة، على:

تمهيد، وفصلين[1] وملاحق.

- **التمهيد:** ترجمة الشيخ، وملحقاتها.

---

(١) كان الكتاب عبارة عن تمهيد وأربعة فصول، فاقتطعت منه الفصل الثالث والرابع وجعلته كتابًا مستقلاً حتى لا يكبر حجم الكتاب، وسميته (**بحوث ونصوص محققة مُهداةٌ للشيخ أبي إسحاق الحويني**).

- **الفصل الأول:** شهادات أهل العلم في الشيخ أبي إسحاق الحويني، وأشعار قيلت في فضيلته.
- **الفصل الثاني:** بحوث عن الشيخ أبي إسحاق الحويني.
- **ملاحق الكتاب:** واشتملت على تسعة ملاحق.

وبعد الانتهاء من جمع مادَّة الكتاب، عرضْتُه على شيخنا -أيَّدهُ الله- فاستحْسَن الفكرة، واستقرت تسمية الكتاب على (**ميراثُ الوفاء، كلمات وشهادات وبحوث مُهداةٌ للشيخ أبي إسحاق الحويني**).

ووافقَ ذلك بلوغَ شيخنا عامَه الستين، أسألُ الله بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى أن يُطيلَ على الحقِّ بقاءه.

إذا ما مَدحْناهُ استعنَّا بفعلِهِ   فنأخُذُ مَعنى قوْلِنا من فِعالِه

وبعد؛ فقد جمع الكتابُ بين دفَّتيْه موضوعات شتَّى، وفوائد في أبوابٍ من العلم مختلفة، فهو وإنْ كان كتابًا واحدًا؛ فإنه كُتُبٌ كثيرةٌ، فإذا أراد القارئُ قراءةَ بحثٍ لم يَطُل عليه الأول حتى يهجُمَ على الثاني، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث، فهو أبدًا مستفيدٌ ومُستَطْرِف، وبعضه يكون جِمامًا لبعض، ولا يزالُ نشاطُه زائدًا، فمتى خرج من بحثٍ حديثيّ صار إلى آخر فقهيٍّ، ومتى خرج منه صار إلى تفسيرٍ، فتراجم، وهلُمَّ جرًّا.

ويأتي هذا الكتاب تكريمًا ووفاءً لشيخنا -أيده الله- ضمن مجموعة من الكتب يعمل عليها بعض تلامذة الشيخ طبع بعضها، والبعض الآخر قيد الكتابة.

وكان لأخينا الشيخ أحمد عطية الوكيل -حفظه الله- السبق في ذلك بكتابيه (المعجم المفهرس) و(نثل النبال).

ثم طبع لكاتب هذه السطور كتاب (الترياق بأحاديث قوَّاها الألباني وضعَّفها الحويني أبو إسحاق).

ثم هذا الكتاب الذي أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبله ويكتب له القبول بين عباده.

نعم، طُبعت ترجمة لشيخنا؛ لكنها غير مرضية، ولم يطلع عليها شيخنا إلا بعد نشرها! ويقوم الآن ابن الشيخ (أبو يحيى هيثم) بعمل ترجمة موسعة لأبيه.

وأشار الأخ الكريم مؤمن البدوي إسماعيل أنه يُعدُّ كتابًا عن شيخنا عنونه بـ(سيرة حارس الحدود الأثري أبي إسحاق الحويني)، وطليعته اعتمدناها ترجمة لشيخنا بين يدي هذا الكتاب، وقد طُبعت هذه الطليعة في مجلد ستنشره دار طابة للنشر والترجمة.

وأشار الدكتور مازن السرساوي في مقدمة بحثه عَزْمَه على كتابة ترجمة وافية تتناول الجانب العلمي والحديثي خصوصًا في حياة الشيخ.

وأيضًا أشار الدكتور أشرف الكناني في مقدمة بحث (النهر المورود) أن له كتابًا عنونه بـ(الإمام المحدث أبي إسحاق الحويني.. مسيرة حياة في نصرة السنة وحراسة حدود الله).

وأيضًا بحث الأخ محمد سعد الأزهري عبارة عن طليعة لكتاب (الحويني.. رحلة طويلة وتاريخ مضيء).

وأشار الأخ وجدان العلي في خاتمة مقاله قائلًا: «وفي كل ما نثرته وهو قليل موجز مختصر، له بسط إن شاء الله قائم برأسه في كتاب مستقل إن شاء الله».

وقام أحدهم -هداه الله- بكتابة ٩٢٩ صفحة، سَوَّدها لتبديع شيخنا حفظه الله، فانبرى له الدكتور أمين سليم رادًّا في مجلدين سيصدران قريبًا بعون الله.

وأيضًا بحث الأخ الكريم مؤمن البدوي إسماعيل عبارة عن طليعة لكتاب (بذل الجود في الرد على من تعقب الحويني في «غوث المكدود»).

ووصلني عن طريق أحد إخواننا الجزائريين أن أحد الباحثين الهولنديين قام بكتابة بحث أكاديمي عن شيخنا لكني لا أعلم عن ماهية هذا البحث شيئًا حتى الآن.

أدام الله على شيخنا ثوب العافية، وأطال على الحق بقاءه، وأقر عينه بثمرة دعوته وعلمه اللهم آمين، وبعدُ؛

فأسألُ الله جلَّ وعلا أن يَكتُب له القَبول؛ فإنَّه رِزقٌ من الله، فكم من بيْتِ شِعرٍ قد سار،

وأجوَدُ منه مُقيمٌ في بُطون الدفاتر، لا تَزِيدُه الأيَّامُ إلا خُمولًا، كما لا تزيد الذي دونه إلا شُهرَةً ورِفْعة.

وأتقدَّم بخالص امتناني وشكري لكل من ساهم معي في إتمام هذا العمل على هذا الشكل الذي أرجو أن يكون مُرضيًا، وهم كثر، وأخصّ منهم بالذكر أخويَّ الكريمين: الدكتور/ محمد عاطف التَّراس، والأستاذ/ حسين محمد الزقزوقي؛ اللذَينِ قاما بأعباء التدقيق اللغوي.

وفي الخِتامِ أقولُ لشيْخِنا -حرَسَ اللهُ مُهْجَتَهُ-، قولَ أبي الحسن بن طَبَاطَبَا (ت٣٢٢هـ)- كما في ترجمته من «مُعجم الأدباء» لياقوت الحَمَويّ (٥/ ٢٣١٥):

لا تُـنْكِـرَنْ إِهْـدَاءَنَـا لـكَ مَـنْطِقًـا ... مِـنْـكَ اسْـتَـفَـدْنَا حُـسْـنَهُ ونِظَامَـهُ
فاللـهُ عــزَّ وَجَــلَّ يَشْـكُرُ فِعْـلَ مَـنْ ... يَـتْـلُـو عَـلَـيْـهِ وَحْـيَـهُ وكَلامَـهُ

وقولَ أبي الفتح علي بن محمد البُستي (ت٤٠١هـ):

لا تُنْكِـرَنَّ إِذَا أَهْدَيْـتُ نحـوَكَ مِـنْ ... عُـلُومِـكَ الغُـرَّ أَوْ آدَابِـكَ النُّتَفَـا
فَقَيِّـمُ البَـاغِ[1] قـدْ يُهْـدِي لِمَالِكِـهِ ... بِرَسْـمِ خِدْمَتِـهِ مِـن باغِـهِ التُّحَفَـا

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

وكتبه حفيدُهُ

عمرو عبد العظيم الحُوَيْني

الأحد غُرَّة شهر الله المُحرَّم سنة ١٤٣٨هـ

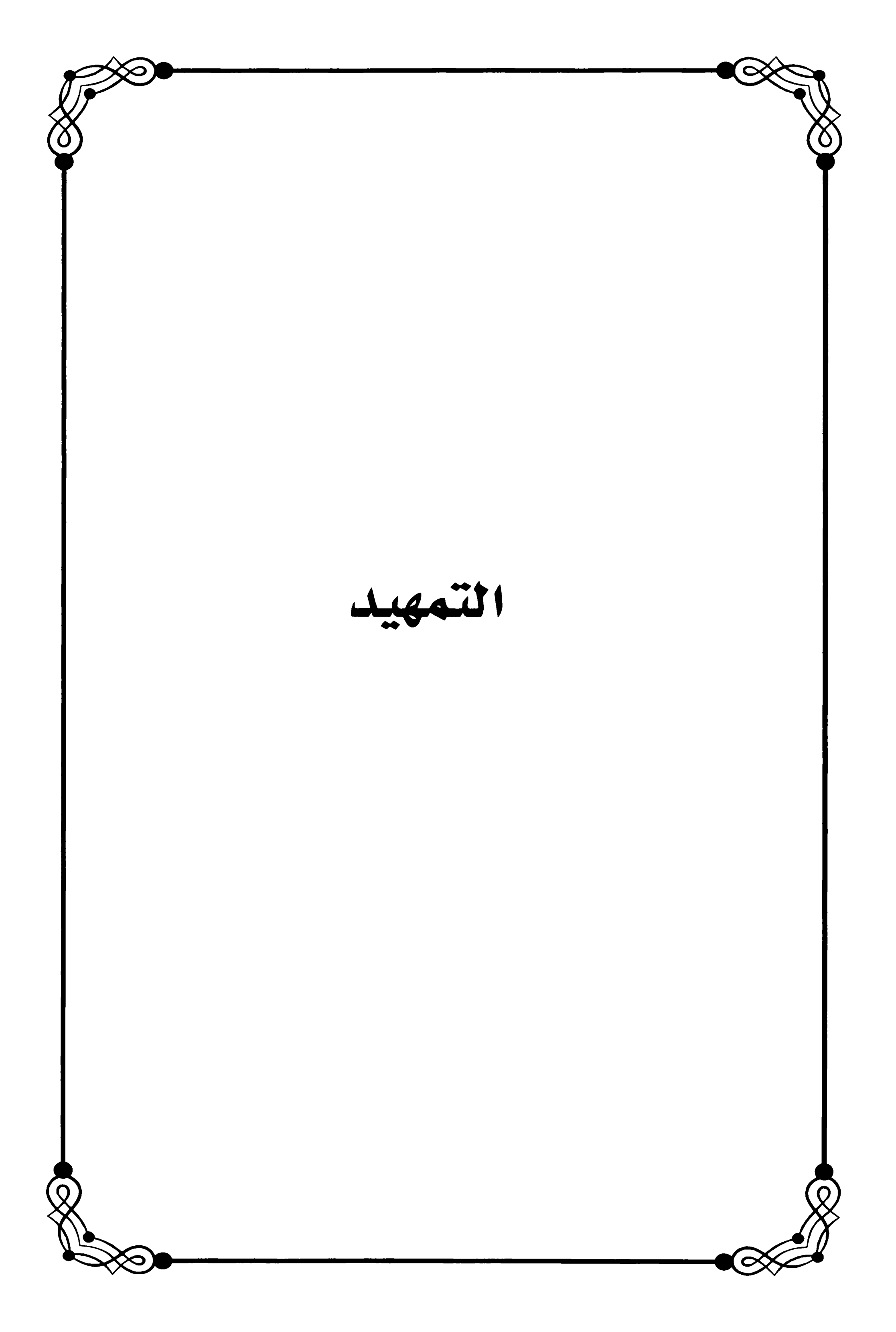
الثاني من أكتوبر ٢٠١٦م

في حُوَيْن - مركز الرِّياض - محافظة كفر الشيخ

البريد الإلكتروني abumunzir_alhowainy@yahoo.com

---

(١) قيِّمُ الباغِ: أي صاحبُ البُستان.



التمهيد

طليعة سيرة حارس الحدود الأثري
أبي إسحاق الحويني

تأليف
أبي بكر
مؤمن بن البدوي بن إسماعيل آل ياسين
المصري الأثري

كلمتي لسماحة شيخي وأستاذي
وأحبّ مشايخي إلى قلبي، وأقربهم إليّ
فضيلة الشّيخ العلّامة المحدّث أبي إسحاق الحوينيّ
(حفظه الله، وبارك في عمره،
ونفع بعلمه، وشفاه، وأتمّ عليه العافية)
كلمتي لسماحة شيخي العلّامة المحدّث أبي إسحاق الحوينيّ

فمنذ ما يقرب من عشرين سنةً، وأنا ملازمٌ لشيخي وأستاذي، أنهل من علمه، وأتعلّم من أدبه، وهديه، وسمته، ودلّه، ما رأيته فيها إلّا على السّنّة، إمامًا في علم الحديث، رافعًا للوائه، معتصمًا بمنهاج أئمّته، ألان الله له الحديث؛ ورزقه حشمة أهله، فَرَقِيَ فيه أسمى المراقي، نحسبه كذلك والله حسيبه.

عرفته فارسًا نبيلًا، قليل الكلام، عفيف اللّسان، خافضًا الجناح مع إخوانه، صارمًا مسلولًا على أعداء السّنّة، واقفًا على ثغر الدّفاع عنها، وكم نكّل وشفى بالرّدّ على المبطلين والجاهلين.

عرفته يعرف الفضل لأهله، ولا يغضب فيثأر لنفسه، صابرًا محتسبًا في وقت محنته، تربّينا في مدرسته على منهاج القرون الثّلاثة الأُوَل، ومن تبعهم بإحسانٍ، فجزاه الله عنّا وعن الأمّة خيرًا.

فنِعْم العالم العامل والمربّي..

كتبه تلميذك

أبو بكرٍ

مؤمن بن البدويّ بن إسماعيل آل ياسين المصريّ

مصر - كفر الشّيخ - يوم السّبت - ٧ من ذي القعدة ١٤٣٦هـ

مقدّمة
(طليعة سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ)

مقدّمة (طليعة سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي نزّل الذّكر وتكفّل بحفظه، واختار خير البشريّة لحمله وتبليغه، واصطفى لصحبته من تمسّكوا بهديه، وقيّض للوحي من حفظوه من بعده، وصلى الله على من يزداد الإيمان بذكره، وتتعطّر المجالس بتعليم سمته ودلّه، وينشرح الصّدر باقتفاء آثاره، صلاةً وسلامًا على النّبيّ وصحبه وآله.

أمّا بعد:

فهذه طليعة كتابي: (**سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ**)، وهي ترجمةٌ مجملة لسماحة شيخي وأستاذي ومعلّمي فضيلة الشّيخ العلّامة المحدّث أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله تعالى، وبارك في عمره، ونفع بعلمه، وأتمّ عليه العافية- للتّعرّف من خلالها على سيرة شيخنا، وتفصيل هذه التّرجمة في أصل الكتاب، أسأل الله ﷻ التّوفيق والسّداد، وأن يتمّه على خيرٍ، فمادّته أجمعها منذ ملازمتي لشيخنا؛ أي من عشرين سنةً أو يزيد.

وأحمد الله -تبارك وتعالى- الّذي وفّقني لصحبة شيخنا الإمام، فقد عاينت من سيرته ما جعلني أشعر بالفارق بينه وبين غيره في باب العلم مع حبّي وتقديري لكلّ من شرفت بالجلوس بين يديه من أساتذتي ومشايخي لأتأدّب وأتعلّم -حفظ الله من كان حيًّا منهم، ورحم الله من مات- إلّا أنّ كلامي عن سيرة شيخنا الحوينيّ، هو كلامٌ عن أوّل شيخٍ عرفته، وجلست بين يديه، وتعلّمت من هديه وسمته ودلّه، وكان سببًا رئيسًا بعد توفيق الله ﷻ في تعلّقي بالعلم الشّرعيّ ومحبّتي له، لا سيّما بعلم الحديث الّذي رأيته

في خلقه ومعاملاته، فازددت تعلّقًا بهذا العلم الشّريف، فجزاه الله عنّي، وعن إخواني من طلبة الحديث وغيرهم خير الجزاء.

وقد سمعت باسم شيخنا لأوّل مرّةٍ وأنا في الصّفّ الأوّل الإعداديّ، وكنت في الثّانية عشرة من عمري تقريبًا، وشعرت بغرابةٍ وفخامة في اسمه في نفس الوقت، ولم أعرفه على الحقيقة إلّا بعد ملازمتي له وكنت آنذاك في الثّامنة عشرة من عمري تقريبًا، وقصّتي مع شيخنا هي قصّة سنين طويلة لا يتّسع المقام هنا لبسطها، ولكن تفاصيلها في أصل الكتاب بإذن الله -تبارك وتعالى-، لكن على مدار هذه السّنوات رأيت رجلًا على رسم العالم، له هيبةٌ عند رؤيته، وحشمةٌ عند مجالسته، وفهمٌ عميقٌ في جوابه عند الفتوى، وسيلٌ هادرٌ إذا طرقت معه باب الحديث؛ وحينئذٍ دونك البحر فاغترف، وفيه حرصٌ شديدٌ على الوقت، وانجماعٌ عن النّاس إلّا في المباح، وما دعت إليه الضّرورة، لم يبخل علينا بوقته ولا نصيحته، وكم كنت أشعر مع شيخنا بخجلٍ بالغٍ، ويدركني من الحياء ما لا يعلمه إلّا الله من شدّة بذله، وكرمه، وتواضعه معي، فله عليّ أيادٍ بيضاء أسأل الله ﷻ أن يجازيه بها خير الجزاء، وأن يرفع قدره في الدّنيا والآخرة.

قال لي محدّثي مرّةً -وكنّا في العام الثّاني أو الثّالث من دراستنا الجامعيّة في كليّة الحقوق بجامعة المنصورة- أعلم أنّك من بلد الشّيخ الحوينيّ، فهل تعرفه؟ قلت له: نعم، قال لي: وتلتقي به، وتتحدّث معه؟! قلت له: نعم، فقال لي: سمعت أنّه يقلّد النّبيّ ﷺ في كلّ شيءٍ، فهل هذا صحيحٌ؟ فقلت له: أحسبه كذلك والله حسيبه، ولا أزكّي على الله أحدًا، فما عرفت شيخنا إلّا على السّنّة، فقال محدّثي: ما شاء الله، ودعا له بخيرٍ، ثمّ حدّثت شيخنا بهذا الموقف، فتأثّر بما سمع وقال كلامًا معناه، كم أتمنّي أن أكون كذلك، ودعى بالسّتر والإخلاص.

وكان شيخنا يقول: ما عرفت سنّةً صحيحةً إلّا اجتهدْتُ أن يكون لي نصيبٌ من العمل بها.

وعندما كنّا نبتلى ببعض الّذين يتكلّمون في شيخنا، ونذكر لهم ما عايّناه من سيرته، وما عرفناه من قدره ومكانته، ورسوخه في العلم، وحرصه على العمل بالسّنّة، يحتجّون بأنّ فلانًا تكلّم فيه، وسمع له كذا، ونقل عنه كذا، وقال: إنّه يخالف أهل السّنّة في كذا وكذا، وفلانٌ هذا عندنا ثقةٌ، وزكّاه العلماء؟!! فنقول لهم: من هؤلاء العلماء؟! فيحدّثونك في الغالب عن مجاهيل

العين والحال!! هذا؛ لو سلمت من تلبيسهم، وتدليسهم بذكر أحد الأكابر من علماء العصر! فلو أردت أن تلقمه حجرًا، وتذكر له تزكية الإمام الألبانيّ لشيخنا الحوينيّ مثلًا، فإذا به يتحوّل إلى حاسدٍ حاقدٍ، يريد أن يجد سبيلًا لنفي هذا الكلام الموثّق!! ولكن يقال لأمثال هؤلاء: كيف وقد قيل، وطار في الآفاق، وثبت بأوثق طرق الإثبات، نسأل الله ﷻ سلامة القلب، وأن يهدي الشّارد، ومن عجبٍ أن هؤلاء القوم -هداهم الله- كانوا على مذهبٍ واحد، وطريقةٍ واحدةٍ -فيما يظهر- من عدم التّرفّق والإنصاف مع المخالفين لهم من أهل السّنّة، ولكن -سبحان الله- سرعان ما تحوّلوا إلى طرائق، ومذاهب، يبدّع بعضهم بعضًا، ويطعن بعضهم في بعضٍ، ومن كان عندهم بالأمس القريب كالإمام أحمد في زمانه! فإذا به اليوم رأسٌ في البدعة والضّلالة، ما هذا التّلوّن؟!! نسأل الله ﷻ السّلامة والعافية، ونعوذ به سبحانه من الحَوْر بعد الكَوْر.

فكان شيخنا إذا وصله من ذلك شيءٌ -مع حرصه الشّديد ألّا يسمع شيئًا عن هؤلاء، بل وتعنيفه الشّديد أحيانًا لمن يُسمعه شيئًا عنهم- علّق بأدبٍ، وحسن خلقٍ، على الرّغم أنّه مفترًى عليه!! وكان من جميل كلامه: «نعوذ بالله من خصومةٍ تسدّ باب الإنصاف، وتصدّ عن جميل الأوصاف»، وقد قالها في مَعرِض ردّه على هؤلاء الّذين يتكلّمون فيه وفي غيره، مع ندرة ردّ الشّيخ على أمثالهم فقال: «أرى إهمالًا جسيمًا، وأرى ارتدادًا عن الأخلاق الحميدة الّتي علّمناها شبابنا طيلة أعمارنا، نحن ما سَبَبْنا قطّ مع كثرة الهجوم علينا، وما أكلنا أعراض المخالفين مع كثرة الهجوم علينا، بل كنّا نربأ بأنفسنا، ونعتقد أنّنا دعاةٌ لهذا الدّين، وأنّ النّبيّ ﷺ ما انتصر ولا دانت له الجزيرة إلّا بحسن خلقه ﷺ، ومعلومٌ أنّ الرّدّ بمجرّد الشّتم لا يعجز عنه أحدٌ، وكلّالنّاس يستطيع أن يسبّ!! لكن أقلّ النّاس هو الّذي يُعمِلُ جانب الإنصاف، ونعوذ بالله من خصومةٍ تسدّ باب الإنصاف، وتصدّ عن جميل الأوصاف.

وعندي في ذلك الكثير والكثير، أبسطه في أصل الكتاب بإذن الله.

وأنا أشعر برغبةٍ ملحّةٍ أن أكتب كلّ ما عندي عن شيخنا أبي إسحاق الحوينيّ؛ فربّما بهذا أتمكّن من أن أوفّيه جزءًا من حقّه عليّ، وعلى إخواني من طلبة العلم عامّةً، وطلبة الحديث خاصّةً، ولكن لضيق المقام هنا، أسأل الله ﷻ أن يكون ما سطّرته، وادّخرته في أصل الكتاب مُبرِزًا لسيرته العامرة العطرة، فيسعد بها محبّوه وتنشرح صدورهم، ويُدمَغُ

بها حاسدوه وكارهوه، ولربّما تعقل قلوبهم.

وقد نشرتُ خلاصة طليعة كتابي: (**سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ**) -أي مختصر الطّليعة- على الموقع الرّسميّ الجديد لشيخنا أبي إسحاق الحوينيّ (alheweny.me)، وقد أعطيتها لأخي الحبيب أبي يحيى الحوينيّ -حفظه الله- المشرف المسئول عن الموقع، ونُشرتْ -ولله الحمد- على الموقع أوّل ترجمةٍ معتمدةٍ لسماحة شيخنا حفظه الله.

وقد جعلتُ كلامي في طليعة سيرة شيخنا أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله- في النّقاط الآتية:

أوّلًا: اسمه، ونسبه، وكنيته.

ثانيًا: مولده. **ثالثًا: نشأته.**

رابعًا: مراحل دراسة الشّيخ في المؤسّسات التّعليميّة.

خامسًا: بداية تعلّقه بالقراءة، وطلب العلم.

سادسًا: الوظائف الّتي شغلها أو طُلِب لها، والسّعي للتّفرّغ لطلب العلم.

سابعًا: بداية طلبه لعلم الحديث.

ثامنًا: بحث الشّيخ عن شيوخ علم الحديث.

تاسعًا: بداية قصّة الشّيخ مع شيخه الألبانيّ رحمه الله.

عاشرًا: جهود الشّيخ في الدّعوة، ونشر العلم، لاسيّما بعد رحلته للألبانيّ رحمه الله.

الحادي عشر: شيوخ الشّيخ.

الثّاني عشر: ثناء أهل العلم على الشّيخ.

الثّالث عشر: من رافقهم الشّيخ، وكان لهم به علاقةٌ.

الرّابع عشر: خلاصة طريقة الشّيخ في التّخريج، ومنهجه في الحكم على الأخبار والتّحقيق.

الخامس عشر: عقيدة الشّيخ، ومنهجه.

السّادس عشر: مؤلّفات الشّيخ، ومشاريعه العلميّة.

السّابع عشر: من كلمات الشّيخ ووصاياه.

الثّامن عشر: أسرة الشّيخ، وأبناؤه.

و(طليعة سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ) هي مشاركتي الأولي في (**ميراث الوفاء، شهاداتٌ وبحوثٌ ودراساتٌ مهداةٌ للشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ من شيوخه وأقرانه وتلامذته**)، وتأتي مشاركتي الثّانية -بإذن الله- في (**بحوثٌ ونصوصٌ محقّقةٌ مهداةٌ للشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ**)، بكتابي: «طليعة بذل الجود في الرّد على من تعقّب الحوينيّ في غوث المكدود»، وأصل الكتاب «بذل الجود في الرّد على من تعقّب الحوينيّ في غوث المكدود»، والسّبب في تأليفي لهذا الكتاب -كما سيأتي- أنّه قد نما إلى علمي أنّ كاتبًا ألّف ردًّا على كتاب «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود» لسماحة شيخنا المحدّث فضيلة الشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله، وبارك في عمره، وعلمه، ونفع به، وأتمّ عليه العافية- وقد سمّى مؤلّف هذا الرّدّ كتابه: «منحة المعبود في الرّد على أبي إسحاق الحوينيّ في كتابه غوث المكدود»، ولمّا وصلني نسخةٌ من هذا الرّد وقرأته وفق الأصول العلميّة لم ترق لي طريقة المؤلّف -عفا الله عنه- في ردّه على شيخنا أبي إسحاق الحوينيّ! وهذا لأسبابٍ ذكرتها في موضعها في «أصل الكتاب»، وفي «الطّليعة» أيضًا، والله الموفّق.

وختامًا: أسأل الله ﷻ أن يوفّقنا لما يحبّه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل صالحًا، متقبّلًا، خالصًا لوجهه، ولا يجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو بكرٍ

مؤمن بن البدويّ بن إسماعيل آل ياسين

المصريّ الأثريّ

في يوم الاثنين، العشرين من شهر رجبٍ لسنة

ثمانيةٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألف من الهجرة

(٢٠/ ٧/ ١٤٣٨هـ - الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠١٧)

طليعة سيرة حارس الحدود الأثريّ
أبي إسحاق الحوينيّ
(ترجمة فضيلة الشّيخ المحدّث أبي إسحاق الحوينيّ)
حفظه الله، وبارك في عمره، ونفع بعلمه، وأتمّ عليه العافية

بقلم: مؤمن البدويّ إسماعيل آل ياسين

* **أوّلًا: اسمه، ونسبه، وكنيته:**

(اسمه ونسبه): هو حجازيّ بن محمّد بن يوسف بن شريفٍ؛ أبو إسحاق الحوينيّ الأثريّ المصريّ موطنًا، ومولدًا، ونشأةً.

وقد سمّاه والدُه الشّيخُ محمّدُ بنُ شريفٍ رَحِمَهُ اللهُ «حجازيًّا» عند عودته من أداء فريضة الحجّ؛ من بلاد الحجاز -حرسها الله-، وكان هذا في حجّته الثّانية في عام ألفٍ وثلاثمئةٍ وخمسةٍ وسبعين من الهجرة (١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٦م)، وأمّا حجّته الأولى فكانت في عام ألفٍ وثلاثمئةٍ وسبعةٍ وخمسين من الهجرة (١٣٥٧هـ، الموافق ١٩٣٩م).

(كنيته): تكنّى في مطلع شبابه وطلبه للعلم (بأبي الفضل) لتعلّقه الشّديد بالحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ، ثمّ ارتبط بكتب أبي إسحاق الشّاطبيّ رَحِمَهُ اللهُ، فحببتْ إليه كنيته، وتعلّق بها لمّا علم أنّها للصّحابيّ الجليل سعد بن أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فعرف واشتهر بعد ذلك بين النّاس بأبي إسحاق الحوينيّ.

(والحوينيّ)؛ فنسبةً إلي قريته حُوين بمحافظة كفر الشّيخ، والّتي ولد ونشأ بها.

(وأمّا الأثريّ)؛ فهو المشتغل بعلم الأثر، أو الحديث، والمتّبع في عقيدته ومنهجه لما صحّ منها -أي الآثار أو الأحاديث- وقد عُرف بها الشّيخ؛ إذ كان يكتبها على أغلفة مؤلّفاته الأولى، ثمّ تركها تخفيفًا لذكر الاسم، وخشية أن يُظنّ أنّ ذكرها للتّفاخر أو تزكية النّفس، وأمّا إن كان ذكرها على سبيل الإخبار فلا إشكال فيه.

ومن الطّرائف واللّطائف الّتي تُذكر في هذا الموضع؛ أنّ بعض أهل العلم والفضل لمّا سمعوا باسم الشّيخ الحوينيّ لأوّل مرّةٍ ظنّوا أنّه ليس معاصرًا، وإنّما هو في قرنٍ متقدّم! كما حدث مع الشّيخ الدّكتور أحمد النّقيب لمّا سمع بفضيلة الشّيخ؛ فقد حدّثني شيخنا النّقيب في أكثر من مناسبةٍ أنّه في عام ١٩٨٧م تقريبًا كان مسافرًا في قطار القاهرة المنصورة، والّذي كان يأتي إلى مدينة المنصورة عن طريق مدينة طنطا، فقابله في القطار شابٌّ ذو لحيةٍ، ودار بينهما حوارٌ كان منه: أنّ هذا الشّابّ قرأ رسالةً لشيخٍ اسمه أبو إسحاق الحوينيّ، ثمّ سأل الدّكتور النّقيب عن هذا الشّيخ، فقال له: لا يوجد من أهل العلم من اسمه «الحوينيّ»!! ولكن ربّما تقصد أنّ لقبه «الجوينيّ» بالجيم، وليس (الحوينيّ) بالحاء، فقال له هذا الشّابّ: إنّه معاصرٌ واسمه أبو إسحاق الحوينيّ! فلمّا عاد الدّكتور النّقيب أخذ يفتّش في الكتب الّتي تعتني بتراجم الأئمّة ربّما يظفر بشيءٍ، ولكنّه لم يجد.

وبقي اسم الشّيخ الحوينيّ عالقًا في ذهنه حتّى دعاه أحد الإخوة إلى عقيقةٍ، وهو الشّيخ عماد صابر، صاحب مكتبة التّوعية الإسلاميّة بالجيزة، وكانت هذه الدّعوة في يوم جمعةٍ ببلدته بنا أبو صير بمحافظة الغربيّة، وقال للدّكتور النّقيب: يوجد معنا اليوم أحد إخواننا الأفاضل من المجتهدين في العلم والدّعوة وهو الأخ أبو إسحاق الحوينيّ، فعلمتُ أنّه هو الّذي سُئلت عنه، وكان الشّيخ الحوينيّ هو خطيب الجمعة في هذا اليوم، وكان يتكلّم عن حديث الرّجل الّذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فأعجبني أسلوبه، ووضوح فكرته، وجودة لسانه، وتمكّنه، ولم أُسلّم عليه بعدها، وأخذتُ أراقبه وأتأمّله، وكان معنا في هذه الزّيارة الدّكتور عبد الرّحمن فودة، وكان معيدًا في الجامعة في هذا الوقت، واستمرّ تأمّلي للشّيخ الحوينيّ، فوجدته مؤدّبًا، مع ما ذكرته من خصاله عند سماعي لخطبته، فأحببته من يومها، وعرّفني الأخ عماد صابر على الشّيخ، وأصبحتْ علاقتي به وثيقةً، فإذا نزلتُ إلى محافظة كفر الشّيخ زرته، وكان يطلعني على كتبه، فعرفته عن قربٍ، وعرفتُ قدره -حفظه الله-.

وموقفٌ آخر لشيخنا المحدّث طارق بن عِوض الله؛ وقد حدّثني به أكثرَ من مرّةٍ؛ أنّه في عام ١٩٨٢م كان يصلّي في مسجد العزيز بالله بالقاهرة، وكان يوجد سوقٌ للكتب

أمام المسجد، وفي أثناء نظره، ومطالعته لبعض الكتب وقعت عينه على نسخةٍ من كتابٍ مكتوبٍ بخطّ اليد، وقد كُتب على غلافه: «بذل الإحسان بتخريج سنن النّسائيّ أبي عبد الرّحمن»، تأليف أبي إسحاق الحوينيّ الأثريّ[1]، فظنّ الشّيخ طارق أنّها مخطوطةٌ! وظنّ أنّ مؤلّفها في القرن الرّابع الهجريّ مثلًا، ولمّا طالعه تعجّب؛ لأنّه وجد أسلوب الشّيخ المحدّث الألبانيّ في الكتاب، فقال في نفسه: إنّ الشّيخ الألبانيّ متأثّرٌ بصاحب هذا الكتاب!! ولكن سرعان ما تراجع؛ لأنّه وجد أنّ الشّيخ أبا إسحاق الحوينيّ يعزو لكتبٍ مطبوعةٍ، فعلم حينئذٍ أنّه معاصرٌ، فسأل بائع الكتب عن الشّيخ الحوينيّ، وقال له: هل تعرف مؤلّف هذا الكتاب؟ فقال له البائع: نعم أعرفه، وهو يصلّي معنا هنا كلّ جمعةٍ في هذا المسجد، وقد كان هنا منذ قليلٍ، وكان يخطب في مسجد العزيز بالله في هذا الوقت فضيلة الشّيخ جميل غازيّ رَحِمَهُ اللهُ، فقال الشّيخ طارق لبائع الكتب: هل يمكنك أن تعرّفني على الشّيخ الحوينيّ؟ فقال له: نعم في الأسبوع القادم، وتعرّف عليه الشّيخ طارق من يومها، وأوصاه شيخنا الحوينيّ في أوّل لقاءٍ له به أن يحفظ ألفيّة السّيوطيّ، وأن يهتمّ بعلم الحديث، فامتثل لطلب شيخنا الحوينيّ، ومن يومها بدأ ملازمة الشّيخ، وأحبّه، وكان يطلع الشّيخ على أعماله.

*** ثانيًا: مولده:**

ولد الشّيخ الحوينيّ في يوم الأحد غرّة ذي القعدة لسنة خمسٍ وسبعين وثلاثمئة وألفٍ، من الهجرة (١، وقيل: ٢ من ذي القعدة ١٣٧٥هـ)، الموافق العاشر من شهر يونيه، لسنة ستٍّ وخمسين وتسعمئة وألفٍ (١٠/ ٦/ ١٩٥٦م)[2]، (بقرية حوين) بمحافظة كفر

---

(١) وقد أهداني شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ -حفظه الله- نسخةً من هذا الكتاب الماتع النّافع في يوم الأحد، الحادي عشر من شهر رمضان لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرين من الهجرة.

(٢) وقد كتب شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ هذا التّاريخ بخطّ يده المتميّز على نسخته الخاصّة من كتابه «**فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب**» لأبي حفصٍ عمر بن بدرٍ الموصليّ الحنفيّ، فقال: ولدتُ يوم الأحد غرّة ذي القعدة سنة ١٣٧٥هـ - الموافق ١٠/ ٦/ ١٩٥٦م ختم الله لنا بخاتمة السّعادة آمين.

وعندي نسخةٌ مصوّرةٌ من هذا الكتاب، صوّب شيخنا بخطّ يده اسم صاحب الكتاب والّذي كان فيه: لابن =

الشّيخ، بمصر، والقرية تبعد عن عاصمة المحافظة ما يقرب من ثلاث عشرة كيلو مترًا تقريبًا.

*** ثالثًا: نشأته:**

نشأ الشّيخ في قريته حوين، في بيت صلاحٍ وفضلٍ، وفطرةٍ سليمةٍ، لوالدٍ محبٍّ لدينه، معظِّمٍ لشرائعه، فكان صوّامًا، قوّامًا، محافظًا على الصّلوات في جماعةٍ، عفيف اللّسان، كريمًا، وصولًا لرحمه، وقد ولد الشّيخ محمّد أبو شريفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ -كما كانوا ينادونه- في يوم الجمعة الثّامن من شهر جمادى الآخرة عام ألفٍ وثلاثمئةٍ وتسعٍ من الهجرة (٨ جمادى الآخرة ١٣٠٩هـ)، الثّامن من شهر يناير لعام ألفٍ وثمانمئةٍ واثنين وتسعين (٨/ ١/ ١٨٩٢م)، بقرية محلّة القصب، محافظة كفر الشّيخ.

حدّثني عنه شيخنا الحوينيّ فقال: كان والدي لا يقرأ ولا يكتب؛ لكنّه كان من الصّالحين -أحسبه كذلك-، كثير قيام اللّيل، يصلّي قبل الفجر بساعتين بما تيسّر له من قصار السّور من القرآن.

وكان الوالد له هندامٌ، ذا حشمةٍ بين أهلالقرية، مسموع الكلمة، يعدّونه شيخًا لها، فكان يدخل بمشورته في مجالس الصّلح، وفضّ النّزاع والخصومات بين النّاس، ولذلك كان بيته مقصدًا للنّاس.

وقد تزوّج والد الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من ثلاث نسوةٍ -رحمة الله عليهنّ-، ورُزق بذرّيّةٍ مباركةٍ منهنّ: ثمانيةٌ من الذّكور، وسبعٌ من الإناث، وكان الشّيخ من زوجته الثّالثة -رحمها الله- والّتي تزوّجها الوالد وهو في الحادي والسّتّين من عمره تقريبًا، والوالدة كانت في الرّابعة عشرة من عمرها، وكان ترتيبُ الشّيخ بين إخوته لأمّه من الذّكور الثّالثَ، وترتيبه بين الذّكور والإناث الخامسَ.

=قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ!! وهذا خطأٌ شنيعٌ وقع بسبب عمل دار النّشر في الكتاب! وسيأتي التّفصيل في هذه الواقعة؛ لأنّها كانت محنةً بالنّسبة للشّيخ، وقد كتب شيخنا الاسم الصّواب المتقدّم ذكره، وكتب أيضًا أعلى هذه النّسخة: وصلني هذا الكتاب يوم الاثنين الموافق ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، ٧/ ١/ ١٩٨٥م.

وكان لزواج والد الشّيخ من والدته قصّةٌ عجيبةٌ! وهي أنّ والد الشّيخ كان مرافقًا للشّيخ فايد بن إبراهيم بن زيّان والد الزّوجة؛ لأنّه كان رجلًا فاضلًا من أهل القرآن كما سيأتي ذكره، فأحبّه والد الشّيخ وتعلّق به كثيرًا، فأراد أن يكون من أصهاره، فاختار له الشّيخ فايد زوجته من بين بناته، وقال له عنها: هذه أعقلهنّ، كما حدّثني الدّكتور رزق في بيتهم العامر بحوين.

عُرف والد الشّيخ بمحبّته للقرآن الكريم، ولحملته، وقرّائه؛ لاسيّما الشّيخ محمّد صدّيقالمنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والّذي كان ينعت صوته بالحنان، وكان الشّيخ في ذلك الوقت في الصّفّ الخامس الابتدائيّ، فنشأ متعلقًا به.

وكان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شغوفًا بسماع القرآن، فلم يكن يستمع إلّا إلى إذاعة القرآن الكريم، حتّى إنّ محرّك مؤشّر الإذاعة أصابه الصّدأ؛ لأنّه يبسَ من تركه، وعدم تحويله إلى غير إذاعة القرآن الكريم.

وحدّثني شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ أنّه كان مميّزًا بين إخوته بمعرفته، وتعلّقه بالقرّاء، لاسيّما بالشّيخ محمّد صدّيق المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، والّذي كان يبكي عند سماعه لقراءته منذ أن كان في الصّف الخامس الابتدائيّ، وكان لوالده رَحِمَهُ ٱللَّهُ دورٌ كبيرٌ في تعلّقه بالقرآن وقرّائه.

وكان والد الشّيخ من المحبّين لمن يظنّ بهم الصّلاح كالممارسين للتّصوّف العمليّ، وكان من أشهرهم في هذا الوقت من عرفوا بأصحاب الطّريقة الشّاذليّة، وكان أصحاب الطّرق على اختلافهم؛ ظاهرةً في قرى مصرخاصّةً في ذلك الوقت، مع قلّة العلم وأهله، بل وغيابه في كثيرٍ من هذه الدّيار، هذا مع غربة أهل السّنّة، فكان الشّيخ يجلسمع أبيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

(١) دوّن شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ -حفظه الله- بخطّ يده تاريخ وفاة الشّيخ صدّيق المنشاويّ والد الشّيخ محمدٍ -رحمهما الله- على نسخته الخاصّة من كتابه «**فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب**» لأبي حفصٍ عمر بن بدرٍ الموصليّ الحنفيّ، والّذي تقدّم ذكره، فقال-حفظه الله: توفّى الشّيخ صدّيق المنشاويّ-رحمه الله تعالى- والد الشّيخ المتجرّد لله تعالى محمّد صدّيق المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الثّلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ-٢٠/ ٣/ ١٩٨٤م، جعل الله الجنّة مثوًى لهما، آمين.

بعض هذه المجالس، فأخذ من سمت هؤلاء الصّالحين، وما يظهر عليهم من حشمةٍ، ولكن لم يتأثّر بما كان يُذكر أمامه من قصصٍ وحكاياتٍ وخرافاتٍ آنذاك.

وقال لي شيخنا: كان يأتي لوالدي مجموعةٌ من أصحاب هذه الطّرق، والمحبّين لهم، فهذه كانت صورة التّدين في هذا الوقت! ويأتيه بعض هؤلاء المشايخ من القرى المجاورة لنا في المحافظة، كالشّيخ ناجي محمّد محمود شلبيّ، وكان من قرية محلة القصب، والشّيخ أحمد القبلاويّ من قرية المرازقة، وكان يقيم عندنا في ضيافتنا ثلاثة أيّامٍ، وكان من أقربهم لوالدي، وكان يستهويني الجلوس في هذه المجالس، وكنت آنذاك في المرحلة الابتدائيّة.

وأمّا عن أثر الوالد في الشّيخ، فقد قال لي شيخنا -حفظه الله: أخذنا من والدي صلاحه، وكان محبًّا لأهل الدّيانة.

حدّثني الدّكتور سمير بن شريفٍ فقال: كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير التّسبيح، كثير الصّلاة باللّيل، وكنت أتعجّب من همّته في ذلك، وقد تولّى أخي حجازيّ إيقاظ الصّغير والكبير لصلاة الفجر في بيتنا بعد وفاة الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان الشّيخ كثيرًا ما يثني على والده، وعلى أثره في تكوين شخصيّته.

ومضى الوالد على هذا السّمت الصّالح في حياته، عطر السّيرة، محبوبًا بين النّاس، له ذكر حسنٌ، حتّى توفي - رحمه الله تعالى ورضي عنه وغفر له- يوم الثّلاثاء الثّالث عشر من شهر صفرٍ لسنة اثنتين وتسعين وثلاثمئةٍ وألفٍ؛ من الهجرة (١٣صفر١٣٩٢هـ)، الموافق الثّامن والعشرين من شهر مارسٍ لسنة اثنتين وسبعين وتسعمئةٍ وألفٍ (٢٨/ ٣/ ١٩٧٢م)، ودُفن في يوم الأربعاء الّذي يليه بقرية حوين، كما حدّثني شيخنا، وقال: وكنت في هذا الوقت في الصّف الثّالث الإعداديّ.

أمّا الوالدة أمّ رزقٍ نعيمة بنت فايد بن إبراهيم بن زيّان -رحمها الله- فقد كانت من صوالح نساء زمانها، متديّنةً، فاضلةً، تربّت على حفظ القرآن منذ الصّغر، على خيرٍ، وُلدتْ

في يوم الأحد السّادس والعشرين من شهر صفرٍ لعام ألفٍ وثلاثمئةٍ وسبعٍ وأربعين (٢٦ صفر ١٣٤٧هـ)، الموافق الثّاني عشر من شهر أغسطسَ لعام ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانيةٍ وعشرين (١٢/ ٨/ ١٩٢٨م)، وهي من بيتٍ صالحٍ فاضلٍ، فأبوها هو الشّيخ فايد بن إبراهيم بن زيّان رَحِمَهُ اللهُ كان محفِّظًا للقرآن الكريم، وله كُتّابٌ في القرية -أي مكتبًا لتحفيظ القرآن- وكذلك كان أخوها الشّيخ عبد الحيّ بن فايد بن إبراهيم بن زيّان رَحِمَهُ اللهُ يحفظ القرآن بالقراءات ويعلّمه، وكان له في ذلك شأنٌ، وكانت أمّها سيّدةً ديّنةً فاضلةً أيضًا، كما حدّثني شيخنا.

وقد جهد الشّيخ أن يعطي أمّه بعد موت أبيه برّ أبيه مع برّها، ويبالغ في ذلك، فلم يكن يُقدّم عليها أحدًا من أهله قطّ، ولكم صرّح في المحافل والمجالس أنّها أغلى عنده من نفسه، وأولاده، وزوجاته، وإخوته، وكان يقول: أيّ ترتيبٍ يأتي بعد أمّي.

قال شيخنا في خطبة جمعةٍ بعنوان: «حالة ضعف المسلمين» بمسجد العزيز بالله بالقاهرة: ذات مرّةٍ أرسلت إليّ امرأةٌ رقعةً تستحلف بالله عَزَّ وَجَلَّ أن أجيب بصراحةٍ، هل أمّك أغلى أم أولادك؟ فأحسستُ بالعقوق -لهذه المرأة- من كلمات الرّسالة، وكأنّها تستحلفني بالله عَزَّ وَجَلَّ حتّى أتكلّم وأوصي الأبناء بالأمّهات؛ ولأنّها استحلفتني بالله عَزَّ وَجَلَّ: فوالله الّذي لا إله غيره إنّ زوجتاي وأبنائي في شراك نعل أمّي، ولا أقول: إنّ زوجتاي وأبنائي يساوون أمّي أبدًا، بل في شراك نعلها! ولو كان أحدٌ ينوب عن أحدٍ في المرض ويفتدي به لافتديتُ بكلّ أولادي لرفع المرض من جسد أمّي! لقد كان الصّحابة يقولون: بأبي أنت وأمّي! أي: يُفَدُّونه بالأغلى الّذي لا غالي بعده.

وكانت -رحمها الله- تؤازره بدعواتها، وتُعينه على التزامه بالسّنّة، حريصةً على ذلك، محبّةً له.

وقد التقيتُ بشيخنا يومًا مع مجموعةٍ من إخواننا، وكان عائدًا من بلدته حوين، فبعدما صافحناه وسلّمنا عليه قال لنا: ادعوا لأمّي، وكانت -رحمها الله- في هذا الوقت ألمّ بها مرضٌ شديدٌ، فدعونا لها جميعًا، فقلت لشيخنا: من الواضح أنّك تحبّها كثيرًا، فقال لي: أمّي أغلى ما عندي في الدّنيا.

وجاءه شابٌّ مرّةً وقال له: يا شيخنا توفّيت أمّي، ادعو لها، فدعا لها، ثمّ قال للشّاب -وقد ظهر على وجه الشّيخ التّأثّر: يا بنيّ بموت أمّك بابٌ من أبواب الجنّة أُغلق.

وجاءه شابٌّ آخر ذات يومٍ عقب صلاة الظّهر أو العصر فقال له: إنّ أبي يقبّل يد والدته وقدمها، فهل على والدي شيءٌ لتقبيله قدم جدّتي؟! فقال له شيخنا متبسّمًا تبسّم المتعجّب: إنّ والدك لا يضام أبدًا، ودعا الشّيخ لوالد الشّابّ بخيرٍ، وأثنى على برّ أبيه لأمّه، ونصحه أن يتعلّم من أبيه البرّ.

وكان الشّيخ إذا دخل على أمّه قبّل يدها وقدمها.

وحدّثني شيخنا أنّ أمّه -رحمها الله- كانت تقول: لا أتصوّر ولدي حجازيّ من غير لحيةٍ!

وكان لوالدة الشّيخ عِقدٌ من ذهبٍ قد باعته للإنفاق على أبنائها، فلم ينس لها الشّيخُ ولدُها البارُّ هذا الموقفَ، وعندما امتلك ثمن عقدٍ من ذهبٍ اشتراه لأمّه وألبسها إيّاه، ولم تنزعه أو تفارقه إلّا عند موتها -رحمها الله-.

فقصّة حبّ الشّيخ لأمّه وبرّه بها قصّةٌ نادرةٌ، نتمنّى لو قصّها علينا شيخنا كاملةً من خزانته العامرة بالحكايات؛ لتتعلّم الأجيال.

وحدّثني الدّكتور سمير بن شريفٍ أنّ الوالدة -رحمها الله- كانت لا تأتي لزيارتنا أنا وإخوتي إلّا نادرًا؛ لأنّنا كنّا نذهب إليها في بيت العائلة بصورةٍ دائمةٍ، ونجتمع عندها، وتمرّ الأيّام؛ وعلى غير عادتها وقبل وفاتها بعشرة أيّامٍ وافقتْ على أن تأتي معنا لمدينة كفر الشّيخ، فأقامت ثلاث ليالٍ أو أربعًا عند الشّيخ -أخي حجازيّ- ومثلها عند أخي الدّكتور شريفٍ، ثمّ جاءت عندي، وخصّصتُ لها إقامةً في وسط البيت حتّى نكون حولها بشكلٍ دائمٍ كما يحدث في بيتنا بحوين، وقبل أن تموت بساعتين لم تكفّ عن الذكر، وتقول: اللّهمّ لا تحرمني من الجنّة، ثمّ نطقت الشّهادة، وماتت أمّي على يدي -رحمها الله-.

وقد تُوفِّيتْ والدة الشّيخ -رحمها الله- في مساء يوم الاثنين، السّاعة الثّامنة والنّصف، في يوم العاشر من ذي القعدة لسنة أربعٍ وثلاثين وأربعمئةٍ وألفٍ (١٠من ذي

القعدة ١٤٣٤هـ)، الموافق السّادس عشر من شهر مارسٍ لسنة ثلاث عشرة وألفين (١٦/ ٩/ ٢٠١٣م)، ودُفنتْ بقريتها حوين بعد صلاة ظهر اليوم التّالي، وصلّى عليها الشّيخ أحمد النّقيب بطلبٍ من شيخنا الحوينيّ.

قال لي شيخنا الحوينيّ: قل للشّيخ أحمد النّقيب أن يتقدّم لصلاة الظّهر ثمّ صلاة الجنازة، فأخبرتُ الشّيخ النّقيب بذلك؛ وكان هناك زحامٌ شديدٌ، فلم يصل الشّيخ بسهولةٍ لإمامة النّاس في صلاة الظّهر، فصلّينا في مكاننا، ثمّ تقدّم الشّيخ أحمد النّقيب لصلاة الجنازة، وكان ذلك بعد ظهر يوم الثّلاثاء، الحادي عشر من ذي القعدة لسنة أربعٍ وثلاثين وأربعمئةٍ وألفٍ (١١ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ)، الموافق السّابع عشر من شهر مارسٍ لسنة ثلاث عشرة وألفين (١٧/ ٩/ ٢٠١٣م).

وصُلّي عليها -رحمها الله- بأرضٍ خلاءٍ قريبةٍ من المقابر تطبيقًا للسّنّة؛ لأنّ الجنازة يصلّى عليها بمصلًّى خارج المسجد كصلاة العيد، وهذا هو الغالب من سنّته وهديه ﷺ، وإن صُلّي عليها في المسجد جاز لثبوت ذلك أيضًا.

ولم تكن هذه هي المرّة الأولى الّتي يحرص فيها شيخنا الحوينيّ على تطبيق هذه السّنّة، فقد أقامها قبل ذلك لمّا توفّي شقيقه لأبيه الأخ محمود محمّد شريف، صلّى عليه في الخلاء أيضًا، وكان ذلك في يوم الثّلاثاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجّة لعام ألفٍ وأربعمئةٍ وواحدٍ وعشرين (٢٥ من ذي الحجّة ١٤٢١ هـ)، الموافق العشرين من شهر مارسٍ لعام ألفين وواحدٍ (٢٠/ ٣/ ٢٠٠١م)، في السّاعة الخامسة بعد صلاة العصر.

*** رابعًا: مراحل دراسة الشّيخ في المؤسّسات التّعليميّة:**

سَبق دخولَ الشّيخ إلى المؤسّسات التّعليميّة النظاميّة وكان غلامًا صغيرًا = تردّدُه على بيت خاله **عبد الحيّ بن فايد بن إبراهيم بن زيّان** رحمه الله لحفظ القرآن الكريم كسائر إخوته في ذلك الوقت، ثمّ التحق بعد ذلك بدراسته النّظاميّة، وهي:

١- درس المرحلة الابتدائيّة بمدرسة الوزاريّة الابتدائيّة بقرية الوزاريّة.

وشهدت هذه المرحلة في حياة الشّيخ إقبالًا منه على سماع قرّاء القرآن الكريم تأسّيًا بوالده، والقراءة في الأدب والشّعر بما يتناسب مع سنّه في هذا الوقت كما سيأتي تفصيله.

٢-درس المرحلة **الإعداديّة بالمدرسة** الإعداديّة القديمة أو الإعداديّة العامّة، والّتي تُعرَفُ الآن بمدرسة الشّهيد حمدي إبراهيم، بعاصمة المحافظة كفر الشّيخ.

وفي هذه المرحلة عاش الشّيخ في مدينة كفرالشّيخ مع إخوته في شقّةٍ لهم وسط المدينة في ميدانٍ يُعرَفُ بميدان الحلقة بجوار مكتب البريد القديم، وكانت الشّقّة قريبةً من مدارسهم، وفي هذه الفترة زاد اهتمام الشّيخ بالقراءة، وبدأ في التّردّد على قصر الثّقافة بمدينة كفر الشّيخ، وكتابة الشّعر، ولم يكن الشّيخ وحده في وسط إخوته متفرّدًا بالاهتمام بالقراءة منذ هذا الوقت، بل كان إخوته جميعًا كذلك، فالدّكتور رزق، والدّكتور شريف، والدّكتور سمير، والأستاذ محمّد، أربعتهم كانوا على دربٍ واحدٍ في هذا الباب، وإن كان الشّيخ أبرزهم في ذلك وأكثرهم اهتمامًا، وقد تأثّروا جميعًا في هذه الفترة بالأستاذ البارع علّامة اللّغة العربيّة عبد الفتّاح الجزّار رَحِمَهُ اللَّهُ وقد كان أبرز مدرّسٍ في العربيّة بالمحافظة إلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان هذا الأستاذ عالمًا موسوعيًّا، ليس تقليديًّا، متميّزًا بين أقرانه، أستاذًا كبيرًا، ملك ناصية اللّغة والبيان، كما حدّثني عنه شيخنا والدّكتور سمير شريف، والعبارة للدّكتور سميرٍ.

٣- درس المرحلة الثّانويّة بمدرسة الشّهيد عبد المنعم رياض، بعاصمة المحافظة كفر الشّيخ، وهي ملاصقةٌ للمدرسة الإعداديّة.

وبدأت المرحلة الثّانويّة في حياة الشّيخ كأيّ طالبٍ متفوّقٍ متميّزٍ يبحث عن كليّات القمّة، لاسيّما وقد سُبِق إليها من أخويه؛ الدّكتور رزق، ثمّ الدّكتور شريف؛ فكلاهما التحق بكليّة الطّبّ، فضاق الاختيار على الشّيخ، وأصبح دخوله إلى كليّة الطّبّ كأنّه قرارٌ ملزمٌ له، وليس من حقّه أن يخالفه! فقضيّة التّفوّق في الدراسة كانت بذرةً وضعها أخوه الأكبر في تكوينه منذ صغره، فشبّ على ذلك، وكانت غايتهم في ذلك الوقت إنشاء مشفى كبيرٍ يطلقون عليه «مشفى الإخوة»، ويتخصّص كلّ واحدٍ منهم في قسمٍ مختلفٍ عن الآخر لنجاح هذا الحلم.

وعند وصول الشّيخ للصّفّ الثّالث الثّانويّ عام ألفٍ وتسعمئةٍ وخمسةٍ وسبعين (١٩٧٥م) بدأ يقترب من حلمه الّذي تربّى عليه كخيارٍ أوحد؛ لإثبات تفوّقه في الثّانويّة العامّة، والّتي كانت آنذاك -ومازالت- بمثابة عامٍ من الإرهاق، والقلق، والتّوتّر، والإزعاج للبيوت!!

وبدأت امتحانات آخر العام، وفي يومٍ وافق يوم الاثنين كانت مادّة الامتحان هي «الميكانيكا»، والشّيخ كان لا يحبّ مادّة الرّياضيّات بفروعها!! وفي هذا اليوم أخطأ الشّيخ في حلّ سؤالٍ ونصفٍ من المادّة، وقد ظهر له ذلك بمراجعة المادّة مع بعض زملائه، فأثّر ذلك عليه، حتّى وصل به الأمر إلى اتخاذه قرار عدم إكمال اختبارات العام، وهذا القرار كان صادمًا لأمّه أوّلًا، ثمّ لإخوته، لاسيّما أخيه الأكبر الدّكتور رزقٍ، والّذي أرسلت الوالدة إليه -وكان في ذلك الوقت بالقاهرة- ليضع حلًّا لأخيه الّذي يريد أن يتخلّف عن باقي موادّ الامتحان، ويؤجّل هذا العام، فعاد الأخ الأكبر وهو يحمل همًّا كبيرًا كما حدّثني هو عن ذلك، وذكر أنّه عاد مسرعًا وقد ركبه الهمّ والحزن لهذا القرار الّذي اتّخذه أخوه الأصغر، مع تفكيره في نتائج هذا القرار لو وافقه عليه، وكيف يُخرجه من أزمته؛ لاسيّما وقد لحق به في القاهرة، وسكن معه لمدّة شهرين للمذاكرة والاستعداد للثّانويّة العامّة! ودار نقاشٌ شديدٌ وصعبٌ بينهما، اتّخذ فيه الأخ الأكبر قرارًا بعدم إمكانيّة التّخلّف عن باقي الموادّ، وكذلك عدم إمكانيّة التّأجيل لهذا العام، لاسيّما أن هناك مسؤوليّةً أيضًا نحو باقي إخوته ممّن هم أصغر منه؛ فدخل الشّيخ باقي موادّ الامتحان دون اهتمامٍ منه بالنّتيجة النّهائيّة، فترتّب على ذلك حصوله على تسعٍ وسبعين بالمائة (٧٩٪) في الثّانويّة العامّة.

وضاع بذلك حلم التحاق الشّيخ بكليّة الطّبّ، وحينئذٍ استوت كلّ رغبات مكتب التّنسيق عنده، ولكن على الرّغم من ذلك بدأ الشّيخ في البحث عن طريق التّفوق من وجهٍ آخر، وهذا ما نذكره في مرحلته الجامعيّة.

قال الشّيخ: ولعلّ مجموعي في الثّانويّة العامّة كان سببًا في تحوّل حياتي وتوجّهي للعلم الشّرعيّ، وأتصوّر لو أنّني حصلتُ على مجموع كليّة الطّبّ، أو أكملتُ معيدًا في كليّة الألسن الّتي التحقتُ بها، لاختلفتْ حياتي تمامًا.

٤- درس المرحلة الجامعيّة، بجامعة عين شمسٍ، كليّة الألسن، قسم اللّغة الإسبانيّة، بالقاهرة، وكان طيلة السّنوات الأربع لا يتخلّف عن الثّلاثة الأوائل على دفعته.

وعن قصّة التحاق الشّيخ بكليّة الألسن، فقد حدّثنا شيخنا في مناسباتٍ عدّةٍ أنّه بعد سحب أوراق التّنسيق بدأ ينظر في الكليّات المتاحة بالنّسبة لمرحلته، فإذا به وقد وقعت عينه على كليّة الألسن وكانت في هذا الوقت لا تحظى بشهرةٍ بين طلبة الثّانويّة العامّة، فوقع اختيار الشّيخ عليها، وتزامنَ مع تقديمه أوراقَ الالتحاق بكليّة الألسن من خلال رغبته الّتي سجّلها بملفّ التّنسيق = قيامُه بسحب ملفّ التّقديم لكليّة الشّرطة، وكانت هذه رغبة أخيه الأكبر الدّكتور رزقٍ في المقام الأوّل، ومن المفارقات العجيبة في مجتمعنا المصريّ -ولازالت- أن عددًا كبيرًا ممّن لم يحصلوا على مجموعٍ لكليّةٍ ممّا يطلق عليها بكليّات القمّة، والّتي تحتاج لأعلى الدّرجات، يتوجّه لكليّة ممّا يطلق عليها كليّات السّلطة والّتي يلتحق بها بأقلّ نسبة درجاتٍ للنّجاح ككليّة الشّرطة أو الكليّة الحربيّة، وهذا كواجهةٍ اجتماعيّةٍ! فإن لم يظفر بهذه ولا تلك بحث عن المتاح من الكليّات لمرحلته في التّنسيق.

ولمّا تقدّم الشّيخ لإجراءات الالتحاق بكليّة الشّرطة؛ أزعجه ما عاينه من بعض أصحاب الأخلاق السّيئة الّتي تعاملت معهم أثناء مرحلة التّقدّم، فحدّث نفسه أنّه لو كان الأمر كذلك فليس لي موضعٌ هنا، وقد تقدّم بنجاحٍ في مراحل الالتحاق حتّى وصل إلى الكشف الطّبّيّ، فتعمّد أن يرسب في كشف النّظر فتمّ إبعاده، وبطبيعة الحال لم يحدّث أسرته بما كان من أمره إلّا بعد زمانٍ طويلٍ.

وقُبِلتْ أوراقُ الشّيخ بكليّة الألسن، وبدأ الشّيخ يطوّف بأقسام الكليّة جميعًا، فوجد أنّ وجوده بأقسام اللّغات المشهورة كاللّغة الإنجليزيّة واللّغة الفرنسيّة لن يحقّق له التّفوّق المنشود؛ لأنّ هناك الكثير من الطّلبة كان يدرس في مدراس اللّغات، ومن ثمّ سيكون لهم التّقدّم والتّفوّق في هذه الأقسام، ووجد أيضًا أنّ اللّغة الألمانيّة من اللّغات المعقّدة في قواعدها وطريقة دراستها ونطقها، وكذا بعض اللّغات الّتي كانت على هذه الشّاكلة، ولم يتعلّق إلّا باللّغة الإيطاليّة، وراقت له كثيرًا، إلّا أنّه قال: لم يبق إلّا قسمٌ واحدٌ هو قسم

اللّغة الإسبانيّة، أدخله لأكون بذلك قد ألممتُ بكلّ أقسام الكليّة، فلمّا دخل إلى قسم اللّغة الإسبانيّة وجد ضالّته في هذا القسم، واستمرّ به، وأصبح يراوده حلم العضويّة بمجمع اللّغة الإسبانيّة، والهجرة إلى إسبانيا، والحصول على الجنسيّة الإسبانيّة! ولكن -سبحان الله!- لم يتحقّق له شيءٌ من هذا، وقُدِّر له من الخير ما لم يكن ليحصل على عشر معشاره لو أكمل في طريق حلمه السّابق!!

ومن الغرائب اللّطيفة أنّ الشّيخ بعد استمراره في قسم اللّغة الإسبانيّة لمدّة شهرٍ كاملٍ لم يجد اسمه في هذا القسم، ولمّا بحث عن الأمر وجد أنّ إدارة الكليّة سجّلت اسمه في قسم اللّغة العربيّة؛ لحصوله في شهادته الثّانويّة على ثمان درجاتٍ من عشرٍ في المستوى الرّفيع لمادّة اللّغة العربيّة، فطلب أن يسجّل في قسم اللّغة الإسبانيّة ويبقى كما هو.

وكان الشّيخ من عادته أنّه ينتهي من تلخيص المواد الدّراسيّة في أوّل ثلاثة أشهرٍ من العام الدّراسيّ، فكان يلخِّص ما يقرب من خمسٍ وعشرين مادّةً في دفترٍ كبيرٍ يقترب من مئة ورقةٍ، وكان يقرَّر عليه في الجامعة سبعَ عشرةَ مادّةً في اللّغة الإسبانيّة، وثلاثُ موادَّ في اللّغة الفرنسيّة، وخمسُ موادَّ في اللّغة العربيّة، ويبدأ في المذاكرة والمراجعة والحفظ في المتبقّي له من أشهر العام الدّراسيّ، وهذا من دفتره الكبير الّذيلخّص فيه هذه الموادّ، ويستفيد بوقت المواصلات في ذلك؛ فقد كانت الكليّة في حلميّة الزّيتون، والمدينة الجامعيّة في العبّاسيّة، وكان أحيانًا يذهب سيرًا على الأقدام لمراجعة محفوظه من القرآن.

٥-وأُرسل إلى بعثةٍ لإسبانيا؛ لتفوقه في دراسته الجامعيّة، وكان يحصل على مكافأةٍ من الكليّة تسمّى مكافأة التّفوّق، وكان قدرها أربعةَ عشرَ جنيهًا ونصف الجنيه، يدفع منها خمسة جنيهاتٍ ونصف الجنيه لإيجار المدينة الجامعيّة، وما تبقّى يدفعه في وسائل المواصلات، ويدّخر ما يقرب من خمس جنيهاتٍ لشراء الكتب.

وكانت بعثته هذه عن طريق المركز الثّقافيّ الإسبانيّ، وكان مقرّه شارع عدلي بالقاهرة، ولم يمكث هنالك إلّا ما يقرب من شهرين تقريبًا، لكدر نفسه بالمخالفات الّتي كانت في الدّيار الإسبانيّة، حتّى إنّه حبس نفسه في الفندق الّذي نزل فيه لكي لا

يطالع هذه المخالفات، ومن أشدّ ما آلمه في هذه الرّحلة وصدع قلبه أنّه لم يجد مسجدًا لأداء صلاة الجماعة إلّا بعد معاناةٍ في السّؤال عن ذلك!! حتّى وصل إلى بدرومٍ أسفل إحدى البنايات أُعدّ فيه مصلّى للصّلاة؛ وضاعف ألمه أنّ هذا في ديارٍ لم تغب عنها شمس الإسلام لقرونٍ، حتّى عاين الشّيخ حالها، وإلى أين وصلت!!

وفي هذه الرّحلة لإسبانيا أعفى الشّيخ لحيته، ثمّ عاد إلى مصر، ولم يحلقها بعد ذلك إلّا مضطرًّا بسبب استدعائه للتّجنيد وأداء الخدمة العسكريّة عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانين (١٩٨٠م)، فلمّا انتهت هذه الفترة من الخدمة العسكريّة في شهر إبريل عام ألفٍ وتسعمئةٍ واثنين وثمانين (١٩٨٢م) أعفى الشّيخ لحيته ولم يحلقها والحمد لله.

٦- لم يُعيَّن معيدًا في كليّة الألسن!! على الرّغم من تفوّقه طيلة سنوات الدّراسة كما ذكرنا، وهذا بسبب خلافٍ نشب بينه وبين عميد الكليّة وهو «مدرّس المعاجم العربيّة» الدّكتور عبد السّميع محمّد أحمد؛ والّذي لم يقبل طريقة الشّيخ في الحديث معه، وكان في طبعه شيءٌ من الحدّة، ولا يتبسّط في الحديث على خلاف طبع الشّيخ، ولذلك لم يختره العميد معيدًا في الكليّة! وسبحان الله! لعلّ هذا الأمر كان من الخير العظيم ومن رحمة الله -تبارك وتعالى- بالشّيخ أنّه لم يكمل مدرّسًا في الجامعة، ليصبح بعد ذلك إمامًا في العلم الشّرعيّ تعرفه الدّنيا؛ وإذا أراد الله -تعالى- شيئًا هيّأ له أسبابه، وقدّر له أوقاته، وكلّ قضاء الله خيرٌ للمؤمن.

٧- مُنح الشّيخ الدّكتوراه الفخريّة من الجامعة الإسلاميّة في مدينة صادق آباد بباكستان، تقديرًا لجهوده الدّعويّة والعلميّة لاسيّما في خدمته لعلم الحديث على مدار ما يقرب من أربعين سنةً، وكان هذا في زيارةٍ كريمةٍ من رئيس الجامعة الشّيخ حافظ ثناء الله الزّاهديّ لشيخنا في منزله بمدينة كفر الشّيخ، وقد شرُفنا بحضور هذا اللّقاء بدعوةٍ من شيخنا أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله-، وكان ذلك في يوم الجمعة السّابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمئةٍ وستة وثلاثين من الهجرة.

* خامسًا: بداية تعلّقه بالقراءة، وطلب العلم:

(مرحلة القراءة الأدبيّة):

بدأ الشّيخ منذ صغره بالتّعلّق بالكتاب والالتصاق به، لاسيّما باللّغة العربيّة وآدابها، وإن كان لا يعي تحديدًا منذ متى بدأ هذا التّعلّق، ولكنّه يعلم أنّها كانت منذ الصّغر في فترةٍ مبكّرةٍ من حياته.

وكان لأخيه الأكبر الدّكتور رزق بن محمّد بن شريفٍ -والّذي كان بالنّسبة للشّيخ في مقام والده- فضلٌ كبيرٌ في حثّه على القراءة والمحبّة لها، وكان الدّكتور رزق قد التحق بكليّة الطّب، جامعة الأزهر، ثمّ عمل بالصّحافة، وكان له مقالٌ ثابتٌ في جريدة الأحرار، وكتب في غيرها من الصّحف أيضًا، وقد عمل ببيع الكتب الطّبيّة في فترةٍ من حياته، وأخذ مكان الوالد بالنّسبة لإخوته الأشقّاء لأبيه وأمه، وكان من ثمرة هذا الاهتمام البالغ، أن التحق به من إخوته في كليّة الطّبّ؛ الدّكتور شريف بن محمّد بن شريفٍ، والدّكتور سمير بن محمّد بن شريفٍ، والتحق الأستاذ محمّد بن محمّد بن شريفٍ بكليّة دار العلوم، وكان الدّكتور رزق يعدّ أخاه الشّيخ الحوينيّ أيضًا لكليّة الطّبّ بعد أخيه الدّكتور شريفٍ، ولكن إذا أراد الله ﷻ شيئًا؛ هيّأ أسبابه كما ذكرنا.

وحدّثني الدّكتور رزق بقرية حوين أنّه كان دائمًا يقول لإخوته: نحن لا نملك إلّا التّفوّق، ليس لنا نفوذٌ ولا واسطةٌ، ولا نستطيع أن ننافس في هذه الدّنيا إلّا إذا تفوّقنا.

وهنا وقفةٌ يسيرةٌ مع أثر هذا الحثّ والتّحفيز من الدّكتور رزقٍ لإخوته وهمته في ذلك؛ وقد قدّمت ذكر أثره على أخيه حجازيّ والّذي أصبح عالمًا ملء السّمع والبصر في إقباله على القراءة، وقد تعدّى هذا الأثر لسائر الإخوة، فلازال الدّكتور رزق نفسه على سيرته الأولى من العناية بإخوته وأبنائهم بعد ذلك، وهو بين جدران مكتبته وخزانته العامرة بوثائق وتاريخ عقودٍ منصرمةٍ يكتب المقالات، ويعكف الآن على كتابة سيرة عائلته، والدّكتور شريف رَحِمَهُ اللهُ[1] كان

---

(١) توفّى رَحِمَهُ اللهُ في يوم الجمعة السّادس عشر من شهر رمضان لعام ألفٍ وأربعمئةٍ وستة وثلاثين من الهجرة (١٦ رمضان ١٤٣٦هـ)، الموافق الثّالث من شهر يوليو لعام ألفين وخمسة عشر (٣/ ٧/ ٢٠١٥م)، وفي اليوم =

متميّزًا، بارعًا في مجاله، وكما قال عنه الشّيخ: الدّكتور شريف شخصيّةٌ نادرةٌ في مجاله، وقال عنه الدّكتور رزق: شريف مثقّفٌ ثقافةً عميقةً في مجاله، وحالةٌ استثنائيّةٌ! وقال عنه الدّكتور سمير: لمّا قرأ له الأستاذ عبد الفتّاح الجزّار مقالًا قال له: يا ولدي أنا لا أستطيع أن أقيّمك بالدّرجات! وقال الدّكتور سمير أيضًا: كتب لي أخي الدّكتور شريف رسالةً حثّني فيها على ترك القلق وشحذ الهمّة، فكنت أشحذ همّتي بقراءة رسالة أخي شريفٍ، وأيضًا الدّكتور سمير مع تميّزه في تخصّصه الطّبّيّ فإنه ما زال مهتمًّا بالقراءة وكتابة المقالات ونشرها، وأمّا الأستاذ محمّدٌ فما زال مهتمًّا باللّغة العربيّة بحكم تخصّصه، وكذا بكتابة الشّعر، وهو من الّذين ساهموا في المحافظة على تراث الشّيخ المرئي والمسموع، وله في ذلك جهدٌ جزاه الله خيرًا.

وحدّثني الدّكتور رزق أنه أسّس في تربيته لإخوته بعد موت أبيه -كان آنذاك في عامه الثّاني في كليّة الطّب- أن يكونوا جسدًا واحدًا؛ يشعر الواحد منهم بالمسئوليّة الكاملة نحو أخيه، وذكر لي مثالًا على ذلك؛ أنّ أخاهم الأصغر محمّدًا أخفق في الحصول على درجاتٍ متميّزةٍ للنّجاح في مادّة الرّياضيّات في عامٍ من الأعوام في المرحلة الإعداديّة، فكتب شريفٌ رسالةً له -أي للدكتور رزقٍ- يعتذر فيها ويتوجّع ويسجّل حزنه على هذه النّتيجة، ويقول: إنه لن يسامح نفسه على تقصيره في حقّ أخيه محمّدٍ، وأنه كان ينبغي عليه أن يهتمّ به أكثر من ذلك، ويعد في رسالته أنّه لن يتكرّر هذا التقصير في مسيرة حياته بعد ذلك.

ثمّ نعود لمرحلة نشأة الشّيخ وتكوينه، فقد كان للأخ الأكبر الدّكتور رزقٍ مكتبةٌ صغيرةٌ إلّا أنّها كبيرةٌ ضخمةٌ في عين الشّيخ آنذاك، فلأوّل مرّةٍ ترى عيناه هذا المنظر البديع لكتبٍ صُفّ بعضها بجوار بعضٍ؛ لا سيّما عندما طالعَ فيه لأوّل مرّةٍ كتبًا في العلوم الشّرعيّة؛ كتفسير الخازن، وأجزاء من مسند الإمام أحمد بتحقيق الشّيخ أحمد شاكر، ولك أن تتخيّل أنّ ما ذكر في بيئةٍ لم تتعوّد على مثل هذا المنظر، والّذي يعدّ غريبًا بلا

=التّالي؛ يوم السّبت صُلّي عليه الجنازة عقب صلاة العصر، ودفن بقريته حوين، وكانت جنازته مهيبةً نادرةً، فكان الدّكتور شريف الّذي نحسبه من العبّاد الصّالحين له مكانةٌ فريدةٌ في قلوب من عرفوه، وجاءت وفاة الدّكتور شريف مع وجود شيخنا الحوينيّ في دولة قطر في رحلةٍ علاجيّةٍ، فلم يتمكّن من حضور جنازته.

ريبٍ عليها، ولعلّها هي الحالة الاستثنائيّة الفريدة في قرية حوين في ذلك الوقت، وقد قرأ الشّيخ معظم هذه المكتبة.

وهذه كانت خطوات الشّيخ الأولى في باب القراءة في سنّه المبكّرة على غير عادة الكثرة الغالبة في هذا السّنّ.

وكان ممّا اعتنى به في هذه الفترة والّتي تليها حتّى مرحلة الدّراسة الثّانويّة تقريبًا قراءة القصص الأدبيّة مثل: «النّظرات» و«العبرات» لمصطفى لطفي المنفلوطيّ، وقد تأثّر به الشّيخ من جهة الأسلوب والعبارات، ولأوّل مرّة يبكي عند قراءته لكاتب كان هو المنفلوطيّ! وكان هذا في الصّفّ الثّاني الإعداديّ، ولا ينسى له الشّيخ أيضًا رواية «الفضيلة»، ولكنّه أخذ على المنفلوطيّ الإغراق في الوصف أحيانًا ممّا يتسبّب في قطع متابعة تسلسل الحدث على القارئ أثناء القراءة.

وأيضًا قرأ «شارع الذكريات» لجليل البنداريّ، وهي من أكثر الرّوايات الّتي حُفرتْ في ذاكرة الشّيخ؛ لأنّه قرأها وهو في الصّفّ الأوّل من المرحلة الإعداديّة.

وقرأ رواية «الأيّام» لطه حسين، وكانت مقرّرةً على الطّلبة في الثّانويّة العامّة في هذا الوقت، لكنّ الشّيخ لم يحبّ القراءة لطه حسين، وكشف له زيغ الرّجل بعد ذلك.

ومن الأدب العالميّ: «قصّة رامونا»، وكما قلنا كان لعناية أخيه الأكبر العاشق للقراءة أثرٌ كبيرٌ عليه في ذلك.

كما قرأ الشّيخ منذ صغره أيضًا للأديب البارع الكبير مصطفى صادق الرّافعيّ، والعلّامة محمود شاكر -رحمهما الله-، والّذي تأثّر الشّيخ به جدًّا، وأحبّ الرّافعيّ لأجله ومعلومٌ أنّ محمود شاكر تأثّر جدًّا بموت الرّافعيّ، وكفّ عن الكتابة لفترةٍ بعد موته، وندم الشّيخ على عدم حضور مجالس علّامة العربيّة محمود شاكر، وعوّض ذلك بقراءة كتبه ونشر علمه؛ كالتّعليق على رسالته الماتعة «رسالة في الطّريق إلي ثقافتنا»، والّتي طُبعت مع كتابه المتميّز «المتنبيّ».

وقرأ الشّيخ أيضًا لعبّاس محمود العقّاد وكان غير مقبلٍ بقلبه عليه، وكان لأستاذه

عبد الفتّاح الجزّار أثرٌ في تكوينه لهذه الفكرة أيضًا عن العقّاد، وهذا لأنّ الأستاذ الجزّار كان يحضر للعقّاد، ويسكن مع أحمد عبد المعطي حجازيّ لفترةٍ، وقد خبر حال القوم جيّدًا، وكان يقول: كان للعقّاد ندوةٌ أسبوعيّةٌ يوم الجمعة، ولا يشهد صلاة الجمعة، فكنتُ أتعجّب كيف أنّ الكاتب الكبير لا يصلّى الجمعة!!

وفي الغالب لا تجد إنسانًا يتخلّف عن صلاة الجمعة إلّا وهو تاركٌ للصّلاة أصلًا، فالله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وكذلك قرأ أيضًا لتوفيق الحكيم، وكان الشّيخ يقول عنه بعد ذلك: ليس له من اسمه نصيبٌ، حيث لا توفيق ولا حكمة، وقرأ ليحيى حقّي صاحب «قنديل أمّ هاشمٍ»، وقد أثّر فيه، وقرأ الشّيخ مجبرًا مقدّمة كتاب «ساعات بلا عقاربٍ» لزكي نجيب محمود بطلبٍ من أخيه الدّكتور رزقٍ، وكان هذا وهو في الصّفّ الثّاني الإعدادي! وقرأ أيضًا لمحمّد مندور، وهذا لم يعرف الشّيخ قدره إلّا من محمود شاكر أيضًا، ثمّ قرأ ليوسف السّباعيّ، وإحسان عبد القدّوس، ويوسف إدريس، وأنيس منصور، وغيرهم.

وهذه القراءة الواسعة لكلّ هؤلاء -إلّا من كان منهم من أهل الدّيانة كالرّافعيّ ومحمود شاكر- جفّ منبعها عند الشّيخ، وانقطعت منه بعد مرحلة الثّانويّة العامّة، ووجد أنّ هذا كلّه لا قيمة له عندما فتح قلبه وتوجّه للعلم الشّرعيّ.

وقد منّ الله -تبارك وتعالى- عليه، وتعلّق بكتب العلم الشّرعيّ، وبدأت الرّحلة الحقيقيّة في الطّلب.

(مرحلة القراءة الشّعريّة):

كان الشّيخ منذ صغره يكتب الشّعر -على عادة الصّبية الصّغار- غير موزونٍ، ولكنّه مقفّى، وذلك منذ المرحلة الابتدائيّة، وكان وقتها في الصّفّ السّادس، وقرأ كتاب «اللّباب في العروض والقافية»، وكان آنذاك في الصّفّ الثّاني الإعداديّ.

وقد كتب ثمانية دواوين شعريّةٍ؛ صادرها جميعًا الدّكتور رزق، واحتفظ بها مع ثلاثمئةٍ وخمسين رسالةً متبادلةً بينه وبين إخوته، حظّ الشّيخ منها ما يقرب من خمسين رسالةً!

والتحق الشّيخ في صغره بقصر الثّقافة بعاصمة محافظة كفر الشّيخ، وكان متميّزًا جدًّا، وكان أصغر شاعرٍ في قصر الثّقافة في ذاك الوقت، ولم ينقطع عن الشّعر إلى يومنا هذا -حفظه الله وبارك في عمره-.

ومن الأبيات الّتي نظمها الشّيخ على بحر الكامل:

دنيا أماتَ العدلَ قهرًا أهلُها فالموبقاتُ السّبعُ فيها كاللَّمَمْ
لو قُمتُ فيها بينَ أحْجارِ القُبو رِ لَقامَ فيهم مَن يُبادلُني الكَلِمْ

وأقبل الشّيخ على الشعر بنهمةٍ وحبٍّ، فقرأ أشعار علي الجارم، ومحمود حسن إسماعيل، وعلي محمود طه، ومحمود غنيم، وأبي القاسم الشّابيّ، وغيرهم.

ثمّ ترقّى بعد ذلك في قراءة الشّعر؛ فقرأ لأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وعرف الشّيخ في سنٍّ مبكّرةٍ الفرق بين شعر شوقي، وشعر حافظٍ، أنّ شوقيًا شاعرٌ مطبوعٌ، أمّا حافظ فهو صاحب صنعةٍ.

ثمّ وقع الشّيخ على الكنز الثّمين كما قال؛ وهو: محمود سامي الباروديّ باشا.

وكان محمود سامي الباروديّ -فارس السّيف والقلم- محبّبًا إليه، فهو الّذي غرس في قلبه بذرة تذوّق الشّعر، وقد كان الشّيخ يعدّه ممّن يستحق لقب متنبّي العصر؛ لأنّه قد شعر بفحولة شعره وجزالته وتميّزه عن أحمد شوقيّ، وكان الشّيخ بينه وبين نفسه يرى أنّ الباروديّ هو من جدّد شباب الحديث في ذلك الوقت.

وكان لقراءة الشّيخ لشعر المتنبّي دورٌ بارزٌ في تذوّق شعر الباروديّ ومعرفة قدره، وعلى الرّغم من أنّ الشّيخ كانت لا تعجبه سيرة المتنبّي؛ فإنّه كان يقول: المتنبّي في الشّعر نسيج وحده.

وقرأ أيضًا للشّعراء الصّعاليك كالشّنفرى، وتأبّط شرًّا، ثمّ قرأ لابن الرّوميّ، وبشّار بن بردٍ، حتّى وصل إلى النّابغة الذّبيانيّ، وهو أعلى من قرأ له الشّيخ، وانبهر بجزالة شعره، ونظْم أبياته، ومعجم ألفاظه!

*** سادسًا: الوظائف الّتي شغلها أو طُلب لها، والسّعي للتّفرّغ لطلب العلم:**

كان الشّيخ يسعى جاهدًا في تفريغ وقته للطّلب، وغرس نفسه في أرض الخمول، وهي المرحلة الّتي يسمّيها بمرحلة الخمول في حياة أيّ طالب علمٍ مجدٍّ؛ حيث لا يُعرف بين النّاس، ولا يطلب، ويعرف بركة هذا الخمول من اشتهر بين النّاس، وتابعه صخب الأضواء!

وفي أثناء بحثه عن بغيته في التّفرّغ للطّلب؛ تقلّب الشّيخ في أعمالٍ متعدّدةٍ؛ فقد عمل في مجال الإرشاد السّياحيّلفترةٍ قصيرةٍ بعد تخرّجه من الجامعة، وكان هذا هو المتاح بالنّسبة له في هذا الوقت، ولكن أوصد قلبه من هذا العمل، لا سيّما وقد عاين من المخالفات منذ وجوده في الجامعة ما زهّده في هذا المجال ونفّره منه! ولك أن تتخيّل أنّ دخل المرشد السّياحيّ في هذا الوقت كان يصل لأربع آلاف جنيهٍ مصريّةٍ، وهذا الرّقم كان حلمًا لأيّ شابٍّ في أيّ مجالٍ! وعلى الرّغم من ذلك لم يلتفت الشّيخ لمثل هذا، وأعرض عنه، وهنا؛ يواجه الشّيخ مرّةً أخرى أخاه الأكبر الّذي أحضر له كتبًا تهتمّ بمجال الإرشاد السّياحيّ، ووجد في هذا العمل عوضًا لأخيه حجازيّ عمّا فاته من الالتحاق بكليّة الطّبّ، ولكنّ الشّيخ تمرّد -كما كان يصفه الدّكتور رزق- على هذا العمل، ولم يعبأ بهذه المغريات المادّيّة، والمكانة الاجتماعيّة، وأخذ يمضي قُدمًا نحو هدفه في طلب العلم الشّرعيّ، ويشتري الكتب الشّرعيّة، والتّي كان يخفيها في بادئ الأمر من أخيه رزقٍ حتّى لا يقع في خلافٍ معه لا سيّما مع تتابع تمرّد الشّيخ بالنّسبة لأخيه الأكبر!!

ومرّت الأيّام ووقف الدّكتور رزقٌ على إعلانٍ في الصّحف يطلب فيه التّقدّم لاختبارات التّعيين في الإذاعة المصريّة، وطلب رزق من أخيه حجازيّ أن يتقدّم للتّعيين في الإذاعة،

لا سيّما وهو يعلم أنّ أخاه حجازيًّا يمتلك موهبة الصّوت الرّخيم والإلقاء المتميّز، وتقدّم الشّيخ نزولًا على رغبة أخيه من جهة، ومن جهةٍ أخرى أنّه كان يتمنّى أن يلتحق بإذاعة القرآن الكريم، وتكلّم في هذا الأمر مع مذيعٍ بالإذاعة اسمه فؤاد شاكر التقى به عند باب رقم أربعةٍ بالإذاعة، وسأله عن إمكانيّة الالتحاق بإذاعة القرآن الكريم؟ ولكن في هذا اليوم ضُرب المفاعل النّوويّ العراقيّ، وكانت لجنة الاختبار في الإذاعة قد اتّفقتْ على أنّ الشّيخ يصلح لتقديم نشرة الأخبار في البرنامج العامّ لجودة إلقائه وتميّزه ورخامة صوته، وكان صوته قريبًا من مذيعٍ مشهورٍ في ذلك الوقت هو صالح مهران، ولكن الإذاعة الإسبانيّة رفضتْ ذلك! وكان الشّيخ في هذه الفترة؛ بعد قبوله وتعيينه في الإذاعة قد خُصّص له مكتبٌ في غرفةٍ مختلطةٍ من العاملين فيها الرّجال والنّساء، فكان الشّيخ في وقت وجوده في مكتبه بعد انتهاء عمله -كما حدّثنا عن هذه الفترة- لا يرفع بصره عن كتابٍ من كتب العلم ككتاب «المجروحين» لابن حبّان مثلًا، ومرّت أيّامٌ والشّيخ لا يجد قلبه أيضًا في هذا المكان، ولم يستمرّ طويلًا في هذا العمل، وشعر أنّ سلامة قلبه أن يترك الإذاعة، وكعادته لم يبك على شيءٍ يتعلّق بهذا الباب وتركها.

ومرّت الأيّام والأخ الأكبر يراوده حلم التحاق أخيه حجازيّ بوظيفةٍ حكوميّةٍ مرموقةٍ مع ما مرّ قبل ذلك في عمل أخيه بالسّياحة والإذاعة، وعلمه بتمرّد أخيه على مثل هذه الوظائف! ولكنّه ظفر لأخيه حجازيّ بوظيفةٍ في مبنى المحافظة بمدينة كفر الشّيخ، وعُيِّنَ الشّيخ في القوى العاملة كمترجمٍ فوريٍّ بمكتب محافظ كفر الشّيخ، ولكن لم يستمرّ الشّيخ في هذه الوظيفة أيضًا، وتركها.

وهنا وقفةٌ: الملاحظ ممّا تقدّم من سيرة الشّيخ، وأثر أخيه الأكبر فيه، أنّ الدّكتور رزقًا كان يبحث لإخوته عامّةً، ولشقيقه حجازيّ على وجه الخصوص عن مواضع التّفوّق في هذا المجتمع الّذي نَشَأوا فيه، وكان الشّيخ أيضًا يبحث عن ذلك النّبوغ والتّفوّق، ولكن بعيدًا عن خريطة شقيقه الأكبر الّتي رسمها له، وإن كانت تهدف لمصلحة أخيه من وجهة نظره، إلّا أنّها لم تَفِ بطموح حجازي! هذا الغلام الصّغير الّذي لقّبه الدّكتور رزقٌ

بالمتمرِّد! ومن عجبٍ أنّ هذا التّمرّد كان بوّابة الوصول للإمامة في الدّين، والّتي لم يخطر ببال الشّيخ قطّ أن يصل إليها!! ولكن سبحان الله؛ إذا أراد الله شيئًا هيّأ أسبابه.

وأختم هذا الموضع من سيرة شيخنا الحوينيّ، بتلخيص العلاقة بينه وبين أخيه الأكبر لجميل فضله عليه في مرحلة تنشئته وحثّه له على القراءة لا سيّما قراءة الشّعر، ويَظهر هذا بذكر الإهداء الّذي كتبه له في كتابه «جنّة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب» لأبي حفصٍ عمر بن بدرٍ الموصليّ الحنفيّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «الإهداء:إلى أخي وشقيقي الأكبر: الدّكتور رزق شريف أهدي هذا الكتاب، اعترافًا منّي بجهده النّبيل، وسعيه المتجرّد في تنشئتي... وأسوق بين يديه ما حكاه يونس الصّدفيّ قال: ما رأيتُ أعقل من الشّافعيّ، ناظرتُه يومًا في مسألةٍ، ثمّ افترقنا، ولقيني، وأخذ بيدي، ثمّ قال: يا أبا موسى: ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتّفق في مسألةٍ؟!... أخوك: أبو إسحاق الحوينيّ الأثريّ» اهـ.

ولمّا مضت الأيّام، ورأى الدّكتور رزق ما وصل إليه أخوه الأصغر حجازيّ من مكانةٍ في العلم وشهرةٍ ملأت الأفاق، علم أنّ أخاه كان محقًّا فيما ذهب إليه، وهذا فضلٌ من الله على أخيه، وقد حدّثني الدّكتور رزقٌ في زيارتي له بقرية حوين يوم الأحد الثّامن من شهر جمادى الأولى لعام ألفٍ وأربعمئةٍ وثمانيةٍ وثلاثين من الهجرة (٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)، الموافق (٥/ ٢/ ٢٠١٧م)، أنّ إخوته كانوا يُعرَفون به لعمله بالصِّحافة، وعلاقاته الواسعة بحكم عمله ببعض السّاسة إلى آخر ذلك... ومضت الأيّام وأصبحتُ أُعرف بأخي حجازيّ الشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ!

ثمّ أعود فأقول: وعاد الشّيخ إلى القاهرة ليعمل هذه المرّة في بقالةٍ!! ليوفّر ما يعينه على الطّلب من وقتٍ ومالٍ، وكانت بقالة «النّجمة» بمدينة نصر المنطقة الأولى، لصاحبها الأخ الفاضل سعيد أبو هشيمة، هي محلّ عمله، والفضل في توفير هذا العمل له كان للأخ الفاضل ربحيّ أبو النّيل، وكان راتب الشّيخ خمسةً وخمسين جنيهًا مصريًّا، والعجيب أنّ الشّيخ كان لا يتطلّع لشيءٍ من الدّنيا في هذا الوقت؛ فقد ذكر لنا مرارًا أنّه ما تمنّى أن

يمتلك بيتًا ولا سيّارةً، وكان أقصى ما يتمنّاه في هذا الوقت هو أن يشتري درّاجةً ليسهُلَ عليه أن يتنقّل في وسط زحام القاهرة!

وحدّثني شيخنا أنّه كان يمرّ أثناء ذَهابه للعمل على الشّباب المترف الّذين يركبون الدّرّجات البخاريّة وهم يناطح بعضهم بعضًا بالعجلات الأماميّة لهذه الدّرّجات، فكان يقول: فما تمنّيتُ وقتها إلّا أن أمتلك درّاجةً لأهمّيّة ذلك بالنّسبة لي؛ حتّى أتمكّن من الحفاظ على وقتي، ومرّت الأيّام وقد أعرضتُ عن هذه الدّنيا ولم تشغلني عن هدفي وهو الكتاب، حتّى أغنانا الله من فضله.

وفي فترة عمله بالبقالة بدأ في تأسيس مكتبته، واشترى له الأخ ربحي أبو اللّيل مجموعةً من الكتب اختارها الشّيخ، وكانت تقدّر بمبلغ أربعمئة جنيهٍ مصريٍّ، وكان الشّيخ يدفع ثمنها على أقساطٍ، قيمة القسط الواحد عشرة جنيهاتٍ في كلّ شهرٍ، ثمّ وجّه بعد ذلك جلّ راتبه لشراء الكتب لا سيّما الحديثيّة، وكان يسكن في ذلك الوقت في عين شمسٍ الغربيّة مع أخٍ فاضلٍ اسمه جمال عبد الحميد من محافظة الشّرقيّة كان قد دعاه للإقامة معه بعدما تعارفا في المسجد.

واعتُقل الشّيخ في هذه الفترة مع من اعتُقلوا في اعتقالات سبتمبر عام ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وثمانين (١٩٨١م)، وكان الرّئيس المصريّ آنذاك محمّد أنور السّادات قد أصدر قرارًا في الرّابع من سبتمبرٍ ١٩٨١م باعتقال ألفٍ وخمسمئةٍ وستة وثلاثين (١٥٣٦) شخصًا، وبعدها بشهرٍ تقريبًا، وفي يوم السّادس من أكتوبر من نفس العام قُتل الرّئيس السّادات، ووقعت أحداثٌ داميةٌ في محافظة أسيوط بعد قتل السّادات بيومين في الثّامن من أكتوبر، وحدث استنفارٌ عامٌ من الأجهزة الأمنيّة بكلّ فروعها في الدّولة، وكلّ هذه الأحداث الّتي مرّت والشّيخ في المعتقل.

وبعد خروجه عقب هذه الأحداث، صدر بيانٌ في الإذاعة يحذّر كلّ من تستّر على إرهابيٍّ!! سيقع تحت المساءلة القانونيّة!! وهنا قرّر صاحب البيت الّذي يسكن فيه الشّيخ

أن يُخرجه من البيت، لا سيّما عندما رأى غرفته الّتي أودع فيها الكتب بجوار جدرانها الأربعة!! فقال حينها للأخ جمال: هذا السّاكن الّذي معك لا بدّ أن يغادر البيت على الفور، وبيّن له أنّه لا يقوى على تحمّل ما سيأتيه من مشاكل بسبب إقامة هذا الشّاب عنده! وعلى الرّغم من ثناء الأخ جمالٍ على الشّيخ فإن صاحب البيت لبسه الخوف، ولم يرضَ إلّا برحيل الشّيخ من البيت!

وفي هذا الوقت كان الشّيخ في حيّ الموسكي بالقاهرة لشراء المصحف المعلّم، وقدّر الله أن يصاب في حادث سيرٍ عند خروجه من المسكي، وأُصيبتْ قدمه اليمنى، وعند عودته كان الإعلام بخبر لزوم رحيله من البيت يقع على عاتق رفيقه في البيت الأخ جمالٍ، والّذي شعر بحزنٍ بالغٍ وخجلٍ كبيرٍ عند إخبار الشّيخ بهذا الخبر، وعندها طلب الشّيخ المبيت في هذا اليوم على أن يرحل في اليوم التّالي.

وبدأ الشّيخ في تحويل كتبه في سيّارة الأخ ربحي أبو النّيل إلى السّكن الجديد، وكان هذا السّكن الجديد عبارةً عن بيتٍ أُعدّ لتحفيظ القرآن، ويقع في حي عين شمسٍ الشّرقيّة، ونُقلت الكتب على مراحل في السّيّارة، وعند ذهاب الشّيخ لإحضار ما تبقّى من كتبه، قام أحدهم -من الحيّ الجديد وكان يجلس على مقهى مقابلٍ للبيت- بالوشاية بالشّيخ ومن معه!! فاضطرّ الشّيخ أن يعود مرّةً أخري بكتبه لأخيه جمال عبد الحميد!! للمبيت عنده هذه اللّيلة، ولك أن تتخيّل قدر الحياء والخجل الّذي ألمّ بالشّيخ ليتكلّم مع جمالٍ في هذا الأمر، وبات الشّيخ هذه اللّيلة عنده، ثمّ وصل خبر ما حدث لسعيد أبو هشيمة صاحب البقالة الّتي يعمل بها الشّيخ، فعرض عليه أن يسكن في مخزن الجبن الرّوميّ كفترةٍ مؤقّتةٍ حتّى يجد بيتًا جديدًا، ووافق الشّيخ مع ما ترتّب على ذلك من مزيدٍ من الوقت في العمل لقرب المخزن من البقالة! وقد حدّثني شيخنا عن هذه الفترة، فقال: لقد أقمتُ ستّة أشهرٍ في مخزنٍ للجبن الرّوميّ، وكانت من أفضل أيّام حياتي في التّحصيل.

وانتقل الشّيخ بعدها لشقّةٍ اشتراها بالتّقسيط بمنشأة ناصرٍ بالجيزة ليشعر بعدها

وربّما لأوّل مرّة بالاستقلاليّة والخصوصيّة، وقد حدّثني شيخنا عن وصف هذه الشّقّة، فتعجّبت أنّه مع صغر مساحتها جدًّا -والّتي تقترب من أربعين مترًا- فإنّه كان يعتبرها مملكته الخاصّة.

وهناك أحداثٌ كثيرةٌ في هذه الفترة ألحقتُها بأصل الكتاب، وسيأتي ذكر بعضها في موضعه المناسب من التّرجمة بإذن الله.

ثمّ يأتي الكلام عن(مرحلة القراءة الشّرعيّة وطلب العلم)...

*** سابعًا: بداية طلبه لعلم الحديث:**

ذكرت فيما تقدّم أنّ الشّيخ أخذ القرآن على خاله الشّيخ عبد الحيّ زيّان رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان خاله متميّزًا في القراءات، ثمّ أقبل بكليّته على علم الحديث، بعد تعلّقه بالعلم الشّرعيّ بفترةٍ قصيرةٍ، وكان في تلك الفترة يحاول نشر السّنّة في بيئةٍ لا تعرف إلّا أصحاب الكرامات من المتصوّفة، أو من على شاكلتهم، وحدّثني الدّكتور سمير شريف أنّ الشّيخ كان منذ المرحلة الثّانويّة يتعهّد شباب القرية بالنّصيحة والتّعليم ويعقد لهم بعض المجالس لذلك.

وكان إذا اشتدّ النّكير عليه من بعض النّاس، وكأنّه جاء بدينٍ جديدٍ!! يخرج إلى الخلوات ويرفع يده وبصره إلى السّماء، ويقول: «اللّهمّ ارزقني، وأعلِ كعبي؛ لأثبتَ لهم أنّ مَن قصدك ورجاك لا يخيب».

وحدّثنا شيخنا عن بدايته الحقيقيّة في طلب علم الحديث في مناسباتٍ عدّةٍ؛ منها ما حدّثنا به باستفاضةٍ ومزيد بيانٍ في يوم السّبت الثّاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمئةٍ وعشرين من الهجرة (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)، الموافق الثّاني من شهر أكتوبر لعام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وتسعين (٢/ ١٠/ ١٩٩٩م)، وكتب عن هذه البداية في مقدّمة طبعته الأولى من كتابه «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النّظر في كتب الأماجد»، والّتي قدّم لها في شهر جمادى الآخرة لسنة ثماني عشرة وأربعمئةٍ وألفٍ من هجرة خير من وطئ الحصى نبيّنا محمّدٍ ﷺ، فقال: «... ففي صيف عام (١٣٩٥هـ) كنت أصلّي الجمعة في

مسجد «عين الحياة»، وكان إمامه إذ ذاك الشّيخ عبد الحميد كشك -رحمه الله تعالى- وكان تجّار الكتب يعرضون ألوانًا شتّى من الكتب الدّينيّة أمام المسجد، فكنت أطوف عليهم وأنتقي ما يعجبني عنوانه، فوقعتْ عيني يومًا على كتابٍ عنوانه: «صفة صلاة النّبيّ ﷺ من التّكبير إلى التّسليم كأنّك تراها»، تأليف محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، فراقني اسمه، فتناولته بيديّ، وقلّبت صفحاته، ثمّ أرجعته إلى مكانه؛ لأنّه كان باهظ الثّمن لمثلي، وكان إذ ذاك بثلاثين قرشًا! ومضيتُ أتجوّل بين بائعي الكتب، فوقفتُ على كتابٍ لطيف الحجم بعنوان: «تلخيص صفة صلاة النّبيّ ﷺ»، ففرحتُ به فرحةً طاغيةً، ولم أتردّد في شرائه، وكان ثمنه خمسة قروشٍ، ولم أشتر غيره؛ لأنّه أتى على كلّ ما في جيبي! ومن فرحتي واغتباطي به قرأته وأنا أمشي في طريقي إلى مسكني مع خطورة هذا المسلك على من يمشي في شوارع القاهرة.

ولمّا أويتُ إلى غرفتي تصفّحتُ الكتاب بإمعانٍ، فوجدته يدقّ بعنفٍ ما ورثته من الصّلاة عن آبائي؛ إذ إنّ كثيرًا من هيئتها لا يمتّ إلى السّنّة بصلةٍ، فندمتُ ندامة الكسعيّ أنّني لم أشتر الأصل، وظللتُ أحلم بيوم الجمعة المقبل وأدبر ثمن الكتاب طوال الأسبوع، وأنا خائفٌ وَجِلٌ ألّا أجده عند البائع، وكنت أدعو الله أن يطيل في عمرى حتّى أقرأه، ومنّ الله عليّ بشرائه فلمّا تصفّحته، ألقيتُ الألواح، ولاح لي المصباح من الصّباح! وهزّني هزًّا عنيفًا، لكنّه كان لطيفًا، مقدّمته الرّائعة الماتعة في وجوب اتّباع السّنّة، ونبذ ما يخالفها تعظيمًا لصاحبها ﷺ، ثمّ نقوله الوافية عن أئمّة المسلمين؛ إذ تبرّأوا من مخالفة السّنّة أحياءً وأمواتًا، فرضي الله عنهم جميعًا، وحشرنا وإيّاهم مع الصّادق المصدوق -بأبي هو وأمّي!-.

وقد لفتَ انتباهي جدًّا حواشي الكتاب مع جهلي التّامّ آنذاك بكتب السّنّة المشهورة، فضلًا عن غيرها من المسانيد والمعاجم والمشيخات وكتب التّواريخ، بل، لقد ظللت فترةً في مطلع حياتي -لا أدري طالتْ أم قصرتْ- أظنّ أنّ البخاريّ صحابيٌّ؛ لكثرة ترضي النّاس عنه.

وعلى الرّغم من عدم فهمي لما في حواشي الكتاب، فإنني أحسستُ بفحولةٍ وجزالةٍ لم أعهدها في كلّ ما قرأته، فملك الكتاب عليّ حواسي، وصرتُ في كل جمعةٍ أبحث عن مؤلّفات الشّيخ ناصر الدّين الألبانيّ، ولم تكن مشهورةً عندنا في ذلك الوقت؛ لكساد الحركة العلميّة، فوقفتُ بعد شهرٍ تقريبًا على جزءٍ من «سلسلة الأحاديث الضّعيفة» المئة حديثٍ الأولى، فاشتريته في الجمعة الّتي تليها لأتمكّن من تدبير ثمنه.

أمّا هذا الكتاب، فكان قاصمة الظّهر الّتي لا قائمة بعدها! وهو الّذي رغّبني في دراسة علوم الحديث».

ثمّ أتبع الشّيخ ذلك بذكر قصّته مع الشّيخ عبد الحميد كشكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والّتي أكّدت رغبته في دراسة علوم الحديث، فقال: «إنّ الحركة العلميّة كانت هامدةً في ذلك الوقت، وكلّ من تصدّر لوعظ النّاس فهو عندنا عالمٌ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا في ذلك الزّمان -وهو الشّيخ كشك- الّذي كان له بالغ التّأثير في النّاس بحسن وعظه، ومتانة لفظه، وجرأته في الصّدع بالحقّ، لم ينجُ منحرفٌ من نقده مهما كان منصبه، وكان في صوته -مع جزالته- نبرة حزنٍ، ينتزع بها الدّمع من المآقي انتزاعًا، حتّى من غلاظ الأكباد، وقساة القلوب، فكان هذا الشّيخ هو العالم الأوّل والأخير عندي، لا أجاوز قوله، وقد انتفعتُ به كثيرًا في بداية حياتي، كما انتفع به خلقٌ، لكنّني لمّا طالعت «السّلسلة الضّعيفة»؛ وجدتُ أنّ كثيرًا من الأحاديث الّتي يحتجّ بها الشّيخ منها، حتّى خيّل إليّ أنّه يحضر مادّة خطبه من هذه «السّلسلة»، وسبب ذلك -فيما أرى- أنّ الشّيخ حفظ أحاديثه من كتاب «إحياء علوم الدّين»، لأبي حامدٍ الغزاليّ، وكان الغزاليّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مزجى البضاعة في الحديث، تامّ الفقر في هذا الباب.

فعكّر عليّ كتابُ الشّيخ ما كنت أجده من المتعة في سماع خطب الشّيخ كشك، حتّى كان يومٌ، فذكر الشّيخ على المنبر حديثًا عن النّبيّ ﷺ قال: «إنّ الله يتجلّى يوم القيامة للنّاس عامّةً، ويتجلّى لأبي بكرٍ الصديق خاصّةً»، فلأوّل مرّةٍ أشكّ في حديثٍ أسمعه،

وأسأل نفسي: تُرى! هل هو صحيحٌ أم لا؟ ومع شكّي هذا فقد انفعلتُ له وتأثّرتُ به بسبب صراخ الجماهير من حولي، استحسانًا وإعجابًا!

ولمّا رجعتُ إلى منزلي، قلّبتُ «السّلسلة الضّعيفة» حديثًا حديثًا أبحث عن الحديث الّذي ذكره الشّيخ كشك، فلم أجده، فواصلت بحثي، فبينما كنت في بعض المكتبات وقفت على كتاب «المنار المنيف» لابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق الشّيخ محمّد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فوجدت الحديث فيه، وقد حكم الإمام عليه بالوضع فيما أذكر، فعزمتُ على إبلاغ الشّيخ بذلك نصيحةً لله تعالى، وقد كان رسخ عندي أنّ التّحذير من هذه الأحاديث واجبٌ أكيدٌ.

وكان للشّيخ جلساتٌ في مسجده بين المغرب والعشاء، فذهبتُ في وقتٍ مبكّرٍ لألحق بالصّف الأوّل حتّى أتمكّن من لقائه في أوائل النّاس، فلمّا صلّينا جلس الشّيخ على كرسيه في قبلة المسجد، وكان له عادةٌ غريبةٌ؛ وهي أنّه يمدّ يده، فيقف النّاسطابورًا طويلًا، فيصافحونه، ويقبلون يده وجبهته، ويُسِرّ إليه كلّ واحدٍ بما يريد، وكنتُ العاشر في هذا الطّابور، فقلت في نفسي: وما عاشر عشرةٍ من الشّيخ ببعيدٍ!

فلمّا جاء دوري، قبّلتُ يده وجبهته، وقلت له: إنّ الحديث الّذي ذكرتموه في الجمعة الماضية -وسمّيته- قال عنه ابن القيّم: إنّه موضوعٌ.

فقال لي: بل هو صحيحٌ، فلمّا أعدتُ عليه القول، قال كلامًا لا أضبطه الآن، لكن معناه: أنّ ابن القيّم لم يُصِبْ في حكمه هذا، ولم يكن هناك وقتٌ للمجادلة؛ لأنّ من في الطّابور ينتظرون دورهم.

وممّا حزّ في نفسي أنّ الشّيخ سألني عن العلّة في وضع الحديث، فلم يكن عندي جوابٌ، فقال لي: يا بنيّ! تعلّم قبل أن تعترض، فمشيتُ من أمامه مستخزيًا، كأنّما ديكٌ نقرني!

وخرجتُ من مسجد «عين الحياة» ولديّ من الرّغبة في دراسة علم الحديث ما يجلّ عن تسطير وصفه بناني، ويضيق عطني، ويكلّ عن نعته لساني، وكان هذا العلم آنذاك

شديد الغربة، ولست أبالغ إذا قلت: إنّه كان أغرب من فرسٍ بهماء بغلسٍ!!» انتهى كلام شيخنا.

وهكذا كانت بداية الشّيخ في التّوجّه إلى دراسة علوم الحديث أو علوم الرّواية، والّذي كان دائمًا يقول عنه: هو حبّي وحياتي، وبدأ يوظّف دراسته لجميع فروع العلم الشّرعيّ من خلال دراسته لعلوم الحديث.

وهناك العديد من المواقف الّتي مرّت في حياة الشّيخ في هذه الفترة وبعدها بسنواتٍ قليلةٍ تقترب من السّبع سنوات من عام (١٣٩٥هـ) إلى عام (١٤٠٢هـ) كان خلالها يجمع ما تيسّر له من كتب الحديث للبحث والمطالعة، ولكن هذه الفترة كانت مشحونةً بالدّراسة الجامعيّة، ثمّ بعدها بأداء الخدمة العسكريّة في الجيش، فلم يظفر بالتّفرّغ الكامل للعلم إلّا بعد مرور هذه الفترة، وترك العمل بالبقالة، وهذه المواقف أذكر منها هنا في هذه الطّليعة أبرزها، وأدّخر تفاصيلها لأصل الكتاب إن شاء الله، والله الموفّق.

وعلى رأس بداية القرن الخامس عشر الهجريّ ازداد طموح الشّيخ وعظمت رغبته في المزيد من الاطّلاع والبحث والحفظ للحكم على الأخبار بالنّظر في كتب الصّحاح، والسّنن، والمسانيد، والمعاجم، والمشيخات، وكتب شروح السّنّة، والعلل، والرّجال، وغيرها من فنون العلم الّتي توصله إلي ما يحبّ وهو علم الحديث، ولا شكّ أنّ الأثر الّذي تركته تجربة الشّيخ مع كتب الألباني كانت كالنّقش على قلبه لا يكاد ينساها، فأخذ يبحث عن مكتبةٍ للمذاكرة والبحث والتّحقيق، حتّى وُفّق إلى مكتبة كليّة أصول الدّين بجامعة الأزهر الشّريف، ولكن بكلّ أسفٍ حالت اللّوائح والقوانين دون استمتاع الشّيخ بهذا الكنز الثّمين.

وقد حدّثنا شيخنا بتجربته الشّاقّة في هذه المكتبة العامرة بكتب التّراث، وسطّر خلاصتها في مقدّمة كتابه «لؤلؤ الأصداف بترتيب المنتقى على الأطراف»، والّذي قدّم له في غرّة ذي الحجّة لعام ألفٍ وأربعمئةٍ وتسعةٍ وعشرين من الهجرة، فقال: «ذهبتُ إلى

مكتبة كليّة أصول الدّين بالقاهرة، فوجدتُ مكانًا للمطالعة منفصلًا عن المكتبة، فطلبتُ من أمين المكتبة أن يسمح لي بدخول المكتبة ليتسنّى لي أن أُخرّج بعض الأحاديث، وهذا يتطلّب النّظر في كتب الأسانيد والرّجال، فقال لي: هذا ممنوعٌ، ولكن اطلب الكتاب الّذي تريده آتيك به في غرفة المطالعة، فأفهمته أنّ هذا مستحيلٌ ولا بدّ من البحث بنفسي، والنّظر في الكتب، وهي مع كثرتها فأنا لا أدري أيوجد الحديث الّذي أريد أن أُخرّجه فيها أم لا؟ ثمّ لو وجدتُ الحديث، فهذا يتطلّب النّظر في كتب الرّجال، وأسماء الرّجال كثيرةٌ، فربّما احتجتُ الكتاب كلّه للنّظر في سندٍ واحدٍ، فقد يكون أحد رواة الأسانيد يبدأ اسمه بحرف الألف، وشيخه بحرف الياء، وشيخ شيخه بحرف الميم وهكذا، وتطلّب هذا الشّرح منّي وقتًا طويلًا وصبرًا جميلًا، كأنّني أستخرج الحيّة من جحرها!! فقال لي: مع تقديري لما تقول فإنّ اللّوائح تمنع ذلك. فأفهمتُه أنّني جئت من مكانٍ بعيدٍ، ويتعذّر عليّ أن آتي كلّ يومٍ؛ إمّا لفقري، وإمّا لانشغالي بكسب قوتي، وأنا طالب علمٍ فينبغي لك أن تساعدني، وعبثًا حاولتُ، وصارت المسألة بيني وبينه أعقد من ذنب الضّب، فقلت: لله الأمر من قبل ومن بعد، ولكنّك لن تتحمّلني، فلم يردّ، فقلتُ مختبرًا دعواه: ائتني بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وبالكتب السّتّة، وتحفة الأشراف، وتهذيب التّهذيب، فلمّا سمع هذا منّي فغر فاه، وقال مستهجنًا طلبي: نعم يا أستاذ؟! أتريد هذا كلّه، اللّوائح تقول: كتابٌ واحدٌ، فإذا انتهيتَ منه أتيتك بغيره، فحاولتُ أن أُفهمه أنّ هذا متعذّرٌ جدًّا، فقال لي: اللّوائح يا أستاذ!! فتركت المكان ورأسي تغلي من الغيظ... وبعد أن سكت غضبي قلت لنفسي: فلأحاول غدًا، ربّما وجدتُ موظّفًا آخر يكون أهدى سبيلًا من «صاحب اللّوائح»! فلمّا كان من الغد ذهبتُ إلى المكتبة، فوجدتُ نفس الموظّف، فانكسرتْ نفسي، وهممتُ أن أغادر المكان، ولكنّني تصبّرتُ، وتذكّرتُ الحكايات الّتي قرأتها في تراجم العلماء عن الذّلّ في طلب العلم، وما حدث لهؤلاء السّادة النّجباء، وقلت لنفسي: لستَ أفضل من واحدٍ من هؤلاء، ثمّ إنّ الذّلّ إذا اقترن بالحبّ صار لذّةً، فجرّب حظّك مع هذا الموظّف مرّةً أخرى لعلّ قلبه يرقّ لك، فلمّا اتّجهت إليه غادر قاعة المطالعة ودخل المكتبة، فجلستُ

في انتظار خروجه، فلم يخرج، وطال الوقت، فوقفتُ على باب المكتبة وناديته، فجاءني، فقلت له: أريد أن أتحدّث معك بصفتك أخي الأكبر فجلس، فأعدتُ عليه كلامي بالأمس، وحكيتُ له بعض ظروفي الخاصّة، والّتي كانت تبكي أيّ إنسانٍ يستمع إليها، فلمّا انتهيتُ من كلامي فوجئتُ أنّ قلبه رقّ لي، فكدتُ أن أقبّل يده، ولكنّي تمالكتُ نفسي، وصرتُ أذهب مرّتين أو أكثر في الأسبوع لأخرّج أحاديث «المنتقى»، ثمّ وسّع الله عليّ، وعرّفني أحد إخواني على مكتبة أستاذنا الشّيخ حامد إبراهيم رحمه الله تعالى، والّتي سمّاها «مكتبة المصطفي»، فوجدتُ هناك بغيتي، وصرتُ حرًّا، أطالع ما شئتُ من الكتب، وأسأل أستاذنا عن الكتب الّتي تصلح لبحث مسألةٍ ما، فيرشدني بصبرٍ وأدبٍ جمٍّ، رحمه الله تعالى وبارك في ذرّيّته...» اهـ.

وهكذا بدأت مرحلةٌ جديدةٌ عامرةٌ بالنّسبة للشّيخ في «مكتبة المصطفى» لصاحبها الشّيخ حامد إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الشّيخ الفاضل الّذي يذكره شيخنا الحوينيّ دائمًا بجميل الخصال، وكان يقول عنه: كان رجلًا خدومًا لروّاد مكتبته، وكان فضله علينا كبيرًا، وقد سطّر شيخنا تاريخ مولده على طرّة اللّوحة الأولى من نسخته من كتاب «صحيح ابن حبّان» بتحقيق العلّامة المحدّث أحمد شاكر، والّتي اشتراها في يوم الأربعاء، ١٦ رجب ١٤٠٤هـ، الموافق ١٨/ ٤/ ١٩٨٤م، فقال: «وهو يوم تحوّلٍ في حياتي العلميّة، حيث ذهبت أنا والأخ سعيد زغلول إلى دار الكتب العلميّة، واشترى صاحبها منّي أوّل كتابٍ حقّقته، وهو خصائص عليّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للإمام النّسائيّ فالحمد لله على التّوفيق، ثمّ قال: ولد شيخنا الشّيخ حامد إبراهيم أحمد صاحب مكتبة المصطفى ﷺ يوم التّاسع من أغسطس ١٩٠٩م، أطال الله في عمره»، وقد كتب هذا في يوم الجمعة ١٨ رجبٍ ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٠/ ٤/ ١٩٨٤م.

ولأوّل مرّةٍ رأى الشّيخ في «مكتبة المصطفى»، الحلم الّذي يبحث عنه منذ أن بدأ في طلبه لعلوم الحديث، رأى مكتبةً عامرةً بتراث الأمّة، مرتّبةً ترتيبًا رائعًا نافعًا سهلًا لطلبة العلم، فجبر هذا عنده ما كسرتْه قوانين ولوائح مكتبة «كليّة أصول الدّين»!!

وسبحان الله؛ فُتح قلب الشّيخ حامدٍ لهذا الشّابّ الّذي يظهر عليه علامات النّبوغ والهمّة العالية، وأحبّه كثيرًا، وأكرمه وساعده في التّعرّف على الكتب، وكيفيّة البحث فيها، وكانت فترةً فارقةً بالنّسبة لتكوين الشّيخ العلميّ، وقد كان وقتها يؤدّي الخدمة العسكريّة، ولجودة خطّه ولغته نُقل من سلاح المشاة إلى عملٍ إداريٍّ في مكتبٍ؛ استطاع من خلاله أن يدّخر وقتًا طويلًا للبحث في المكتبة، وهذا من توفيق الله ﷻ له في هذه الفترة، والّتي وصفها الشّيخ بعد ذلك بالمرحلة الذّهبيّة في طلبه للعلم، وبقي الشّيخ سنةً وأربعة أشهرٍ، وهي فترة وجوده في الجيش كما ذكرنا، وهو يتردّد على «مكتبة المصطفى»، في كلّ يومٍ تقريبًا من العاشرة صباحًا وحتّى صلاة العشاء، حتّى في وقت الصّلاة كان يصلّي في «مسجد المصطفى» أسفل المكتبة، فكان لا يكاد يضيّع شيئًا من وقته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وفي أثناء وجوده في المكتبة، نسخ كتاب «زهر الفردوس»، أو «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس ممّا ليس في الكتب المشهورة» للحافظ ابن حجرٍ العسقلانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد سمح له الشّيخ حامدٌ مرّةً بالمبيت في المكتبة أثناء نسخ الشّيخ لهذا الكتاب، وهذا تصرّفٌ نادرٌ منه، وعدّه الشّيخ من مآثره؛ حيث لم يكن يسمح بمبيت أيّ أحدٍ في المكتبة، وأيضًا ممّا لا ينساه الشّيخ؛ أنّ الشّيخ حامدًا وجّه نظره إلى تخريج«سنن النّسائي»، وكان يعمل في هذا الوقت في تخريج «سنن ابن ماجه»، ولذلك اعتذر الشّيخ، فقال له الشّيخ حامد: خرّجها ودعها لروّاد المكتبة لينتفعوا بها، وهذا الموقف سطّره شيخنا الحوينيّ في مقدّمة كتابه «بذل الإحسان بتقريب سنن النّسائي أبي عبد الرّحمن»، والّذي كتب الشّيخ مقدّمته في غرّة ذي القعدة لعام ألفٍ وأربعمئةٍ وتسعةٍ من الهجرة (١٤٠٩هـ)، وطبع طبعته الأولى في العام العاشر بعد الأربعمئة وألفٍ (١٤١٠هـ)، فقال: «فإنّي أحمد الله تبارك وتعالى أن يسّر لي خروج الجزء الأوّل من هذا الكتاب المبارك -إن شاء الله تعالى- وكنت قد بدأت العمل فيه في أواخر سنة (١٣٩٩هـ)، والفضل في ذلك يرجع إلى أستاذنا الشّيخ حامد بن إبراهيم حفظه الله تعالى صاحب مكتبة المصطفى ﷺ؛ فقد كنت أتردّد

على مكتبته العامرة، فرآني أعمل في «سنن ابن ماجه»، فقال لي: لم لا تعمل في «سنن النّسائي»؟ فإنّ أحدًا من أهل العلم لم يوجّه عنايته إليها، فلما اعتذرت عنها، قال لي: اخدمها، ولو بتخريج أحاديثها فقط، حتّى تكون عونًا للمتردّدين على المكتبة من أهل العلم وطلبته، وقد حدث بالفعل ما أراده، فكتبت الجزء الأوّل بخطّ يدي، وصوّرته، ثمّ أودعته المكتبة، أمّا باقي النّسخ -وقد كانت قليلةً- فكنت أعطيها لمن أرى أنّه من طلبة العلم رجاء أن يصحّح لي ما أخطأت فيه، وقد وقع في هذه النّسخة أوهامٌ، سواءٌ في الحكم على الحديث أو في تخريجه، والسّبب في ذلك شرحه يطول، وسأذكره -إن شاء الله- في «الإمعان مقدّمة بذل الإحسان»؟ وعلى كلّ حالٍ فقد بات هذا الشّرح أمنيّةً عندي، وددت لو يسّر الله لي فعله، حتّى أكتشف مزيّة هذه السّنن، والّتي على أهميّتها ما التفتَ إليها أهلُ العلم مثلما فعلوا في «الصّحيحين»، وبقيّة السّنن...» اهـ.

وفي المكتبة أيضًا نسخ الشّيخ قدرًا كبيرًا من «شرح معاني الآثار» للإمام الطّحاويّ، حتّى وصل الشّيخ في هذه المكتبة العامرة إلى خدمة روّادها ومساعدتهم في تخريج الأحاديث والبحث في الكتب، ومن هؤلاء الآن من أصبح من رؤساء الأقسام في علوم الحديث في جامعة الأزهر، وفيها أيضًا نسخ الشّيخ المجلّد الأوّل من «موسوعة أطراف الحديث النّبويّ الشّريف» لأبي هاجر محمّد السّعيد بن بسيونيّ زغلول؛ بخطّ نسخٍ جميلٍ رائقٍ، وبعد أن انتهى من العمل في هذه الموسوعة، ووصلتْ آنذاك إلى سبعة مجلّداتٍ، اشتملتْ على فهرسة ما يقرب من مئةٍ وخمسين كتابًا، قال الشّيخ: واشتريتُ نسخةً من الكتاب، وتساهلوا معي في ثمنها؛ لأنّها كانت في ذلك الوقت بخمسةٍ وسبعين جنيهًا مصريًّا، وكانت هذه بالنّسبة لي الغنيمة الباردة، وقال الشّيخ عن هذه الموسوعة: يجب أن أعترف أنّ هذه الموسوعة أفادتني كثيرًا ودلّتني على مواضع الأحاديث في مئةٍ وخمسين كتابًا، وإن كان كثيرٌ من الكتب الّتي فيها لم تكن عندي في ذلك الوقت، ولكن ما كان عندي من الكتب كان موجودًا في داخل هذه الموسوعة، وصاحبها له يدٌ بيضاء على الباحثين بهذه الموسوعة.

ومرّت سنةٌ وأربعة أشهرٍ كاملةً والشّيخ لا يكاد يفارق هذه المكتبة كما ذكرنا، وقد أهدى الشّيخ حامد رحمه الله تعالى للشّيخ سننَ الدّارميّ، طبعة سيّد هاشم يمانيّ.

ومن ثمار هذه الفترة أيضًا أنّ الشّيخ خرّج «المنتقى» لابن الجارود والّذي سمّاه: «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود»، فأيّام هذه المكتبة العامرة شهدت تاريخًا لا يُنسى من همّة الشّيخ في التّحصيل والجدّ في الطّلب.

*** ثامنًا: بحث الشّيخ عن شيوخ علم الحديث:**

كان الشّيخ قد وصل إلى عامه العشرين تقريبًا عندما وقعت قصّته مع الدّاعية المشهور الشّيخ عبد الحميد كشك، بسبب كتاب «صفة صلاة النّبيّ من التّكبير إلى التّسليم كأنّك تراها» للإمام الألبانيّ كما ذكرنا، وسيأتي المزيد إن شاء الله، وكان العلم غريبًا آنذاك، لا سيّما علم الحديث، ولم يكن من السّهل الوصول لمتخصّصٍ في هذا العلم يتلقّى عنه، ولكن بعد الّذي كان بينه وبين الشّيخ كشك، عزم على البحث عن شيخٍ يشرح له هذا العلم الّذي أيقن وقتها أنّه كالمصباح له في طريقٍ حالكٍ فلا يستغنى عنه، وبه يُفتح له في العلم الشّرعيّ.

وعن هذا حدّثنا شيخنا مرارًا، منها كما ذكرنا في يوم السّبت الثّاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمئةٍ وعشرين من الهجرة (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)، الموافق الثّاني من شهر أكتوبر لعام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وتسعين (٢/ ١٠/ ١٩٩٩م) وكتبه في مقدّمة كتابة «تنبيه الهاجد» -المشار إليها فيما تقدّم- فقال: «...وطفقتُ أسأل كلّ من ألقاه من إخواني عن أحدٍ من الشّيوخ يشرح هذا العلم، أو يدلّني عليه، فأشار عليّ بعض إخواني -وكان طالبًا في كليّة الهندسة- أن أحضر مجالس الشّيخ محمّد نجيب المطيعيّ-رحمه الله تعالى- وكان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلقي دروسه في «بيت طلبة ماليزيا»، بالقرب من ميدان «عبده باشا» ناحية العبّاسيّة، وكان يشرح أربعةكتبٍ، وهي: «صحيح البخاريّ»، و«المجموع للنّوويّ»، و«الأشباه والنّظائر» للسّيوطيّ، و«إحياء علوم الدّين» للغزاليّ -رحمهم الله جميعًا-.

فوجدت في هذه المجالس ضالّتي المنشودة، ودرّتي المفقودة، فلزمته نحو أربع سنواتٍ، حتّى توقّفت دروسه بعد الاعتقالات الجماعيّة الّتي أمر بها أنور السّادات، وانتهى الأمر بمقتله في حادث المنصّة الشّهير، ورحل الشّيخ رَحِمَهُ الله إلى السّودان، وظلّ هناك حتّى توفي رَحِمَهُ الله بالمدينة، ودفن-رحمه الله تعالى- في البقيع -كما قيل لي-.

وأتاحت لي هذه المجالس دراسة نبذٍ كثيرةٍ من علمي أصول الحديث، وأصول الفقه، ووالله! لا أشتطّ إذا قلتُ: إنّني أبصرتُ بعد العمى لمّا درستُ هذين العلمين الجليلين، وأقرّر هنا أنّ الجاهل بهذين العلمين لا يكون عالمًا مهما حفظ من كتب الفروع؛ لأنّ تقرير الحقّ في موارد النّزاع لا يكون إلّا بهما؛ فعلم الحديث يصحّح لك الدّليل، وعلم أصول الفقه يسدّد لك الفهم، فهما كجناحي الطّائر.

ولم يكدر عليّ متعتي بدروس الشّيخ المطيعيّ رَحِمَهُ الله إلّا حطّه على الشّيخ الألبانيّ صاحب الفضل عليّ بعد الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان ذلك بعد حادثةٍ طويلة الذّيل ملخّصها: أنّ شيخنا المطيعيّ رَحِمَهُ الله كان يتكلّم عن قضاء الفوائت، وأنّ من لم يصلّ ولو لسنواتٍ، فيجب عليه القضاء، وأطال البحث في ذلك.

فقلتُ له -ولم يكن عندي علمٌ بمن يقول بغير هذا المذهب من القدماء- قلت: إنّ الشّيخ الألبانيّ يقول: ليس هناك دليلٌ على وجوب القضاء، فقال لي بلهجةٍ -علمت بعد ذلك بزمانٍ أنه كان يقولها تهكّمًا: مَن الألبانيّ؟ فقلتُ له: أحد علماء الحديث.

قال: لعلّه أحد أصحابنا الشّافعيّة؟

قلتُ: لا أدري، لكنّه معاصرٌ لنا، وقد علمتُ أنّه لا يزال حيًّا.

فقال لي حينئذٍ: دعْكَ من المعاصرين.

وكانت هذه أوّل مرّةٍ أسمعه يتكلّم عن الألبانيّ، ثمّ توالى السّيل» اهـ.

وحدّثني شيخنا أنّه ظلّ منذ هذا الوقت ما يقرب من عشر سنواتٍ لا يقبل أيّ كلامٍ من أحدٍ في الشّيخ الألبانيّ، وهذه طبيعة الإحسان، ولكن كلّ هذا كان سببه أنّ المرء لا يرى إلّا بعينٍ واحدةٍ!!

* تاسعًا: بداية قصّة الشّيخ مع شّيخه الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بدأت قصّة الشّيخ مع الشّيخ الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ بكتاب: «صفة صلاة النّبيّ ﷺ من التّكبير إلى التّسليم كأنّك تراها» كما قدّمنا ذكره، وكذا غيره من مؤلّفات الشّيخ الألبانيّ، وبدأ حلم اللّقاء بذلك العلّامة الكبير يراود الشّيخ الحوينيّ، وقد حدّثنا شيخنا في يوم السّبت الثّاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرين من الهجرة (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)، الموافق الثّاني من شهر أكتوبر لعام ألفٍ وتسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين (٢/ ١٠/ ١٩٩٩م) وكتبه في مقدّمة كتابة «تنبيه الهاجد»، كما أشرت قبل ذلك، فقال: «...ثمّ جاء الشّيخ الألبانيّ إلى مصر في حدود سنة (١٣٩٦هـ) أو بعدها بقليلٍ، وألقى محاضرةً في المركز العامّ لجماعة أنصار السّنّة في عابدين، وكانت محاضرته عن تخصيص السّنّة لعامّ القرآن، وتقييدها لمطلقه، وذكر من أمثلة ذلك الذّهب المحلّق.

ولم يكن عندي علمٌ بمحاضرة الشّيخ، ولا وجوده، فرحل ولم أره، وكانت إحدى أمانيّ الكبار أن ألتقي به، ولم يتحقّق لي ذلك إلّا بعد زمانٍ طويلٍ، وذلك في أوّل المحرّم سنة (١٤٠٧هـ)، وكان قد طُبع لي بعض الكتب منها: «فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب»، وكنت في هذه الفترة أتتبّع كلّ أخبار الشّيخ، فكانت تصلني أخبارٌ عن شدّته على الطّلبة، وقسوته عليهم، واعتذاره عن التّدريس بسبب ضيق الوقت، وإرهاق الدّولة له، فكدت أفقد الأمل، حتّى قيّض الله لي أن ألتقي بصهر الشّيخ -الأخ نظام سكجّها- في فندقٍ بحيّ الحسين بالقاهرة، فسألته عن الشّيخ وإمكان التّتلمذ عليه، فأخبرني أنّ ذلك متعذرٌ، ولكن تعال وجرب!

فكان من خبري أن سطّرتُ رسالةً للشّيخ قلت له فيها: إنّني علمتُ أنّكم تطردون الطّلبة عن بابكم، ولديّ أكثر من مئتي سؤالٍ في علل الأحاديث ومعانيها، ولا أقنع إلّا بجوابكم دون غيركم، فسأجمع همّتي وأسافر إليكم، فلا تطردونا عن بابكم، أو كلامًا نحو هذا. اهـ.

وهنا وقفةٌ؛ نذكر فيها نصّ رسالة شيخنا الحوينيّ -حفظه الله- للإمام الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم نعود لما سطّره شيخنا في مقدّمة كتابة تنبيه الهاجد» عن لقائه بالإمام الألبانيّ، قال شيخنا: «بسم الله الرّحمن الرّحيم... القاهرة، في ٩/ ٤/ ١٤٠٦هـ، أمّا بعد: إلى شيخنا، وأستاذنا، وقدوتنا، حافظ الوقت الشيخ ناصر الدّين الألبانيّ -حفظه الله تعالى- وأمتع المسلمين بطول حياته... فإذ أحمد -إليكم- الله الّذي لا إله إلّا هو، وأرجو أن يحفظ الله عليك دينك، وإيمانك، وعافيتك، إنّه سبحانه وليّ ذلك، والقادر عليه، أمّا بعد، فقد زارني اليوم -مشكورًا- أخي الحبيب/ نظام؛ في منزلي، ووددت أن أرسل معه -إليكم- الجزء الأوّل من تخريجي على «منتقى ابن الجارود» حتّى تنظروا فيه، وتحكموا على مادّته العلميّة، وهل هو صالحٌ للنّشر، أم الأخرى؟؟ وقد وصلني -والحمد لله تعالى- رأيكم في «بذل الإحسان»، وكم سعدتُ به، ولو أنّي أقسمتُ بالله بين الرّكن والمقام أنّه كان أحبّ إليّ من حمر النّعم، أرجو أن لا أكون حنثتُ إن شاء الله تعالى، وقد علم الله ﷻ أنّ ما فيه من علمٍ -إن كان فيه- فسببه أنتم، ولا ذكر لمثلى البتّة، وأنا أتبجّح بهذا وأفتخر... وإذا ارتأيت رأيًا حاولت أن أجتهد ولا آلو ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا، وكما تعلّمنا منكم أنّ المقلّد كالدّابة العجماء، ولكن كلّ ذلك في إطار القواعد الّتي حدّها العلماء، مع الاحترام التّام لهم، وذكرهم بالجميل -رحمهم الله تعالى- ومعذرةً شيخنا على هذه المقدّمة الطّويلة، ولكن وددت أن أذكر طريقتي في العلم لأسترشد بنصحكم لي، فإنّنا في مصر -ولله الأمر من قبل ومن بعد- لا يكاد المرء منّا يجد أحدًا يفهمه في الحديث شيئًا فيستفيد منه، ولهذا أحببت أن أرحل إليكم -وسأبذل الوسع وفوق الوسع- إن شاء الله تعالى لذلك، ولكن أحببت أن أعرف مدى قبولكم لذلك؛ لأنّني سمعتُ أنكم تطردون كثيرًا ممّن يأتون إليكم... وسبب رحلتي أنّه قد تجمّع لديّ أكثر من مائتي سؤالٍ في علل الأحاديث المشكلة، وكنت جمعتها أثناء الدّرس والمطالعة، ولا كاشف لها -من أهل الأرض- سواكم إن شاء الله تعالى... وأمرٌ آخر: وهو أنّ رئيس تحرير إحدى الصّحف الإسلاميّة السّيّارة طلب منّي أن أكتب له مقالاتٍ في الأحاديث الضّعيفة والموضوعة حتّى

يبعث يقظةً في صفوف المسلمين، ولكن بشرط الاختصار الشّديد، والّذي عكسه مظنّة الملالة، فأجبته إلى ذلك، وأعطيته مقالاتٍ قديمةً كنت جمعتها، واشترطتُ فيها أن لا أذكر حديثًا حقّقتموه في الأجزاء الّتي نُشرت من الضّعيفة، وقد أرسلت إليكم بعض المقالات منها لتنظروا فيها، وهل لكم من توصيّاتٍ، والله أسأل أن تحوز رضاكم، وأن يجعلنا الله ﷻ سببًا في نشر السّنّة خلفًا لكم -بعد عمرٍ مديدٍ وعملٍ سديدٍ- والله ﷻ يكافئكم، ويعظّم أجركم، وسيرسل لي الأخ/ نظام كتابًا يخبرني فيه برأيكم في «الجزء الأوّل من تخريج المنتقى»، وكذلك في الرّحلة إليكم، وإنّي إلى ذلك الكتاب بالأشواق، وجزاكم الله خيرًا أن صبرتم على قراءة هذا الكتاب، والحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وكتبه تلميذكم: راجي عفو ربّه الغفور، أبو إسحاق الحوينيّ، عامله الله بلطفه الخفيّ» اهـ.

هذه كانت رسالة شيخنا الحوينيّ لشيخه الألبانيّ، رسالةٌ تقطر أدبًا وحبًّا للشّيخ الألبانيّ، وحرصًا وهمّةً عاليةً في طلب علم الحديث.

ثمّ كانت الرّحلة المباركة للشّيخ الألبانيّ والّتي ذهب فيها شيخنا الحوينيّ محبًّا للحديث، وعاد منها محبًّا للسّنّة، كما حدّثنا بذلك مرارًا، ودعونا نقرأ الآن ما كتبه شيخنا عن هذه الرّحلة ولقائه بمن كان سببًا في الخير الّذي وصل إليه الشّيخ بعد توفيق الله تعالى له، حيث قال في مقدّمة كتابة «تنبيه الهاجد»: «وأخبرني الأخ نظامٌ بعد ذلك أنّ الشّيخ تألّم لمّا قرأ حكاية «الطّرد» هذه، وسافرت إلى الشّيخ في أوّل المحرّم سنة (١٤٠٧هـ)، واستخرجت تصريح العمل الّذي يخوّل لي السّفر بأعجوبةٍ عجيبةٍ، وأمضيت ثلاثة أيّامٍ في الطّريق كان هواني فيها شديدًا، ومع ذلك لم أكترث له؛ لما كان يحدوني من الأمل الكبير في لقاء الشّيخ.

ولمّا نزلت عمّان، استقبلني الأخ الكريم أبو الفداء سمير الزّهيريّ -جزاه الله خيرًا-؛ إذ أعانني في غربتي، وآواني في داره، وبعد الوصول بقليلٍ، كلّمنا الشّيخ بالهاتف، فرحّب بي غاية التّرحيب، وقال لي: حللتَ أهلًا ونزلتَ سهلًا، ولم أصدّق أذنيّ! فأنا ذاهبٌ إليه، وقد هيّأت نفسي تمامًا على الرّضا بالطّرد إذا فعل الشّيخ ذلك.

وقد بدأني بالسّلام، فرددتُ عليه السّلام بمثل ما قال، فقال لي: ما أحسنتَ الرّدّ! فقلت: لم يا شيخنا؟

فقال لي: اجعل هذا بحثًا بيني وبينك إذا التقينا غدًا!

وظللت ليلتي أفكّر في هذا الأمر، تُرى ما وجه إساءتي الرّدّ؟ حتّى خمّنت أنّ الرّادّ ينبغي له أن يزيد شيئًا في رده؛ نحو: «وعفوه، ورضوانه»، ولم أكن وقفت على الحديث الّذي قوّى الشّيخ فيه زيادة «ومغفرته» في الرّد.

وكان الشّيخ يصلّي الغداة في «مسجد الفالوجة»، بجوار منزل أبي الفداء، ولم أذق طعم النّوم ليلتي بسبب تأمّلي المسألة الّتي طرحها الشّيخ، ولم تكتحل عيني بنومٍ إلّا قبيل الفجر، وراح عليّ بسبب ذلك لقاء الفجر مع الشّيخ، وكلّمناه في الصّباح، فأعطانا موعدًا عقب صلاة العشاء في منزل أبي الفداء.

وكان لقاءً حارًّا، بدأني الشّيخ بالعناق؛ لأنّني لا يمكن أن أبدأه بذلك هيبةً له، وكان معنا في هذا اللّقاء الأخ الفاضل أبو الحارث عليّ الحلبيّ -حفظه الله-، وجلسنا نحو ساعةٍ ونصف السّاعة نسأل، والشّيخ يجيب، فلمّا تصرّمت الجلسة، وخرجنا من الدّار، انتحيت بالشّيخ جانبًا، وشرحتُ له باختصارٍ ما كابدته في السّفر إليه، ولم يخرجنيمن بلدي إلاّ طلبُ العلم، فلو أذن لي الشّيخ أن أخدمه وأساعده لأتمكّن من ملازمته، فشكرني واعتذر لي؛ نظرًا لضيق وقته، فقلت له: أعطني ساعةً كلّ يومٍ أسألك فيها، فاعتذر، فقلت له: أعطني ما يسمح به وقتك ولو كان قصيرًا، فاعتذر!

فأحسستُ برغبةٍ حارّةٍ في البكاء، وتمالكتُ نفسي بعناءٍ بالغٍ، وأطرقتُ قليلًا، ثمّ قلتُ للشّيخ: قد علم الله أنّه لم يكن لي مأربٌ قطّ إلاّ لقاؤكم، والاستفادة منكم، فإن كنت أخلصتُ نيّتي؛ فسيفتح الله لي، وإن كانت الأخرى، فحسبي عقابٌ عاجلٌ أن أرجع إلى بلدي بخفّي حنينٍ! وأنا سأدعو الله أن يفتح قلبك لي! ولست أنسى هذا الموقف ما حييتُ.

ثمّ التقيتُ الشّيخ في صلاة الغداة من اليوم التّالي، فقبّلت يده -وهذا دأبي معه-، فقال لي: لعلّ الله استجاب دعاءك! وكان فاتحة الخير، وكنت أكاد أوقن أنّ الله سيستجيب لي، وأنّ الشّيخ سيقبلني عنده، لا سيّما بعد أن قابلت الأستاذ أحمد عطيّة -وكان من معظّمي الشّيخ قبل-، فاستضافني في داره وقال لي: لمّا طُبع كتابك «فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب»، اشتريتُ منه نسخةً، وقرأته، فأعجبني أنّه على طريقة الشّيخ، وكان الشّيخ يقول: ليس لي تلاميذُ -يعنى على طريقته في التّخريج والنّقد- قال: فأرسلت هذا الكتاب إلى الشّيخ، وقلت له: وجدنا لك تلميذًا، وراجعت الشّيخ بعد ثلاثة أيامٍ، فقال: نعم.

قلت: لمّا قصّ عليّ الأستاذ أحمد عطيّة هذه الحكاية ضاعف من أملي أن يقبلني الشّيخ عنده.

ووالله! لقد عاينت من لطف الشّيخ بي وتواضعه معي شيئًا عظيمًا، حتّى إنّه قال لي يومًا: صحّ لك ما لم يصحّ لغيرك، فحمدتُ الله ﷻ على جسيم منّته، وبالغ فضله ونعمته.

فمن ذلك أنّني كلّما التقيت به قبّلت يده، فكان ينزعها بشدّةٍ، ويأبى عليّ، فلمّا أكثر؛ قلت له: قد تلقّينا منكم في بعض أبحاثكم في «الصّحيحة» أنّ تقبيل يد العالم جائزٌ.

فقال لي: هل رأيتَ بعينيك عالمًا قطّ؟

قلت: نعم، أرى الآن.

فقال: إنّما أنا «طويلب علمٍ»، إنّما مثلي ومثلكم كقول القائل: إنّ البغاث بأرضنا يستنسر!

وبدأت جلساتي مع الشّيخ بعد كلّ صلاة غداةٍ في سيّارته، ولمدّة ساعةٍ، ثمّ زادت المدّة حتّى وصلت إلى ثلاث ساعاتٍ.

واستمرّ هذا الأمر، حتّى جاء يومٌ ولم يُصلِّ الشّيخ معنا صلاة الغداة، فحزنتُ لذلك لضياع هذا اليوم عليّ بلا استفادةٍ، واستشرتُ من أثق برأيه من إخواني: هل أذهب إلى الشّيخ في بيته أم لا؟

فكان إجماعهم ألّا أذهب؛ لأنّك لا تعلم ما ينتظرك هناك، ولا يذهب أحدٌ إلى الشّيخ في بيته إلّا بموعدٍ سابقٍ، فلربّما ردّك، فلا يكون بك لائقًا، لا سيّما بعد المكانة الّتي صارت لك عند الشّيخ.

وتهيّبتُ الذّهاب، ولكن قوّى من عزمي أمران:

الأوّل: أنّ رفيقي آنذاك والّذي كان يصحبني بسيّارته الأخ الفاضل الباذل أبو حمزة القيسيّ -جزاه الله خيرًا- قد أيّدني في الذّهاب.

الثّاني: أنّني استحضرتُ قصّةً لابن حبّان مع شيخه ابن خزيمة ذكرها ياقوت بسنده إلى أبي حامدٍ أحمد بن محمّد بن سعيدٍ النّيسابوريّ؛ قال: كنّا مع أبي بكرٍ محمّد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطّريق من نيسابور، وكان معنا أبو حاتمٍ البُستيّ، وكان يسأله ويؤذيه، فقال له محمّد بن إسحاق بن خزيمة: يا بارد! تنحّ عنّي ولا تؤذني! أو كلمةٌ نحوها، فكتب أبو حاتمٍ مقالته، فقيل له: تكتب هذا؟ قال: أكتب كلّ شيءٍ يقوله الشّيخ.

فقلت في نفسي: وما لي لا أفعل مثلما فعل ابن حبّان؟! وحتّى لو قال لي الشّيخ مقالة ابن خزيمة؛ لعددتها من فوائد ذلك اليوم.

وانطلقنا إليه، وكان من أفضل أيّامي الّتي أمضيتها في هذه الرّحلة، فقد استقبلني الشّيخ استقبالًا كريمًا، وأمضيتُ معه أكثر من ساعتين، وكان يخدمنا بنفسه، ويأتينا بالطّعام يضعه أمامنا، فكلّما هممتُ أن أساعده؛ أبى عليّ، ويشير أن اجلِسْ، ويقول: الامتثال هو الأدب، بل خيرٌ من الأدب.

ويعني به أنّ الامتثال لرغبته في الجلوس خيرٌ من سلوكي الّذي أظنّه أدبًا؛ لأنّ طاعتي له هي الأدب، وكان يومًا حافلًا، قصّ عليّ الشّيخ فيه ما جرى بينه، وبين الشّيخ محمّد نسيب الرّفاعيّ -حفظه الله-.

ولا يفوتني أن أقول: كنت قابلت الشّيخ نسيبًا الرّفاعيّ بصحبة الأستاذ أحمد عطيّة -المتقدّم ذكره- في بيته بحي الهاشميّ في عمّان البلقاء، ولقلّما رأت عيناي مثله في

تواضعه وأدبه وحسن خلقه، وكان معظم كلامه عن الشّيخ الألبانيّ، وبرغم تقاربهما في السّن، فإنه كان يبالغ في تعظيم الشّيخ، وقال لي: أنا مدينٌ بالفضل لرجلين: الأوّل: ابن تيميّة، والثّاني: الألبانيّ.

وقال لي: لقد تآزرنا في نشر الدّعوة السّلفيّة في سوريّا، وكان الشّيخ يزورنا في حلبٍ، فدخلتْ عليّ ابنتي «عائشة»، وكانت صغيرةً، فقال لي الشّيخ: لو كانت كبيرةً لتزوّجتها وكنتَ منّي بمنزلة أبي بكرٍ من محمّدٍ ﷺ، فانظر ما كان بيني وبينه من الآصرة.

وقرأ علينا أبو غزوان مقدّمته لكتابه: «التّوصلّ إلى حقيقة التّوسّل»، وقصّ عليّ أشياء ذكرتها في «طليعة الثّمر الدّاني في الذّب عن الألبانيّ».

وهو القسم الخاصّ بترجمة الشّيخ الألبانيّ حفظه الله تعالى.

وقد أمضيت نحو شهرٍ في هذه الرّحلة، ولمّا علم الشّيخ بموعد سفري دعاني على الغداء عنده في يوم الرّحيل، وسألني عن حال السّلفيين في مصر، وسألته عن الطّريقة المثلى لنشر الدّعوة، وكيف نواجه المخالفين لنا، وكان يومًا حافلًا أمضيته مع «عميد السّلفيين» في العالم الإسلاميّ، حفظه الله وبارك في عمره. اهـ.

ومن المواقف التّربويّة أيضًا والّتي لا ينساها الشّيخ في هذه الرّحلة:

حدّثنا شيخنا فقال: وقد كنت أصحبه في زياراته، فكان يقدّمني لعلمه بأنّني غريبٌ، وكان يواسيني، ومرّةً دعاه جماعةٌ من الأثرياء في منطقة جبل عمّان، وهذه المنطقة يسكن فيها علية القوم من الأثرياء، فقلت له: يا شيخنا! هل يمكن أن أصحبك؟ قال: نعم، انتظرني تحت الجسر الفلانيّ في السّاعة الفلانيّة، وكان دقيقًا في مواعيده، فجاء وكان معه زوجته أمّ الفضل في الكرسيّ الخلفيّ، فجلست بجانبه وشعرت بالحرج لأنّني أركب معه وامرأته في السّيّارة، فلاحظَ الشّيخ ذلك، فجعلَ يُسرّي ذلك عنّي، ويسألني عن حياتي الشّخصيّة، مثلاً: هل تزوّجتَ؟ هل عندك سيّارة؟ ما هي ماركة السّيّارة، وما لونها؟ وكيف تعلّمت القيادة؟ وفي كم يومٍ تعلّمتها؟ وكيف تأكل؟ وكيف تشرب؟ ومن أين تكسب قوتك؟...

لا أحدَ يتصوّر كيف كان وقعُ هذا الكلام، وما له من الأثر عليّ... وقال لي: كم عندك من الولد؟ -وكنتُ قد رُزقتُ بابنتي الأولي قبل سفري بيومين- فقلت له: رُزقتُ ابنةً، قال: ما اسمها؟ قلتُ: سلمى، قال: سلّمها الله، فاستبشرتُ بيني وبين نفسي لعلّ دعوة الشّيخ تدركها... فهذه المحاورة الّتي جرت بيني وبين الشّيخ كنت أحسّ فيها بالدّهشة، فالأصل أنّك إذا رأيت الرّجل مندهشًا مستغربًا، ولكلّ غريبٍ دهشةٌ؛ أن تسكّن من روعه، وهذا ما فعله معي الشّيخ، وظلّ يسألني حتّى وصلنا إلى الباب، فقال لي: أنا أعلم حرصك على السّؤال، ولكن أنا وأنت ضيوفٌ، وليس من الأدب أن تنتزع الوقت لنفسك من صاحب البيت، ولكن إذا انتهى من الأسئلة فلا بأس أن تسأل حينئذٍ؛ فهو يعلم أنّني جئت من بلدي وأنا حريصٌ على طلب العلم، فيرشدني كيف أستثمر الوقت، وبالفعل لم يسأل صاحب البيت غير سؤالٍ واحدٍ؛ لأنّ صاحب البيت كان يريد أن يحظى ببركة دخول الشّيخ عنده، وزيارة الشّيخ لبيته، وكان هذا اليوم من أنفع وأمتع الأيّام الّتي قضيتها في رحلتي لشيخنا الألبانيّ.

اللّقاء الثّاني مع الإمام والألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان اللّقاء الثّاني بين الشّيخ الحوينيّ والإمام الألبانيّ في عام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرةٍ من الهجرة (١٤١٠هـ)، في موسم الحجّ، وكانت الحجّة الأولى للشّيخ الحويني، والأخيرة للشّيخ الألبانيّ فيما يعلم الشّيخ الحوينيّ، وكانت رحلةً مباركةً استمرّت ما يقرب من أسبوعين، سجّل الشّيخ فيها مسائل عديدةً مع الإمام الألبانيّ، وقرأ عليه الكثير من الأسئلة، وقد نُشرتْ وانتفع بها كثيرًا، والحمد لله.

ومن المواقف الّتي لا تُنسى في هذه الرّحلة، أنّ الشّيخ الحوينيّ أثناء الطّواف بالكعبة ترخّص وصعد إلى الطّابق الثّاني لاستكمال الطّواف بسبب الزّحام والتّدافع الشّديد في هذا الوقت، وعندما ذهب إلي مخيّم الإمام الألبانيّ بعد أداء النّسك، وجد كدماتٍ في يده، فسأله عنها، فبيّن له أنّ هذا كان في أثناء الطّواف، فسأله الشّيخ لماذا لم تأخذ بالرّخصة

وتصعد إلى الطّابق الثّاني، فأجاب الإمام أنّ الطّواف في صحن الكعبة والقرب منها أدعى للعبرة، فلمّا سمع الشّيخ هذا الجواب من شيخه أدركه الحياء والخجل لأجل ما بينهما من التّفاوت الكبير في السّنّ، وعلى الرّغم من ذلك لم يترخّص الإمام، فكانت هذه من الفوائد الّتي لا تنسى في هذه الرّحلة بالنّسبة للشّيخ.

ومن الفوائد العلميّة التّربويّة في هذه الرّحلة، قال الشّيخ: في عام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرةٍ من الهجرة كنت أقرأ على الشّيخ الألبانيّ الأسئلة ونحن في المخيّم بمنًى، فسأل رجلٌ عن قطع الشّجر والحشيش في مكّة، وذكر الحديث: «عن النّبيّ ﷺ قال: حرّم اللّه مكّة فلم تحلّ لأحدٍ قبلي ولا لأحدٍ بعدي، أُحِلَّت لي ساعةً من نهارٍ، لا يختلى خلاها، ولا يُعْضَدُ شَجرُها، ولا يُنفَّرُ صَيدُها، ولا تُلتقطُ لُقطتُها إلّا لمعرّفٍ، فقال العبّاس رضي الله عنه: إلّا الإذخر لصاغتنا وقبورنا، فقال: إلّا الإذخر»، فجئت على لفظة: «ولا يُعْضَدُ شَجرُها»، فقرأتُها: «ولا يُعَضَّدُ شَجرُها»، بفتح العين وتشديد الضّاد، وكان المخيّم فيه ما يقرب من ثمانمائة فردٍ تقريبًا، وكثيرٌ منهم من طلبة العلم، فصوّب لي الشّيخ اللّفظة الّتي صحّفتها، فشعرتُ بخجلٍ بالغٍ، واستعظمتُ هذا الأمر، ولا زلت إذا ذكرته شعرتُ بمعرّة التّصحيف، وأقبلتُ على كتب التّصحيف! ولعلّ من أسباب ذلك التّصحيف الّذي وقعت فيه هو قلّة الشّيوخ في هذا الوقت، وهذا الموقف علّمني أهميّة الشّيخ في حياة التّلميذ.

وفائدةٌ تربويّة أخرى في هذه الرّحلة، ذكرها الشّيخ فقال: أذكر ونحن خارجون من جُدّة متوجّهون إلى مكّة، كنّا في سيّارةٍ، والشّيخ الألبانيّ جالسٌ في الأمام بجوار السّائق، وأنا وابن الشّيخ، وأبو ليلي الأثريّ في الكرسيّ الخلفيّ، فسأل السّائق الشّيخ الألبانيّ سؤالًا، وقال له: السّاعة الّتي ألبسها هذه! هل هي حرامٌ؟! فقال له الشّيخ الألبانيّ متعجّبًا: لماذا؟! قال له السّائق كلّها مصنوعةٌ من الحديد، إذًا هي حرامٌ!! والنّبيّ ﷺ «نهى عن لبس خاتم الحديد»، فاستنكرت صنيع السّائق؛ إذ كيف به يسأل الشّيخ الألبانيّ، ويجيب في نفس الوقت، وهذا ليس من الأدب!! فأجابه الشّيخ الألبانيّ بقوله: لقد أخذتم أماكننا، وأخذنا أماكنكم، فلم يفهم السّائق المراد من ردّ الشّيخ الألبانيّ، فأردتُ أن أُفهم السّائق

مراد الشّيخ، فقاطعني الشّيخ، وقال لي: دعه، فلمّا نزلنا من السّيارة سألت الشّيخ: لماذا أمرتني أن أسكت وأدع السّائق؟ فقال الشّيخ الألبانيّ: ما دام لم يفهم جوابي، فلا حاجة لإيضاحك له، أو قال كلامًا نحو ذلك.

وهناك حكايات أخرى تجدها في أصل التّرجمة المطوّلة بإذن الله، وعند شيخنا أبي إسحاق حكاياتٌ بينه وبين الإمام الألبانيّ فيها العديد من الفوائد والعبر؛ لأنّه ذهب إليه وسجّل بقلبه وعقله كلّ شيءٍ رآه وكأنّما نُقش على قلبه ونُحت في ذاكرته، **فكانت عين الشّيخ في لقائه بالألبانيّ كالكاميرا المسجّلة، كما وصف هو -حفظه الله-**.

إهداء الكتب بين الشّيخين الحوينيّ والألبانيّ رَحِمَهُ اللهُ:

ومن الكلمات الّتي تبيّن قدر الإمام الألبانيّ عند تلميذه أبي إسحاق الحوينيّ ما ذكره شيخنا في إهدائه لكتاب «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود»، حيث قال: «الإهداء: إلى شيخنا، وأستاذنا، وقدوتنا، حافظ الوقت، ونادرة العصر، ناصر الدّين الألبانيّ، الّذي لو حلفتُ بين الرّكن والمقام أنّي ما رأيتُ مثله، ولا رأى هو مثل نفسه -أرجو أن لا أكون حنثتُ، إلى شيخنا المفضال: أُهدي هذا الكتاب، وكتبه: أبو إسحاق الحوينيّ» اهـ.

وفي عمّان في رحلة الشّيخ الحوينيّ الأولى للإمام الألبانيّ، دار كلامٌ بينهما عن فهرس المكتبة الظّاهريّة، وذكر الحوينيّ للألبانيّ قصّته مع الورقة الضّائعة الّتي أخذ يبحث عنها في المكتبة الظّاهريّة، فقال له الألبانيّ: أنا ذكرتها في مقدّمة فهرس المكتبة الظّاهريّة، فقال له الحوينيّ: هي ليست عندي وما رأيتها قطّ، فقال الألبانيّ: أنا عندي نسختان من هذه الفهارس، وأنت أحقّ النّاس بالنّسخة الأخرى، وأتى بها الألبانيّ وكتب إهداءً لتلميذه الحوينيّ قال فيه: إلى أخي في الله... ذكرى التّلاقي على حديثه ﷺ، قال الحوينيّ: هذا الإهداء لازال مطبوعًا على قلبي قبل الورق الّذي كتب الشّيخ عليه!

وهكذا يظهر لنا كيف كانت العلاقة بين الشّيخ الحوينيّ، والشّيخ الألبانيّ رَحِمَهُ اللهُ،

والّذي قد أثنى على الشّيخ في مواضع متفرّقةٍ من كتبه، وسيأتي ذكر طرفٍ من ذلك في كلامنا عن شيوخ شيخنا الحوينيّ -حفظه الله-.

وصف الشّيخ الحوينّي للإمام الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدّثنا شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ في يوم السّبت الثّاني والعشرين من شهر جمادي الآخرة لعام ألف وأربعمائةٍ وعشرين من الهجرة (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)، الموافق الثّاني من شهر أكتوبر لعام ألفٍ وتسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين (٢/ ١٠/ ١٩٩٩م)، عن وصف الشّيخ الألبانيّ فقال: «كان رجلًا مضيء الوجه، على وجهه نضرة الحديث، قويّ الجسد، منتصب القامة، فيه قوّةٌ وفتوّةٌ، أبيض مشربٌ بحمرةٍ، خفيف اللّحية، عيناه زرقاويّتان، وكان إذا مشى؛ يمشي مشية شابٍّ فتيٍّ، أحسستُ عندما رأيته كأنّني أرى رجلًا من القرن الثّالث الهجريّ».

وصف الشّيخ الحوينّي للإمام الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب المناظرة مع خصومه:

حدّثنا شيخنا الحوينيّ أنّه لم يرَ في أهل العلم المعاصرين مثل الشّيخ الألبانيّ في باب المناظرة، ومحاصرة الخصوم! وهناك أساتذةٌ في الجامعة يُدرّسون الحديث ويستعملون كتب الشّيخ الألبانيّ، ولا يحبّونه!!

من كلمات الشّيخ الحوينيّ عن الإمام الألبانيّ بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفيّ الشّيخ الألبانيّ يوم السّبت في الثّاني والعشرين من جمادى الآخرة لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرين من الهجرة (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ)، الموافق الثّاني من أكتوبر لعام ألفٍ وتسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين (٢/ ١٠/ ١٩٩٩م)، في مدينة عمّان عاصمة دولة الأردن في حيّ ماركا الجنوبيّة، ودفن في نفس اليوم بعد صلاة العشاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لمّا بلغ شيخنا الحوينيّ خبرُ وفاة الشّيخ الألبانيّ ذكر عبارةً تحمل معنى اليتم، وكأنّ أباه قد مات، واعتذر يومها عن درسه في مسجد شيخ الإسلام ابن تيميّة بمدينته كفر الشّيخ، وكتب لي شيخنا وقال: واعتذرتُ عن الدّرس يومها لانصداع قلبي لمّا بلغني الخبر.

وسطّر شيخنا الحوينيّ تاريخ وفاة الإمام الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخطّ يده على نسخته الخاصّة من المجلّد الأوّل في «السّلسلة الصّحيحة» للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: توفّي شيخنا الألبانيّ -رحمه الله تعالى- اليوم؛ يوم السّبت ٢٢ جمادي الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢/ ١٠/ ١٩٩٩م، في حدود السّاعة الخامسة مساءً، قبيل صلاة المغرب بساعةٍ إلّا الرّبع، بتوقيت القاهرة، وأخبرني بذلك أخونا إبراهيم اليعربيّ من أبو ظبي، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. اهـ.

وقال شيخنا في تأبينه للشّيخ الألبانيّ: الكلام عن رثاء الشّيخ الألبانيّ عزيزٌ جدًّا على نفسي أن أُؤَبِّنَه وأن أتكلّم عن وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولو كانت الأعمار تُوهَبُ لوهبنا للشّيخ من أعمارنا؛ لبركته، ولا نكون كما كان يفعل بعض الطّلبة الّذين شكاهم الذّهبيّ في بعض كلامه، وقال:

إذا قرأ الحديثَ عليّ شخصٌ ... وأخلى موضعًا لوفاةِ مثلي
فما جازى بإحسانٍ لأنّي ... أُريدُ حياته ويريدُ قتلي

فلسنا بحمد الله من هؤلاء الطّلبة الّذين ينتظرون وفاة الشّيوخ ليدوّنوا وفاتهم، ولو كانت الأعمار تُوهَبُ لوهبنا له من أعمارنا، وقد اندكّ موقعٌ حصينٌ جدًّا بموته، وهذا يجعل الحمل ثقيلًا على أهل العلم وعلى طلبته لا سيّما بعدما خلا مكانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال شيخنا أيضًا: الشّيخ الألبانيّ ما كان يقف موقف المدافع بل كان يدكّ حصون الخصوم، وهو الّذي كان يرسل القذائف على مدى ستّين عامًا، وَهَبَ نفسه للسّنّة، وفعل وحده ما لم تفعله كتيبةٌ من العلماء.

وقال عنه أيضًا: الشّيخ الألبانيّ محدّثٌ فقيهٌ.

رؤيا الشّيخ الحوينيّ للإمام الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر شيخنا الحوينيّ على استحياء شديدٍ رؤيا رؤيت له من أحد الإخوة، وكان لها بالغ الأثر على تحصيل الشّيخ للعلم، لا سيّما وكان قد أصابه فتورٌ قبل هذه الرّؤيا بنحو ستّة أشهرٍ شعر فيها أنّه ليس بذاك المجدّ الباحث عن العلم كما عهد من نفسه قبل

ذلك، فجاءت هذه الرّؤيا كطوق نجاةٍ له، فقد أخبر الشّيخ أنّ أحد الإخوة الّذين يُظنّ بهم الصّلاح رأى رؤيا قبل أن يموت الشّيخ الألبانيّ بأسبوعٍ واحدٍ، وكان هذا الرّائي مسجونًا آنذاك، وقصّها بعد خروجه من السّجن، فذكر أنّ الشّيخ الألبانيّ كان مع الشّيخ الحوينيّ، وقد خلع الشّيخ الألبانيّ لحيته وأعطاها للشّيخ الحوينيّ، وعُبّرت الرّؤيا للشّيخ من أحد إخوانه لمّا سأله عنها، قال: هي السّنّة.

وقال شيخنا الحوينيّ أيضًا: وبعد وفاة الشّيخ الألبانيّ بيومين؛ رأيتُ رؤيا، رأيتُ الشّيخ الألبانيّ موضوعًا في نعشه، وهم آخذوه إلى المقابر، فاستوقفتهم، وناديتُ على الشّيخ فخرج من نعشه بالكفن، فقلتُ له: قبل أن تذهب تعال معي وحاضر في مسجد العزيز بالله -وفي ذلك الوقت كنت أُدرّس «صحيح البخاريّ» في مسجد العزيز بالله- فجاء معي الشّيخُ، ثمّ انقطعت الرّؤيا.

* ويأتي المزيد في أصل الكتاب بإذن الله، أسأل الله تبارك وتعالى الإخلاص والتّوفيق والسّداد.

*** عاشرًا: جهود الشّيخ في الدّعوة، ونشر العلم، لا سيّما بعد رحلته للألبانيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذهب الشّيخ للإمام الألبانيّ محبًّا للحديث وعاد محبًّا للسّنّة، مقبلًا على العلم، نشيطًا في الدّعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فأصبح العلم والدّعوة بالنّسبة له كأنّها الدّماء الّتي تجري في شرايينه.

وقدّمنا أنّ بداية الشّيخ الحقيقيّة كانت في بلدته حوين، وكان يعقد بعض المجالس لشباب القرية، وربّما خطب أحيانًا، وكان يحاول جاهدًا أن يقيم السّنّة في قريته، وازداد عزمه على ذلك لمّا أبصر طريق العلم على وجهه وحقيقته، وقد بذل الكثير من الجهد إلّا أنّه خلا في بعض الأحايين من «فقه الدّعوة» أو إن جاز التّعبير «فنّ الدّعوة»، فكان الشّيخ لو بلغه أمرٌ من السّنّة بادر إليه وألزم نفسه به على الوجوب، وكذا يدعو النّاس إليه على وجوبه أيضًا!! وقد تبيّن له خطأ ذلك لمّا درس أصول الفقه علم أنّ الأحكام تدور بين: الواجب،

والحرام، والمباح، والمندوب، والمكروه، وبسبب عدم العلم في بداية الطّريق بهذه الأصول مفصّلةً كان يقع أحيانًا في خلافٍ حول بعض المسائل الّتي يتّسع فيها الخلاف، ومثال ذلك:

أنّه اتّفق مع مجموعةٍ من صبيان القرية الّذين يواظبون معه على التّبكير لصلاة الجماعة، أن يؤخّروا إقامة صلاة المغرب ليتمكّنوا من صلاة السّنّة بعد الأذان، وكان الشّيخ يعتقد في هذا الوقت وجوب ذلك الأمر، والنّاس يتنازعون معنا، ويتضجّرون منّا، وأخذوا يسبُّوننا ما يقرب من سنةٍ!! ونحن نعتقد أنّنا في جهادٍ في سبيل الله بالإصرار والثّبات على إقامة هذه السّنّة، وتغمرنا سعادةٌ بالغةٌ بإصرارنا على هذا الأمر، ثمّ فتح الله لنا من أبواب الخير في العلم الشّرعيّ، وقفت علي شرح حديث عبد اللّه المزنيّ، عن النّبيّ ﷺ قال: «صلّوا قبل صلاة المغرب»، قال في الثّالثة: «لمن شاء»؛ كراهيةَ أن يتّخذها النّاس سنّةً، فعلمتُ أنّ هناك قرينةً صرفت أمر الوجوب إلى الاستحباب، وهي قوله ﷺ: «لمن شاء».

وبدأ الشّيخ في الدّعوة يبحث عن شيءٍ يفتح له طريقًا مع النّاس، لتعويض ما فات من صراعٍ وخلافٍ على بعض المسائل، وكأنّهم جاءوا بدينٍ جديدٍ!! فوجد الحلّ في زجاجة عطرٍ يعطّر بها النّاس بعد إقامة الصّلاة، وكلٌّ منهم ينتظر دوره للحصول على هذا الطّيب الفوّاح من عطر الورد، ومن هنا بدأ الشّيخ يسكّن ما بداخلهم من تحفّزٍ للخلاف إلى حدّ كبيرٍ، وإن كان بطبيعة الحال لم ينقطع الخلاف بهذا، وكان الشّيخ في ذلك الوقت تقريبًا في عامه الثّاني من دراسته الجامعيّة.

ومن المواقف الّتي لا تنسى في حياة الشّيخ في عام (١٩٧٩م)، وبعد تخرّج الشّيخ في الجامعة بقرابة شهرٍ، طلب منه صاحبه وصديقه الصّدوق الشّيخ إبراهيم حمدي أن يأتي إلى قريته الرّغامة، وكانت بجوار قرية حوين ليخطب الجمعة، فأجابه الشّيخ لدعوته، وبدأ في الخطبة، وكان الشّيخ متأثّرًا بالشّيخ عبد الحميد كشك في إطالة الخطبة! فأطال

الشّيخ الخطبة ما يقرب من ساعةٍ، فقام أحد الحضور وعنّف الشّيخ على ذلك، ورفع صوته بصورةٍ مبالغ فيها في المسجد!! فهمّ النّاس بالرّجل ليسكتوه لما أحدث من لغطٍ في المسجد أثناء الخطبة، وأحسّ الشّيخ في هذه اللّحظات، بتثبيت الله له، وبنوعٍ من رباطة الجأش، فأنهى الشّيخ الخطبة بقوله: يا أيّها المسلمون إنّ الكلام عن محبّة الله ﷻ ومحبّة رسوله ﷺ تستهوي القلب، فاعذروني على هذا الحب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فتعاطف النّاس معي جدًّا، وأصرّ النّاس بعد انتهاء الخطبة أن يعقد الشّيخ درسًا، فكان إذا نزل بعد ذلك إلى هذه القرية كان النّاس يُقدّمونه؛ لا سيّما في الصّلاة، والشّيخ كان يمتنع في الغالب.

ثمّ كانت إقامة الشّيخ في القاهرة ما يقرب من عشر سنواتٍ أو يزيد قليلًا، عاد الشّيخ بعدها إلي بلدته مدينة كفر الشّيخ، وبعد رحلته للألبانيّ عاد مختلفًا تمامًا كما ذكرنا، وبدأ في دعوته بإلقاء الدّروس العلميّة والوعظيّة، وخطب الجمعة، ولا شكّ أنّ بدايته بقريته، ثمّ في مسجد الإمام الزّهريّ بالقاهرة، والشّيخ هو الّذي سمّاه، محبّةً في الإمام محمّد بن مسلم بن شهابٍ الزّهريّ انتفع بها كثيرًا، فقد كسر بها حاجز التّصدي لدعوة الجماهير وتعليمهم، وهذه مسألةٌ لا يعرفها إلّا من مارسها.

وقد حدث لشيخنا موقف عجيب في أثناء وجوده بمسجد الإمام الزّهريّ، أنّ وزارة الأوقاف بدأت بالتّضييق على الخطباء الّذين لا ينتمون للمؤسّسة الأزهريّة ووزارة الأوقاف!! وكان المطلوب أن يحصل الشّيخ على تصريحٍ من وزارة الأوقاف ليستمرّ في دعوته بالمسجد، فطلب منه القائم على المسجد، وكان رجلًا فاضلًا محبًّا للشّيخ؛ أن يذهب لحضور اختبار وزارة الأوقاف، فأبي الشّيخ ذلك، لمعرفته المسبقة بنوعيّة هذه الاختبارات، فلا زال الرّجل به حتّى أقنعه بخوض هذا الاختبار، وذهب هذا الرّجل الفاضل بسيّارته الخاصّة، والشّيخ يجلس بجواره، فلمّا اقتربوا من بوّابة الدّخول جلس الرّجل -وكان ذا منصبٍ كبيرٍ قبل أن يحال إلى المعاش- بطريقةٍ استنكرها الشّيخ، وبعد مروره من بوّابة الدّخول اعتذر للشّيخ على صنيعه هذا، وقال له: إنّ هؤلاء لا يصلح معهم

إلّا أن تعاملهم بهذه الطّريقة!! أو قال كلمةً نحوها، فلمّا جاء دورهم للدّخول لحجرة الاختبار والّتي كانت تمتلأ بالدّخان بسبب سيجارة المختبر للخطباء!! فلمّا جلس الشّيخ قال له هذا المختبر: هل تحفظ شيئًا من القرآن؟ فقال الشّيخ: نعم، فقال له المختبر: اقرأ من سورةٍ طويلةٍ!! فقال له الشّيخ: من أيّ سورةٍ؟ قال له المختبر: من سورة البقرة، والعجيب أنّه نطقها بالعاميّة، وليس بلغة القرآن!! فقرأ الشّيخ، فلمّا انتهى، قال له المختبر: هل تحفظ شيئًا من الحديث؟ فقال الشّيخ: نعم، فقال له المختبر: قل حديثًا طويلًا!! فذكر الشّيخ حديث الرّجل الّذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فلمّا انتهى قال له المختبر: سوف نخبرك بالنّتيجة عند ظهورها، فعلم الشّيخ النّتيجة من نظرة الرّجل، ونبرة صوته!! حتّى إنّ شيخنا علّق بطرافةٍ وهو يروي القصّة، وقال: فعلمت أنّني في خبر كان!

ثمّ نعود إلى بداية الشّيخ بمدينته كفر الشّيخ منذ عام (١٤٠٦هـ)، الموافق (١٩٨٦م)، ونقول: أخذ الشّيخ يبحث عن ثقافةٍ في الدّعوة يجمع بها النّاس في بلدٍ لم يكن لها رأسٌ في ذلك الوقت، وإن كان فيها مجموعةٌ من الإخوة الأفاضل المجتهدين في الدّعوة والعمل بالسّنّة، ولكنّهم يفتقرون إلى رأسٍ في البلد يجتمع عليه النّاس، فوجد الشّيخ أنّ اللّسان الجيّد، والأداء الحسن، واختيار الموضوع سببٌ رئيسٌ للتّوفيق في الدّعوة وجمع النّاس عليها، ومعلومٌ أنّ خطاب النّاس وتقريب المعلومة لهم موهبةٌ لا يحسنها إلّا القليل من المتصدّرين للدّعوة، فرأى الشّيخ أن يقدّم نفسه للنّاس من خلال القصص القرآنيّ، والقصص الصّحيح في السّنّة النّبويّة، وإسقاطها على الواقع، ومن خلال هذه الطّريقة أيضًا استطاع أن يدخل علوم الآلات في أثناء شرحه، ليحدث نوعٌ من التّرابط الوثيق بين العلم والوعظ في قالبٍ لا يستثقله النّاس، بل يسعون إليه لعظم فائدته.

ومنذ أن وطئتْ قدمه كفر الشّيخ بعد عودته من القاهرة، وهو يريد أن يؤسّس مدرسةً علميّةً قويّةً لا سيّما في علم الحديث، فأخذ يجمع الطّلبة على شرح بعض كتب متون الحديث كبلوغ المرام لابن حجرٍ، ورياض الصّالحين للنّوويّ، وشرح بعض كتب أصول علوم الحديث، كاختصار علوم الحديث لابن كثيرٍ، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر

لابن حجرٍ، وألفيّة الحديث للسّيوطيّ، وغيرها.

وانتقى الشّيخ مجموعةً من الطّلبة في هذه الفترة من أواخر الثّمانينات ليدرّس لهم علم الحديث، ولم يبخل عليهم بوقته وجهده، بل ومكتبته أيضًا، إلّا إنّه لم يظفر بالثّمرة المطلوبة في هذا الوقت، ولكنّه لم يتأخّر عن بذل المحاولة تلو الأخرى من أجل تحقيق حلمه في إنشاء مدرسةٍ حديثيّةٍ متميّزةٍ.

وفي هذا الوقت كان الشّيخ يتنقّل بين المدن والقرى في مصر لنشر الدّعوة، وتبليغ العلم، ومن المحطّات الرّئيسة في رحلته الدّعويّة -أدامها الله على خيرٍ وبارك الله في عمر شيخنا- عقد خطبه ودروسه بمسجد العزيز بالله بالزّيتون في مدينة القاهرة، وأيضًا في مسجد الرّحمة بشارع الهرم بالجيزة، وفي مسجد الجمعيّة الشّرعيّة بمحافظة كفر الشّيخ، حتّى قام الشّيخ على بناء مسجدٍ سمّاه شيخ الإسلام ابن تيميّة، في حيّ العزبة الجديدة، بمدينة كفر الشّيخ، وهذا في عام ألفٍ وأربعمائةٍ وثمان عشرة من الهجرة (١٤١٨هـ)، الموافق عام ألفٍ وتسعمائةٍ وثمانيةٍ وتسعين (١٩٩٨م)، والسّبب في تسميته بشيخ الإسلام ابن تيميّة، كان لتأثّره الكبير بسيرة شيخ الإسلام ابن تيميّة، وارتباطه بمؤلّفاته، وطريقته في التّأصيل للمسائل، والرّد على المخالفين له، وكان من نيّة الشّيخ أيضًا في إطلاق اسم شيخ الإسلام ابن تيميّة على المسجد، أنّ الطّاعنين والمتكلّمين في شيخ الإسلام ابن تيميّة يذكرون اسم المسجد، ويبدأون بنعت ابن تيميّة بشيخ الإسلام رغمًا عنهم!!

وبدأ الشّيخ في مسجد شيخ الإسلام ابن تيميّة استكمال التّأصيل لمدرسة الحديث المتميّزة، فقام بشرح «صحيح مسلم»، ودعا جماعةً من أهل العلم والفضل لمشاركته في شرح باقي الكتب السّتّة، فقام الشّيخ وحيد بالي بشرح «صحيح البخاريّ»، والشّيخ إبراهيم شاهين بشرح «سنن أبي داود»، والشّيخ صلاح عبد الموجود بشرح «الجامع الكبير» للتّرمذيّ، والشّيخ أحمد النّقيب بشرح «سنن ابن ماجه»، إلّا أنّ مجالس «سنن ابن ماجه» لم تستمر طويلًا، وكان من المفترض في خطّة الشّيخ لاستكمال هذه المجالس أن

يكمل الشّيخ مصطفى العدويّ ما بقي من الكتب السّتّة وهو «النّسائيّ»، ولكن الحمد لله على كلّ حالٍ لم يتسنَّ هذا الأمر.

وهذه المجالس أحدثت طفرةً في مسيرة طلبة العلم في مدينة كفر الشّيخ، والوافدين من جُلِّ أنحاء مصر، لا سيّما طلبة الحديث، فقد تعرّف النّاس إلى كتب السّنّة، وسمعوا حديث رسول الله ﷺ بالإسناد، وتعرّفوا على دواوين الإسلام وتاريخه المجيد في باب العلم.

وفي يوم السّبت السّادس والعشرين من شهر ذي الحجّة، لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وعشرين من الهجرة (٢٦ ذي الحجّة ١٤٢٠هـ-الموافق ١/ ٤/ ٢٠٠٠م)، قلت لشيخنا -حفظه الله- هناك من يقول: ماذا نصنع الآن بحدّثنا، وأخبرنا، وأنبأنا؟ ويقلّل من جهد طلبة الحديث!! فقال لي شيخنا: يا مؤمن هؤلاء يتحدّثون على قدر مواهبهم، ومن واقع تجاربهم، مع أنّهم من إخواننا ونحبّهم، وهم محبّون أيضًا، ولكن هؤلاء عندما ينظرون إلى طريقتي مثلًا في تخريج الأحاديث، وكيف أجمع طرق الحديث من العديد من الكتب المسندة، وبعدها ننظر في الأسانيد، والمتون، وكتب الرّجال، وكتب العلل، والشّروح، وغيرها، فهذا يضعف من همّتهم في الإقبال على علم الحديث، والصّبر على تحصيله، وطالب الحديث يحتاج إلى همّةٍ، وقد تعرّضتُ في بداية طلبي لعلم الحديث لنوعيّة هؤلاء، وقالوا لي: هل تظن أنّك ستصبح الألبانيّ الثّاني؟! فلم ألتفت إليهم، ومضيت في طريقي.

ولا ننسى هذه الأيّام العامرة بالنّشاط، والهمّة في الطّلب، وحرَص الشّيخ على الحضور بصورة مستمرة في المسجد لا سيّما في بداية افتتاحه، فكان تقريبًا لا يترك صلاة العشاء، والفجر في مسجد شيخ الإسلام ابن تيميّة، وكان يصلّي بالنّاس إمامًا في كثيرٍ من الأوقات في هذه الفترة، ولمّا فطن الإخوة لوجود الشّيخ ازداد الزّحام حوله كلّما جاء للمسجد، وبدأ يدخل ويخرج بصعوبةٍ، ويستهلك في ذلك الكثير من الوقت، وحينها بدأ

الشّيخ يقلّل من ذهابه للمسجد إلّا ما يتعلقّ بخطب الجمعة، والمحاضرات الأسبوعيّة، وبعض المناسبات، وكانت هذه الأيّام فاتحة خيرٍ لكثيرٍ من النّاس في هذا الوقت.

وأسس الشّيخ مكتبة كبيرة في مبنى المسجد لتسهيل التّحصيل على طلبة العلم، وكانت -ولا زالت- متفرّدةً في حجمها، وتقسيمها، وترتيبها على فنون العلم، ولا شكّ أنّ علم الحديث حاز على أكبر أقسامها، فيندر أن تجد مثلها كمكتبةٍ متخصّصةٍ لطلبة العلم الشّرعيّ في منطقة الدّلتا بمصر، ولا أبالغ إن قلت: بل في مصر كلّها، باستثناء المكتبات العامّة الضّخمة الّتي تجمع كلّ أصناف التّأليف، في شتّى المجالات دون تمييزٍ.

وهذا النّشاط والإقبال على هذه المجالس كان ثمرة أكثر من عشر سنواتٍ من الإعداد والجهد مع النّاس بعد إقامة الشّيخ في مدينة كفر الشّيخ، ولم تخل هذه الفترة من مكدّرٍ أو عائقٍ من بعض الّذين لا يروق لهم هذه الطّريقة في التّعليم!! فقد تعرّض الشّيخ في بداية إقامته في كفر الشّيخ إلى سيلٍ من الهجوم!! يزعم من قام به أنّ الشّيخ جرّأ الإخوة على مشايخهم وإخوانهم وخطباء الأوقاف أيضًا!! حتّى وصل بهم الحال أنّهم زعموا أنّ الشّيخ علّم الإخوة سوء الأدب!! ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، وكان السّبب في زعمهم، وسوء فهمهم هذا، أنّ الشّيخ علّم النّاس أنّه لا يجوز لأحدٍ أن يذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ إلّا ويذكر درجته، ومن خرّجه من الأئمّة، وهذا لصيانة حديث رسول الله ﷺ، وعدم الظّنّ أنّ كلّ ما يذكره هؤلاء الخطباء من قول رسول الله ﷺ، وكم كذب الخطباء الّذين لا يميّزون بين الصّحيح والضّعيف على رسول الله ﷺ بسبب تقصيرهم في البحث عن درجة الحديث قبل ذكره!! فكان الإخوة على وجه الخصوص؛ من المقبلين على دروس الشّيخ لا يمرّرون لأحدٍ حديثًا يظنّون أنّه لا يصحّ، ويبدأون في استجواب الخطباء بعد الخطبة!! ولا شكّ أن من هؤلاء الشّباب من لا يعرف فقه الدّعوة، فكان يتجاوز أحيانًا في طريقة نصحه، فيأتي من يُحمّل الشّيخ أخطاء هؤلاء الشّباب في طريقة نصحهم، أو إنكارهم على المخالف!! وهذا الأمر احتاج من الشّيخ لجهدٍ كبيرٍ لتقويم هؤلاء الإخوة، مع إيصال المنهج الصّحيح للمخالف.

ومن المواقف الّتي تُذكر في هذا الباب، وحدّثنا بها شيخنا: أنّه بعد إقامته في مدينة كفر الشّيخ بسنواتٍ قليلةٍ، دُعي لإلقاء محاضرةٍ في أحد المراكز المجاورة لمدينة كفر الشّيخ، وكان الشّيخ قبل ذلك قد علم في مجلسٍ مع بعض الإخوة أنّ أحد المشايخ نزل إلى هذه البلد الّتي دُعي إليها وتكلّم فيها عن أصول الدّعوة السّلفيّة، فحدث اعتراضٌ من بعض الإخوة المخالفين لمنهج هذا الشّيخ ومن يتبعه في هذا البلد بسبب استخدام مصطلح الدّعوة السّلفيّة، والكلام عن أصولها، وكأنّها حزبٌ وليست منهجًا!! وتسبّب هذا الأمر في قطيعةٍ بين الفريقين، ومنع هؤلاء المعترضون هذا الشّيخَ من دخول هذا البلد مرّةً أخرى، وعَلَقَتْ هذه القصّة في ذاكرة الشّيخ، فلمّا ذهب الشّيخ إلى هذه البلدة تلبيةً لدعوة هؤلاء الإخوة هناك، وبدأ في الدّعوة ما يقرب من أربع سنواتٍ لا يُفصح فيها عن هُويّته كصاحب منهجٍ سلفيٍّ، ووُفّق آنذاك لاستخدام عبارةٍ رائعةٍ تلخص الفهم الصّحيح للإسلام، وهي: القرآن والسّنّة بفهم خير النّاس في القرون الثّلاثة الأول، ولم يتعرّض الشّيخ لذكر مصطلح السّلفيّة ولا مشتقّاته طيلة هذه المدّة، وفي هذه الفترة شرح للشّباب هناك أصول علم الحديث، وعلّق على الفوائد لابن القيّم وغيرها، حتّى أصبح روّاد المجالس تلامذة الشّيخ، وبعد هذه السّنوات الأربع تقريبًا الّتي قضاها الشّيخ في التّردّد على هذا البلد، انقطع عنها ما يقرب من سنةٍ بسبب انشغاله، وكثرة أعماله، وحدث خلافٌ بين الإخوة مرّةً أخرى، واتّفقوا على أن يتحاكموا للشّيخ، وهنا بدأ الشّيخ في محاورة الفريق الّذي يتحرّج من مصطلح الدّعوة السّلفيّة، أو المنهج السّلفيّ، وذلك بأخذ رأيهم في طريقته في الدّعوة ومنهجه طيلة المدّة الماضية، فأثنوا جميعًا عليه خيرًا، فأخبرهم أنّ هذا الّذي تعلّمتموه منّي هو المنهاج السّلفّي والدّعوة السّلفيّة الّتي تربط النّاس بفهم القرون الثّلاثة الأولى الفاضلة.

والّذي تسبّب في نفرة بعض النّاس في ذلك الوقت من كلمة الدّعوة السّلفيّة أنّ بعض المنتسبين إليها تعامل مع هذه الدّعوة المباركة؛ وكأنّها حكرٌ عليه!! والأمر -بلا ريبٍ- لا يجوز أن يكون كذلك، فالمنهج السّلفيّ ليس حكرًا على أحدٍ، وليس محصورًا في فردٍ، أو

جماعةٍ، أو فصيلٍ بعينه! ولكن بكلّ حالٍ وقع هذا الخطأ من بعض أتباع الدّعوة السّلفيّة، أو المنهاج السّلفيّ -وإن لم يتعمّدوه- بسبب قلّة العلم، وعدم فقه الدّعوة عند البعض في ذلك الوقت، فكان ذلك من أسباب الفرقة الّتي وقعت بين بعض شباب المسلمين في ذلك الوقت، وهذا بلا ريبٍ عيبٌ في الأفراد لا في المنهج، ومع ذلك كان هناك الكثير من أتباع هذا المنهاج المبارك من يقف على ثغره، ويدعو النّاس إليه دون تعصّبٍ أو تحزّبٍ، وكان الشّيخ منذ بدايته -والحمد لله- يُعلّم النّاس الدّعوة السّلفيّة، أو المنهاج السّلفيّ الّذي تعلّمه من كتب أئمّة أهل السّنّة والجماعة، وطبّقه أئمّة العصر كأحمد شاكر، والألبانيّ، والمطيعيّ، وابن بازٍ، وابن عثيمين، وعبد الرّزّاق عفيفي، وغيرهم، ممّن لا يحصرون هذا المنهاج في مكانٍ، أو جماعةٍ، أو شخصٍ، فالمنهاج السّلفيّ أو الدّعوة السّلفيّة أكبر من هؤلاء جميعًا.

والأمر كما قال ابن تيميّة في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٢٢): «... من تعصّب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه، دون غيرهم، كانت فيه شعبةٌ من الجاهليّة...» اهـ.

ومع ما ذكرناه؛ كان الشّيخ يأمر بعدم التّعصّب لكلمة الدّعوة السّلفيّة، أو المنهج السّلفيّ، أو أيّ تسميةٍ تؤدّي إلى نفس المعنى -مع الشّرف والفخر بالانتساب لهذا الاسم العريق الّذي يلخّص للسّامع كيف يطبّق أتباع هذا المنهج الإسلام- ولكن كان شيخنا يقول: إذا رأيتم الاسم يفرّق النّاس، ويعرقل، ويوقف الدّعوة، فاتركوه؛ لأنّ المسألة كلّها بالمضامين لا بالعناوين.

وشيخنا -ولله الحمد والمنّة- أبعد ما يكون عن التّعصّب، فهو دائمًا يحذّر من التّعصّب الأعمى، والغلوّ في أهل العلم والفضل، وينفر ممّن يتلبّس بشيءٍ من هذا التّعصّب، وكان يقول لنا: هذا الصّنف -أي المتعصّب- يشقى به النّاس، ولا يبارك له في دعوته!!

وكان الشّيخ يمدّ الجسور مع إخوانه من أهل العلم وطلبته، ويتواصل معهم ولا يتأخّر عن تلبية دعوتهم، بل ويدعوهم هو أيضًا لمدينته، ولم يحجّر واسعًا على نفسه في الدّعوة، أي لم يتقيّد بعملٍ دعويٍّ مع مجموعةٍ معيّنةٍ، كما حاول بعض إخوانه في الدّعوة؛ أن يلزم الشّيخ معهم بمنهجٍ وجدولٍ علميٍّ دعويٍّ! وهذا ما رفضه الشّيخ دون تردّدٍ، مع شكره لإخوانه على حسن ظنّهم به، إلّا أنّه اعتذر لهم بسبب انشغاله الدّائم بمشاريعه العلميّة، وأنّ هذا يتعارض مع طبيعته، وطريقته الخاصّة في الدّعوة، وأبقى الشّيخ على علاقة الودّ بينه وبين إخوانه، وتعاون مع الجميع في إطار المنهج الّذي يدين لله به، ويعتقد سلامته، دون أن يصطدم بأحدٍ، ليسلم له قلبه، ويبارك له في دعوته.

ومضى الشّيخ في دعوته المباركة يتنقّل في ديار مصر وخارجها؛ لإلقاء خطب الجمعة، وعقْد حِلَقِ العلم، ومجالس الوعظ، وقد سُجّل للشّيخ عشراتُ المئات من هذه اللّقاءات، ثمّ بدأت مرحلة القنوات الفضائيّة الإسلاميّة، والّتي شغلت وقتًا طويلًا في فترة من حياة الشّيخ، وكان مضطرًّا لها بسبب إلحاح كثيرٍ من إخوانه الدّعاة آنذاك للظّهور في القنوات الفضائيّة؛ وذلك للذّب عن الدّين، لا سيّما عن سنّة خاتم المرسلين ﷺ، فأجابهم الشّيخ على حذرٍ منه؛ بسبب معرفته السّابقة بالتهام هذه القنوات لأوقات من يخرجون ويتصدّرون فيها، ولذلك كان الشّيخ من أقلّ أهل العلم ظهورًا في هذه القنوات، على الرّغم من ملاحقة كثيرٍ من القنوات الفضائيّة له، بل والصّحف أيضًا، إلّا أنّه لم ينبسط لذلك، وكان على حذرٍ دائمٍ، ويقول لنا ناصحًا في أكثر من مناسبة كلامًا طويلًا، خلاصته: احذروا من التّصدّر في القنوات الفضائيّة في مرحلة الطّلب، فمع ما فيها من خيرٍ، وما قدّمته لجماهير المسلمين في العالم، حتّي إنّه فتح بسببها دولًا كانت لا تعرف شيئًا عن السّنّة؛ فإنها كالمحرقة بالنّسبة لأهل العلم وطلبته، إلّا من رحم ربّي، فلا يغرّنكم بريق الشّهرة، فمن المؤسف مثلًا: أن يتعامل مع أهل العلم وطلبته، كما يتعامل مع أهل الفنّ، ولاعبي الكرة!! وهذا يضيّع من حشمة العالم وطالب العلم، والحشمة هي رأس مال الدّاعية؛ لو فقدها أضاع دعوته، وعجز عن تبليغ العلم الّذي يحمله، كما أنّ هذا الباب من أعظم أبواب الفتن الّتي

ينبغي على الدّعاة إلى الله أن يحذروه حتّى لا يضيّعوا أعمارهم، وإن كان ولا بدّ من ذلك؛ فلا يغفلوا عن رسالتهم في المساجد؛ لأنها هي الأصل.

وهناك أحداثٌ كثيرةٌ في مسيرة شيخنا الدّعويّة، أسأل الله ﷻ أن يديمها على خيرٍ، تجدونها مفصّلةً -بإذن الله- في أصل كتابي: (سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ).

وقد عُرف الشّيخ بأسلوبٍ متميّزٍ في الخطابة، وله مئات الأشرطة المسجّلة الّتي تؤكّد هذا المعنى، وقد سجلت له في عشرات المساجد في ديار مصر، وقد طاف محافظات مصر، وذهب إلى العديد من القرى في كلّ محافظةٍ، وكان يتنقّل بين مساجد أنصار السّنّة، ومساجد الجمعيّة الشّرعيّة، ومساجد الأوقاف، بدعواتٍ من القائمين على إدارة هذه المساجد، وكذا سُجّل له أيضًا في العديد من الدّول الّتي رحل إليها، كما ذكرنا.

وكان نهج الشّيخ في دعوته يقوم على نشر التّوحيد، وتصحيح المعتقد، والتّحذير من أفعال الشّرك، والاهتمام في المقام الأوّل بتصحيح الفهم لمحبّة الله ورسوله، وأنّها ليست مجرّد دعوى بالقول، ولكنّها تحتاج إلى اعتقادٍ راسخٍ في القلب، يتبعه العمل باتّباعٍ صادقٍ، ويركّز الشّيخ أيضًا على أهميّة الدّفاع عن ثوابت الدّين، ورموز الأمّة، والرّدّ على أهل البدع والضّلال، والرّد أيضًا على الأفكار المنحرفة والهدّامة، كالعلمانيّة وغيرها.

وله سلاسل علميّةٌ وعظيّةٌ مميّزةٌ، في هذا الباب، ومن ذلك:

تأمّلاتٌ في سورة القصص، تأمّلاتٌ في سورة يوسف، تأمّلاتٌ في سورة الأنفال، الوصايا قبل المنايا، الوصايا الخمس، قصّة موسى والخضر، مدرسة الحياة، فضائل الصّحابة، حقّ النّبيّ ﷺ على أمّته، الولاء والبراء، حديث مقتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، شرح حديث الإفك، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، أولئك آبائي، شرح حديث كعب بن مالكٍ، شرح حديث أبي سفيان مع هرقلَ، صفعات البرهان على صفحات العدوان، حادثة الإفك، أسباب المحبّة، شرح كتاب العلم من صحيح البخاريّ، وغيرها

العديد والعديد من سلاسل الخطب، والمجالس العلميّة.

أمّا خطب الجمعة، والمجالس المفردة، فهي بالمئات، وكان من أشهرها:

نداء الغرباء، علّموا أولادكم حبّ الصّحابة، معيشة أصحاب النّبيّ ﷺ، ليلةٌ في بيت النّبيّ ﷺ، الأعداء الثّلاثة، هذا زمن اللّقطاء، حسنة الأيّام ومحدّث بلاد الإسلام محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، الصّارم المسلول على شاتم الرّسول، أمريكا الّتي رأيت، أيّها العاصي أقبل، وصيّة عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لكُمَيل بن زيادٍ، الوفاء وقبح الغدر، الحيل، عليكم هديًا قاصدًا، احذروا خطوات الشّيطان، لماذا نتعلّم العلم؟ وغيرها من مئات الأشرطة النّافعة، والحمد لله.

وأيضًا من أبواب الدّعوة الّتي طرقها الشّيخ كما قلنا، القنوات الفضائيّة، وقد ظهر في عدّة قنواتٍ إسلاميّةٍ، كقناة خيرٍ في برنامج: «فاسمع إذًا»، وفي قناة الحكمة، في برنامج: «حرس الحدود»، و«زهر الفردوس»، و«مدرسة الحياة»، و«منتدى الحكمة»، وكان يحاوره في الأخير الأستاذ وسام عبد الوارث، وبرنامج: «الخيمة الرّمضانيّة»، و«أولئك آبائي» يحاوره فيهما الإعلاميّ إبراهيم اليعربيّ، وفي قناة النّاس في برنامج: «فضفضة»، وأيضًا برنامج: «أندى العالمين»، وكان يحاوره الأستاذ خالد عبد الله، وفي قناة الرّحمة في برنامج:«ساعةٌ وساعةٌ»، وأخيرًا في قناة النّدى، وله حلقاتٌ ماتعةٌ بعنوان: «أصداف اللّؤلؤ»، وفيها تكلّم الشّيخ عن شيءٍ من سيرته، لا سيّما ما يتعلّق بحياته العلميّة، ومكتبته، وأيضًا برنامج: «الغوّاص»، وكان يحاوره فيهما الإعلاميّ إبراهيم اليعربيّ، وهذا الّذي ذكرنا من باب ضرب المثل، وليس الحصر.

وقد دُعي الشّيخ كما مرّ معنا إلى كثيرٍ من دول العالم لنشر الدّعوة على منهاج السّلف الصّالح، فسافر إلى العديد من دول العالم الإسلاميّ؛ كالمملكة العربيّة السّعوديّة، والأردن، والكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات، وكذا سافر إلى بعض بلاد الغرب، كأمريكا، وألمانيا، وإسبانيا، وهولندا، وبلجيكا، ولو قام الشّيخ بتلبية كلّ دعوةٍ؛ لكان

كما قال عن نفسه: كالطّير المهاجر، وهو الّذي لا يستقرّ في وطنه، كما أنّ هناك بلادًا من أحبّ البلاد إلى قلب الشّيخ، كالجزائر، والمغرب مثلًا، لكنّه لم يتمكّن إلى الآن من تلبية الدّعوة فيها؛ لظروفه الخاصّة، وانشغاله الدّائم، والّذي كان يحول دون تلبية الدّعوة في ذلك الوقت.

وله في رحلاته من الفوائد والقصص والعبر ما لا يتّسع المقام لذكره هنا، ولكنتجدونها بإذن الله تبارك وتعالى مفصّلةً في أصل كتابي: (سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ).

ومن منن الله تبارك وتعالى على الشّيخ أنّه رزقه صوتًا عذبًا حنونًا في قراءة القرآن، وفيه من أنفاس الشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع تميّزٍ واضحٍ، يكسوه حزنٌ دافئٌ، وقد سجّلت له العديد من القراءات في الصّلوات، وغيرها.

وقدّمنا كيف تعلّق الشّيخ بصوت الشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونعرض هنا باختصارٍ قطوفًا من حكايات تعلّق الشّيخ بصوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان من ذلك:

أنّه قد وقع خلافٌ بين الشّيخ، وبين شقيقه الأكبر الدّكتور رزقٍ، فأراد الدّكتور رزقٌ أن يطيّب خاطره، فأهداه شريطًا للشّيخ محمّد صدّيق المنشاويّ، مسجّلًا عليه «سورة القصص»، وكان الشّيخ يقول: إنّها من أفضل قراءات الشّيخ المنشاويّ.

وأيضًا من مواقفه الّتي تدلّ على شدّة حبّه لصوت المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّ الشّيخ كان في القاهرة، في شهر رمضان، قُبيل الإفطار، وكان يركب الحافلة، وإذا به يتهادى إلى أذنه قراءةٌ آسرةٌ بصوت الشّيخ المنشاويّ من سورة غافرٍ، فنزل من الحافلة، وغيّر اتّجاهه، فتتبّع الشّيخ الصّوت حتّى وصل إلى مسجدٍ قد قام عامله بتشغيل هذا الشّريط في مكبّر الصّوت بالمسجد، فطلب الشّيخ من العامل شراء الشّريط، وبعد مفاوضاتٍ معه وافق، ولكنّه باعه للشيخ بثلاثة جنيهاتٍ، وكان هذا الثّمن باهظًا جدًّا لسعر شريطٍ في هذا الوقت، ولم يبالِ الشّيخ بذلك؛ لغلبة حب الشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قلبه.

وقد ذكر الشّيخ قصّةً عن الشّيخ صدّيق المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والد الشّيخ محمّدٍ، أنّه هو الّذي زرع في أولاده حبّ القرآن، وكان له ولدٌ اسمه مصطفى أعذب صوتًا من محمّدٍ، إلّا أنّه مات صغيرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يسجّل له شيءٌ.

ومن أجمل القراءات الّتي ذكر الشّيخ أنّ الشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تميّز، وأجاد فيها: أواخر سورة آل عمران، والشّعراء، والرّوم، وفصّلت، والواقعة والحديد، والزّخرف والدّخان، وق والرحمن، والحشر وقصار السّور، وغيرها من التّلاوات الرّائعة.

وكنت أرسلت لشيخنا قراءةً للشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سورة (ق)، فأرسل إليّ قائلًا: هذه التّلاوة للمنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أفضل ما قرأ أداءً، وهي أوّل ما اقتنيته له سنة (١٩٧٧م).

ومع شدّة تعلّق الشّيخ بصوت الشّيخ المنشاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد سمع وأحبّ غيره من كبار القرّاء وأنس بأصواتهم، كالشّيخ محمود عليّ البنّا، والشّيخ كامل يوسف البهتيميّ، والشّيخ أبو العينين شعيشع، وهم من أحبّ الأصوات إلى قلب الشّيخ بعد الشّيخ المنشاويّ -رحمهم الله جميعًا-.

*** الحادي عشر: شيوخ الشّيخ:**

نشأ الشّيخ في غربةٍ شديدةٍ للعلم وأهله، ولم يكن من اليسير أن يتنقّل الرّاغب آنذاك في طلب العلم هنا وهناك، ويطوف على الشّيوخ كما يشاء!! بل إنّ الأمر كان عزيزًا جدًّا، وازداد الأمر غربةً وتعقيدًا عند بحث الشّيخ عن عالمٍ يدرس عليه علوم الحديث، وقد كانوا في هذا الوقت أعزّ من القليل، وإن شئت فقل: أعزّ مطلبًا من الكبريت الأحمر، ولكن دعونا نبدأ مع مشايخ الشّيخ منذ نشأته، وقد مرّ معنا ذكر بعض التّفاصيل عن بعضهم، وعلاقة الشّيخ بهم.

أوّل هؤلاء المشايخ: خاله الشّيخ (عبد الحيّ زيّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وقد أخذ عليه القرآن، وتقدّم ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأستاذ (عبد الفتّاح الجزّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وقد أخذ عليه اللّغة العربيّة، وكان الشّيخ بعدما

اشتهر بين النّاس وطار اسمه في ديار مصر وخارجها،كان إذا رأى أستاذه الجزّار في المسجد الّذي يخطب أو يحاضر فيه، جاء ليستمع لتلميذه النّجيب، ويرى ثمرة زرعه؛ سارع إليه الشّيخ، وقدّمه لإلقاء كلمةٍ، فكان الشّيخ يحبّه ويجلّه، ويثني عليه كثيرًا، ويذكر فضله عليه وعلى إخوته، وتقدّم ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ.

والشّيخ (محمّد نجيب المطيعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ)، وتقدّم ذكره معنا، وقد أخذ الشّيخ عليه أصول الفقه، وأصول علم الحديث، ودرس عليه ما تيسّر من «صحيح البخاريّ»، و«المجموع للنّوويّ»، و«الأشباه والنّظائر» للسّيوطيّ، و«إحياء علوم الدّين» للغزاليّ.

وحضور الشّيخ الحويني للشّيخ محمّد نجيب المطيعيّ قد استمرّ ما يقرب من أربعة سنواتٍ، وزهد الشّيخ في مجالس الشّيخ المطيعيّ مع علمه وفضله، الّذي لم ينكره الشّيخ يومًا ما، بسبب وقوعه في الشّيخ الألبانيّ، وعدم تقديره لعلمه، ولكنّ الشّيخ ندم بعد ذلك على ترك مجلس الشّيخ المطيعيّ، وإن كان رأيه لم يتغيّر في رفضه واستنكاره لطريق الشّيخ المطيعيّ في الرّدّ على الإمام الألبانيّ.

والشّيخ المحدث الإمام (محمّد ناصر الدّين الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ)، وهو أقربُ مَشايخه إلى قلبه، وقد تتلمذ له، وتأثّر بكتبه، وتقدّم ذكره أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وللشّيخ كما ذكرنا قبل ذلك رحلتان مشهورتان للشّيخ الألبانيّ، الأولى: في شهر الله المحرّم (سنة ١٤٠٧هـ)، والثّانية: في شهر ذي الحجّة سنة (١٤١٠هـ)، وفيهما عشرات المسائل للشّيخ مع شيخه الإمام الألباني، والّتي تتعلّق بعلوم الحديث، وغيره، وقد ذكر الشّيخ أنّه أخذ للشّيخ الألبانيّ ما يقرب من مئتي سؤالٍ في العلل فقط، كما كانت له مع الشّيخ الألبانيّ سؤالاتٌ أخرى في علوم الشّريعة، وبعض الأسئلة في حكم البرلمانات المعاصرة، والأحزاب، وغير ذلك من مسائل النّوازل.

وطبيعة العلاقة بين الشّيخ الألبانيّ وتلميذه الحوينيّ، تظهر بجلاءٍ في ثناء الألبانيّ عليه في عدّة مواضع مسموعةٍ ومقروءةٍ له مع استدراكه عليه في بعض هذه المواضع،

ونصيحته له في أخرى، ومن ذلك ما تقدّم معنا، ونشير هنا لبعض ما سطّره الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام الألبانيّ في «السّلسلة الصّحيحة» (٥/ ٤٥٦): «واعلم أنّه من الدّواعي على إخراج هذا الحديث هنا أمورٌ وقفتُ عليها، فما أحببتُ أن أدع التّنبيه عليها: الأوّل: أنّني رأيت المعلّق على «المنتقى» لابن الجارود، عزا الحديث من رواية يحيى بن سعيدٍ هذه للسّتّة، وغيرهم، وليس عندهم زيادة التّسبيح، ونبّه على ذلك صديقنا الفاضل أبو إسحاق الحوينيّ في كتابه القيّم: «غوث المكدود في تخريج منتقى ابن الجارود»، وقد أهدى إليّ الجزء الأوّل منه، جزاه الله خيرًا...» اهـ.

ونقل ذلك الشّيخ على نسخته الخاصّة من كتاب «غوث المكدود» وقد كتب شيخنا عليها: «نسختي الخاصّة، وكتبه أبو إسحاق الحوينيّ، دبي، الجمعة، ١٥/ رمضان/ ١٤٠٩هـ، ٢٢/ ٤/ ١٩٨٩م»، أنّه قال: «قال الشّيخ الألبانيّ في «الصّحيحة» (٥/ ٥٨٦)، عن كتابي «غوث المكدود» أنّه «كتابٌ قيّمٌ»، فقال: ونبّه على ذلك صديقنا الفاضل أبو إسحاق الحوينيّ في كتابه القيّم: «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود»، وقد أهدى إليّ الجزء الأوّل منه، جزاه الله خيرًا. اهـ.

قلت -أي الحوينيّ: ويقصد شيخنا -حفظه الله- ما ذكرته عند تخريج الحديث رقم (٢٤٢)، وكنت قد أرسلت إليه «الجزء الأوّل» بخطّ يدي مع زوج ابنته الأخ نظام سكّجها عندما زارني في منزلي سنة (١٤٠٨هـ)، ولكن التّنبيه الّذى أراده شيخنا ليس في الكتاب المطبوع، فلعلّه سقط منه، وقد حدث مثل هذا؛ واستدركته، والطّبع في بيروت سيِّئٌ جدًّا لعدم وجود مصحّحين، وهم لا يرجعون إلينا تجارب الكتب، ولذلك أوقفتُ التّعامل معهم منذ دهرٍ، فللّه الحمد، وخذ مثلًا على ذلك: ففي الحديث (١٨٠)، و(٤٥٦)، حقّقتُ القول فيه، وانفصلتُ على أنّه ضعيفٌ، ورغم ذلك تجد أوّل عبارةٍ في تخريج الحديث: «إسناده صحيحٌ»، وهذا من الأخطاء الكثيرة في الكتاب، فالله المستعان، وكتبه: أبو إسحاق الحوينيّ، ربيع أوّل/ ١٤١٢هـ» اهـ.

قلت: وسيأتي هذا النّقل أيضًا في مشاركتي الثّانية من هذا الكتاب: «بحوثٌ ونصوصٌ محقّقةٌ مهداةٌ للشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ»؛ بطليعة كتابي: «بذل الجود في الرّد علي من تعقّب الحوينيّ في غوث المكدود».

وقال الألبانيّ في «السّلسلة الصّحيحة» (٧/ ٢/ ٧٤٥) متعقّبًا الشّيخ الحوينيّ بأدبٍ جمٍّ: «(تنبيهٌ): عزا الأخ الفاضل أبو إسحاق الحوينيّ في تعليقه على «مسند سعد بن أبي وقّاصٍ» (٢٤٠/ ١٥٩)، حديثَ عبد الله بن جابرٍ لابن أبي عاصمٍ في «الآحاد»، وهذا وهمٌ، وإنّما عنده حديث عبد الملك بن عميرٍ فقط كما سبق.

وكذلك قوله في (عبد الله بن جابرٍ): «مجهولٌ»، ولعلّ مستنده في ذلك قول الهيثميّ في «المجمع» (٦/ ١٤): «رواه البزّار، وفيه من لم يسمّ»! يشير إلى عبد الله هذا؛ فإنّ سائر رواته مترجمون في «التّهذيب»، فكأنّ الهيثميّ لم يقف عليه في الكتب الثّلاثة، وبخاصّةٍ منها «الثّقات» لابن حبّان، وهذا عجيبٌ منه رَحِمَهُ اللَّهُ! فإنّه كانت له به عنايةٌ خاصّةٌ، فإنّه رتّبه على حروف المعجم، بحيث يسهل على الباحث الحصول على الرّاوي بيسرٍ، ولكن جلّ من قال: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾» اهـ.

وقوله أيضًا في «السّلسلة الصّحيحة» (٧/ ٢/ ٩٣٨): «ولقد رأيت أخانا الفاضل (أبا إسحاق الحوينيّ) قد دندن حول هذا الجمع في تعليقه على «مسند سعد بن أبي وقّاصٍ»، فقال (٢١٦) - بعد أن ساق ما في «العلل»: «قلتُ: رواية معنٍ هنا توافق رواية الخصيب بن ناصحٍ، ولعلّ «أمّ عمرٍو» كنية «عائشة بنت سعدٍ»، فتلتقي الرّوايتان، والله أعلم».

ولكنّه جزم بضعف إسناده كما ضعّفه في أحاديث ثلاثةٍ قبله، بدعوى أنّ (عبيدة بنت نابلٍ) مجهولة الحال، تابعًا في ذلك قول ابن حجرٍ المتقدّم: «مقبولةٌ»! أو مستأنسًا به؛ فإنّه بمعناه، والصّواب ما تقدّم بيانه أنّها صدوقةٌ، وإنّ ممّا يؤيّد ذلك؛ أنّ الحافظ قال في «الفتح» (٤/ ١٠٠)- في حديثٍ آخر من طريقها: «رجاله ثقاتٌ»، ونقله الأخ الفاضل عنه (ص٢١٤). فهذا- مع ما قدّمته من البيان- يلقي في النّفس الاطمئنان لصحّة حديثها. والله أعلم» اهـ.

وقوله أيضًا في «السّلسلة الصّحيحة» (٧/ ٣/ ١٦٧٦): «ولقد كان من دواعي تخريج حديث التّرجمة بهذا التّحقيق الّذي رأيته: أنّ أخانا الفاضل (أبا إسحاق الحوينيّ) سئل في فصله الخاصّ الّذي تنشره له مجلّة (التّوحيد) الغرّاء في كلّ عددٍ من أعدادها، فسئل -حفظه الله وزاده علمًا وفضلًا- عن هذا الحديث في العدد (الثّالث-ربيع أوّل-١٤١٩) فضعّفه، وبيّن ذلك ملتزمًا علم الحديث، وما قاله العلماء في رواة إسناده، فأحسن في ذلك أحسن البيان، جزاه الله خيرًا، لكنّي كنت أودّ وأتمنّى له أن يتبع ذلك ببيان أنّ الحديث بأطرافه الثّلاثة صحيحٌ؛ حتّى لا يتوهمنّ أحدٌ من قرّاء فصله أنّ الحديث ضعيفٌ مطلقًا سندًا ومتنًا، كما يشعر بذلك سكوته عن البيان المشار إليه. أقول هذا؛ مع أنّني أعترف له بالفضل في هذا العلم، وبأنّه يفعل هذا الّذي تمنّيته له في كثيرٍ من الأحاديث الّتي يتكلّم على أسانيدها، ويبيّن ضعفها، فيتبع ذلك ببيان الشّواهد الّتي تقوّي الحديث، لكنّ الأمر- كما قيل: كفى المرءَ نُبلًا أن تُعدَّ معايبُه» اهـ.

وقال شيخنا الحوينيّ في مقدّمة تحقيقه وتخريجه وتعليقه على «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثيرٍ، (ص٩)، وكان يتكلّم عن قضيّة إخضاع أسانيد التّفسير لقانون أهل الحديث: «... توقّفتُ طويلًا في الحكم على الآثار الّتي يوردها ابن كثيرٍ: هل أُخضعها لقواعد المحدّثين من النّظر في رجال السّند، واعتبار ما قيل فيهم من جرحٍ وتعديلٍ، أم أتساهل في ذلك؟ وأدّاني البحث والتّأمّل [إلى] أنّه لا بدّ من إخضاع كلّ ذلك لقواعد المحدّثين؛ إذ الكلّ نقلٌ، وأصول الحديث إنّما وضعها العلماء لذلك.

ولأنّي أشعر بخطورة الأمر، عرضتُ ما وصلتُ إليه على من أثق بعلمه ورأيه من شيوخي وإخواني، فكتبت لشيخنا الشّيخ الإمام، حسنة الأيّام، أبي عبد الرّحمن ناصر الدّين الألبانيّ -حفظه الله ومتّع به- أذكر له ما انتهى إليه بحثي، وما اخترته منهجًا لي في العمل، وذلك في آخِرِ شَوّالٍ ١٤١٥هـ، فأجابني إلى ما أردت برّغم مرضه الشّديد -آنذاك- عافاه الله ورفع عنه، وهاك رسالة شيخنا -حفظه الله- بحروفها: «إلى الأخ الفاضل أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله- ووفّقه إلى ما يحبّه ويرضاه... وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد:

فقد ذكرتَ -بارك الله فيك- أنّك في صدد تحقيق تفسير الحافظ ابن كثيرٍ، وأنّ العلماء وطلبة العلم اختلفوا عليك في إخضاع أسانيد التّفسير كلّها لقواعد المحدّثين إلى فريقين:

أحدهما: يرى أنّ الإخضاع المذكور فيه تضييعٌ للتّفسير؛ إذ غالبه نسخٌ وكتبٌ؛ كنسخة عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ، وكتفسير السّدّيّ، وغيرها، ومن حجّتهم المقالة الّتي تُنسب إلى الإمام أحمد قال: ثلاثةٌ لا أصل لها؛ منها: التّفسير، قالوا: معنى «لا أصل لها»؛ يعني: لا إسناد لها، فهذا يدلّ على عدم اعتبار الإسناد في التّفسير، فهل هذا صحيحٌ؟

والآخر: يرى -معك- ضرورة إخضاع ذلك لقواعد المحدّثين، ثمّ رجوت أن أسطّر لك جوابي عليه، فأقول مستعينًا بالله، ومعتذّرًا لك عن الإيجاز فيه نظرًا لظروفي الخاصّة: لا أري -البتّة- عدم تطبيق قواعد علم الحديث على الآثار السّلفيّة؛ كيف وهي في المرتبة الثّانية بعد السّنّة المحمّديّة في تفسير الآيات الكريمة، فينبغي أن تساق مساقها في تحقيق الكلام على أسانيدها، وهو الّذي جرى عليه مجرى العلماء المحققين، وقد فصّل السّيوطيّ القول في نسخة: «عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ»، وفي غيرها من الرّوايات، وبيّن ما يصحّ منها وما لا يصحّ على تساهلٍ منه في التّصحيح معروفٍ، ثمّ نقل عن الإمام الشّافعيّ أنّه قال: لم يثبت عن ابن عبّاسٍ في التفسير إلّا شبيهٌ بمائة حديثٍ -«الإتقان» (٢/ ١٨٨-١٨٩)-، وكلمة الإمام أحمد الّتي احتجّ بها الفريق الأوّل هي -إن صحّت- حجّةٌ عليهم إذا فُسّرت على ظاهرها؛ لأنّه لا يجوز الجزم بما لا أصل له اتّفاقًا، ولذلك فسّرها المحقّقون من أصحابه بأنّ مراده: أنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيدُ صحاحٌ متّصلةٌ، وإلّا فقد صحّ من ذلك كثيرٌ، وعليه فلا يجوز أيضًا التّسوية في تفسير كلام الله بين ما صحّ من الآثار وما لم يصحّ، وأن تُساق مساقًا واحدًا، هذا ما لا يقوله عالمٌ، وإن قال خلافه عالمٌ، فله وجهة نظرٍ عنده، ولا يُجعل قاعدةً.

فهذا ابن تيميّة الّذي نسب إليه الفريق الأوّل أنّه كان لا يعتبر الإسناد يقول في «مقدمة

التّفسير»، ولخّصه السّيوطيّ بقوله (٢/ ١٧٧): «والاختلاف في التّفسير على نوعين: منه ما مستنده النّقل فقط، ومنه ما يُعلم بغير ذلك، والمنقول: إمّا عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصّحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك، وهذا القسم الّذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامّته ممّا لا فائدة فيه، ولا حاجة بنا إلى معرفته» اهـ.

وإذا كان من المعلوم ومن المتّفق عليه أنّه لا سبيل إلى معرفة صحيح المنقول من ضعيفه سواءٌ كان حديثاً مرفوعًا، أو أثرًا موقوفًا إلّا بالإسناد، ولذلك قال بعض السّلف: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فكيف يصحّ أن يُنسب إلى ابن تيميّة وغيره من المحقّقين، أنّهم لا يعتبرون الأسانيد في نسبة الأقوال إلى قائليها؟ وكيف يمكن معرفة الصّحيح من غيره إلّا بالإسناد، لا سيّما وفي الآثار قسمٌ كبيرٌ له حكم الرّفع بشروطٍ معروفةٍ لا مجال الآن لذكرها، من أهمّها أن لا يكون من الإسرائيليّات.

وختامًا: فإنّي أرى أنّه لا بدّ من إخضاع أسانيد التّفسير كلها للنّقد العلميّ الحديثي، وبذلك نتخلّص من كثيرٍ من الآثار الواهية الّتي لا تزال في بطون كتب التّفسير، وما كان سكوت العلماء عنها إلّا لكثرتها، وصعوبة التّفرّغ لها؛ وعليه: أقترح حصر النّقد بما لا بدّ منه من الآثار المتعلّقة بالتّفسير، بما يعين على الفهم الصّحيح، أو يصرف غيره تصحيحًا وتضعيفًا، والإعراض عن نقد ما لا حاجة لنا به من الآثار كما تقدّم عن ابن تيميّة، فإنّه لا حاجة لنا فيه، والله أعلم.

وكتبه

محمّد ناصر الدّين الألبانيّ

أبو عبد الرّحمن

عمّان - ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ» اهـ.

واستكمالًا لذكر مشايخ الشّيخ نقول: وجلس الشّيخ في الجامع الأزهر لجماعةٍ من أساتذة العلوم الشّرعيّة المختلفة، وكان منهم:

والدّكتور (موسى شاهين لاشين رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، والّذي كان رئيسًا لقسم الحديث، في كليّة أصول الّدين، جامعة الأزهر آنذاك.

وكان بينهما قصّة؛ إذ طلب منه الشّيخ أن يعقد له امتحانًا في علوم الحديث ليلتحق بقسم الحديث في كليّة أصول الدّين، فاعتذر الدّكتور لاشين، معلّلًا ذلك بأنّه على خلاف اللّوائح الجامعيّة، فقال له الشّيخ: اعقد لي امتحانًا، فإذا قلّ مستواي عندرجة معيدٍ فلا تقبلني، فتبسّم الدّكتور لاشين، وأوصاه أن يذهب إلى الجامع الأزهر، ويحضر المجالس العلميّة فيه.

كما التقى الشّيخ بنخبةٍ من أكابر علماء أهل السّنّة، وحضر مجالس لهم، وتعلّم منهم، وتتلمذ عليهم، وتأثّر بهم في العقيدة، والفقه وأصوله؛ منهم:

الشّيخ (عبد العزيز بن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وقد حضر دروسه بالجامع الكبير، والمسجد الّذي كان بجوار بيته بمدينة جدّة.

وحدّثنا شيخنا أنّه دُعي مرّةً إلي طعامٍ، وكان فيه الشّيخ العلّامة عبد العزيز بن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ يرمقه ببصره، ليأخذ من علمه وسمته ودلّه، فوجده كلّما رفع لقمةً إلى فيه قال: بسم الله، وكلّما انتهى من أكلها قال: الحمد لله.

والشّيخ (محمّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وحضر دروسه بالمسجد الحرام.

والشّيخ (عبد الله بن قاعودٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، والّذي حضر الشّيخ عنده، وهو يشرح كتاب «البرهان في أصول الفقه»، للإمام الجوينيّ، وكان يقرأ عليه في ذاك الوقت الشّيخ صالح آل الشّيخ.

والشّيخ (عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ممّن تأثّر بهم الشّيخ، وقد التقى به الشّيخ في جمعٍ كبيرٍ، ألقى الشّيخ ابن جبرين محاضرةً، ثم تلاه شيخنا وألقى بعده محاضرةً، فأثنى عليه الشّيخ ابن جبرين ثناءً عاطرًا، حتّى استحيى الشّيخ من الحضور، وهو يسمع هذا الثّناء؛ إذ وصفه الشّيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ «بمحدث مصر».

وكذلك من مشايخه أيضًا:

الشّيخ (عبد الحميد كشك رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، والّذي تعلّم منه عاطفته نحو دينه، وتقدّم معنا ذكره.

والشّيخ (محمّد جميل غازيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وقد أخذ عنه نبذًا كثيرةً من التّفسير وأصوله.

والشّيخ (عبد الرّحمن عبد الخالق)، والّذي قال عنه الشّيخ: «إنّ له فضلًا كبيرًا على الصّحوة السّلفيّة في مصر، وجلّ مشايخ مصر الآن هم ثمرات كتبه»، ثمّ التقى الشّيخ به فيما بعد، وقال له الشّيخ عبد الرّحمن: لو أنّ الأعمار تُوهب لكنت وهبتُ عمري لك، وللشّيخ ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والدّكتور (عبد الفتّاح الحلو رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وقد تعلّم منه أصول التّحقيق، وكان الشّيخ يذهب إليه في مكتبه بأرض اللّواء بالقاهرة، وكان يعمل في هذا الوقت على تحقيق «المغني» لابن قدامة، مع فريق عملٍ معه.

كما حضر أيضًا للشّيخ (محمّدٍ الغزاليّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، والشّيخ (صلاح أبو إسماعيل)، والشّيخ (حافظ سلامة)، والشّيخ (أحمد المحلّاويّ)، والشّيخ (عبد الرّشيد صقر)، وغيرهم، وقال الشّيخ: وقد انتفعنا بهم جميعًا علميًّا وتربويًّا.

وغير ما ذكرنا الكثير من أهل العلم والفضل، وهناك من لقيهم الشّيخ في مصر، وغيرها من بلاد العالم، لا سيّما في رحلاته لأداء النّسك، والدّعوة.

ومع مخالفة الشّيخ لبعض مشايخه في مسائل، فإنه يحمل لهم من الحبّ والتّقدير والتّوقير ما يشهد به من عرفه، وقرأ له، وحضر مجالسه العامّة، والخاصّة، وهكذا أهل العلم والدّيانة والإنصاف دائمًا.

وننبّه هنا على أمرٍ من الأهمّيّة بمكانٍ، أنّه بسبب غربة العلم الصّحيح وأهله، لا سيّما في مصر، ودخول الشّيخ منذ بدايته في الطّلب للعمل الدّعويّ، وتنقّله بين البلاد لذلك، لم يتسنّ له أن يرحل لكلّ من يرتضي ويحبّ من العلماء، فحينئذٍ جعل لنفسه أولويّاتٍ

في هذا الباب، وكان أوّلها أن يرحل إلى الشّيخ المحدّث الألباني، وقد وفق لذلك، ولله الحمد، والمنّة.

ونبّهت على ذلك بسبب ما يثار من بعض من اتّخذوا الافتراء على أهل الفضل والانتقاص منهم منهجًا!!

فيقولون مثلًا: الشّيخ الحوينيّ ليس له شيوخٌ!! وكأنّ طلبة العلم من طبقة الحوينيّ في مصر لهم العشرات من المشايخ!! فهذا الكلام من قائله ليس فيه إنصافٌ أبدًا فغربة العلم وأهله في هذه الفترة في مصر، وجلّ بلاد الإسلام كانت عظيمةً، والمتصدّرين للتّعليم قلّةٌ، وهنا ربّما يقال: وأين الرّحلة لبلاد الحرمين مثلًا، أو لليمن، وقد كثر فيهما أهل العلم؟ فنقول: رحل الشّيخ في الطّلب كما ذكرنا لإمام الزّمن في علم الحديث في هذا الوقت، وهو الشّيخ الألبانيّ، وما ترك مناسبةً يستطيع فيها أن يتواصل مع أهل العلم من أهل السّنّة إلّا فعل، فأين الإنصاف يا من اعتدتم الافتراء على أهل العلم والفضل؟! ومعلومٌ أنّ طلبة العلم في هذا الوقت كانوا يسبحون ضدّ تيّارٍ عاتٍ من البدع والخرافات والانحرافات والمخالفات، ولو جاز لهم هجر ديارهم وتركها لسنواتٍ وهم يملكون من العلم ما يؤهّلهم على الأقلّ لتذكير النّاس ووعظهم ما قامت في ذلك الوقت سنّةٌ، وما ماتت بدعةٌ، ووقعوا في حرجٍ شرعيٍّ، والله أعلم.

وأيضًا ممّن تعلّم الشّيخ منهم وتتلمذ على كتبهم، وقد أدركه، ولم يلقه: الشّيخ العلّامة المحقّق (سيد أحمد صقرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ)، الّذي حقّق: «إعجاز القرآن» للباقلّانيّ، و«تأويل الحديث» لابن قتيبة، و«الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها» لأبي الحسين أحمد بن فارسٍ، و«الموازنة بين أبي تمّامٍ والبحتريّ» لأبي القاسم الآمديّ، و«مناقب الشّافعيّ»، لأبي بكرٍ البيهقيّ، وغيرها.

وكذا الشّيخ الكبير (سيد سابقٌ رَحِمَهُ اللَّهُ)، وقد بدأ الشّيخ بدراسة الفقه في أوّل طريقه على كتابه المشهور «فقه السّنّة»، فهو أوّل كتاب درسه في الفقه.

وممّن تعلّق الشّيخ بكتبهم من علماء العصر في علم الحديث ولم يدركهم: العلّامة المحدّث (عبد الرّحمن بن يحيى المعلّميّ اليمانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ)، والعلّامة المحدّث (أحمد بن محمّد شاكرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ)، والشّيخ لا يقدّم على الشّيخ المعلّميّ رَحِمَهُ اللَّهُ أحدًا من علماء العصر في علم الرّجال، فهو عنده أفضل من تكلّم في هذا الباب من أبواب علوم الحديث في هذا العصر.

*** الثّاني عشر: ثناء أهل العلم على الشّيخ:**

وقد أثنى على الشّيخ جماعةٌ من أهل العلم والفضل، منهم:

- شيخه الإمام الألباني، حيث قال له: «صحّ لك ما لم يصحّ لغيرك».

وأثنى عليه في مواضع متفرّقةٍ من كتبه، ونعته بصديقنا الفاضل، وأثنى على ما وصله من مؤلّفاته، وتقدّم معنا ذكر مواضع هذا الثّناء عند ذكر شيخه الإمام الألبانيّ.

وشهد غير واحدٍ بسماع الشّيخ الألبانيّ وهو يقدّم الشّيخ في علم الحديث، ومن أمثلة ذلك:

قال الأمير عبد الله بن فرحان رَحِمَهُ اللَّهُ -وكان قائد المدفعيّة في تحرير جدّة في زمن الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ - للشّيخ وقد طلب لقاء الشّيخ، واستضافه عندما كان الشّيخ في الرّياض، ولمّا زاره الشّيخ في قصره أجلسه الأمير عبد الله بن فرحان على كرسيٍّ، وقال للشّيخ: جلس قبلك على هذا الكرسيّ الشّيخ الألبانيّ، ولّما سألته من تأتمن في العالم على الحديث، قال: ابن بازٍ، والحوينيّ، وخرج محتفيًا لتوصيل الشّيخ، فتعجّب الشّيخ من تواضعه وأدبه.

وقد حدّثنا شيخنا الحوينيّ بهذا الخبر أكثر من مرّةٍ.

وممّن نقل ذلك أيضًا عن الشّيخ الألبانيّ، الشّيخ عبد الله آدم الألبانيّ، وقد ذكر أنّ الشّيخ الألبانيّ سئل عمّن يرى له الأهليّة من المشايخ لسؤاله في علم الحديث بعد رحيله؟ فقال: يوجد شيخٌ مصريٌّ اسمه أبو إسحاق الحوينيّ، جاءنا إلى عمّان منذ فترةٍ،

ولمستُ منه أنّه معنا على الخطّ في هذا العلم، ثمّ ذكر الشّيخ شعيبًا الأرنؤوط، ثمّ الشّيخ مقبلًا بن هادي الوادعيّ.

وقال عبد اللّطيف محمّد ناصر الدّين الألبانيّ: فقد سُئلتُ عمَّا سمعتُ من والدي فضيلة الشّيخ محمّد ناصر الدّين الألبانيّ رحمة الله عليه -أي فيما يتعلّق بأخذ الحديث- فأقول: كنتُ سألتُ والدي عمَّن نأخذ علم الحديث من بعدك، بعد عمرٍ طويلٍ؟ فقال: الشّيخ أبو إسحاق الحوينيّ، والشّيخ علي الحلبيّ، وكان هذا أيّام وفاة الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بازٍ رحمه الله تعالى.

-وقال عنه الشّيخ إبراهيم حمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفيق دربه في تقدمته لكتاب الشّيخ «الانشراح في آداب النّكاح»: ولا أكون مغاليًا ولا مبالغًا إذا قرّرتُ هنا أنّه لم يأتِ بعد شيخ مصر الأشهر الجبل الحافظ الإمام أحمد بن محمّد شاكر -رحمه الله تعالى- من سيكون مثله في العلم بفنون هذه الصّنعة من هذا الفتى المصنِّف، ويقيني أنّه لو امتدّت به حياةٌ؛ فوالله لنرينّ منه عجبًا وعجابًا.

وحدّثني شيخنا إبراهيم حمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زيارتي له في بيته -وأبسُطُ التّفصيل في ذلك في أصل التّرجمة إن شاء الله- فقال عن شيخنا الحوينيّ: لم أجد من يضعه في حجمه الطّبيعيّ... وبيني وبين هذا الرّجل من المعاشرة والعشرة قرابة أربعين سنةً... تعارفنا على المنهج السّلفيّ، وتعارفنا هنا في الرّغامة في المسجد الّذي خلفك في رمضان، وأذكر الحوادث تترى كأنّها حدثت البارحة.

- وكان الشّيخ المحدّث محمّد عمرو بن عبد اللّطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف الشّيخ، بقوله: شيخنا الكبير.

وقال شيخنا الحوينيّ عنه: الشّيخ محمّد عمرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رفقاء الدّرب، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمه وأن يرفع قدره، هذا الشّيخ عاش مغمورًا، ومات مشهورًا، وهذا لعلّه من ثمرة الإخلاص، وقد حضر جنازةَ الشّيخ أكثرُ من ثلاثين ألفًا تقريبًا، وأغلبهم لا يعرفه، وكان

الشّيخ حبيس المكتبة يخرج من مكتبته إلى عمله خارج البيت، وأحسب أنّ هذا من عاقبة إخلاصه، وكان له سمتٌ إذا رأيته تحبّ أن تنظر إليه، وهو يحمل عقلًا كبيرًا، مع قلب طفلٍ، وأنا تربطني به محبّةٌ قديمةٌ، وكنت حريصًا أن أنتزع شهادة الشّيخ الألبانيّ في حقّ الشّيخ محمّدٍ، حتّى أعطيها هديّةً وقلادةً على صدر الشّيخ محمّدعمرو، وقد أُعطيتُ رسالةً من الشّيخ محمّد عمرو لشيخنا الألبانيّ، وكان اسمها «القسطاس في تصحيح حديث الأكياس»، وإن كان الشّيخ محمّد عمرو رجع فيما بعد عن تصحيح الحديث، وقال: أنا كنت متساهلًا في هذا الوقت متّبعًا لمذهب المتأخرين، واليوم أنا متّبعٌ لمذهب المتقدّمين، فلما أعطيت بحث الشّيخ محمّدٍ لشيخنا الألبانيّ عندما وطئت قدمي عمّان، واستعجلتُ كي يقرأ الشّيخ، فلمّا قرأه أثنى عليه وقال: هذا كتابٌ مفيدٌ، وهذا طالب علمٍ جيِّد.

- وقال الشّيخ المسند محمّد الأمين بوخبزة: إمام المحدّثين في ربوع مصر، وقد أحيا الله به رسوم الحديث والإسناد، وذكرى الحافظ ابن حجرٍ وتلميذه السّخاويّ رغم أنف المعاندين، فبعد وفاة أبي الأشبال الشّيخ أحمد محمّد شاكر لم يأت من يخلفه، حتّى أنجبت (حوين) بالقرب من مدينة كفر الشّيخ هذا العلّامة الأحوذيّ.

وقال أيضًا: رجلٌ لا كالرّجال، رجلٌ وهب نفسه لله تعالى، والعلم والدّعوة، وهيّأه الله تعالى لإحياء رسوم الحديث وعلومه بصبرٍ، فكان -بحقٍّ- محدّثَ الدّيار المصريّة بعد الحافظ ابن حجرٍ والسّخاويّ.

وأثنى عليه الشّيخ عبد العزيز الرّاجحيّ، وسأله سائلٌ: على من أطلب العلم في مصر؟ فأجابه الشّيخ: أبو إسحاق الحوينيّ، الشّيخ أبو إسحاق محدثٌ، من علماء الحديث.

- وعندما سُئل المحقّق الكبير الدّكتور بشّار عوّاد معروف عن المحقّقين البارزين في علم الحديث؛ قال: مصر للأسف ضعفتْ كثيرًا -يعني تحقيق علم الحديث- لكن عندهم أبو إسحاق الحوينيّ، جيّدٌ في تحقيقاته، وهو رجلٌ فاضلٌ.

وقال أيضًا: عرفتُ صديقي العلّامة المحدّث الشّيخ أبا إسحاق الحوينيّ عن قربٍ،

يوم بدت عليه أماراتُ العلم لائحةً، وآياته واضحةً، ومناهجه شارعةً، ثمّ سرعان ما سمتْ همّته وارتفعتْ رتبته، حيث تسوّر العلم وتوقّد له، فزها ثمره وأينع، وحان قطافه، ليذبّ عن حوزة السّنّة المصطفويّة في الدّيار المصريّة، ويناضل من ورائها بفهمٍ ثاقبٍ، وعقلٍ راجحٍ، ولسانٍ فصيحٍ، وجنانٍ جريءٍ، ينفي عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيسعد به حملة الأثر ونقلته ما بين مَشْرقٍ للشّمس ومَغِيبٍ، فضلًا عمّا حباه الله من أخلاقٍ سنيّةٍ، ونفس أبيّةٍ، وأثوابٍ نقيّةٍ، وقلبٍ ساكنٍ، وسربٍ آمنٍ، فصار علمه عند محبّي سنّة المصطفي ﷺ يسير الملتمس، سهل المراد، لا يفوتهم مطلبه، ولا يتعذّر عليهم ارتياده، فهذا من نعم الله عليه، وعميم إحسانه إليه.

- وأملى عليّ شيخنا الشّيخ المحدّث حسين سليم أسد وأنا أكتب، في إهدائه لكتاب «مجمع الزّوائد» للهيثميّ، وكان هذا في زيارةٍ له لشيخنا الحوينيّ: الشّيخ أبو إسحاق الحوينيُّ، نبيلٌ في تصرّفه، أصيلٌ في تحقيقه، موسوعيٌّ في ثقافته، يقف جبلًا شامخًا أمام الفكر الغازي، يريدون أن يتكلّموا فيه، ولكنّهم خابوا وخسروا، أسأل الله تعالى أن يعينه على تفريق جمعهم وعلى دحر آرائهم.

وقال عنه الدّكتور المحدّث أحمد معبد عبد الكريم -من علماء الأزهر الشّريف: الشّيخ الحوينيّ حجّةٌ على طلبة العلم المقصرين؛ لأنّه لم يُتَحْ له الانقطاع لطلب العلم، لكنّه عوّض ذلك باطّلاعه الخاصّ، وقد قرأتُ له قبل أن ألقاه، وفي كتابه (خصائص عليٍّ) للإمام النّسائي، فيذكر الخلاف على الرّاوي، فيخرّج هذا الخلاف ويبيّن الرّاجح والمرجوح، وهذا رقيٌّ في النّفس لا تجده إلّا عند قلائل.

- وقال الشّيخ مشهور حسن آل سلمان: أشهد الله أنّ أبا إسحاق من علماء الحديث، ومن أهل الحديث الرّاسخين فيه، ولم أرَ شيخنا الألبانيّ فرِحًا بأحدٍ كما رأيته فرحًا بقدوم الشّيخ أبي إسحاق، ومجالسه مع الشّيخ الألبانيّ محفوظةٌ، تنبئ عن علمٍ غزيرٍ، بل عن تدقيقٍ قلّ أن يصل إليه أحدٌ.

وقال أيضًا: وممّن لمس الخاصّة -قبل العامّة- نفعهم وأثرهم المبارك، وقام البرهان العلميّ والعمليّ على ذلك: جهودُ فضيلة الشّيخ أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله ورعاه، وعافاه وشفاه- في ميدان الدّعوة إلى الله تعالى على بصيرةٍ من أمره، وَفْقَ سنن النّبيّين، والعلماء الرّاسخين، والنّاصرين لدين الوحي، المحذّرين من التّهورّ والطّيش من الحركيّين والحزبيّين، القائمة أحكامهم ومواقفهم على (العقل) المجرّد عن صنيع منهج الأكابر، ممّن ألجموه؛ فتأنّوا فنالوا ما تمنّوا.

- وقال الشّيخ أحمد النّقيب عن الشّيخ: الشّيخ أبو إسحاق في جملةٍ واحدةٍ: يعيش بالدّين، وللدّين، وفي الدّين، وليس له همٌّ إلّا الّدين.

وكتب لي شيخنا النّقيب أيضًا، وقال: أقول عن أخي الحبيب، والشّيخ النّجيب/ أبي إسحاق الحوينيّ -حفظه الله وعافاه ومن كلِّ مكروهٍ وقاه: إنّه رجل الخاصّة والعامّة، رجل القلم واللّسان، ما رأيتُ مثل أدبه وجميل طبعه، فالله أسأل أن يمدّ له من العمر، وأن يبسط له في الصّحّة، حتّى يفيد ويُستفاد منه، وصلّي اللهمّ وبارك على النّبيّ محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم. وكتبه بخطّه أحمد النّقيب -عافاه الله وسامحه-.

وقال أيضًا: والشّيخ -في نفسه- ركنٌ من أركان العلم والفهم والغنى؛ ولذا فلا أرجو له شيئًا عند أحدٍ من الخلق.

- وقال عنه الشّيخ أبو مالكٍ محمّد إبراهيم شقرة: ولم يخل قرنٌ من القرون مذ فارق نبيّنا ﷺ هذه الدّنيا وحتّى زماننا هذا من الأساطين من هؤلاء العلماء الّذين نتغنّى بسيرهم وبما قدّموا ونفعوا به الإسلام والمسلمين، ولا أُجانبُ الحقّ ولا أبالغ حين أقول: إنّ أخانا أبا إسحاق الحوينيّ، هو واحدٌ من ذروة هؤلاء العلماء في زماننا، هذا بما قدّم ولا يزال في خدمة العلم الشّرعيّ القائم على الكتاب والسّنّة الصّحيحة مع مواصلة اللّيل بالنّهار في تبليغ دعوة الله ﷻ إلى النّاس كافّةً على خطى المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، مع ما واجهه من صعابٍ كدأب الأنبياء والرّسل عليهم صلوات الله

وسلامه أجمعين، وورثتهم من العلماء الأبرار الّذين مضوا وتضئ سيرهم النّيرة الكتب والمكتبات، وستظلّ كذلك إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وما زاده ذلك إلّا ثباتًا وصبرًا على الحقّ الّذي كان عليه نبيّنا ورسولنا محمّد بن عبد الله عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم.

- وقال الشّيخ محمّد عيد العبّاسيّ:... أخي العزيز وصديقي المفضال الشّيخ المحدّث والدّاعية الموفّق أبو إسحاق الحوينيّ حفظه الله تعالى، وبارك فيه، وجزاه عن الإسلام والسّنّة والمسلمين خير الجزاء وأجزل الثّواب.

والحقّ؛ إنّه ليجمعني بفضيلته أواصر متينةٌ، وروابط وثيقةٌ ثابتةٌ مدى الزّمان، كيف وقد عقدها الله تعالى ووثّقها؟

أوّلها: عقيدة التّوحيد الصّافية النّقيّة الشّاملة.

وثانيها: منهج السّلف الصّالح ومن تبعهم على فهم الدين.

وثالثها: الاشتراك في الدّعوة إلى الله تعالى على بصيرةٍ وعلمٍ وهدى، وفي الدّراسات الإسلاميّة الّتي تجمع بين الأصالة والحداثة، وبين الوحي والعقل والعلم، وتوازن بين الدّنيا والآخرة، وتبعد عن الغلوّ بنوعيه: الإفراط، والتّفريط.

أَضِفْ إلى ذلك رابعها: التّلمذة على محدّث العصر ومجدّد القرن -فيما أحسب ولا أزكي على الله أحدًا- العلّامة محمّد ناصر الدّين الألبانيّ -رحمه الله تعالى وأعلى مقامه في الفردوس الأعلى من الجنّة مع النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقًا- وتلك نعمةٌ كبيرةٌ وشرفٌ عظيمٌ آثرنا الله به، فضله سبحانه فيه المنّ والفضل.

وقال أيضًا: لقد جدّ واجتهد، وصبر وصابر، وتمكّن في علم الحديث خاصّةً، فألّف الكتب الكثيرة بين تأليفٍ وتحقيقٍ، وبرع في علم الجرح والتّعديل، وتراجم الرّواة، وصحّح وضعّف، ووثّق وأوهن، وزاحم بمنكبه العلماء المتخصّصين، ونقد اجتهاداتهم فصوّب منها وخطّأ، بل تصدّى لبعض الاجتهادات الّتي ذهب إليها أستاذنا الألبانيّ، فخالفه في بعضها من حيث الرّواية والدّراية، وفي رأيي أنّه أصاب في بعضها وأخطأ في البعض الآخر،

ولبيان هذا مجالٌ آخر؛ ولكن ممّا يمتاز به أنّ نقده هذا لمن خالفه كان من النّقد البنّاء، الخالي من التّجريح والنّقض، بل مع كلّ الاحترام، وضمن الخلق الإسلاميّ الرّفيع الّذي كان عليه سلفنا الصّالح رحمهم الله تعالي.

- وقال رفيقة الشّيخ مصطفى محمّد مصطفى عنه: شيخٌ مباركٌ أينما حلّ، أحبّه النّاس، ونفع الله به النّاس.

وقال أيضًا: رأيته شيخًا كريمًا وفيًّا لأصحابه، رجّاعًا للحق، من أهل العلم والتقوى، ولا أزكي على الله أحدًا.

- وقال عنه الشّيخ أحمد بن عيسي المعصراويّ: الدّاعية الإسلاميّ، والعلّامة الكبير، محدّث عصره الّذي انتفع بعلمه الجمّ الغفير من أبناء الأمّة الإسلاميّة في مشارق الأرض ومغاربها عمومًا، والمهتمّين بالحديث النّبويّ الشّريف وعلومه خصوصًا.

وقال أيضًا: إنّ الشّيخ أبا إسحاق ليشهد بعلمه القاصي والدّاني من هذه الأمّة، ولا ينكر ذلك إلّا غبيٌّ حاقدٌ، أو مريضٌ حاسدٌ.

- وقال الشّيخ مصطفى بن إسماعيل السليمانيّ: قد وقفتُ على بعض كتب الشّيخ، فرأيتُ سعة الاطّلاع، وطول الباع، وقوّة الإقناع، كما رأيت علوّ الهمّة والغوص في الأعماق للإتيان بالدّرر والفوائد، وتحصيل الشّوارد والفوائد، هذا مع عذوبة الأسلوب، والتّوفيق في اختيار الموضوع.

- وقال عنه رفيق دربه في الدّعوة الشّيخ محمّد حسين يعقوب: ما أحرقَ أهلَ البدعِ إذا سمعوا اسمك، وما أشدّ ألم أهل السّنّة إذا غاب رسمك، أنا والحوينيّ أمّةٌ واحدةٌ.

- وقال الشّيخ عثمان الخميس: جمع بين العلم والتّصنيف والدّعوة والوعظ، وهذه قلّما تجتمع في شخصٍ.

وقد أثنى عليه من مشايخه، وأقرانه، وتلامذته، ما يطول المقام جدًّا بذكرهم، وستجدون المزيد من هذا المعنى، في أصل كتابي: (سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ).

* **الثّالث عشر: من رافقهم الشّيخ، وكان لهم به علاقةٌ:**

عُرِفَ الشّيخ بحسن الخلق، والعشرة لإخوانه، وكان له علاقاتٌ واسعةٌ معهم، وإن كانوا يتفاوتون بطبيعة الحال في قربهم منه، فهناك من رافقه، ولازمه من أوّل الطّريق، وهناك من اجتمع به في العمل الدّعويّ، وهناك من ارتبط معه بعلاقةٍ طيّبةٍ، وإن لم يكن من عيون رفقائه.

وهنا في هذا الموضع نذكر بعض رفقاء درب الشّيخ، والمقرّبين منه، ومن له بهم علاقةٌ، وهذا على سبيل ضرب المثل لا الحصر:

الشّيخ المحدّث أبو عبد الرّحمن إبراهيم بن حمديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ المحدّث محمّد عمرو بن عبد اللّطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ محّمد بن صفوت نور الدّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ صفوت الشّوادفيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ عبد الحقّ بن عبد اللّطيف السّوهاجيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشّيخ محمّد بن إسماعيل المقدّم -حفظه الله-، والشّيخ سعيد بن عبد العظيم-حفظه الله-، والشّيخ محمّد حسّان -حفظه الله-، والشّيخ محمّد بن حسين يعقوب -حفظه الله-، والشّيخ إبراهيم شاهين -حفظه الله-، والشّيخ صلاح الدّين بن علّي عبد الموجود -حفظه الله-، والشّيخ مصطفى بن العدويّ -حفظه الله-، والشّيخ أحمد بن عبد الرّحمن النّقيب -حفظه الله-، والشّيخ مصطفى بن محمّدٍ -حفظه الله-، والشّيخ خالد صقر -حفظه الله- ، والشّيخ عطاء بن عبد اللّطيف -حفظه الله-، والشّيخ عبد العظيم بن بدويّ -حفظه الله-، والشّيخ عادلٌ العزّازيّ -حفظه الله-، والشّيخ محمّد بن عبد المقصود -حفظه الله- ، والشّيخ نشأت أحمد -حفظه الله-، والشّيخ حازم صلاح أبو إسماعيل -حفظه الله- ، والشّيخ وحيد بن عبد السّلام باليّ -حفظه الله-، والشّيخ عبد الله شاكر -حفظه الله-، والشّيخ عابد بن محمّد بن غنيمة/ ، والشّيخ محمّد الأمين بوخبزة الحسينيّ التّطوانيّ- حفظه الله-، والشّيخ المحدّث أحمد معبد عبد الكريم -حفظه الله-، والشّيخ محمّد بن

إبراهيم بن شقرة -حفظه الله-، والشّيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله-، والشّيخ عليّ حسن عبد الحميد-حفظه الله-، وغيرهم الكثير والكثير.

وهناك من كان من خاصّة الشّيخ، ومن أقربهم لقلبه، وإن لم يكن من المشتغلين بالعلم، كالشّيخ الخلوق الفاضل شكريّ بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، والدّكتور الخلوق الفاضل عبد المنعم الشّاذليّ رَحِمَهُ اللَّهُ، والأخ الفاضل سعيد أبو هشيمة -حفظه الله- والأخ الفاضلربحيّ فايز أبو النّيل -حفظه الله-، وغيرهم.

وفي أصل الكتاب نجد تفصيلًا عن هؤلاء الأفاضل، بإذن الله، لا سيّما مع خزانة أسرار الشّيخ، الرّجل النّادر الوفيّ شكريّ بن عبد اللهرَحِمَهُ اللَّهُ.

وهناك عبارةٌ مشهورةٌ عن الشّيخ يقولها في حقّ إخوانه جميعًا دائمًا، وهي: «أنا سلمٌ لإخواني»، حتّى مع من يتكلّمون فيه، ونحسبه -والله حسيبه- صادقًا مطبقًا لهذا المعنى، وهذا لا يعني عند الشّيخ تمييع القضايا، وعدم بيان المواقف من المخالف، كما يفتري ويزعم البعض!! -غفر الله لهم-.

وكان الشّيخ يسأل عن الّذين يتكلّمون فيه، فيقول لسائله: لا تُسمِّ لي أحدًا، ولا تنقل لي شيئًا عن أحدٍ، إنّنا نسمع من يسبّوننا بآذننا، ونرى الّذين يسبّوننا بأعيننا، وما سببناهم، ولا رددنا عليهم، وما جاريناهم قطّ، وسكوتنا عن الرّدّ عليهم؛ ليس لأنّهم ليس عندهم عوراتٌ، ولا أخطاء، ولا ما يؤخذ عليهم، بل عندهم ذلك!! ولكن لأنّ عدوّنا يتربّص بنا، ويهدم في ثوابت الدّين، وليس عندنا من الوقت ما نضيّعه في التّراشق بالكلمات، والدّفاع عن أنفسنا مع من يتكلّمون فينا من إخواننا، وأقول لأخي هذا الّذي أجاز لنفسه أن ينال من إخوانه! مقالة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إخواننا بغوا علينا**»، ولن نسلّط ألسنتنا في يومٍ عليهم كما فعلوا معنا!! وكما قال أبو العتاهية:

إلـــى دَيَّـــانِ يـــومِ الدِّيـــنِ نمضـــي وعنـــدَ اللـــهِ تجتمـــعُ الخُصـــومُ

الرّابع عشر: خلاصة طريقة الشّيخ في التّخريج، ومنهجه في الحكم على الأخبار والتّحقيق:

يعتمد الشّيخ على طريقةٍ ثابتةٍ في الغالب عند تخريج الأحاديث أو الأخبار، فمثلًا لو كان الحديث مشهورًا ومرويًّا من طرقٍ كثيرةٍ في العديد من كتب السّنّة المسندة، فيقوم بالآتي:

١- بعد النّظر في الفهارس العلميّة، ومعرفة مواضع الحديث في الكتب المسندة، أو مظنّة وجوده في كتبٍ مسندةٍ غير مفهرسةٍ، كأن يكون الحديث في باب الزّكاة مثلًا؛ فينظر في الكتب المسندة الّتي تتعلّق بهذا الباب، أو في باب الجهاد؛ فينظر في الكتب المسندة الّتي تتعلّق بهذا الباب، وهكذا... ويبدأ في جمع هذه الكتب الّتي خرّجت هذا الحديث، ويدخل في هذا أيضًا الكتب المسندة المخطوطة الّتي كثيرًا ما يعزو إليها الشّيخ.

٢- ثمّ يفتح كلّ مرجعٍ وينظر في صحابيّ الحديث، ويفرد لكلّ صحابيٍّ روى الحديث ورقةً مستقلّةً، ويعزو أسماء الكتب الّتي خرّجت حديث هذا الصّحابيّ بالرّموز، فمثلًا يقول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه خرّجه (خ) أي البخاريّ في «صحيحه»، برقم كذا، (م) أي مسلمٌ في «صحيحه»، برقم كذا، (د) أي أبو داود في «سننه»، برقم كذا، (ت) أي التّرمذيّ في «جامعه الكبير»، برقم كذا، (ن) أي النّسائيّ في «سننه»، برقم كذا، (جه أو ق) أي ابن ماجه القزوينيّ في «سننه»، برقم كذا، (مي) أي الدّارميّ في «سننه»، برقم كذا، (طب) أي الطّبرانيّ في «المعجم الكبير»، برقم كذا، (طس) أي الطّبرانيّ في «المعجم الأوسط»، برقم كذا، (طص) أي الطّبرانيّ في «المعجم الصّغير»، برقم كذا... إلى آخره.

٣- ثمّ يرجع الشّيخ إلى حديث كلّ صحابيٍ من خلال المراجع الّتي خرّجت الأحاديث، وينقل السّند كاملًا في الورقة الخاصّة بكلّ صحابيٍّ.

٤- ثمّ ينظر الشّيخ في الأسانيد، ويبدأ بتابعيّ الحديث، فمثلًا لو أنّه يجمع مَن رواه من التّابعين عن أبي هريرة رضي الله عنه ،كمحمّد بن سيرين، ومجاهد بن جبرٍ، وعطاء بن أبي رباحٍ،

وعروة بن الزّبير... إلى آخره، فينظر كم راوٍ من التّابعين رواه عن أبي هريرة ﵁؟، ويكتب في ورقةٍ مستقلّةٍ حديثَ كلّ تابعيٍّ عن هذا الصّحابيّ على حدةٍ، ويقوم بشطب سند هذا التّابعيّ الّذي كتبه في هذه الورقة المستقلّة، من الأوراق الّتي جمع فيها كلّ هذه الأسانيد حتّى لا تتداخل بعضها في بعضٍ، ثمّ يفعل مثل هذا مع روايات باقي الصّحابة ومن رواها عنهم من التّابعين.

٥- تصبح الأسانيد كالمرآة بالنّسبة للشّيخ، فيبدأ في النّظر فيها، مَن تابَعَ مَن مِن الرّواة؟، ومَن خالَفَ مَن؟ ومَن تفرّدَ عن مَن؟ وييسّر عليه معرفةَ هذا الأمر الخطواتُ السّابقة.

٦- ثمّ تبدأ مرحلة النّظر في المتن، وهل هناك اتّفاقٌ في المتن؟ أم أنّ هناك زيادةً ونقصانًا؟، أم إطالةً واختصارًا، أم يوجد تقديمٌ وتأخيرٌ، فكلّ روايةٍ فيها موافقةٌ أو مخالفةٌ أو تفرّدٌ في لفظٍ؛ يشير إليه أمام سنده، ولو أن هناك شكًّا من الرّاوي في لفظةٍ، يشير إلى ذلك أيضًا، ويكون التّرجيح بين ذلك بالرّجوع إلى الأسانيد.

٧- ثمّ يبدأ في النّظر في كتب الرّجال لمعرفة المقبول والمردود من هذه الأسانيد، ويقدّم في ذلك كتب التّراجم الموسّعة في ترجمة الرّاوي أوّلًا، ثمّ ما يليها من كتبٍ في الباب بقدر الحاجة للحكم على الرّاوي، ويراعي دائمًا القرائن والاعتبارات الّتي تحتفّ بالرّواية؛ لأنّها من أقوي الأدلّة في التّرجيح، لأنّ لكلّ حديثٍ قرائنه الخاصّة القائمة بذاتها؛ كتقديم قِدَمِ الصّحبة، والخصوصيّة للرّاوي، وتثبّته في الرّواية عن شيخٍ عند الاختلاف على هذا الشّيخ، وكذا اعتبار التّفاوت بين الرّواة في التّثبّت، والحفظ، والضّبط، والإتقان... إلى آخره.

٨- ثمّ ينظر في كتب العلل والشّروح، لما تحويه من فوائد جمّةٍ في الحكم على مرويّات الرّواة، وكان الشّيخ يقول: إنّ علم الحديث هو فهم العلل.

ولا يفوته أن يدوّن الفوائد على حواشي كتبه، ويشير إلى موضعها داخل الكتاب على لوحة الكتاب الأولى ليسهل عليه بعد ذلك أن يصل إلى الفائدة.

وحدّثني شيخنا وقال: أنا أعرف اهتمام الطّالب بالكتاب إذا تصفّحتُ نسخته؛ فإذا وجدته أكثرَ من التّعليقات، وتدوين الفوائد في بداية الكتاب، فحينئذٍ أعلم أنّه مجدٌّ في طلبه.

وكان شيخنا يرى أنّ الطّالب المفلِس هو الّذي يبخل بالفائدة على أخيه.

وكان شيخنا إذا جمعَنا على عملٍ حديثيٍّ مشتركٍ بيني وبين إخواني كأحمد بن المغازيّ، ومحمّد بن بدويٍّ، ومندور بن عبد الوهّاب، وعبد السّلام بن إمامٍ، لفهرسة كتابٍ من الكتب، أو تخريج كتابٍ، يوصينا أن نستخرج الفوائد، من هذا الكتاب، وندوّنها في دفترٍ مستقلٍّ، ثم نتبادلها فيما بيننا، فجزاه الله عنّا من معلّمٍ خيرًا.

والشّيخ على منهج الأئمّة الكبار من المتقدّمين، ومن على دربهم من الأئمّة المتأخّرين في الحكم على الأخبار، ويرى أنّ التّفريق بين المتقدّمين والمتأخّرين بحدٍّ زمنيٍّ معيّنٍ، واعتماد كلام الإمام الذّهبيّ في جعل رأس الثّلاثمائة حدًّا فاصلًا بينهما؛ كلامٌ يحتاج إلى تأمّلٍ!! فكلّ متقدّمٍ هو متأخّرٌ بالنّسبة لمن سبقه، وكلّ متأخّرٍ هو متقدّمٍ بالنّسبة لمن جاء بعده، واعتماد هذا أيضًا سوف يجعل أئمّةً من الكبار كالحاكم وغيره من طبقة المتأخرين!! ويرى دعوى أنّ الدّارقطنيّ الّذي توفّي في عام ثلاثمائةٍ وخمسةٍ وثمانين من الهجرة (٣٨٥هـ)، هو آخر المتقدّمين!! وأنّ الخطيب البغداديّ الّذي توفّي في عام أربعمائةٍ وثلاثةٍ وستّين من الهجرة (٤٦٣هـ) هو أوّل المتأخّرين!! = دعوى لا دليل عليها، ولعلّهم وضعوا حدًّا لهذا التّقسيم؛ لأنّ الخطيب هو الّذي أصّل وفصّل في أصول علوم الرّواية أو الحديث، وكلّ من جاء بعده نسج على منواله، وإن كان الخطيب قد سبق في التّصنيف في علوم الحديث من الحاكم وغيره، فإنّ جعل الخطيب البغداديّ في طبقة المتقدّمين يهدم دعوى من جعله في أوّل المتأخّرين؛ لأنّه كيف يتمّ هذا الفصل وهو -أي الخطيب- كما قال عنه ابن نقطة: «كلّ من أنصفَ علمَ أنّ المحدّثين بعد الخطيب عيالٌ على كتبه»، فحينئذٍ من أخذ منه ونسج على منواله فهو امتدادٌ لمدرسة المتقدّمين!! ولذلك جعلوه في أوّل المتأخّرين،

وهذا كما يرى الشّيخ ادّعاءٌ لا دليل عليه، أضف إلى ذلك ماذا نصنع في الأئمّة الّذين كانوا بين الدّارقطنيّ، والخطيب البغداديّ؟!

ويرى الشّيخ أيضًا أنّ هذا الفصل بين الأئمّة المتقدّمين والمتأخّرين، والّذي يتبنّاه البعض!! فيجعلون كلام المتقدّمين غير قابلٍ للنّقاش، ويهوّنون من جهد المتأخّرين وفضلهم في التّأصيل والفهم لهذا العلم!! حتّى تجرّأ بعضهم، وصرّح أنّه لا يعتبر بأحكام الخطيب البغداديّ، ولا الذّهبيّ، ولا ابن حجرٍ، ولا السّخاويّ، ولا غيرهم!! وهذا في الحقيقة؛ هو أصل هذه الدّعوى!! ومعلومٌ أنّ حكم المتقدّمين في الغالب الأعمّ حكمٌ إجماليّ، فيسأل أحدهم مثلًا عن رواية فلانٍ؟ فيقول: أخطأ، أو وهم، أو منكرةٌ، دون أن يبدي العلّة من حكمه، فالأمر يحتاج أحيانًا إلى بيان المتأخّر.

ومن القوم من يتبنّى قول المتأخّرين ويجنح إليه دائمًا، ويحاكم الأئمّة المتقدّمين بكلام الأئمّة المتأخّرين!! الّذي ما عرفوه -أي المتأخّرون- إلّا من قواعد وأصول الأئمّة المتقدّمين، وهذا من سوء الفهم لقواعد الأئمّة، ومنهجهم، وادعاء نظري من قائله لا دليل عليه، وألزم المتأخّرين بما لم يخطر ببالهم أن يُلزموا به المتقدّمين!!

ومن عجبٍ أيضًا أنّ الّذي يدّعي التّمسّك بمنهج المتقدّمين، والّذي يعتقد من وجهة نظره أنّه يعني لا اجتهاد بحالٍ من الأحوال مع حكم إمامٍ كأحمد، أو ابن المدينيّ، أو البخاريّ، أو أبي حاتمٍ، أو أبي زرعة، أو غيرهم، إنّما هو تقليدٌ لا غير، فيقول الشّيخ ردًّا على هؤلاء: فماذا لو اختلف البخاريّ، وأحمد في الحكم على حديثٍ؟! وماذا لو اختلف مسلمٌ، وأبو حاتمٍ في الحكم على حديثٍ؟! فلو قال صاحب هذه الدّعوى: الصّواب مع فلانٍ، فيقال له: ومَن أنت لتحكمَ بين إمامين كبيرين، وتسمحَ لنفسك أن تكون مجتهدًا، مرجّحًا بينهما؟! وإن قال المخالف: بل أنا مقلّدٌ، فحينئذٍ ليس لك الحقّ في الفصل بين الأئمّة، وإن قال: التّرجيح بحسب القرائن، وهي الّتي نستطيع من خلالها تقديم حكم إمامٍ على آخر، فيقال له، هذا القول المجمل الّذي ذكرته هو المتّبع للتّرجيح بين كلام الأئمّة على العموم دون تفريقٍ بين متقدّمٍ ومتأخّرٍ.

إلّا أنّ شيخنا دائمًا يقول: إنّ حكم الإمام المتقدّم هو الأصل بلا ريبٍ، ولكن دون أن نُهمل حكم الإمام المتأخّر، فربّما نذهب لما ذهب إليه إمامٌ متأخّرٌ لقوّة حجّته، وسألت شيخنا مرّةً سؤالًا طويلًا منذ ما يقرب من سبعَ عشرةَ سنةً، خلاصته: لو اختلف حكم التّرمذيّ مع حكم لابن تيميّة على روايةٍ، أيّهما نقدّم؟ فقال شيخنا: التّرمذيّ بلا ريبٍ، إلّا أن يأتي ابنُ تيميّة بما يدلّ على إصابته في مخالفته للتّرمذيّ؛ لأنّ التّرمذيّ محدّثٌ في المقام الأوّل، ثمّ فقيهٌ، وأمّا ابن تيميّة، مع جلالة قدره إلّا أنّه فقيهٌ، تكلّم في الحديث، ولا شكّ أنّ الفرق واضحٌ، لا سيّما عند الكلام على الأحكام والعلل، فلا يطمع أحدٌ أن يضع قاعدةً لهذا الأمر؛ لأنّه يدور مع القرائن، والتّرجيح لمن كان معه الحجّة على صحّة قوله، وَفْقَ قانون أهل الصّناعة الحديثيّة.

وعند تحقيق المخطوطات والّتي يلتزم فيها المحقّق أن يخرّج المخطوطة كما صنّفها صاحبها، دون زيادةٍ أو نقصانٍ، كان الشّيخ يلتزم بذلك، وما يظهر له من إشكاليّاتٍ يعلّق عليها في حاشية التّحقيق، ولا يتدخّل في أصل الكتاب، إلّا عند وجود خطأٍ جليٍّ واضحٍ، كخطأٍ في آيةٍ من القرآن مثلًا، ويعمل الشّيخ أيضًا عند التّحقيق كعادة أهل التّحقيق على جمع النّسخ المخطوطة للكتاب، وفحصها ودراستها، ومعرفة أيّها أقدم وأكمل من الأخرى، وتحقيق عنوان الكتاب، واسم مؤلّفه، ونسبة الكتاب إليه، ثمّ نسخ المخطوط بالشّرط المتقدّم الّذي يخرج به كما صنّفه صاحبه، ثمّ يقابل النّسخ وإثبات الفروق بينها في الحاشية، وإن لم يكن للكتاب إلّا نسخةٌ واحدةٌ عمل عليها بالضّوابط المذكورة، ويعمل على وضع ترجمةٍ لمؤلّف الكتاب، وترقيم الكتاب عند الحاجة، وربط أجزاء الكتاب ببعضها، مع مراعاة علامات التّرقيم الّتي لا يستقيم الكلام إلّا بوضعها، كما صنع مثلًا في: «المنتقى» لابن الجارود، عندما أخرج تحقيق النّصّ فقط، ولو أضاف إلى التّحقيق التّخريج أيضًا، والتّعليق، جعله تخريجًا وسطًا، وتعليقًا عند الحاجة كما صنع مثلًا في: «مسند سعد بن أبي وقّاصٍ»، للبزّار، ولو أراد تخريجًا مطوّلًا أفرد له مصنّفًا مستقلًا كما صنع عند تحقيقه لكتاب: «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثيرٍ، والّذي أفرد لتخريج أحاديثه

مصنّفًا بعنوان: «تسلية الكظيم بتخريج أحاديث وآثار تفسير القرآن العظيم»، وهو من أنفس كتب الشّيخ، ومن أهمّها عنده، ثمّ يعتني الشّيخ أيضًا بوضع الفهارس الّتي تُقرّب ما في الكتاب من علمٍ، كما جرت العادة عند أهل التّحقيق.

والشّيخ دائمًا في تخريجه للأحاديث يطيل النّفس ولا يملّ من جمع الطّرق من المطبوع والمخطوط، وتتبّع كلام الأئمّة بالنّظر في كتب العلل والرّجال وغيرها، وسألته مرّةً في يوم الأربعاء، العاشر من شهر الله المحرّم، لعام ألفٍ وأربعمائةٍ واثنين وعشرين من الهجرة، الموافق الرّابع من شهر إبريل من العام الأوّل بعد الألفين (١٠محرّم ١٤٢٢هـ - ٤/ ٤/ ٢٠٠١م)، وكان شيخنا أبو إسحاق الحوينيّ قد ألقى محاضرةً في هذا اليوم بعد محاضرة شيخنا صلاح عبد الموجود بمسجد شيخ الإسلام ابن تيميّة بمدينة كفر الشّيخ، فقلت له: إنّ أحد مشايخي الأفاضل من المتخصّصين في الفقه طلب منّي أن أعاونه في تخريج أحاديث كتابٍ في الفقه، وأنا كما تعلّمتُ من فضيلتكم أتوّسع وأُطيل النّفس في التّخريج، ونقل كلام الأئمّة، وبسط الحجّة على الحكم، ولا بأس أن أختصر هذا الجهد بعد ذلك، إلّا أن الشّيخ يريد كلامًا مختصرًا على الحديث، والوقت المطلوب لا يتّسع مع حجم الكتاب، فقال لي شيخنا الحوينيّ: أَطِلْ نَفَسَكَ في العمل، نحن نحتاج إلى رجالٍ في علم الحديث، وكلّ إنسانٍ يجتهد في تخصّصه.

*** الخامس عشر: عقيدة الشّيخ، ومنهجه:**

الشّيخ -ولله الحمد- على منهاج القرون الثّلاثة الأول، ومن تبعهم بإحسانٍ؛ منهج أهل السّنّة والجماعة، وإن شئت قلت: على المنهاج السّلفيّ، وهو على أصول الطّائفة المنصورة أهل الحديث والأثر ومعتقدهم، محبٌّ، ومعظّمٌ لأمر الله تبارك وتعالى، ولأمر رسوله ﷺ، متّبعٌ للقرآن والسّنّة الصّحيحة، محبٌّ ومعظّمٌ لآل بيت النّبيّ ﷺ والصّحابة الكرام والتّابعين، والأئمّة المتّبعين لهم بإحسانٍ، مقدّمٌ لفهم هؤلاء الأخيار لنصوص الوحي المنزّل من الله تبارك وتعالى.

والشّيخ على عقيدة أهل السّنّة والجماعة في باب الأسماء والصّفات، فهو يُثبتُ لله ﷻ ما أثبته لنفسه -تبارك وتعالى- في كتابه، وفي سنّة نبيه ﷺ، من غير تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ، ولا يجوز أن يقال في صفاته سبحانه كيف؟ ولم؟ ليس كمثله شيءٌ تبارك وتعالى.

ويؤمن أن الله -تبارك وتعالى- على العرش استوى، والاستواء معلومٌ، وكيفيّته مجهولةٌ، والإيمان باستوائه -تبارك وتعالى- على عرشه واجبٌ، والسّؤال عن ذلك بدعةٌ.

ويؤمن أنّ الله -تبارك وتعالى- يَنزِلُ في الثّلث الأخير من اللّيل نزولًا يليق بجلاله، ليس كمثله شيءٌ تبارك وتعالى.

ويؤمن بأنّ القرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوقٍ، تكلّم الله به بحرفٍ وصوتٍ كما يليق بجلاله سبحانه، ليس كمثله شيءٌ تبارك وتعالى.

ويؤمن بظهور المهديّ المنتظر عند أهل السّنّة والجماعة، وهو محمّد بن عبد الله الّذي يصلحه الله في ليلةٍ، ووردت الأخبار الثّابتة في ذلك، وكذا يؤمن بظهور المسيخ الدّجال، ونزول عيسى u، وقتله للدّجال.

ويؤمن بأنّ الإيمان قولٌ باللّسان، وعملٌ بالجوارح، واعتقادٌ بالقلب، ويزيد بالطّاعة، وينقص بالمعصية.

ويؤمن أنّ الولاء لأهل الإسلام، والبراء من أهل الشّرك؛ من أصول الإيمان، وأنّ نصرة المسلمين ضدّ أعدائهم واجبٌ، وأنّ الجهاد الّذي أمر الله به في كتابه، والنّبيّ ﷺ في صحيح سنّته، وأجمع عليه أئمّة أهل السّنّة = ماضٍ إلى يوم القيامة، وكلّ من رفع رايةً حادَ بها عن كلام الله، وعن هدي رسول الله ﷺ، وعن سنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، وروّع أهل الإسلام، وعاون أهل الشّرك، وسفك دمًا حرامًا بغير وجه حقٍّ؛ فهذا من الإفساد في الأرض، وليس من الجهاد في شيءٍ.

ويؤمن أنّ التّحاكم للقرآن والسّنّة فرضٌ واجبٌ، وأمرٌ لازمٌ على الأمّة، وأنّ الحكم

بغير ما أنزل الله ظلمٌ، وفسقٌ، وكفرٌ، ولا يجوز أن يُوصَفَ مَن حكمَ بغير ما أنزل الله بواحدةٍ من الثّلاثة إلّا بعد استيفاء شروطٍ، وانتفاء موانعَ، كما قرّره أئمّة أهل السّنّة والجماعة.

ويؤمن أنّه لا يجوز الخروج على إمام المسلمين، ووليّ أمرهم؛ إلّا أن يُرى منه كفرٌ بواحٌ، ويُسمع ويُطاع له في المعروف، فلو أمر بمعصيةٍ لا سمع له ولا طاعةٌ.

ويؤمن أنّ إقامة الحدود في الإسلام حقٌّ؛ بنصّ القرآن والسّنّة، وإجماع الأئمّة، كرجم الزّاني المحصن، وقطع يد السّارق.

ويؤمن بأنّ اللّحية فرضٌ، وأنّ إسبال الإزار من الكبائر، وأنّ الختان من الإسلام، وأنّ النّقاب من الإسلام، والقول بأنّه بدعةٌ جاهليّةٌ قولٌ مبتدعٌ ما قال به واحدٌ من أئمّة أهل السّنّة المعتبرين.

ويؤمن بعذاب القبر ونعيمه، ومنكرٍ ونكيرٍ.

ويؤمن برؤية الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة بالأبصار.

ويؤمن بالجنّة والنّار، وأنّهما مخلوقتان.

ويؤمن أنّ من طعن في ثوابت الدّين، وصحيح السّنّة، لا سيّما صحيح البخاريّ، فهو ضالٌّ مضلٌّ، ولو صام وصلّى وزعم أنّه مسلمٌ.

ويؤمن بأنّ أفضل هذه الأمّة بعد وفاة نبيّها أبو بكرٍ، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليٌّ، ثمّ باقي العشرة الّذين بشّرهم النّبيّ ﷺ بالجنّة، ثمّ باقي الصّحابة الكرام -رضي الله عنهم جميعًا-.

ولا يكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه، وأنّ الإصرار على الفعل لا يعني الاستحلال، وليس كلّ من تلبّس ببدعةٍ ووقع فيها؛ فهو مبتدعٌ، وليس كلّ من تلبّس ووقع في كفر فهو كافرٌ، فهذا لا بدّ فيه من إقامة الحجة والبيّنة، واستيفاء الشّروط، وانتفاء الموانع، الّتي قرّرها أهل السّنّة والجماعة.

وقد ابتُلي الشّيخ بمن افترى عليه، وقال: إنّه يكفّر مرتكب الكبيرة!! وقد بيّن الشّيخ ما يعتقده في هذا الباب مرارًا، وكان من ذلك أنه قال: أنا ما خطر ببالي قطّ في يومٍ من الأيّام منذ عرفتُ يميني من شمالي أن أكفّر فاعل الكبيرة، وأنا أعلم أيضًا من كلام أهل العلم وهو مستقى من نصوص القرآن والسّنّة أنّ تكرار الذّنب لا يدلّ على الإصرار فبمجرّد أن يفعل الإنسان الذّنب، ثمّ يكرّره، ثمّ يندم ويعزم على ألّا يعود، ثمّ يغلبه هواه فيكرّره، وهكذا دواليك؛ هذا التّكرير للذّنب لا يُعدّ إصرارًا، الإصرار هذا عملٌ قلبيّ... إلى آخر ما ذكر في هذا المعنى.

قلت: والإصرار المقصود هنا هو الّذي انعقد عليه عمل القلب، وهو ما نتج عن استحلال ما حرّم الله، وليس الإصرار هنا على اقتراف ما نهى الله عنه من الكبائر مع اعتقاد حرمته!!

ولمزيدٍ من الإيضاح، قال الشّيخ أيضًا كلامًا طويلًا في هذا الباب كان منه: بعض من لم يُحسِنْ الفهم، مع ما أراه من القرائن الظّاهرة من سوء القصد، أشاعوا عنّي مقالةً ما اعتقدتها بقلبي يومًا من الأيّام، ولا تلفّظ بها لساني، ولا في الخلوات، فضلًا عن هذه المشاهد، هذه المقالة الفاجرة الآثمة تقول: إنّني أُكفّر المسلمين بالكبيرة، فأنا أنشد طلّاب العلم الّذين يسمعونني منذ قرابة خمسٍ وعشرين سنةً وأنا أخطب على المنابر، هل سمعوا منّي في يومٍ من الأيّام أنّني قلتُ: إنّ فاعل الكبيرة كافر؟!! فوالله ما اعتقدتها يومًا من الأيام، حتّى وأنا حَدَثٌ في الطّلب، إنّما غرّهم عبارةٌ سمعوها، مع ما أراه من القرائن الظّاهرة من سوء القصد!! سمعوا مقالةً لي وهي أنّني قلت: «إنّ المصرّ مُستحِلٌّ»، ثمّ ضربتُ مثلًا، فقلت: «لو قال رجلٌ: إنّ الله ﷻ حرّم الرّبا، ولكنّي آكلُه، فهذا كافرٌ لا إشكال في كفره»، هذه هي العبارة الّتي قلتها.

قالوا: المصرّ مُستحِلٌّ؟!! هذا لم يقل به أحدٌ.

قلت: أنا ما تكلّمتُ عن من هو المصرّ!! وما ورد في كلامي أصلًا تعريف المصرّ، ولكن إذا كان الكلام مجملًا -وهذا هو كلام أهل العلم- ثمّ ورد بعده مثلٌ، فينبغي أن نردّ الكلام المجمل للمثل؛ لأنّ الأمثال من باب المبيّن، ولذلك يضربها الله ﷻ لتبيين

الكلام، قال عمرو بن مرّة: «إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي»؛ لأنّ اللّه تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فكلّ الأمثال من باب المبيّن، فأنا إذا قلت: «إنّ المصرّ مُستحِلٌّ»،وهذا كلامٌ مجملٌ، ثمّ قلت: مثالٌ -حتّى أبيّن معنى الكلام السّابق- إذا قال رجلٌ: إنّ الله حرّم الرّبا، أو حرّم الزّنا، أو حرّم العقوق، أو حرّم أيّ شيءٍ، لكنّي أفعله، فهذا واضحٌ أنّه كفر إباءٍ، ولكنّي ما قلتُ من هو المصرّ، فحينئذٍ أبيّن برغم أنّ الصّورة في غاية الجلاء، وغاية الوضوح، المصرّ ليس هو الّذي يفعل الذّنب ويكرّره ولو مرارًا؛ لأنّ تكرير الذّنب لا يدلّ على الإصرار... اهـ.

قلت: وكما ذكرت أنّ الإصرار المقصود هنا هو الّذي انعقد عليه عمل القلب، وهو ما نتج عن استحلال ما حرّم الله، والكبر والإباء الّذي دفع إلى عدم الإقرار بكلام الله، وعدم تحريم ما حرّم الله، وليس الإصرار هنا هو اقتراف ما نهى الله عنه من الكبائر مع اعتقاد حرمته!! لأنّه لا يقول أحدٌ معتبرٌ من أهل العلم بكفر هذا الصّنف، إلّا أنّ عبارة الشّيخ هي الّتي دفعت البعض إلى سوء الفهم عنه، وسوء الظّن به، وأنا ما عهدت الشّيخ منذ ملازمتي له من عشرين سنةً ويزيد؛ إلّا على منهج أهل السّنّة والجماعة في هذه المسألة، وأنّه لا يكفّر مرتكب الكبيرة، وإن أصرّ على فعلها؛ ما لم يعتقد استحلالها؛ أي أحلّ ما حرّم الله قصدًا واعتقادًا، ومن فعل ذلك فهو كافرٌ بلا خلافٍ.

ويرى الشّيخ أنّ القدريّة، والشّيعة الرّافضة، والخوارج، والجهميّة، والمرجئة، والصّوفيّة الّذين يقولون بوحدة الوجود والحلول والاتّحاد، ويتلبّسون بالشّركيّات من أضل وأشرّ الفرق.

ومن عجبٍ؛ أنّ هناك من افترى على الشّيخ وزعم أنّه جهميٌّ!! وقد ردّ عليهم ردًّا شافيًا في مقدّمة تحقيقه لكتاب: «الدّيباج على صحيح مسلم بن الحجّاج» للسّيوطيّ، والّتي كتبها في شهر الله المحرّم لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وستّة عشر من الهجرة، وكان ممّا قاله

الشّيخ: لعلّ النّاظر فيما علّقته على الكتاب يعلم اعتقادي، وأنّني -ولله الحمد- على مثل اعتقاد السّلف الصّالح من الصّحابة، والتّابعين، والأئمّة المتبوعين، كمالكٍ، والثّوريّ، والأوزاعيّ، والشّافعيّ، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبلٍ، وغيرهم من أهل العلم والدّين، ومنذ طلبت العلم -منذ أكثر من عشرين عامًا- لم أنتحل بدعةً قطّ -بحمد الله- لا في الاعتقاد، ولا في العمل، وأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي من عمري، حتّى ألقاه على التّوحيد الخالص، وإنّما قدّمتُ بهذا؛ لأنّ هناك من أشاع عنّي أنّني أنتحل مذهب الجهميّة في الصّفات، فأقول: سميعٌ بلا سمعٍ، وبصيرٌ بلا بصرٍ، وهكذا، ولم أبتلَ بمحنةٍ في حياتي -على ما فيها من محنٍ والحمد لله - بمثل هذه المحنة، ووالله لأنْ أُقدَّم فتُضرب عنقي -لا يقرّبني ذلك من إثمٍ- أَحَبُّ إليّ من أن أعتقد مذهب الجهميّة. اهـ.

وسرد الشّيخ قصّة هذه الفرية الّتي أُشيعت عنه، وسوف تجدونها كاملةً بإذن الله في أصل الكتاب: (سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ)، ولكن ممّا يذكر هنا؛ هو عبارة الشّيخ المؤدّبة في ردّه على من أشاعوا عنه هذه الفرية، حيث قال: وإنّي لأرجو أن يرجع إخواننا الّذين أشاعوا عنّي هذا القول المغلوط إلى جادّة الحقّ بعد هذا البيان، واللهَ أسأل أن يديم توفيقهم، وأن يقيهم من عثرات اللّسان، وقبح اعتقاد الجنان، وقد أحللتُ كلّ من تكلّم فيّ قبل هذا البيان، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب. اهـ.

هذا هو الشّيخ الحوينيّ الّذي نعرفه، ولازمناه، وأخذنا من سمته ودلّه، وتربّينا في مدرسته، حفظك الله يا شيخنا، وأدام عليك العافية، وأطال في عمرك في الطّاعة.

ويعتقد الشّيخ أنّ الكلام، والرّأي، والخصومة، والجدال، والمراء محدثٌ، وهو من الأسباب الرّئيسة في فرقة الأمّة.

ويعتقد أنّه لا حزبيّة في الإسلام، ويجب أنّ يتبرّأ من الحزبيّة والعصبية، وأن يتمسّكفقطبالقرآن، والسّنّة، ومنهاج القرون الثّلاثة الأول، ومن تبعهم بإحسانٍ، وأن ينأى أهل العلم والدّعوة بأنفسهم عن مواضع الهلكة، والشّبهات؛ حتّى لا يُظنّ بهم السّوء.

ويرى أن يرفق أهل السّنّة بعضهم ببعضٍ؛ لأنّهم غرباء، وأن يتمسّك بهدي النّبيّ ﷺ في الأمر بالمعروف، والنّهيّ عن المنكر، وأن يفرّق بين الهجر للدّنيا والهجر للدّين؛ لأنّ من علامات الخذلان أن يتكلّم المرء في أخيه بالظّنّ والهوى دون بيّنةٍ، بالنّظر لفهم السّلف الصّالح في هذا الباب، وكيف عملوا به في واقعهم.

ويعتقد أنّه ليس من الحكمة أن يردّ على كلّ أحدٍ افترى عليه، أو أثار حوله شبهةً، ما دام عرف عنه ما يعتقد في هذا الباب، وقد لاقى الشّيخُ الكثيرَ من الّذين افتروا عليه بغير بيّنةٍ، وفهموا عنه خطأً، لكنّه لم يلتفت إليهم، ولم يردّ عليهم إلّا بقدر ما دعت إليه الحاجة، كالّذين رموه ظلمًا وبهتانًا -كما ذكرنا- بمقالة الجهميّة في الصّفات!! وقد قال الشّيخ: والله لأن أقدّم فتضرب عنقي -ما يقرّبني ذلك من إثمٍ- أحبّ إليّ من أن أعتقد مذهب الجهميّة، وأيضًا ما زعموه من تكفير الشّيخ لمرتكب الكبيرة، والمصرّ على فعلها!! والّذي بيّن الشّيخ -كما مرّ معنا- في أكثر من مناسبةٍ أنّه ما خطر بباله قطّ أن يكفر المصرّ، فضلًا عن أن يقول بذلك، لتضافر الأدلّة على خلاف ذلك، وأيضًا من كذب القوم، وافترائهم عليه، أنّه خارجيٌّ، ويكفّر حكّام المسلمين!! ويوالي أهل البدع!! إلى آخر هذا الكذب والتّضليل وسوء الفهم عنه، ولكنّ الشّيخ كان لا يلتفت لهؤلاء الفارغين من الإنصاف، وينصح دائمًا أن تهمل مقالة البهتان؛ حتّى تسقط، وتموت وحدها، وفي خطبه ومجالسه ما يكفي لبيان معتقده ومنهجه، والرّدّ على أمثال هؤلاء ممّن يفترون الكذب.

وكان الشّيخ -حفظه الله- يقول كثيرًا: إن أعظم محنةٍ تقع على المرء، أن يُرمى في سلامة اعتقاده.

*** السّادس عشر: مؤلّفات الشّيخ، ومشاريعه العلميّة:**

منذ بداية الشّيخ في طلب علم الحديث حُبِّبَ إليه التّصنيف، والتّأليف، والتّحقيق، وتحرير المسائل العلميّة، وتتبع أقوال الأئمّة، وقد رُزق الشّيخُ حسنَ العبارة والتّصنيف، وأفاده في ذلك نشأته الأدبيّة الّتي تقدّم ذكرها، والإقبال على لسان العرب وأشعارهم،

وقصصهم، وأمثالهم، وقد لاح ذلك حتّى في محاضراته، ودروسه المتعدّدة.

وكان من ثمرة هذا الجهد على مدار سنواتٍ طويلةٍ تصل لأربعة عقودٍ؛ إنتاج العديد من المشاريع، والمؤلّفات، والّتي منها ما طُبع، ومنها ما هو مخطوطٌ، ونأتي على ذكر شيءٍ من ذلك، لا الحصر:

أوّلًا: أغلب ما طُبع للشّيخ من مؤلّفاتٍ، أو تحقيق وتخريج المخطوطات:

١- فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، لأبي حفصٍ عمر بن بدرٍ الموصليّ الحنفيّ: (جزءٌ طبع بدار الكتب العلميّة في بيروت - عام ١٤٠٥هـ).

٢- الأربعون في ردع المجرم عن سبّ المسلم، للحافظ ابن حجرٍ العسقلانيّ: (طبع بمؤسّسة الكتب الثّقافيّة، في بيروت - عام ١٤٠٦هـ).

٣- الانشراح في آداب النّكاح: (مؤلّفٌ، جزءٌ طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت - عام ١٤٠٧هـ).

٤- خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، للنّسائيّ: (جزءٌ طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت - عام ١٤٠٧هـ).

٥- النّافلة في الأحاديث الضّعيفة والباطلة: (مؤلّفٌ؛ طبع في جزئين بدار الصّحابة للتّراث في مصر - عام ١٤٠٨هـ).

٦- كشف المخبوء بثبوت حديث التّسمية عند الوضوء: (جزءٌ طبع بمكتبة التّوعية الإسلاميّة في مصر - عام ١٤٠٨هـ).

٧- نهي الصّحبة عن النّزول بالرّكبة: (جزءٌ لطيفٌ - طبع في دار الكتاب العربيّ في بيروت، ودار المشرق العربيّ في مصر - عام ١٤٠٨هـ)، (وبمكتبة التّوعية الإسلاميّة في مصر - عام ١٤٠٨هـ).

٨- البعث، لعبد الله بن أبي داود: (جزءٌ طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت - عام ١٤٠٨هـ).

٩- الأربعون الصّغرى، للبيهقيّ: (جزءٌ طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت- عام ١٤٠٨هـ).

١٠- غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود: (طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت، في ثلاثة أجزاءٍ - عام ١٤٠٩هـ).

١١- بذل الإحسان بتقريب سنن النّسائيّ أبي عبد الرّحمن: (مؤلّفٌ؛ طبع في مجلّدين بمكتبة التّربية الإسلاميّة، في مصر - عام ١٤١٠هـ).

١٢- طليعة سمط اللّآلي في الرّدّ على الشّيخ محمّد الغزالي: (مؤلّفٌ في جزءٍ لطيفٍ - طبع بمكتبة التّوعية الإسلاميّة في مصر - عام ١٤١٠هـ).

١٣- كتاب الصّمت وآداب اللّسان، لابن أبي الدّنيا: (جزءٌ طبع بدار الكتاب العربيّ في بيروت - عام ١٤١٠هـ).

١٤- فضائل فاطمة ﵂، لابن شاهين: (جزءٌ طبع بمكتبة التّربية الإسلاميّة، في مصر - عام ١٤١١هـ).

١٥- صحيح القصص النّبويّ: (مؤلّفٌ طبع في جزءٍ بمكتبة الصّحابة في جدّة - عام ١٤١١هـ).

١٦- الأحاديث القدسيّة الأربعينيّة، لملّا عليّ القاري: (جزءٌ طبع بمكتبة الصّحابة في جدّة، وبمكتبة التّابعين في مصر - عام ١٤١٢هـ).

١٧- جزءٌ في تصحيح حديث القلّتين، والكلام على أسانيده، للحافظ صلاح الدّين العلائيّ: (جزءٌ طبع بمكتبة التّربية الإسلاميّة، في مصر - عام ١٤١٢هـ).

١٨- كتاب الزّهد لأسد بن موسى: (تحقيقٌ وتخريجٌ، طبع بمكتبة التّوعية الإسلاميّة، ومكتبة الوعي الإسلاميّ في مصر - عام ١٤١٣هـ).

١٩- جزءٌ فيه مجلسان من أمالي الصّاحب نظام الملك أبي عليّ الحسن بن عليٍّ: (طبع

بمكتبة العلم بجدّة، ومكتبة ابن تيميّة بمصر - عام ١٤١٣هـ).

٢٠- مسند سعد بن أبي وقّاصٍ، للبزّار: (جزءٌ طبع بمكتبة ابن تيميّة في مصر - عام ١٤١٣هـ).

٢١- رسالتان في الصّلاة والسّلام على النّبيّ ﷺ، وعقيدة أهل السّنّة والجماعة في الصّحابة الكرام: (تحقيقٌ، طبع بمكتبة التّربية الإسلاميّة في مصر - عام ١٤١٤هـ).

٢٢- جزءٌ فيه مجلسان من إملاء أبي عبد الرّحمن النّسائيّ: (جزءٌ طبع بمكتبة التّربية الإسلاميّة في مصر - عام ١٤١٤هـ).

٢٣- جنّة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، لأبي حفصٍ عمر بن بدرٍ الموصليّ الحنفيّ: (مجلّدٌ طبع بدار الكتاب العربي في بيروت - عام ١٤١٤هـ).

٢٤- فضائل القرآن، لابن كثيرٍ: (طبع بمكتبة العلم بجدّة، ومكتبة ابن تيميّة بمصر، في مجلد - عام ١٤١٦هـ).

٢٥- الدّيباج على صحيح مسلم بن الحجّاج، للسّيوطيّ: (طبع بدار ابن عفّان في السّعوديّة، في ستّ مجلّداتٍ - عام ١٤١٦هـ).

٢٦- تفسير القرآن العظيم، لابن كثيرٍ: (طبع بدار ابن الجوزيّ بالسّعوديّة، في مجلّدين - عام ١٤١٧هـ).

٢٧- الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العواليّ، لأبي عمرٍو السّمرقنديّ: (جزءٌ طبع بمكتبة ابن تيميّة في مصر، وتوزيع مكتبة الخرّاز في جدّة - عام ١٤١٨هـ).

٢٨- كتاب الأمراض والكفّارات والطّبّ والرّقيات، لضياء الدّين المقدسيّ: (طبع بدار ابن عفّان، في مصر - مقدّمة الطّبعة الأولي، عام ١٤١٣هـ، ونشرت الطّبعة الثّانية، عام ١٤٢٠هـ).

٢٩- تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النّظر في كتب الأماجد: (طبع المجلّد الأوّل بمكتبة

البلاغ في الإمارات -عام ١٤١٨هـ، ثمّ طبع في ستّ مجلّداتٍ، طبعة دار المحجّة، بالإمارات أيضًا - عام ١٤٢٤هـ، وسيدفع قريبًا للطّبع في أكثر من خمسة عشر مجلّدًا بإذن الله تعالى).

٣٠- فتاوى أبي إسحاق الحوينيّ، المسمّى إقامة الدّلائل على عموم المسائل: (جزءٌ طبع بدار التّقوى في مصر - عام ١٤٢٩هـ).

٣١- الجزء فيه الثّاني من حديث الوزير أبي القاسم الجرّاح، يشتمل على سبعة مجالس متواليةٍ، أوّلها السّابع، وآخرها الثّالث عشر: (جزءٌ طبع بدار التّقوى في مصر - عام ١٤٣١هـ).

٣٢- الفتاوى الحديثيّة، المسمّى إسعاف اللّبيث بفتاوى الحديث: (ثلاثة أجزاءٍ، طبع بدار التّقوى في مصر - عام ١٤٣٢هـ)، ثمّ (زاد مجلّدًا رابعًا، وطبع بنفس دار النّشر -١٤٣٢هـ)، ثمّ بعد ذلك (زاد مجلّدًا خامسًا، وطبع أيضًا بنفس الدّار- عام ١٤٣٢هـ)،وقد حوى هذا الكتاب الإجابة عن أسئلة القرّاء الوافدة لمجلّة التّوحيد، الصّادرة عن أنصار السّنّة المحمّديّة، والّتي بدأ الشّيخ الجواب عنها في شهر صفرٍ عام ١٤١٣هـ، وآخرها في عام ١٤٣٥هـ.

ثانيًا: بعض ما لم يطبع للشّيخ من مؤلّفاتٍ، أو تحقيق وتخريج لمخطوطات:

١- مسند أبي عوانة، تحقيقٌ، وقد تمّ، والحمد لله، وسيدفع به للطّبع قريبًا بإذن الله.

٢- تسلية الكظيم بتخريج أحاديث وآثار تفسير القرآن العظيم.

٣- تعلّة المفئود بشرح المنتقى لابن الجارود.

٤- جنّة المستغيث بشرح علل الحديث، لابن أبي حاتمٍ.

٥- درّة التّاج على صحيح مسلم بن الحجّاج.

٦- سدّ الحاجة بتقريب سنن ابن ماجه.

٧- فكّ العاني بشرح تعليل الطّبراني.

٨- العباب بتخريج قول التّرمذيّ: «وفي الباب».

٩- فكّ الوثاق بشرح كتاب الرّقاق (من صحيح البخاري).

١٠- كنز البخيل بما ورد عن السّلف من تأويل آي التّنزيل، وهذا من أجلّ كتب الشّيخ عنده.

١١- نوح الهديل بشرح ما في سنن أبي داود من التّذييل.

١٢- كسوة العاري ببيان علّة الحذف عند البخاري.

١٣- مسند أبي هريرة رضي الله عنه، جمعٌ وترتيبٌ، وكان للذّب عنه رضي الله عنه، وبيان جلالة قدره، وسعة حفظه، والتّمييز بين ما ثبت عنه، وما لم يثبت.

١٤- مجمّة الفؤاد بما اتّفق عليه الشّيخان في المتن والإسناد.

١٥- الهديّة بشرح صحيح الأحاديث القدسيّة.

١٦- نبع الأماني في ترجمة الشّيخ الألباني.

١٧- مسامرة الفاذّ بمعنى الحديث الشّاذّ.

١٨- القول الرّجيح في صلاة التّسبيح.

١٩- القالات الحسان عن ليلة النّصف من شعبان.

٢٠- ما رواه أبو الزّبير عن غير جابر، لأبي الشّيخ الأصبهانيّ.

٢١- الفجر السّافر على أوهام الشّيخ أحمد شاكر.

٢٢- كشف الخفاء عمّا ورد في فضل عاشوراء.

٢٣- الظّلّ الوريف في حكم العمل بالحديث الضّعيف.

وغيرها الكثير والكثير من مصنّفات الشّيخ الّتي مازالت مخطوطةً،ولم تطبع إلى الآن، فمنها ما تمّ ويحتاج إلى مراجعةٍ، ومنها ما لم يكتمل، ومن عادة الشّيخ أنّه لو بدأ في

مشروعٍ علميٍّ، ووقعت له فائدةٌ في بابٍ من الأبواب لا يفوّت هذه الفائدة حتّى يبحث لها عن نظائر، ليضع بها لبنةً تمكّنه من بناء مصنّفٍ علميٍّ نافعٍ بهذه الفائدة، أضف إلى ذلك انشغال الشّيخ الاضطراريّ -والّذي أصبح واجبًا عليه- بالدّعوة ولقاء النّاس؛ ممّا فوّت عليه الكثير من وقته الّذي كان ينفقه كلّه في صدر شبابه للمكتبة، ولكنّه أصبح رجل عامّةٍ ولم يعد يستطيع أن يردّ النّاس، أو أن ينقطع عنهم، نسأل الله ﷻ أن يجعل عمله خالصًا متقبّلًا، وفي ميزان حسناته، ونسأل الله

-تبارك وتعالى- أن يبارك في عمر الشّيخ، وأن ينفع بعلمه، وأن يوفّقه إلى إخراج ما لم يطبع من كتبه.

*** السّابع عشر: من كلمات الشّيخ ووصاياه:**

قال الشّيخ: العلم لا يُسلِمُ قياده ولا يستقيم لبليدٍ ولا لغبيٍّ.

وقال: الغربة قوّةٌ، وليست ضعفًا.

وقال: إنّ المسلم الحقّ تزيده الغربة صمودًا.

وقال: هل تعرفون مَن المغبون حقًّا؟ ثمّ قال: المغبون حقًّا من مات ولم يستمتع بدين الإسلام.

وقال: لتستمتع بالإسلام؛ فأوّل درجات الحبّ: أن تبذل ماكنت تستمتع به قبل المحبّة وإن كرهتَ تجرّعًا، وهذه هي «مرحلة المقاومة»، فإن ترقّيتَ في المحبّة، بذلته رضًا وتطوّعًا، وهذه هي «مرحلة التّذوق»، فإن ترقّيتَ في المحبّة بذلته ذلًّا وتضرّعًا، وهذه هي «مرحلة الاستمتاع»، حتّى يصل بك الحال أن تبذل نفسك ذلًّا وتضرّعًا.

وقال: لا مساومة على أيّ شيءٍ ممّا أوجبه الله -تبارك وتعالى- عليك، وأنت الأقوى مهما فقدتَ من متاع الدّنيا.

وقال: لو أنّ المرأة استقامت على الطّريقة، وفعلتْ ما أمرها الله به ورسوله، وكانت

في ظهر زوجها تعينه، وتربّي الأبناء على المحبّة والانتماء الصّادق للإسلام، أحلفُ بالله -لا أستثني- إنّنا منصورون.

وقال: أعتقد أنّني لا قيمة لي بغير الدّعوة إلى الله.

وقال: مصادرنا الأصليّة مهدّدةٌ، لا سيّما صحيح البخاريّ، ونحن في حاجةٍ ماسّةٍ لتحرير العلم، إنّما العلم التّحرير.

وقال: أيّها الشّباب إنّ عليكم مسئوليّةً كبيرةً، ولن ينتصر هذا الدّين إلّا إذا رجعتم مرّةً أخرى إلى حقيقته.

وقال: لن يخرج اليهود من القدس إلّا على أسنّة الرّماح.

وقال: أشرفُ الأعمال قاطبةً أن تموت خادمًا لهذا الدّين.

وقال: من استمسك بحبل الله فهو منصورٌ ولو كان وحده.

وقال: إنّ اللّقطاء في العلم لم يظهروا إلّا بعد غياب أهل العلم.

وقال: الّذي جرّأ أعداءَنا على ديننا هو غياب حرّاس الحدود -أي أهل العلم وطلبته-.

وقال: لو احتلّ العدوّ جميع أراضينا لا يساوي هذا سقوط «صحيح البخاريّ».

وقال: إنّني اتمنّي أن أموت واقفًا، وأن أناضل عن ديني إلى آخر لحظةٍ.

*** الثّامن عشر: أسرة الشّيخ، وأبناؤه:**

تزوّج الشّيخ قبيل إتمام عقده الثّالث من بيت كرمٍ وفضلٍ، وصاهر رجلًا من خيرة من لقيهم الشّيخ في حياته، وهو الشّيخ حسين السّيّد شراقة؛ حيث كان عونًا له، ولم يضيّق عليه في شيءٍ يتعلّق بالزّواج، ولذلك لا يذكره الشّيخ إلّا وأثنى عليه حيًّا، ودعا له حيًّا وميّتًا؛ فقد كانت له أيادٍ بيضاءُ كثيرةٌ على الشّيخ، وكان له نعم العون والمعين، فلم يغالِ عليه في نفقة الزّواج، بل كان يعتبره كولده وأكثر، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول للشّيخ: أنت ابني الّذي لم أنجبه!

وكان الشّيخ حسين رَحِمَهُ اللَّهُ من أعيان محافظة سوهاج بصعيد مصر، وكان عليه وقارٌ، ذو سمتٍ حسنٍ، متسنّنٌ، له لحيةٌ بيضاءُ كبيرةٌ، وكان يخضبها في وقتٍ قلّ فيه من كان يفعل ذلك تسنّنًا.

وقد لقي منه الشّيخ إحسانًا وفضلًا، فكان والدًا وصهرًا معًا، يشعر معه الشّيخ شعور الابن مع الأب المحبّ الكريم، حتّى إنّه كان يمكث عند الشّيخ خمسة عشر يومًا، وفي بلدته خمسة عشر يومًا من حبّه له، وارتباطه به، مع ما له من الصّلاح والورع، وقوّة القلب، والشّدّة في الحقّ، لا يخاف في الله لومة لائمٍ، وقد تسنّن رَحِمَهُ اللَّهُ والتزم الهدي الظّاهر في زمن غربة السّنّة، حتّى إنّه لم يكن في سوهاج كلّها أحدٌ ذو لحيةٍ وملازمةٍ للسّنّة إلّا الشّيخ حسينًا، وبضعة أفرادٍ، وكان قد التحق بأنصار السّنّة المحمّديّة، وشارك معهم في شؤون الدّعوة إلى الله، وبقي على ذلك، إلى أن توفّي رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ألفٍ وأربعمائةٍ وثمانيةٍ وعشرين من الهجرة، الموافق ألفين وسبعةٍ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

وقد صرّح الشّيخ في أكثر من مناسبةٍ عامّةٍ وخاصّةٍ بفضل صهره الشّيخحسين شراقة -رحمة الله عليه-، ولم يزل يدعو له في صلواته؛ عرفانًا بفضله عليه، وأثره في حيّاته.

وبعد وفاة الشّيخ حسين شراقة رَحِمَهُ اللَّهُ قال شيخنا: أرى واجبًا عليّ أن أذكر والد زوجتي رَحِمَهُ اللَّهُ، فأنا أحمل لهذا الرّجل الفاضل رَحِمَهُ اللَّهُ جميلًا في عنقي؛ لأنّه لمّا تقدّمتُ لأتزوّج من ابنته كنت فقيرًا، وكنت وحيدًا، ولم يكن معي شيءٌ مطلقًا، والرّجل قبلني، ولم أكن إذ ذاك نابهًا، ولا يظهر عليّ علامات النّباهة!! إنّما كنت طالب علم صغيرٍ، وكنت أعمل في بقالةٍ، فلا يوجد معي منصبٌ، ولا مالٌ، ولا يظهر عليّ نباهةٌ، ولا طلب علمٍ، ولا شيءٌ من هذا!! فلمّا تقدّمت لخطبة ابنته ما فرض عليّ شيئًا قطّ، ولا زلت أحمل له هذا الجميل

حتّى مات رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا أترك اسمه أبدًا في الّذين أدعو لهم في صلاة الوتر يوميًّا، أن يرحمه الله عَزَّوَجَلَّ وأن يُدخله فسيح جنّاته، وأن يتجاوز عن سيّئاته، وهذا الجميل منه لي هو طوقٌ في عنقي، وكنت أتمنّى أن أقول هذا الكلام وهو حيٌّ حتّى تطيب نفسه، وإن كان يعلم في حياته مكانته وقدره عندي.

وبعد سنواتٍ من زواج الشّيخ من زوجته الأولى، فكّر في التّعدّد، وسبب ذلك له قصّةٌ، خلاصتها أنّ الشّيخ كان يدعو إلى التّعدّد قبل أن يُعدّد هو؛ لأنّ التّعدّد من الإسلام، وله أحكامٌ شرعيّةٌ، ونظرة المجتمعات الإسلاميّة وغيرها لقضيّة التّعدّد نظرةٌ بعيدةٌ عن الفهم الصّحيح لهذه القضيّة الهامّة، والّتي تعدّ من أهمّ القضايا الّتي تؤثّر في استقامة المجتمع واستقراره، فكان الشّيخ يتناول هذه القضيّة في مجالسه، فسأله سائلٌ ذات مرّةٍ: يا شيخ، هل قمت بالتّعدّد؟ فقال له الشّيخ: لا، ليس بعد! فقال: إذن؛ كيف تدعونا إلى شيءٍ، وتتحمّس له بهذه الصّورة ولم تجربه؟! فكان طرح هذا السّائل من أسباب تفكير الشّيخ في التّعدّد، لا سيّما والنّاس يحتاجون دائمًا إلى قدوةٍ يقتدونبها ويتأسّون بها في التزامهم بأمرٍ شرعيٍّ هجرَه النّاس!! وهذه هي عادة النّاس في التّأسي.

وبعد تفكيرٍ من الشّيخ استخار الله -تبارك وتعالي-، واستشار من يثق به، ثمّ عرض الأمر على زوجته -حفظها الله- فكانت نعم الزّوجة الصّالحة في هذا الموطن، فقد وافقت دون شرطٍ أو قيدٍ، ودعت للشّيخ بخيرٍ، ممّا دفع الشّيخ أن يطلب منها أن تختار هي له زوجةً لا يشترط فيها إلّا الدّين، ووفّق الشّيخ ولله الحمد في هذا الباب.

ومعلومٌ أنّ الشّيخ -حفظه الله- مع دعوته إلى تعدّد الزّوجات؛ ولكن شريطة أن يكون بضوابطه الشّرعيّة، وليس لشهوةٍ دنيويّة فحسب، ولذلك يرى الشّيخ أنّه ليس كلّ رجلٍ يصلح أن يعدّد، وأنّ التّعدّد أشبه ما يكون برجلٍ عنده بيتٌ مؤلّفٌ من طابقٍ واحدٍ ويريد أن يبني فوقه طابقًا ثانيًا، وثالثًا، ورابعًا، فإن كان أساس البيت هشًّا ضعيفًا؛ فلا

يحتمل طابقًا آخر بطبيعة الحال؛ ولو بناه لهدم ما تحته!! وإن كان أساس البيت قويًّا مطيقًا لذلك؛ استطاع أن يشيّد فوقه ما يريد في إطار المسموح له به.

وهكذا التّعدّد، لا يصلح لكلّ أحدٍ؛ لأنّه لا بدّ للمقدم عليه أن يتعلّم فقه التّعدّد، وأن ينظر في حاله هل يعلم من نفسه أنّه يستطيع أن يفعل ذلك أم لا؟ لأنه مُطالَبٌ ببناء بيتين، وليس ببناء بيت وهدم آخر، فتأمّل.

وقد كان الشّيخ كعادته في إحياء السّنّة، لا يقف على أمرٍ فيه سنّةٌ عن النّبيّ ﷺ؛ إلّا عمل بها في خاصّة نفسه، وإن لم يكن له مقتضى في حياته؛ أوجد لهمقتضى؛ لكي تناله بركة إحياء سنّةٍ، وكان يسارع لدعوة النّاس إليها، مع بيان فقه هذه السّنّة؛ لأنّه من الممكن أن يتمكّن من إقامتها البعض، ولا يستطيع ذلك البعض الآخر، فأصبح البيان لفقه هذه السّنّة واجبًا؛ كسنّة تعدّد الزّوجات كما ذكرنا.

ولعلّ من الأسباب الرّئيسة أيضًا في إقدام الشّيخ على ذلك تعليمًا وعملًا؛ ما لقيه أثناء طريقه في الدّعوة إلى الله والإصلاح من أزماتٍ في المجتمع بسبب هجر سنّة التّعدّد، وقد عاين الكثير من المشاكل الموجودة في المجتمع، وخاصّةً ما يتعلّق بكثرة المطلّقات، والأيامى، فضلًا عن نسبة العنوسة الكبيرة، وقد حاول جاهدًا أن يعالج ذلك قدر المستطاع في خطبه ومحاضراته، والّتي بسببها فُتحتْ بيوتٌ، واستقرّت أسرٌ والحمد لله، وإن لم يرق الكلام في هذا الأمر لجلّ من استمع إليه من النّساء في بادئ الأمر!! -هداهنّ الله- حتّى وصل الأمر أنّ الشّيخ ذات مرّةٍ تكلّم عن قضيّة التّعدّد فيأحد المسجد، فتواصى النّساء فيما بينهنّ أن يتركن المجلس!! ولذلك بدأ الشّيخ يحتاط في الكلام عن هذه القضيّة الهامّة وفي نصح الأزواج، بما يرغّب النّساء في الاستماع لهذه القضيّة، فبدأ الشّيخ بمزج الكلام من الوجهة الشّرعيّة عن هذه القضيّة بقصصٍ من الواقع ينصدع لها القلب؛ ممّا جعل النّساء على أقلّ الأحوال لا يتّهمن

المرأة الّتي تقبل بالتّعدّد بخطف الرّجل من بيته الأوّل!! ولا يتّهمن الرّجل الّذي يرغب في التّعدّد بأنّ عينه زائغةٌ!! حتّى وصل الأمر مع الجهد والصّبر عليه، أنّ من النّساء من جعلت الدّعوة لقضيّة التّعدّد بالنّسبة لها من أعمال القربات إلى الله ﷻ.

وكان الشّيخ يرى أنّ تقديم الزّواج بالأيّم في التّعدّد مقدّمٌ على الزّواج بالبكر؛ لأنّ فرص زواج البكر أكثر من الأيّم، وحتّى لا يظنّ أنّ الرّجل يبحث في الزّواج بامرأةٍ أخرى عن بكرٍ تحصيلًا لشهوةٍ فقط!! وإن كان لا حرج عليه بلا ريبٍ في الزّواج ببكرٍ عند رغبته في التّعدّد، وفي كلّ خيرٌ، ولكن ربّما فقه الزّواج بالأيّم وحاجتها لهذا الأمر مقدّمةٌ، والله أعلم.

وأيضًا لأنّ كفالة اليتيم من أعظم القربات إلى الله ﷻ لقول النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا»، وأشار بالسّبّابة والوسطى، وفرّج بينهما. فكان الشّيخ يرى أنّ كفالة اليتيم لا تكون بإنفاق المال عليه فحسب، بل أن يكون كأبيه، فيربّيه كواحدٍ من أبنائه، وهذا لا يكون على الوجه الأمثل لمن أراد المزيد من الأجر إلّا إذا تزوّج الكافل بأمّ هذا اليتيم، وهذا يحتاج إلى صلاح نيّةٍ، وإخلاصٍ في العمل.

وكلام الشّيخ عن قضيّة التّعدّد مسجّلٌ ومنشورٌ؛ لمن أراد المزيد من الفائدة.

وكان للشّيخ تجربةٍ أخرى في التّعدّد تزوّج فيها من سيّدةٍ فاضلةٍ، ولكن لم يستمرّ هذا الزّواج طويلًا، وفارقها الشّيخ، وقد رُزق منها بابنةٍ نسأل الله ﷻ أن يحفظها.

ثمّ تقدّم الشّيخ للزّواج من ابنة الشّيخ حسن عبد الغنيّ رحمه الله، وكان مدرّسًا في الأزهر بمحافظة كفر الشّيخ، ثمّ صار مديرًا للمعهد الأزهريّ بعد ذلك، وكان الشّيخ حسن رحمه الله رجلًا فاضلًا، صالحًا، نقيّ القلب، فيما يظهر من صالح حاله -نحسبه والله حسيبه- يحرص على إخوانه ومن حوله، يحبّه كلّ من لقيه لسمته الطّيّب رحمه الله، وصاهره الشّيخ وتزوّج

من ابنته الّتي كانت متزوّجةً قبله، ورُزقت بابنةٍ من زواجها الأوّل، فربّاها الشّيخ، وأحسن تربيتها، حتّى تزوّجت وأقامت في بيتها الجديد.

وتقدّم الشّيخ للزّواج من ابنة الشّيخ صالح مصطفي السّيّد رَحِمَهُ اللهُ، وكانت ابنته إذ ذاك أرملةً، تحتها ثلاث بناتٍ، وتمّ زواج الشّيخ من هذه المرأة الفاضلة، فأحسن الشّيخ إليها وإلى ربيباته الثّلاث، وكان لهنّ نعم الوالد بعد والدهنّ رَحِمَهُ اللهُ، وتعهّدهنّ الشّيخ بالتّربية والتّعليم، ولمّا وصلن إلى سنّ الزّواج لم يجد الشّيخ خيرًا منهنّ لتزوجيهنّ لأبنائه، وتمّ هذا الزّواج المبارك، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحفظهم جميعًا.

وكان والد الزّوجة الشّيخ صالح رَحِمَهُ اللهُ من أطيب النّاس، وأرقّهم فؤادًا، وأسرعهم إلى تطبيق السّنّة -نحسبه والله حسيبه- وكان ذا لحية بيضاء ناصعةً، وكان ذا وجه منير، وكان -فيما نحسب- له حالٌ مع الله، وما كان يترك قيام اللّيل إلى أن مات رَحِمَهُ اللهُ، له صوتٌ خاشعٌ إذا قرأ القرآن، شهد له من عرفه من العلماء والدّعاة بالصّلاح، والاستقامة، ومن عرفه يحسبه من أهل التّقوى، ومن عباد الله المخلصين، ولا نزكي على الله أحدًا، صاحبه الشّيخ فكان نعم الصّاحب، وكانت محبّته للشّيخ ظاهرةً في أدبه الجمّ معه، ولي مع عمّي صالحٍ رَحِمَهُ اللهُ مواقف لا تنسى، أدّخرها لأصل الكتاب بإذن الله -تبارك وتعالى-، وقد توفّي رَحِمَهُ اللهُ في شهر رمضان من عام ألفٍ وأربعمائةٍ وأربعةٍ وثلاثين من الهجرة، الموافق ألفين وثلاثة عشر (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، بسبب اعتداء مجموعةٍ من المجرمين عليه بعد عودته من صلاة المغرب؛ لسمته الظّاهر المتمسّك فيه بالسّنّة، وتلقى الشّيخ صالح ضرباتٍ على رأسه من هؤلاء المجرمين، دخل بعدها إلي المشفى في حالةٍ حرجةٍ بسبب نزيفٍ في المخّ، وبعد ما يقرب من ستّة أيّامٍ في غرفة العناية المركّزة توفّي الرّجل الصّالح عمّي صالح رَحِمَهُ اللهُ والّذي كان له من اسمه نصيبٌ، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينتقم ممّن اعتدى عليه.

ثم تزوّج الشّيخ بعد ذلك بالزّوجة الرّابعة، وكانت سيّدةً فاضلةً ديّنةً، محبّةً للعلم

وأهله، طالبةً له، وكانت من بيتٍ محبٍّ للدّين، ووالدها هو الشّيخ إبراهيم المغازيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان رجلًا صالحًا، ذا سيرةٍ محمودةٍ، وكان خطيبًا في مسجد قريته بمحافظة كفر الشّيخ، ووالدتها امرأةٌ فاضلةٌ محبّةٌ لأعمال الخير، وكان للزّوجة من زوجها الأوّل؛ ولدٌ وبنتٌ، حرصتْ على تربيتهما على الدّين وحسن الخلق، وقد ساهم الشّيخ في تربيتهما كتربيته لأبنائه.

وللشّيخ ستّةٌ من الذّكور: (حاتمٌ، وهيثمٌ، وهمّامٌ، وسفيان، وشعبة، وهنّادٌ)، وستٌّ من الإناث: (سلمى، وعائشة، وميمونة، ورقيّة، وأمامة، وسلوانُ)، وربيبٌ واحدٌ: (مؤمن)، وخمس ربيباتٍ: (شيماء، ونورهان، وجهادُ، وياسمين، ومرامُ)، -بارك الله فيهم جميعًا وحفظهم- وقد حرص الشّيخ في تربيته لهم على تعليمهم محبّة الدّين والغيرة عليه، والقيام بأوامره، تعظيمًا لأمر الله، ولأمر رسوله ﷺ، وبثّ فيهم محبّة الصّحابة y، وأئمّة المسلمين من سلف هذه الأمّة الصّالح، كما ربّاهم على حسن الخلق، والبرّ، وصلة الرّحم، جزاه الله خيرًا وحفظه من كلّ سوءٍ.

وحرص الشّيخ على تعليم كلّ أبنائه في المؤسّسة الأزهريّة، ومثال ذلك: تخرّجت ابنته الكبرى أمّ الفضل سلمى بنت أبي إسحاق في كلّية الدّراسات الإسلاميّة بالأزهر الشّريف، وكذا تخرّج أبو يوسف حاتم بن أبي إسحاق في كليّة الشّريعة، وتخرّج أبو يحيى هيثم بن أبي إسحاق في كليّة أصول الدّين قسم الحديث النّبويّ، وغيرهم من أبناء الشّيخ -حفظه الله في دينه ونفسه وولده-.

* وبإذن الله تبارك وتعالى سوف تجدون في أصل كتابي: (سيرة حارس الحدود الأثريّ أبي إسحاق الحوينيّ)، توسّعًا في مباحث الكتاب، لا سيّما ما سيتعلّق بجهد شيخنا -حفظه الله- في الحفاظ على تراث الأمّة ومنهجه، ومدرسته الحديثيّة، فنسأل الله تبارك وتعالى التّوفيق والسّداد في القول والعمل.

ونسأل الله -تبارك وتعالى- أن يبارك للشّيخ في علمه، وأهله، وذرّيّته، وماله، وإخوانه، وطلبته، وأن يشفيه شفاءً لا يغادر سقمًا، وأن يمتعه بالصّحّة،والعافية؛ وأن يجعل له في قلوب عباد الله ودًّا، وأن ينفع به حيثما حلّ، وأن يجعل عمله في ميزان حسناته، وأن يرزقه بخاتمة السّعادة، والفردوس من الجنّة.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبوبكرٍ

مؤمن بن البدويّ بن إسماعيل آل ياسين

المصريّ الأثريّ

ليلة الأحد، الثّلاثون من شهر جمادى الآخرة

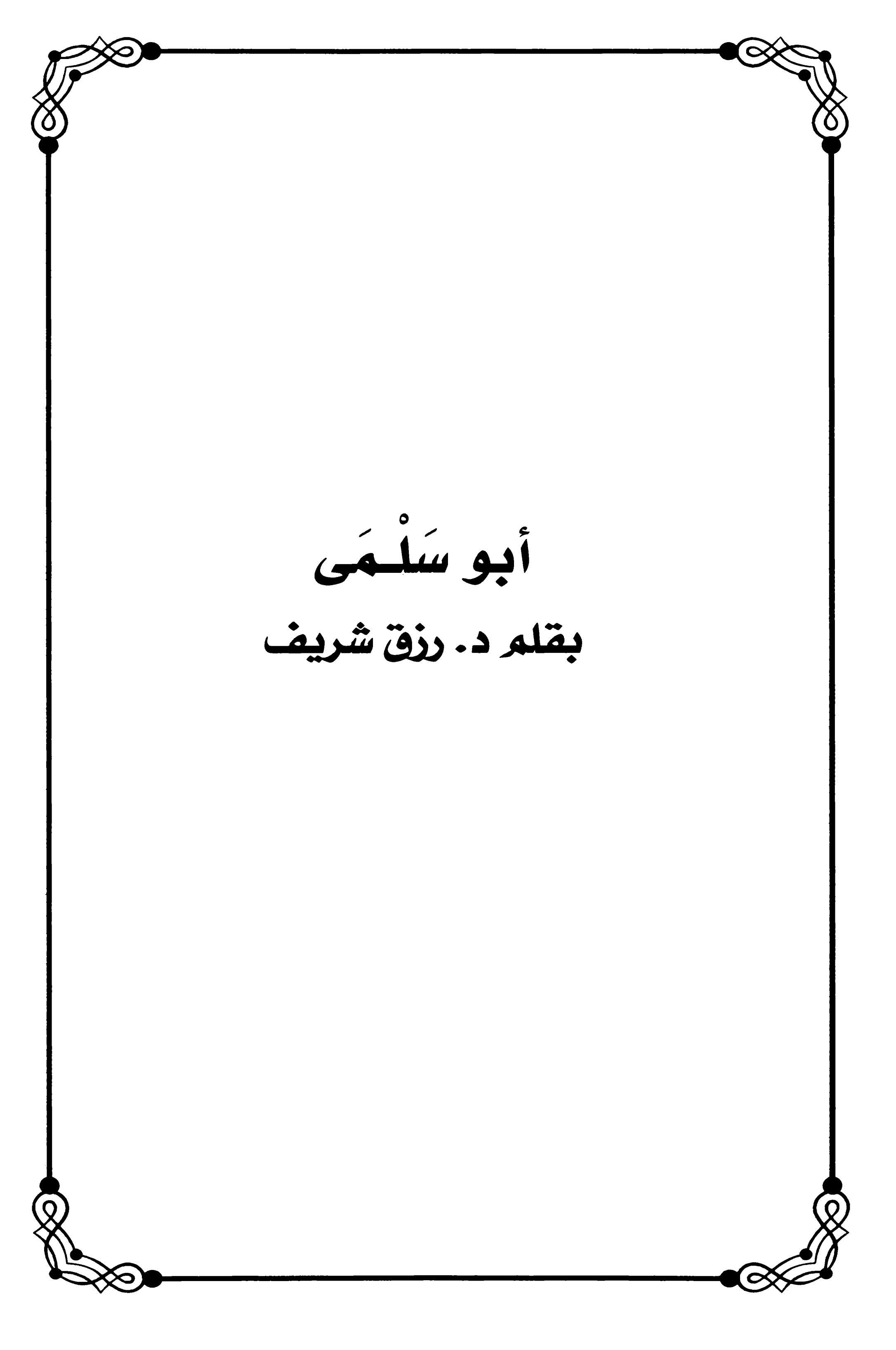
لسنة ستٍّ وثلاثين وأربعمائةٍ وألف من الهجرة

(٣٠/ ٦/ ١٤٣٦هـ - الموافق ١٩/ ٣/ ٢٠١٥)

ثمّ زدتُ على هذه الطّليعة، وقدّمتُ وأخّرتُ أحيانًا، وتوسّعتُ في مواضع منها للفائدة، ولعموم النّفع بها بإذن الله-تبارك وتعالى-.

وانتهيتُ من ذلك في يوم الاثنين، العشرون من شهر رجبٍ، لسنة ثمانيةٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألف من الهجرة، (٢٠/ ٧/ ١٤٣٨هـ - الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠١٧).

والحمد لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



أبو سَلْمَى

بقلم د. رزق شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما طلب مني «عمرو» منذ عدَّة أشهر أنْ أكتُبَ للشيخ، أو عن الشيخ، أو من أجل الشيخ، كلمةً يضعها في كتابٍ يُعدُّه عنه، قلتُ له على الفور جملتي المعتادة: «ربنا يِسَهِّل»! وفي ظني أنَّ الأمر غاية في السهولة واليسر؛ فـ«حجازي» كتاب مفتوح بالنسبة لي، أو هكذا كنت أظن، إلى أنْ أَلَحَّ «عمرو» وتمادَى في إِلْحاحه كعادته، طالبًا إِيَّاي أنْ أَفِي بما وعدت.

- حين جلستُ بالفعل لأَكْتُب أيْقنْتُ أنني كنت واهمًا حين تصوَّرْتُ أنَّ الأمر لن يَعْدُو أكثر من صفحةٍ أو صفحتين أو ثلاث، تعوَّدْتُ على كتابتهم كل أسبوع في «الشأن العام»؛ لكنني ببساطةٍ اكتشفتُ أنَّ الموضوع صعب، وأنَّ الاعتقاد بأنَّه «كتابٌ مفتوحٌ بالنسبة لي» هو أمر أقرب إلى التسليم بوجود شيء اسمه: الغول أو العنقاء أو «الخِلّ الوفي» في هذا الزمان، ليس لأن حياته كانت غامضةً، ولا لأنَّ ما جرى له، أو منه، أو حوله لم يكن متوقَّعًا.. بالعكس، فلقد كنتُ على يقين أنَّه ومنذ صغره لن يكون طفلًا نمطيًّا تقليديًّا مثل باقي إخوته، وهذا كان يزعجني كثيرًا، وبذلتُ حينها الجهد تلو الجهد من أجل أن يعود؛ لأنَّ «رفاهية» أنْ ترْعَى مثل هذا الطفل «غير النمطي» وسط المناخ السائد يومها، وهذا العدد الكبير من «الإخوة» المطلوب حمايتهم حتى من «اللانمطية» حتى يصلوا إلى برِّ الأمان... هذه «الرفاهية» لم يكن لها مُتَّسع من تسامح، خاصَّةً مع وسط عائلي كان يُهلِّل ويُكبِّر ويَشيد ويُمجِّد سيرة هؤلاء الأطفال الذين تولَّيْتُ مسئوليتهم بعد الوفاة المُبكِّرة للوالد (بالنسبة لأعمارهم)، فقط لمجرَّد أنهم كانوا يذهبون كلهم إلى المدارس، وينجحون كلهم بلا عناء، فما بالك إذا كانوا متفوِّقين؟!

كان هذا في حدِّ ذاته بحسب المناخ المذكور نجاحًا وتميُّزًا باهرًا يجب أن نحمد الله عليه، بل ندعوه ليل نهار أن يُديمَه علينا، ولا نطلب المزيد.

فكيف إذا فكَّر الطفل أن يكون «غير نمطي»؟!

- كانت مقاومةُ «جموحه» أمرًا سهلًا بالنسبة لي، بل هو أمر يَنال من الشعبية والتأييد أكثر بكثير مما يمكن أن يساند الطفل المتمرِّد الذي لم يكن يحظى تمرُّده بأي تأييد، خاصة مع السطوة الفعلية للأخ الأكبر في المجتمع الريفي، وكلمته النافذة على الجميع.

- كانت مهمَّتي سهلة، أعترف بذلك؛ لكن مهمَّة «المتمرِّد» المنساق لقدره كانت شاقَّة؛ لأنه شقَّ طريقه بصعوبة وسط مناخ عائلي يزدري «شقاوته وعصيانه» في الوقت الذي كان يريد أن يحقق لنفسه رغبتها أن يكون «هو»، ولا يكون مثلما نريده نحن، «أخًا عاديًّا» ضمن خمسة أو ستة أخوة متفوقين.

- طيب.. أكتُب عن ماذا؟!

* **هل أكتب عن** «المُراهق المتمرِّد» الذي تحمَّل بالإكراه «النظرة الدُّونيَّة» من الأسرة الصغيرة لمجرَّد أنه مُختلف، ليس كباقي إخوته، أتعَبَ أخاه معه، ولم يحصل في «الثانوية العامة» على المجموع العالي التقليدي بالنسبة للأسرة! ومِن ثمَّ أفلت منهم، وليس من نَفْسه، أن يكون «طبيبًا» أو على أدنى تقدير «صيدلانيًّا»؟!

* **أم أكتُب عن** الشاب الذي حيَّرنا في اختيار نوعية دراسته الجامعية، بعد أن أصبحت الخيارات محدودة بفقده «قُدس أقداس» العائلة الصغيرة، وهو المجموع العالي الذي تصوَّرتْه الأسرة حقًّا مكتسبًا لها ولأبنائها، خاصةً بعد أن أحبط الجميع بإهداره عامدًا متعمِّدًا -اعترف هو بذلك لاحقًا عبر الأثير- فرصةَ الالتحاق بكلية الشرطة التي كنت أتصوَّر -أيضًا يومها- أنها الحد الأدنى المقبول لتعويض الأسرة المكلومة عن خسارتها فيه، حين لم يعد ممكنًا أن يكون طبيبًا.

* **أم أكتب عن** «قدر الله» الذي حال بينه وبين قسم اللغة الإنجليزية؛ لأنني حين فرحت بالتحاقه بكلية «الألْسُن» كان تفكيري النمطي أن يدخل قسم اللغة الشهيرة، ومِن ثمَّ يتخرَّج مُدرِّسًا لها يعطي دروسًا خصوصية، تُؤَمِّنُ له موردًا خارجيًّا مثل إخوته الأطباء،

فإذا بمجموعه الصغير الذي أبعده عما نحب، يساعده في الاقتراب من قدره... أعني أنني فقدت اهتمامي بنوعية دراسته الجامعية ومتابعته كعادتي، وربما ساعده ذلك على حريَّة اختياره لطريقه بعيدًا عن الضغوطات التي لم يعُد لها فائدة.

* **أم أكتُب عنه** حينما أيقظ «همتي» من جديد، وأعادني للاهتمام به بعد أن تفوَّق في دراسته الجامعية -التي لم تكن من اختياره-، وصار الأوَّل على طلبة الكلية طوال سنوات دراسته الأربع، فأحيا «الأمل» في أدنى تعويض تقبله الأسرة، وهو أن يُعيَّن في الجامعة ويُصبح أستاذًا بها، فإذا بالشاب «المُشاكس» الذاهب لما قُدِّر له يُهدِر فرصة التعيين المستحقَّة له في الجامعة من جديد.

* **أم أكتب عن** أستاذته في اللغة الإسبانية «د. عَليَّة إبراهيم العناني» -طيَّب الله ثراها-، التي جاءت إلى بيتي بالقاهرة تسألني بمرارة عن تلميذها المتفوّق: أين هو؟! ولماذا اختفى؟! وحكت لي يومها أنها حين لاحظت نبوغه المبكر وضعته أثناء الدراسة تحت رعايتها العلميَّة، وراهنت على تفوُّقه كي يصبح مُعيدًا ثم أستاذًا في القسم الذي تتولَّى رئاسته، فإذا به يختفي، ولا يستكمل مسوِّغات التعيين المطلوبة، وحين قلت لها: إنني أيضًا لا أعرف لماذا رفض؟ بل لا أعرف أين ذهب؟! أطرقت الأستاذة الفاضلة، وغرقنا في لحظة صمتٍ طويلة، ثم انصرفت وهي حزينة، وكأنها تودِّع حُلْمًا لها قد تبدَّد!

* **أم أكتُب عن** تلك الفترة الصعبة من حياته، والتخبُّط، بل التمزُّق الذي عاش وعيَّشنا فيه بعد أنْ تخرَّج في الجامعة، رافضًا كل عروض العمل التي قُدِّمت له، وكانت حُلْمًا بالنسبة للكثير من رُفقائه، ثم اختياره لأدنى أدناها كي يعمل بها ليُوفِّر قوت يومه، وسط تعجُّب الجميع ودهشتهم وذهولهم.

* **أم أكتُب عن** رفضه لكل الوظائف الحكومية التي عرضت عليه، وكانت شهادة تفوقه في التخرج هي التي تفتح له كل الأبواب، بل تجذب الأجهزة التي كنت أقدم أوراقه إليها للحصول على فرصة عمل، وليس «نفوذي» الذي كان قد بدأ يتنامى على استحياء؛

نتيجة مقالاتي في الصحف، ومكنني بعد ذلك من تعيين عشرات الشباب في وظائف حكومية وغير حكومية.

- كل جهة قدمتُ له طلبًا للعمل بها قبلته على الفور، لكن «فرحي» بهذا القبول لم يكن يستمر طويلًا؛ إذ سرعان ما يخبو حين يصطدم بـ «عزوفه أو هروبه» من الوظيفة الثمينة التي كانت محط أنظار كل الشباب وتمنِّيهم في تلك الفترة ولا تزال.

- قلت: «العزوف والهروب» وليس الرفض؛ لأنه لم يكن يواجهني أبدًا بالرفض المطلق للوظيفة التي كنت أعرضها عليه، ربما حياءً، وربما خشية من أن ندخل في مناقشات «بيزنطية»، حججه فيها قطعًا لن تكون قوية ولا مقنعة مثل حججي، فكان دائمًا ما يلوذُ بالصمت ويتركني أذهب بأوراقه إلى الجهة التي أخبرته بها وليحدث بعد ذلك ما يقدر الله.

- لعل اختياري مثالين أو ثلاثة فقط لجهات مؤكدة، تم تعيينه فيها، أكمل أو لم يكمل مسوغات التعيين، تلقي ضوءًا على ما أقول:

- جامعة عين شمس، وكلية الألسن التي تخرج فيها برعاية فائقة من أستاذته، ثم اختفى بعد تعيينه «معيدًا» ولم تعثر له الأستاذة على أثر.

- الإذاعة المصرية، حين قدمت أوراقه إليها، وصلني خطاب بعد أسبوع، يحدد موعد المقابلة الشخصية التي عليه أن يجتازها للتعيين في الوظيفة.

بعد نقاش لم يستمر طويلًا، وافق على الذهاب، وكنت على ثقة من نجاحه، وعُين على الفور في وظيفة «مذيع» في قسم الإذاعات الموجَّهة للناطقين باللغة الإسبانية، واستلم العمل وكان يبدو سعيدًا.. لكن سعادتي لم تدم طويلًا.. إذ لم يستمر فيها أكثر من عدة أشهر، ثم انقطع عن العمل، ولم أعلم بهذا الانقطاع إلا من خلال خطابات أرسلتها الإذاعة، وحين بحثتُ عنه كي أعرف ماذا جرى، كانت فرصته قد ضاعت، ولم يُهدِّئ من غضبي إلا خطابُ تعيين آخر وصله من وزارة القوى العاملة التي كنت قدمت أوراقه إليها،

يُخطره أنه عُيِّن مترجمًا فوريًّا في مكتب محافظ كفر الشيخ، وعليه أن يذهب لتسلم العمل في مكتب المحافظ.

- كان الرئيس أنور السادات في محاولة منه أن يكون رئيسًا مختلفًا، أعطى لكل المحافظين صلاحيات رئيس الجمهورية والوزراء في أن يتعاملوا في حدود ميزانية المحافظة مع الدول الأجنبية مباشرة في جلب ما يحتاجه شعب المحافظة، وأن يصدر إليهم فائض الإنتاج، وطلب منهم الرئيس أن يعين كلُّ محافظ في مكتبه مترجمين فوريين لكل اللغات الحية مثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية وغيرهم.

- فرحتُ بهذه الوظيفة التي كانت لها مزايا عديدة، على رأسها أنه سيكون في محافظته مسقط رأسه، وليس في القاهرة، بما يعني ذلك استقرارًا عائليًّا له بجوار أسرته.. وأهم من ذلك أن مكتب المحافظ في ذلك الزمان كان مكانًا له بريقه وجاذبيته، يعطي لمن يعمل فيه نفوذًا كبيرًا، ووجاهة اجتماعية تليق بالأسرة، ناهيك عما سيجلبه من مكاسب من خلال سفرياته الخارجية المحتملة بما كان سيفتح له آمالًا بغير حدود.

- وبينما كانت تلك الأماني تدور في مخيلتي، وأنا ألهث وراء كل فرصة تتاح له، كان هو في واد آخر، يتأهب لما قدر الله له.

- كانت أسبابه في رفض الوظائف تبدو أمامي ضعيفة ومتهافتة، وكم دارت بيننا حوارات بشأن عمله، كان صوتي يعلو فيها في مواجهة أسباب واهية كان يسوقها على استحياء، مثل:

إن النساء في الإذاعة سافرات، وهو لا يطيقهن كذلك، أو أن العمل في مكتب المحافظ عمل «روتيني مقيد»، وهو يرى نفسه غير ذلك.

- كنت أفكر في مستقبله بشكل تقليدي وبأسباب موضوعية، لكن العناية الإلهية التي كانت ترعاه، وتهيئ له من أمره رشدًا، كانت تدَّخر له طريقًا آخر لم يكن يستطيع أن يحيد عنه، ولذا فقد كان ما كان.

- عندما أستعيد ذكريات هذه الأيام أجدني كنت على حق، ولم يكن هو على باطل.. ودائمًا ما كنت أتذكر إحدى خطب الجمعة التي حضرتها للشيخ إبراهيم عزت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يقول: إن الله -جل شأنه- يصنع لكل إنسان سيناريوهين أو طريقين لكل حياته.. إذا مشى في الأول حدث له كيت وكيت، وإذا مشى في الثاني سيحدث له كذا وكذا.

وطلب من المصلين أن يدعو ربهم أن يختار لهم أفضل الطرق.

فهل هيأ الله لـ«حجازي» ومكنه من أفضل طريق اختاره؟!

أتمنى على الله أن يكون الأمر كذلك.

* **أم أكتب عن** «هَوَسِه» في اقتناء الكتب، وتملّكها والاستحواذ عليها وكأنها أصبحت «مرضًا» يُلازمه في حِلِّه وترحاله طوال حياته. ولقد كان «الشيخ» شديد الصدق وهو يحكي عن نفسه في حلقاتٍ فضائية سجَّلها مع «اليَعْرُبي» أنه عندما كان يُخيَّر بين شراء كتاب أو جلب طعام بقروشٍ قليلة يملكها، فينحاز على الفور لشراء الكتاب، على أساس أنَّ للبطن ربًّا يطعمها!!

- عندما وصفتُ «هوَسَهُ» باقتناء الكتب وتملُّكها بأنه «مرض تمكَّن منه» لم أكن مبالِغًا؛ ففي الصِّغر لم يكن سماحي له أن يأخذ أيَّ كتابٍ يريد من مكتبتي الصغيرة (يقرأه ويُرْجعُه ويأخذ غيره) يُرْضِي رغبتَه أو غروره؛ وإنما كان يحب الاستئثار بالكتاب في حوزته، أو على الأقل الصفحات التي تعجبه -أحيانًا- (هو يذكر ذلك جيدًا.. كان ذلك في التاسعة من عُمُره)، كان يعمِد إلى نزع العديد من الصفحات والاحتفاظ بها، وبالطبع كنت لا أكتشف ذلك إلا لاحقًا، فأُوقعُه تحت سياط نصائحي التي لا تنتهي، والتي غالبًا ما تبدأ بـ: «يا ابني! مش قلت لك كذا وكذا»؟! وتنتهي بوعدٍ منه ألا يعود؛ لكنه كان يعود..!

إلى أن فتح الله عليه واستفحل المرض منه، وتمكَّن وبدلًا من مكتبتي الصغيرة التي لا تتجاوز عدة آلاف، أصبح يقتني مكتبة عامرة تحوي مئات الآلاف من أمهات الكتب والمخطوطات النادرة، ولا أظن أنه برئ من مرضه حتى اليوم، ولا يريد..! فحقائبُ سفره

داخل مصر وخارجها محشُوَّة دائمًا بالكتب التي يقول عنها: إنها «الرئة» التي يتنفَّس بها كي يواصل الحياة!

* أم أكتُب عن فترة «المطاردة» في ثمانينيَّات القرن الماضي، حين بدأ مرحلة الالتزام الصارمة، واختطَّ لنفسه منهجًا التفَّ حوله شباب الصحوة الإسلامية، وبدأ ذلك يُزعج «الأجهزة»، ولم يكن هذا المنهج الذي اختطَّه لنفسه يعنيني كثيرًا بقدر ما كنت مُهتمًّا بسلامته البدنية، وأن لا يصيبه من تلك «الأجهزة» ضررٌ كبير.

- أذكُر في أول واقعة أُلْقِي القبض عليه فيها فجرًا من بيته، ذهبتُ في الصباح يرافقني الأخ الرائع «د. شريف» رَحِمَهُ اللَّهُ، إلى مقرِّ أمن الدولة لمقابلة «عقيد» أوصلونا إليه، وحين حاول «العقيد» أن يناقشنا في «المنهج» الذي انتهجه «الشيخ» ويشتكي لنا قدرته على التأثير على أصحابه والحشود التي بدأت تلتفّ حوله مما يزعج السلطات العليا، لم أكن مُهتمًّا طوال المقابلة التي امتدَّت لساعات بما يقول، فقد كنت على يقين أنه يبالغ أو يكذب، وبعد أن فرغ الضابط، قلت له: «سيادة العقيد! أنا شقيقه الأكبر وهو بمثابة ابني، لن أناقشك في منهجه؛ وإنما في سلامته البدنية، لو كان لنا عندكَ خاطر (ظننته تولَّد من حُسن استقباله ورُقيّ الحوار بين ثلاثتنا) أرجوكَ، املأ استمارة الاعتقال التي بحوزتك (كان وزير الداخلية يوقِّع استمارات الاعتقال على بياض، ويُرسل لكل محافظة العديد منها، ليس على الضابط إلا أن يملأ اسم من يريد اعتقاله!!) ثم رَحِّلْهُ إلى سجن «طُرَه» كي تصير له حقوقٌ، وهناك سوف أرتِّب مع إدارة السجن طريقة إيصال مستلزمات المعيشة له».

- حينها صمتَ «العقيد» قليلًا، ثم استجاب لما طلبت؛ لكن نظرته التي لاحقتْني وأخي ونحن نغادره ذكَّرتني -كما قلت لـ«شريف»- بنظرة «أبرهة» التي لاحقت «عبد المطلب» حين جاء الأخير إليه يطلب «إبله» التي استولَى عليها جيش «أبرهة» القادم لهدم «الكعبة»، وحين قدم سيد قريش يطلب مقابلة قائد الجيش ظنَّ الأخير أنه جاء حتمًا يرجوه ألا يهدم «كعبة عبادتهم»، وحين لم يطلب «عبد المطلب» ذلك، بل طلب

أن يرد عليه «أبرهة» إبله، ردَّها إليه مذهولًا قائلًا له في ازدراء: «تطلب مني إبلك، ولا ترجوني عدم هدم كعبتك؟!»، فردَّ عبد المطلب: «أمّا الإبل فهي لي ربيتها تحت ناظري، لكن الكعبة لها ربٌّ يحميها».

- كنت أنا الآخَر وأنا خارج من عند «العقيد» أُتمتمُ قائلًا: «أخي لي، أما «المنهج» فإن له ربًّا يحميه» (مع الفارق طبعًا في التشبيه في المعنى والمَبْنى والظرف وما شابه).

ولم يكن رأيي في رفضي الانجرار مع «العقيد» في المناقشة متوافقًا مع رأي «شريف» رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي كان توّاقًا للمناقشة والدخول مع الضابط في جدل، لولا كبحي لجماح حماسه، واحترامه الجم لوجودي، وتقديره لخبرتي في التعامل مع تلك «الأجهزة».

* **أم أكتُب عن** شهرته التي ملأت الآفاق، واقتربت من عنان السماء، وأصبحتُ أنا «شقيق الشيخ»، بعد أن كان هو «شقيقي»، بما فيها من دُعاباتٍ أُسريَّة كانت موضعًا لبعض أحاديث المُتفكِّهين المُقرَّبين منا!!

- كانت كتاباتي للمقال الأسبوعي الذي ينشر في الصُّحُف المختلفة عن «الشأن العام» قد حققت لي بعض الشهرة، وأمَّنَت لي صِلَات بعددٍ لا بأس به من الوزراء والكبراء في البلد على مدار العشرين عامًا الماضية.. ثم جاءت شهرة الشيخ كطوفانٍ كاسحٍ، أو كعصى موسى في قصته الشهيرة مع فرعون، تلقف كلَّ ما عداها من شُهرةٍ، لكي يقارن المُتفكِّهون المحبون لنا بين شهرتي «التي كانت» وشهرتِه «المتزايدة»، وكيف أصبحتُ «أخاه» أُعْرَفُ به، بعد أن كان «أخي» يُعرَفُ بي..!!

- ومن سُخريَة الأشياء، كما قلت للشيخ يومًا، أن يطلب أحدهم مني أو من أحد بجواري أن يُكلِّم «رزق الحويني»، وعندما أقول لطالب التليفون، أو لمن طلب منه أن يوصلني به: لست «رزق الحويني»؛ وإنما أنا «د. رزق شريف»، كان يسألني الطالب مُستغرِبًا: «هو مش انت أخوه؟!».

- كثيرًا ما ضحكنا مع الشيخ ولمرَّاتٍ عديدةٍ وأنا أحكي له عن مثل هذا.. لكنه كان

يرى ويشاهد ويحس مقدار سعادتي وحبي لشهرته، وكأنه استسلامٌ آخر مني وقبول مُحب لما جاءت به المقادير.

* **أم أكتُب عن** علاقته الروحيَّة المُلْتبسة بشقيقنا الراحل دكتور شريف رَحِمَهُ اللَّهُ، وكيف أصبح الأخير مُتيَّمًا به مُتوحِّدًا معه، رغم ثقافته الغزيرة في كل المناحي، وحكمته النادرة، وعُلُوّ همته التي كانت تصنع له نسيجًا وحده بقامةٍ تعلو كل القامات -رحمه الله وأثابه الفردوس الأعلَى-.

- كان «شريف» يعدُّ الشيخ -الأصغر منه سنًا- بمثابة أستاذه وشيخه، يذوب فيه محبَّةً وعشقًا؛ لدرجةٍ «بَهَتَتْ» على ابن شريف الأكبر «عمرو» الذي حصل في الثانوية الأزهرية على مجموعٍ يُؤهِّله لكليةٍ من كليَّات القمَّة -المحبَّبة للعائلة!-، كان اختيار الابن -ووافقه الأب- أن يلتحق بكلية الشريعة، محبَّةً لمنهج الشيخ، وقد كان رأيي الذي تجاوزه الزمن أن يدخل «الولد» الكلية التي درس فيها أبوه، وهي الطب... لكن المياه الكثيرة التي جرت تحت الجسور، والزمن الذي أشرتُ إليه، لم يكن يسمح بأن يعلو رأي على «تيار منهج الشيخ الجارف»، فاستسلمتُ لهما صاغرًا، وكان ما كان..!

* **أم أكتب عما** أسميه أنا بـ«الكنز»، المتمثل في ثلاث مئة وخمسين رسالة ورقية تبودلت بيني وبين أشقائي الأربعة: شريف، حجازي، محمد، سمير؛ على مدار العشرين عامًا التي مضت قبل أن يقطع تسلسلها «البلوى» المسماة «المحمول» برسائله القصيرة التافهة.

- للشيخ في هذا «الكنز» -الذي أحتفظ به، ولم أُطلع على نصفه أحدًا- أكثر من خمسين رسالة، أرسلها لي، أو أرسلتها له -أحتفظ ببعض مسوداتها-، أو أرسلها هو لأخيه «شريف» ردًّا على رسائل الأخير العبقرية له، التي كانت في غالبيتها نصائح حكيمة مضيئة، تلح عليه أن يجتهد ويتفوق و: «لن تعطلك المذاكرة والاجتهاد عن كتابة الشعر لو أردت».

- عندما أعيد قراءة بعض رسائل «شريف» لـ«حجازي» وهو في أواخر المرحلة الثانوية، بينما شريف في أوائل دراسته الجامعية؛ أكتشف أن «شريفًا» أبدًا لم يستغرق معه في تفاصيل، وإنما كان يحدثه دائمًا في المطلق عن: الأمل المشرق الذي ينتظره لو اجتهد وذاكر وتفوق ونجح: «ولتكن بعد ذلك ما تكون»، هكذا نص عبارته.

- أهرب أحيانًا من تفاهة الجيل الحالي وتطلعاته الاستهلاكية الخائبة -وأولادنا في المقدمة منه!- إلى «الكنز»، أستعيد بعض الخطابات، أعايشها وأعيش معها، وأتذكر كم كان جيلنا عاقلًا، هادئًا، لديه إحساس بالمسئولية أضعاف أضعاف ما نراه الآن من جيل أناني ضائع، تطلعاته تافهة، كل ما يهمه هو «الأنا»، مقارنة ببعض معان مما احتوته رسائل «الكنز»، حيث الإيثار وتقديم مصلحة الأخ عما عداها.

* **أم أكتُب عن** «سَلْمَى» أوَّل مَن أنجب الشيخ من زواجه المُبكِّر الذي كسر به كعادته تقاليد الأسرة في زواج الأولاد أو حتى البنات بأن يكون الأول فالأول، والآخر فالآخر..!

- قبل أي أحدٍ منا قد تزوَّج، ومن قَبْلِنا جميعًا أنجب «سَلْمَى» التي كان لقدومها وقع السحر في إذابة الخلافات بيننا حول «الانتصار للمنهج» بما فيه من مخاطر، أم حماية البدن بما فيه من طمأنينة لنا وله، تتيح له الاستمرار في رعاية أسرته، وتعطينا أمانًا ولو زائفًا.

- أذكر عندما أخبرتني أمي الغالية -رحمها الله- بقدوم «سَلْمَى» أنني كتبت له رسالة -ما زالت مُسوَّدتُها عندي- أُعْلِمُه فيها أنني استسلمتُ، وأن تحفُّظاتي عليه كلها قد سقطت؛ إكرامًا لباكورة إنتاجنا من الجيل الجديد القادم، وصار هو بالنسبة لي «أبا سلمى»، وصارت «سلمى» عندي أعزَّ أبنائه، رغم ما جرى ويجري له ومنه وعليه وعلينا من زوجاتٍ وإنجاباتٍ أنتجت العديد من الذكور والبنات، كلهم أعزاء؛ لكن تظل «سَلْمَى» في القلب والعين.

* **أم أكتُب عن** «مِنْحة» مرضه التي فطرتْ قلبي وقلب أُمِّي -رحمها الله- عليه، وكيف تقبَّله الشيخ راضيًا مَرضيًّا، حيث كنت أراقبه عن كثب، وأنا أتصنَّع البعاد، كان قلبي ينزف ألمًا من أجله، وكنت أتقوَّى أحيانًا على هذه المشاعر المُتَّقدة ببعض مُكابرَة أصنَعُها لنفسي مِن عَيِّنَة: هذه خياراته العنيدة في الزواج، وفي التعدُّد، وفي الإهمال لصحَّته، وبذل الجهد الشاق الذي لا يتحمَّله بدنه، عليه أن يدفع ثمنها..!!

- كان الرجل يدفع الثمن بالفعل، وبنفسٍ مطمئنة عن كل خيارٍ اختاره.

وبرغم مرور السنين الطويلة في رحلة عمره معي، لم تفارقني حالة الدهشة التي غالبًا ما تنتابني حين يجري أمامي شريط حياته، أستحضره دائمًا وكأن أحداثه مرَّت بالأمس القريب ولا تزال أسئلتي الحائرة هي ذات الأسئلة؛ لكن بدون جواب!!

- لماذا قسا «حجازي» على نفسه كل تلك القسوة، وأتعبها وأتعبنا معه بقلقٍ عاشه وعيَّشنا فيه... ولا يزال، ولا نزال!!

- هل كان مُخيَّرًا فيما انتهج.. أم مُسيَّرًا؟!

لم يُشفق على نفسه يومًا... والغريب أنه لا يُظهر تَبرُّمًا، بل تجده طوال الوقت هاشًّا باشًّا، على وجهه علامات رضًا تُحيِّرني دائمًا، وأغتاظ منها! ما كان لمرض «السُّكَّري» مثلًا أن يتمكَّن منه وهو في منتصف عمره لولا تقدير الله، وكتمه الغيظ في صدره، مما يجري حوله في المحيط الاجتماعي أو هموم الوطن.

- فاكر يا «حجازي» عندما جئتُ لك بإخوانك: شريف ومحمد وسمير، إلى سجن «طُرَه» في أول زيارة لهم بعد اعتقالك الأول، ولم يكن مسموحًا إلا أن نراك من خلف الأسلاك، رأيناك مُتهلِّلًا تضحك بلا مناسبة؛ كأنك سعيد بما أنت فيه، وبينما كان الألم يعتصرني كان باقي إخوانك سعداء بسعادتك، وكأننا في دُنيا المجانين!!

- قلت لـ«شريف» بعد خروجنا يومها: إننا أمام أكبر مُمثِّل في التاريخ، كيف له أن يضحك ويُظهر سعادة، بينما هو في هذا المكان المُزري، ونحن في هذا الوضع الذي لا نُحسَد عليه؟!

كان ردّ «شريف» كعادته موافقًا لك غير لائم.. ثم رجوت الجميع أن لا يُخبروا «أُمَّنا» بما جرى من اعتقال، فلم تعلم الأم الطيّبة بما جرى لابنها إلا بعد ذلك بسنوات، وربما منه هو نفسه!

* **أم أكتُب** عن رحلة علاجه بدولة «قطر»، وكيف أنني وشقيقه الأصغر د. سمير عندما ودَّعناه عند سفره، كنا على قناعةٍ أننا نستودعه في ذمَّة الله، فإذا بالكريم سبحانه يُسبغ عليه بعض العافية التي أكدت لي ما قلته للشيخ مرارًا: أنه يعيش بفضل الله، ثم بفضل دعاء المحبين

والمريدين له من أنحاء الدنيا كلها، وليس بمهارة طبيب أو نجاعة دواء هنا أو هناك.

أكتُب لـ«عمرو عبد العظيم» عن ماذا، أم ماذا، أم ماذا؟!

في النهاية.. قرَّرتُ ألا أكتُب شيئًا يتَّصل بحياة الشيخ أو رحلة عمره الطويلة بيننا، أعطيها لأي أحدٍ يضعها في مقدمة كتاب يكتبه، حتى لو كان من أعزِّ تلاميذ الشيخ، بل كأنه -في مَعزَّةٍ لديه- بمثابة ابنه الذي لم ينجبه من صلبه -كما يقولون-!!

- ماذا قرَّرتُ إذن؟!

إنْ مدَّ الله في عمري سوف أكتب عن الشيخ بنفسي ولنفسي أوراقًا مسترسلة تطول مهما تطول، ستكون رحلة حياته هي العمود الفقري لقصة حياتنا بأكملها.

من يوم أن تزوَّج الشيخ الكبير الذي تجاوز الستين عامًا من الفتاة الصغيرة «باهرة الجمال» التي كانت تخطو في أول عامها الرابع عشر، وأنجب منها تلك الأسرة الرائعة التي ملأت بسيرتها الحميدة كل الآفاق.

- كان الراحل «د. شريف» رَحِمَهُ اللهُ يستحقُّ أن يكون العمود الفقري لقصتي وقصتنا؛ لكن انبهار «شريف» أو «بيعتَه» لـ«حجازي» شيخًا له؛ مكَّن الأخير من الاحتفاظ بدور البطل، محور الارتكاز في القصة بأكملها.. التي أدعو الله أن أبدأ في كتابتها اليوم قبل الغد...

ولا أريد بعد ذلك أن أزيد...!!

وكتب

د. رزق شريف

حُوَيْن، صباح الجمعة، ٣ شوال ١٤٣٧هـ

٨ يوليو ٢٠١٦م



أبو إسحاق الحويني[1]

بقلم

الراحل، شقيق الشيخ

د. شريف محمد شريف

رحمه الله

---

(١) كلمات حول الشيخ، استللتها من الدفتر الخاص بالوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وكتبه: عمرو شريف.

من قصيدة (طرقة على دُفٍّ مثقوب)
لحجازي محمد شريف!!

ما قلتُ يومًا: يا رفيقي إنما   أنا واحدٌ وتحُدُّني قُدُرَاتِيَهْ
أنا دائمًا أُعْطي وأُعْطي مُسرِفًا   ما قلتُ يومًا: قد خُلِقْتُ لِذاتِيَهْ
أنا شُعْلَةٌ في كُلِّ دَرْبٍ مُظْلِمٍ   وقصيدةٌ تصِفُ الرَّبيع وقافِيَهْ
أنا بَسْمَةٌ تكْسُو الشِّفَاهَ وضِحْكَةٌ   جَلَبَت نسِيمًا للنُّفوس الآنِيَهْ
أنا قطْرَةٌ نزَلَت بأرْضٍ جَدْبَةٍ   أحْيَت زُرُوعًا شاحِباتٍ بالِيَهْ
أنا مِئْزَرٌ يكْسو يتيمًا عاريًا   ومُسكِّنٌ يَشفي قُلُوبًا دامِيَهْ
أنا حَبَّةٌ غُرِست لِيَخْرُجَ ضِعْفُها   أنا لُقْمَةٌ في كُلِّ بَطْنٍ طاوِيَهْ
أنا جَدْوَلٌ تجْري المِياهُ بقاعِهِ   أنا رَشْفَةٌ تروي نفوسًا صادِيَهْ
أنا مِدْفَعٌ يوم النِّزالِ وطلْقَةٌ   خرَجَت لِتَسْحَقَ باللَّظَى أعدَائِيَهْ
أنا خِنْجَرٌ في ظهرِ كل مُنافقٍ   وعصًا تُهَشِّمُ كلَّ رأسٍ طاغِيَهْ
أنا صَرْصَرٌ مُتواكِبٌ قد صيَّرَ الـ   مُتفلسِفين جُذوعَ نخْلٍ خاوِيَهْ
ما حطَّم الدُّنيا ودرَّسَ روْضَها   إلا شُخُوصٌ كالدَّيَاجي باغيَهْ
أنا قدْ مَلَلْتُ الصَّمْتَ مُنذُ تكَلَّمَتْ   كلُّ الشواهِدِ والبرايا صاغِيَهْ
أنا قد سَئِمْتُ العيشَ منذ تمَزَّقَتْ   نفسي وضجَّت بالأَسَى جَنبَاتِيَهْ
فالعُمْرُ يمضي ساعةً في ساعةٍ   والنَّفْسُ لا تدري وتلك حَيَاتِيَهْ
إني وجَدْتُ الخيرَ كلَّ الخيرِ في   نفسٍ تجودُ بما لديها راضِيَهْ

تقريظ لديوان «سماح» لأخي حجازي

أنا للحياة أسطِّرُ الكلمات..

لكَ من معين القلب، من ملء الجراح..

لكَ من أزاهير الورود، ومن بواكير الصباح..

لكَ كُلّما حنَّ النسيمُ إلى البطاح..

لكَ من نداء العمر في أوج الكفاح..

لكَ كُلّما طالعت في وجهٍ «سماح»..

لكَ من صدى الفجر المبلّل في شفاه الأوديه..

لكَ من عبير الحُبِّ في أحنائيه..

لكَ من ترانيم الرياح ومن نداء الساقية..

لكَ حبّنا، لك نبضنا.. لك الحياة.. لك المنى..

امضي فدربك في الحياة.. أنشودةٌ ضد الطغاه..

وملاحم الألم العميق تكاد تنطق بالوفاء..

لولا هناتُ اليأس في جوف الدعاء..

ولربما كان الأمل، يُعطي حياة للعمل..

ولربما كان الكفاح، أنشودةَ الأمل المُرجّى.. والصباح..

فإلى الأمام..

مايو ٧٣

بمناسبة حديث الشيخ «الحويني» عن «غنج» «سفيان بن عيينة»..

أحسبتَ يومًا أن ترى ... «غُنْجًا»، يلوح ويظهرا؟!
هو في حديث «الشيخ» عن ... أهل الحديث وما جرى..
كَلِفًا بهم، وبحبِّهم ... وبُحبِّ «أحمدَ» أظهرا..
إسنادَهم، ومتونَهم ... وحياتَهم بين الورى..
نصرًا لقول نبيِّنا ... ولقربهم مستبشرا..
جمعًا لما قد بُعثرا ... شرحًا لما قد أُضمرا..
هو في الْتِماعةِ عينِه ... عند الحديث مُفسِّرا..
هو في زئير حديثه ... وبزجره لمن افترى..
هو في تهدّج صوته ... متذكرًا خير الورى..
هو في تلاوة «ذكرنا» ... «متحزِّنًا»، مُستعبرا..
احفظه ربّي في الورى ... أمِلًا يعش مستبشرا..
أسكنه دار كرامةٍ ... مع من أحبَّ وأخبرا..
فيها النبيُّ المصطفى ... وحبيبُنا خيرُ الورى..

١٠ رمضان

٢٠٠٧/٩/٢٢

«أبو إسحاقَ الحوينيّ»!!
أحسبه كذلك، والله حسيبه

كم هو الفرق بين السُّها والشمس، أو بين الليل والنهار؟! ذلك هو الفرق -في قلبي على الأقل- بين «أبي إسحاق» وبين غيره من مشايخ هذا العصر والأوان..

لا يهادن إذا كان الدّين؛ رغم قلبه المترّهل وجسده الزاوي..

أسدٌ هصور، حجة دامغة، منطقٌ لا يُردُّ، فرسٌ لا يُشَقُّ له غبار، إذا تحدّث عن الشّرع فله القدح المُعَلَّى..

وإذا استثيرت حفيظته بانتهاك قدر الجناب الأعلى للرّب العظيم أو لرسوله الكريم لم تقم لغضبه قائمة!!

«أبو إسحاق الحويني»

لله درُّك أبا إسحاق!!

يا ربِّ متِّعنا به في الدنيا والآخرة، ومتعه بسمعه وبصره وقوته أبدًا ما أبقيته، واجعله الوارث منه..

زرته اليوم لأجده في أضعف حالاته البدنية وربما النفسية...

لم أتمالك عينيَّ، ويعلم الله ما جال في قلبي وخاطري...



في رثاء «شكري» رَحِمَهُ اللَّهُ

«فصبرٌ جميلٌ»

يـا أبـا إسـحاق صبـرا ... إنَّ بعـد العُسـر يُسـرا..
وتعـزّى بالنبـيِّ ... هـو خيـر الخلـق طُـرًّا..
وبشـاراتٍ لـ«شـكري» ... فتعـزّى.. وتسـرَّى..
سـنّةُ اللـه مـواتٌ ... بعـد عيـش ثـم قبـرا..
ثـم بعـثٌ ثـم حشـرٌ ... -لهـفُ نفـس- ثـم.. أمرا؟!
كفـكفَنْ دمعًـا هـتونًـا ... واسـتعد ذكـراه بشـرا..
فـلكم أسـدى جميـلًا ... ولكـم يسَّـر عُسْـرا..
ولكـم أنكـر ذاتًـا ... ولكـم أعطـى مُسِـرًّا..
ولكـم كـان مُحِبًّـا ... يبتغـي للـه أجـرا..
ولكـم كـان صـدوقًا ... صـافي القـلب أغـرًّا..
ولكـم كـان أمينًـا ... مجـريًا للـخير شـهرا..
ولكـم كـان كـتومًا ... لـم يُـذِعْ لـك سـرًّا..
ولكـم كـان بشوشًـا ... بانيًـا للـودِّ جسـرا..
رحمـة اللـه لـ«شـكري» ... مـا أقـلَّ الليـلُ فجـرا..
طيِّـب اللـه ثـراه ... وسـقى بالغـيث قبـرا..
ضـمَّ أفضـالَ المعانـي ... وجـزى بالبـرِّ بـرًّا..
يـا أبـا إسـحاق صبـرًا ... .. ثـم صبـرًا.. ثـم صبـرًا..

وفاة شكري ليلة الأحد

٢٠١١/٩/٥

~~~·~~~·~~~·~~~
~~~

الحويني المحب

بقلم

شقيق الشيخ:

أبي عاصم محمد شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى صحبه الطيبين الطاهرين الأخيار.

وبعد:

ففي عام ألف وثمان مئة واثنين وتسعين من الميلاد، وفي بلدة (محلة القصب) بمحافظة كفر الشيخ ولد أبي رحمه الله تعالى وغفر له، لكنه انتقل بعد ذلك إلى بلدة (حوين) والتي ينتسب إليها الشيخ الحويني، ولا أدري كيف انتقل ولماذا في ذلك الزمان الغابر، ولقد كان له أخ شقيق هو (عبد العظيم) وكان يصغره بعامين وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ١٩٤٢م في أحداث الكوليرا التي اجتاحت مصر في هذا الوقت، وله تسع أخوات تزوجن هنا وهناك.

وفي حوين كان أبي رجلًا مسموع الكلمة، مرموقًا، فقد كان شيخ البلد، وكان يمتلك هو وأخوه ستين فدانًا بقيت حتى تقاسمناها بعد ذلك.

تزوج أبي بثلاث زوجات: الأولى: (هانم) وقد أنجبت (شهيرة) ولم تنجب، و(فريدة) وقد أنجبت أولادًا وبنات.

والثانية: (فهيمة) وقد أنجبت ذكورًا (أحمد) و(محمود) و(سامي)، ومن البنات (خديجة) و(عائشة)، وقد خلفوا جميعًا أعقابًا لهم.

والثالثة: (نعيمة) وهي أمي، وقد أنجبت ذكورًا: (رزق) وأطلقتْ عليه هذا الاسم لرؤيا رأتها، و(شريف) رحمه الله ورضي عنه، و(حجازي) الشيخ الحويني وسماه أبي بهذا الاسم تيمنًا بذهابه إلى الحج، و(محمد) كاتب هذا الكلام، و(سمير).

ومن البنات (آيات) و(منازل) و(سعاد)، وهناك من مات وهو صغير.

لقد كان أبي رجلًا صالحًا -لا أزكيه على الله- زاهدًا، تقيًّا، ورعًا، محبًّا للناس، حسن الخلق.

وكان لصلاح أبي وحب الناس إياه يشيرون إلينا ونحن صغار بقولهم: هؤلاء أولاد الحاج محمد أبو شريف.

ولقد شاهدتُ أبي أكثر من مرة -مع حداثة سني- يقضي بين المتخاصمين، فما يقوم أحد من مجلسه إلا وقد انصاع إلى حكمه، ورضي به بعد تذكيرهم بأُخوَّتهم، وإرشادهم إلى الخير والمعروف.

وهكذا تنتهي خصومات الناس بين يديه كبيرةً كانت أم صغيرةً، رحمه الله.

كان أبي يحب الخير للناس ويودهم، ففي الأعياد مثلًا كان يمر على القرية بيتًا بيتًا مُسَلِّمًا ومهنئًا بالعيد.

ولحبه للناس وللخير رأيته أكثر من مرة يترك نصيبه في محصول أرضه للرجل الذي يزرعها؛ لأنها لم تُخرج له محصولًا وفيرًا يقتسمه معه لِعِوزِ الرجل ولحاجته، فإذا قيل له في ذلك قال: إنه فقير وذو عيال.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثير الصدقة يأخذ من مخزون البيت ليعطي الفقراء.

أما عن بكائه عند سماع القرآن فحدث ولا حرج، فما رأيته يسمع القرآن إلا وهو باكٍ، وكان كثيرًا ما يردد قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة الكهف: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ يقرأها ويقلب كفيه كأني أراه يقلبهما.

لقد كان محبًّا لأهل العلم، فكانت مجالسهم في بيتنا، ويرحل إليهم هنا وهناك طلبًا للعلم والخير.

وكان زاهدًا في الدنيا، وكأنه قد طلقها، وأخرجها من قلبه، أخرجتُ من بطاقته الشخصية بعد موته خمسة قروش ورقية بالية، وهو الغني الميسور.

ترك لنا رَحِمَهُ اللَّهُ حب الناس وخدمتهم والتودد إليهم، والتي أرجو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ألا ينزعها عنا ولا عن أولادنا وذرياتنا، وأن يجعلنا خدمًا لهم في الدين والدنيا.

مات رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ١٩٧٢ عن عمر يناهز الثمانين عامًا، وشُيِّع في جنازة مَهيبةٍ كان أولها عند البيت وآخرها عند المقابر.

أما أمي -رحمها الله وطيب ثراها- فقد ولدت في عام ١٩٢٨م وقد تزوجها أبي وهي ابنة الأربعة عشر ربيعًا، وكان أبي وقتها قد شارف على الستين من عمره.

كانت ابنة محفظ الناس القرآن في القرية والقرى المجاورة (الشيخ فايد رَحِمَهُ اللَّهُ) وكان ضريرًا، تعلمت أمي منه الكثير، وانطبع ذلك على حياتها، فكانت طيبة القلب صالحة، وكانت مباركة. قالت لي: أنا ما تمنيتُ من الله شيئًا إلا وأعطاني.

حكتْ لي عن أبي؛ عن طباعه وأخلاقه، وكان من ذلك أنه كلما دخل البيت أحطناه، وتعلقنا به، فكانت تقول له: أنا لا أدري، وأنت لا تدخل عليهم بشيء في يدك علامَ يتعلقون بك؟ فكان يضحك ويقول لها: إنه الحب، إنهم يحبونني، وهذا رزق من الله. وكانت تتبجح بدعاء أبي لها ولأولادها في لحظات احتضاره.

توفيت أمي في عام ٢٠١٣، ونحن كبار، ونحتاجها أكثر منا صغارًا؛ فقد كانت مركز الحب الذي نستقي منه نحن وأبناؤنا، فعليها رحمات الله تسقي قبرها في كل آن وحين.

هذه الإطلالة السريعة على حياتنا أدلف منها إلى البيئة النفسية والتركيبة المعنوية التي فيها نشأنا، ونشأ أخي وشقيقي وشيخي أبو إسحاق الحويني الذي أكتب عنه عالمًا شديد الحرص على أن يبلغ عن الله ورسوله ما يعتقده دينًا لا يحابي فيه أحدًا ولا ينافق ولا يداهن وإن هاجمه المهاجمون، ووقف ضده الواقفون، والذي أدعو الله له في حِلِّه وتَرْحَاله أن يحفظ عليه عقله ودينه وصحته ليدافع عن دينه إلى آخر لحظة من حياته المباركة كما يحب.

الأسرة إذن ريفية تحمل في طياتها بساطة الحياة، ونسماتها الطيبة، وأبٌ حانٍ حسن

الخلق زاهد محب للدين، وأم ودود صالحة، وإخوة متحابون لا فرق بين الأخ الشقيق والأخ لأب، وأناس بسطاء لا يحملون حقدًا ولا غلًّا.

هذه النشأة ألهبتْ شاعريته، وكونتْ رومانسيته، وانطبعتْ عليه وعلينا، فكان يكتب الشعر في سن مبكرة، وقبلها كان يؤلف الكلام المتناسق الذي له جرسٌ وتوازنٌ مثل (أنا فرحان ولقيت جرنان) أي: جرنال.

نمتْ هذه الموهبة وسط الحقول وعلى ضفاف الترع حتى كتب قصائد عدة جمعها في دواوين أذكر منها مثلًا:

قصيدة (روح الأزل) والتي كتبها في السبعينيات يقول فيها:

أنا الإنسانُ أحملُ ... كلَّ أوزارِي على ظَهري
وأوزاري كَثيراتٌ ... كما الأمواجِ في النهرِ
كما الأنْواءِ والرِّعْدهْ ... كمثلِ غَزارةِ المطرِ
كما الأوباءِ تنتشرُ ... كمثلِ مرارةِ الصَّبرِ
فأرجعُ غاضبًا أغْلي ... كغلي الماءِ في القِدرِ
كعبدٍ آبقٍ يجري ... على قدمٍ من الذُّعْرِ
كغُولِ الموتِ يَرمينا ... بسهمٍ فَاضَ بالشَّرَرِ
كأورادٍ بلا عِطرٍ ... كغاباتٍ بلا شَجَرِ
أُحَطِّمُ كُلَّ ما أَلْقَى ... كما المجنونِ لا يَدْري
وأبْكي الدَّمعَ كالأنْهَا ... رِ من فَزَعِي ومن ضَجَري
أخَافُ حَرارةَ النَّارِ ... وأخْشَى وَطْأةَ الوِزْرِ
وأخشى طُعْمةَ الغِسْلِيـ ... ـنِ والإعراضِ في سَقَرِ
فأسمعُ في الفَضَا صَوْتًا ... كأنَّ الصوتَ مُزْدَجري
أتَيناكم بقرآنٍ ... يُحرِّكُ جَامدَ الصَّخْرِ

فلـــم تَقْـرأ ولـــم تَبْـــكِ ... ولـــم تَهْتَـــمَّ بالنُّـــذُرِ
وكُنْـــتَ تعيـــشُ فـــي شُغْـــلٍ ... كمـــا الأنْعـــامِ والبَقَـــرِ
وكُنْـــتَ تعيـــشُ فـــي غَسَـــقٍ ... كمحْـــرومٍ مـــن البَصَـــرِ
فَهَـــا عَيْنَـــاك قـــد رَأَتَـــا ... عَـــذابَ اللـــه فـــي سَـــقَرِ
وكُنَّـــا مِنْـــك فـــي قُـــرْبٍ ... وذا مـــن حيـــث لا تَـــدْرِي
نُعذِّبُكُـــم بأيْدينـــا ... فَهَـــلَّا أنْـــتَ مُنْتَصِـــر
فهـــذي النَّـــار مَثْوَاكُـــم ... فيـــا نِيـــرانُ فاسْـــتَعري
ويـــا أحجَـــارُ فاتَّقِـــدِي ... ويـــا أجْسَـــادُ فانْصَهِـــري
غَفَلْـــتَ عـــن الـــذي قُلْنَـــا ... فَـــذُقْ لَوَّاحَـــةَ البَشَـــرِ
فمـــا قَوْلِـــي بمـــردُودٍ ... وَمَـــا وَعْـــدِي بِمُنْدثـــرِ

ولقد انضم في صغره (في المرحلة الثانوية) إلى جماعة حورس الشعرية والتي كان مقرها قصر الثقافة بكفر الشيخ، وبدأت موهبته الشعرية تثير انتباه كل من لقيه، فأثنوا عليه كثيرًا وتنبأ بعضهم له بأنه إن استمر في خطه الشعري هذا لسوف يكون كالبارودي، ولقد التقيت بشاعر من هؤلاء ممن كانوا في هذه الجماعة (حورس) وهو الأستاذ/ محمد الشهاوي وقد صحح لي بعض أشعاري بعد ذلك.

وكتب كثيرًا من الدواوين الشعرية بخط يده أذكر منها (طرقة على دف مثقوب)، (الأوراق المنثورة)، (مذبحة الصمت)، (على أشلاء مشلولة).

يلفت نظرك فيها الطريقة التمثيلية التي يصوغ بها قصائده وهي طريقة مبتكرة على حدث في مثل سنِّه، فتخرج قصائده على سبيل الحكاية كقصيدة (على أشلاء مشلولة) -وقد آثرت أن أكتب القصيدة كاملة لتظهر من خلالها موهبته الشعرية، فإن الأعمال الفنية لا تظهر قيمتها إلا إذا اكتملت- والتي يحكي فيها قصة تلك الفتاة فيقول -وقد كتبها في عام (١٩٧٤م):

سَأكتُبُ قِصتي

في ذلك الدَّفْتر

لعلّي بَعدها أَرْمِي زَمَانَ اليَأْسِ،

واللَّوعة!

بلا رَجْعَه..

وأنْفُذُ من صِمَامِ الأمْنِ في قَلْبي..

وأمْسَحُ كُلَّ أحزَاني،

بِمِمْحَاةٍ إلهيَّة

تَزُجُّ الحُبَّ في قَلبي ولو غَصْبا

ولو دَكَّا!

وتَذْبحُ يأسيَ الأسْمَر

وتَفْضَحُ كُلَّ أشْواقِي على الدَّفْتَر

-وحتى-

دُونَ أنْ أشْعُر!

أنَا

-باللهِ- مَشْلُولَة!

وأقْضِي عُمريَ البَاقي من الدُّنْيا،

على الأعوادِ مَحْمولة!

كَمَسْلُولَة!

أُحِسُّ الموتَ يَزْحَفُ،

مِلْءَ أحْشَائِي!

يُدَغْدِغُنِي!

يُجَرْجِرُني،

لكونٍ غَائِمٍ نائي..

وَيَمْحَقُ ذَرَّةَ الأملِ النِّهائِيّة..

ويَسْحَقُني..

كما الحَشَراتِ تَنْسَحِقُ!

ولا يَبْقَى من الدُّنْيا،

سِوى خُطْوة!

ونَفْتَرِقُ

* * *

أنَا

-باللهِ- مَشْلُولَة

وللأعماقِ مَوْحُولَة!

أُحسُّ بأنَّ أعْمَاقي

تَخَلَّتْ

عن مَبادِئِها!

فَدَسَّت فَجْرَ إشْرَاقِي!

بأفكارٍ أنَانِيَّة!

فَضَاقَتْ كُلُّ آفَاقِي..

وإِنِّي في انْتِظَارِ المَوْتِ،

يَطْلُبني

بِلا مَهْرٍ!

وأمْشِيْ فَوْقَ إِرْهَاقِ المسَافَاتِ

إلى بَلدٍ مِن القَهْرِ!

بِلَا ضَجَرٍ!

وَهَذا،

لَمْ يَكنْ يَعْني سِوَى قَدَرِي،

فَذَنبي،

أنَّنِي يَوْمًا خَرَجْتُ لهذهِ الدُّنْيا

بِلا ذَنْبٍ!

بِلا قَدَمٍ!

بِلا سَاقٍ!

وكُنتُ أَوَدُّ أَنْ أحْيَا..

بِغَيْمي،

أو بِإِشْرَاقِي!

تُرَى!

هل كُنْتُ طَمَّاعَة

فَحتى حُلْمِيَ البَاقِي،

كما الأَصْنَامِ في الأرْكَانِ مَشْلُوْل

* * *

إلهي،

أَنْتَ خَالقُنِي!

وَتعلمُنِي..

أَنَا طِفْلَة!

ولم أتَجَاوزِ العِشْرِين من عُمُري

و...

مُشْلُولَة!

كما الأمْواتِ في التَّابُوتِ مَحْمُولَة!

أنَا

-باللهِ- خَجْلانَة!

فهل من حقِّ مَشْلُولة

بأن تَحْلُم؟!

بِأَنْ تَضْحَك؟!

وتَحْكي كُلَّ قِصَّتِها؟

وَهَلْ بِالبَابِ مُسْتَمعُ؟!

فأحْكِي كُلَّ أوْجَاعِي وآلَامِي

وأكْشِفُ كُلَّ أحْلَامِي

عَلى مَرْأى

عَلى مَسْمَع؟!

* * *

أنَا

-باللهِ- مَشْلُولة!

ومَذْهُولة..

فَمَنْ ذَا يَعرِفُ الشَّلَلَ؟!

هُوَ الموتُ!

ولكنِّي أَرى المَوْتَ

أَرَقَّ مِنْ هَذا!

أُرِيدُكَ، أيُّها المَوْتُ..

أُريدُكَ أن تُصَارِعَني

سَأقْتُل فِيْكَ آلامِي

وأوْهَامِي

وحَاولتُ القيامَ لِكي أُصَارِعَه!

فَلَم أَقْدِر..

وَجَاءتْني النِّداءَاتُ..

تُنَادِي

مِلْءَ جَوفِ المَوْتِ

مَشْلُولَة

شَعَرتُ بأَنَّنِي حَجَرٌ بلا حَرَكَة

وأَنَّ فَسَادَ أعْضَائِي

ذُنُوبُ الإِنْسِ والجَانِ

* * *

رَأَيْتُ اليَوْمَ نَافذةً على الجَنَّة!

هِي الأحْلَام..

وحَتَّى أَتْركُ الوَاقع

ذَهَبتُ

لعَالمِ الأحْلَامِ في دُنْيا بِلَا شللٍ

* * *

وَفي الأحْلامِ

شَيْخٌ رَائِعُ الخُطْوة

رَآنِي

فانْحَنَى نَحْوي

ولم أتَصَوَّرِ المنْظَر!

إِلَهي..!

في دُجَى الوَاقِع

تَراءَتْ لِي خُطَى الأمَلِ!

غَرِيبٌ

عَالمُ الأحْلَامِ يَا ربِّي

فهذا الشَّيخُ يأتِيْنِي.

يُهَدْهِدُني!

يُقَبلُني!

فَأشْعُرُ أَنَّنِي أسطُورَةٌ حُلْوة

وَكُلُّ النَّاسِ تَنْظُرُ لي!

إلى سَاْقَاي!

ولا أَعْبَأ!

وَأعْبُرُ أبْحُرَ الحِرْمَانِ فَوقَ عَباءَةِ الشَّيخِ،

لأوْدِيَةٍ بلا شَلَلِ!

بلا مَلَلِ!

بلا مَرَضِ!

بلا كَسَلِ!

فكنتُ أعُومُ في النَّهرِ،

وأجْرِي فَوْقَ شَاطِئِه،

وَحَتَّى آخِرَ العُمْرِ!

وأَقْطُفُ زَهْرةً بيضَاءَ أَحْضُنُها إِلى قَلْبِي!

وَأُمْطِرُها

بِآلافٍ من القُبَلِ!

وأغْرِسُ فَرعَهَا المقْطُوعَ

في شَعري

وأسمُو فَوْقَ أُمْنِيَتي..

وأشْعُرُ

أنَّني بَشَرٌ بلا شَلَلٍ..
فأقْفِزُ
-دُون أنْ أَدْرِي-
إلى جبلٍ من الخُضْرَة
وأقْطَعُ عُشْبَه
الأصْفَر
وهذا -دُوْنَ أَنْ أَشْعُر-
لأنَّ النَّقْصَ كالموتِ
فَمَنْ ذَا يَعْرِفُ النَّقْصَ؟!
وَمَنْ ذَا يَعْرِف الوَاقع؟!
«هُنا.. الوَاقع»
شِعَارُ العَالَمِ المزْعُومِ،
والزَّائِف
يُحَطِّمُ قَلْبِي الخَائِف!

هَا، هَا، هَا
دَعُوْنَا الآنَ مِنْ أَلَمِيْ!
لنَحْلُمَ يا صَدِيْقَاتِي!
فَفِي الأحْلَامِ قِمَّةُ نَشْوتِي الكُبْرى..
لأنِّي أكْرَهُ الوَاقع

لأَنِّي
أَكْرَهُ الشَّلَلَا!

* * *

وَفي يَومٍ،
رَأيتُ الشَّيْخَ كالعَادَة..
وَلَكِنِّي،
شَعَرتُ بِغُصةٍ في الحلقِ حيْنَ رأيْتُه،
يَجْرِي،
وَيَبتَعِدُ!
ويَسْلُبُ مِنِّيَ الأَمَلَا..
وَلكِنِّي سَمْعتُ الصَّوْتَ يَأتِيني،
أَنَا سَأعُودُ، أَنَا سَأعُودُ

* * *

وَمَرَّتْ كُلُّ أيَّامِي بِدونِ الشَّيْخِ وَاحِدَة،
بلا تَغْيير!
وَكِدْتُ أمُوتُ مِنْ مَلَلِي،
وَمِنْ كَسَلِي
وفي يومٍ صَعِدْتُ القِّمةَ،
الشَّمَّاءَ!
وحتَّى كِدْتُ أَلْمَسُ،

غَيْمةً بَيْضَاءَ..

هي الأَمَلُ..

فَإنِّي لَمْ أَعُدْ أبْكِي لِرُؤْيَةِ غَيْمَةٍ بَيْضَاء..

فَقَدْ نَضَجَتْ مَفَاْهِيْمِي!

* * *

وَلَكِنِّي رَأَيتُ بِجَانبِ الأعْشَابِ

مِطْرَقَةً نُحَاسِيَّة..

ووَجْهَتُهَا رَمَادِيَّة..

مُثَبَّتَةً..

على الأعْشَابِ!

وَرُحْتُ

أَدُوْسُ وِجْهَتَهَا الرَّمَادِية!

فَشَدَّتْنِي!

وَطَارَتْ بي إلى جبلٍ مِنَ الأَنْوَارِ،

والأَلْوَانِ..

بِلَا أَشْجَان..

بِلا دَمْعٍ، بِلا أَحْزَان

إِلى الشَّيْخِ!

وَلَكِنِّي،

أُحِسُّ بِوجْهِهِ السَّمْحِ،

يُعَاتِبُنِي!

لماذَا جِئتِ للجَبَلِ؟!

أمَا تَدْرِين،

أَنِّي قَدْ ذَهَبْتُ لِخَارجِ الوَادِي؟!

وَقُلْتُ،

بِكُلِّ ما أُوتِيتُ مِنْ قُوَّة،

أنَا سَأعودُ، أنَا سَأعُود..

وَأَحْسَسْتُ الدُّمُوعَ تَفِرُّ مِنْ عَيْني

وَ......

أَيْقَظَنِي بُكَا أُمِّي..

إِلَهِي مَا......

وَلَمْ أُكمِلْ!

لَقَدْ نَامَتْ أحَاسِيسِي مَعَ الأحْلَام..

بِلا آلَام

وَ......

جَاءَتْني النِّدَاءَاتُ

«هُنَا.. الوَاقِعْ»

شِعَارُ العَالمِ المزْعُومِ والزَّائِفْ..

يُحَطِّمُ قَلْبِي الخائِف!

إِلَهِي،

لَسْتُ أَنْتَظِرُ..

إِلَهِي،

بَلْ سَأَنْتَظِر

وَمَنْ -باللهِ- أَنْتَظِرُ،

سِوى الموْتِ

سَأَتْرِكُ حُجْرتي الخَرْسَاءَ

تَفْضَحُ عَنْ عَذَابَاتِي

وتقضي العمرَ راقصةً

على أشلاء مشلولة!

* * *

أما في صغره فقد كان نشيطًا، كثير الحركة، سريع البديهة، يحمل -كما قلت- هذه الشاعرية، وهذه الرومانسية.

وأنا أحسب أن هذه النشأة كان لها أكبر الأثر في رقة طبعه، وحسن خلقه، وعفة لسانه مع كل من حوله، وبخاصة مع من اختلفوا معه، وخاصموه، وتجاوزوا الحدود معه في محنة من مِحَن حياته الدعوية المباركة، ألا وهي محنته مع المداخلة فقد شتموه دون وجه حق، وظلموه واتهموه بأشياء كثيرة؛ منها (التكفير بالكبيرة)، ودروسه، وخطبه، وأحاديثه، وكتبه تنطق بغير ذلك.

فكان كثيرًا ما يردد قول الشاعر:

إلـى ديـانِ يـومِ الدِّيـنِ نمضـي ... وعنـدَ اللـهِ تجتمـعُ الخصومُ

بل إنني ما سمعته يتحدث عن واحد من هؤلاء إلا وهو يقول: الشيخ فلان، والشيخ فلان، ولقد حضرتُ له مجلسًا مع هؤلاء فرأيتهم يهابونه.

بل رأيتُ منه أكثر من ذلك عندما كان يأتيه تلامذته يقولون له: نسمع لفلان أو لفلان (واحد من هؤلاء)؟ فكان يقول لهم: نعم، ولكن تجنبوا خوضهم في أعراض المشايخ، ولا تقعوا أنتم في أعراضهم، ولا تنقلوا عنهم شيئًا من ذلك. هذا الخلق للبيئة والنشأة دور فيه ولتأثره بالعلماء الدور الأكبر، وأحسب أنه تأثر بابن تيمية وابن حنبل كثيرًا؛ فها هو شيخ الإسلام ابن تيمية لما مات ابن مخلوف المالكي -الذي كان يسميه الشوكاني: الشيطان، وكان يقول: اقتلوا ابن تيمية ودَمُهُ في عنقي- ذهب إلى أهله، وقال لهم: أنا لكم مكانه. فلا عجب أن يتعلم التلميذ من أستاذه، وأن يتدين بذلك فينقله لتلامذته واقعًا عمليًّا يرونه في خصوماته مترفعًا عن الخوض في الأعراض.

حتى مع مهاجمة الإعلام له مرئيًّا ومسموعًا ومقروءًا بالباطل والأكاذيب ما دافع عن نفسه لكنه كان يرد هجمتهم على دين الله.

ولقد رددتُ على واحد من هؤلاء الإعلاميين -الذين تجاوزوا حدود الأدب إلى الأكاذيب والتلفيق- قائلًا: بأن الشيخ الحويني قد بذل عرضه لله سبحانه، وقلت في ذلك أبياتًا:

عوى عاوٍ يقال له: الحسيني ... بشتم البَر عالمنا الحويني
فلو ألقمتُه حجرًا خسيسًا ... لأصبحتِ الصخورُ بدرهمينِ
سيلقى اللهَ في يومٍ طويلٍ ... يحاسبُه بما اقترفَ الحسيني

وإني على يقين من أنه قد أحَلَّ كل واحد شتمه وسلب عرضه إلا من كان عدوًّا لله ورسوله كما فعل قبله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: «من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه...».

لقد منَّ الله عليه سبحانه بدراسة علم الحديث، وكانت دراسته لعلم الحديث محض تفضل من الله حيث وجهه إلى عالم السنة في هذا الوقت (الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فكأنما أصلحه الله في ليلة، فزادته متانة، ورسخت عنده منهج القرون الثلاثة الأُول، وتمسك

بذلك، وتأثر بالعلماء الكبار رحمهم الله تعالى، فكان يهاب من الفتيا ويحيلني إلى آخر من المشايخ ليجيب على أسئلتي كما كان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفعل، وكان لا يطلب من أحد شيئًا، وقد أوصى النبي الكريم -صلوات الله عليه وسلامه- أصحابه بذلك، فقد روى مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟»... إلى أن قال، وأسر كلمة خفية: «ولا تسألوا الناس شيئًا»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه.

وتلك حكاية أسوقها حدثت لي معه، ففي الأسبوع الأول من زواجي زار الشيخ الحوينيَّ رجلٌ مرموق في وزارة الأوقاف بالكويت، وأتانا (حوين) وكان غداؤه في شقتي، فلما نزل الشيخ إلى أمي قالت له: يا بني هذا أخوك يعمل مدرسًا، فاطلب من هذا الرجل أن يعيِّنه في وزارة الأوقاف.

فأجابها: بنعم، ثم قال لي في اليوم التالي، إن أمي قالت لي: كذا وكذا، وأنت تعرف إنني لا أطلب من أحدٍ شيئًا فإن العلم لا يذل أهله، فقلتُ له: أنا أعلم ذلك.. وقدَّرتُ موقفه، وتذكرتُ مواقف شبيهة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترفعه عن الطلب إجلالًا للعلم الذي يحمله.

لقد رافقتُ مسيرة أخي في أول طلبه للعلم؛ إذ إنني تخرجت في كلية دار العلوم، ودرست الحديث وقواعده، وكنت قد تقدمت إلى قسم الدراسات العليا بالكلية قسم الشريعة، وقد كان ذلك أيام موت السادات حيث تقدمت ببحث جيد عن المضاربة في الإسلام، وعملتُ مع أخي على تحقيق المخطوطات (في التلخيص الحبير) و(أبو داود)، وحققتُ مخطوطة للذهلي قوامها ثلاثون حديثًا، وفهرست الكتب، وقد خرج لي في السوق (فهارس كتب الزهد).. لكن الحياة أخذتني إلى اتجاه آخر، فالحمد لله على كل حال.

الشيخ الحويني له صفات عدة إذا تأملت أحاديثه وخطبه ودروسه، من أبرزها أو لعلها الصفة الكاشفة أنه (رجل محب) على كل حال محب لله، محب لرسوله، محب لأصحابه، محب للناس، تلفتُ نظرك هذه الصفةُ الأصيلة، فكان بحق (الحويني المحب)، فتراه باكيًا عندما يُسَب الله ورسوله، محركًا مشاعر الأمة الغافلة تجاه مَن يحيكُ لها المؤامرات والدسائس وهي لا تدري مُلقيًا اللَّومَ في كثير من الأحيان على من توسدوا سُدةَ الدفاع عن الدين وإذا هم مقصرون، بل ويفتحون الباب لمن يحيكون المؤامرات.

فالمحب تدمع عيناه، ويتفطر قلبه إذا أُسيء إلى محبوبه.

كتبه، أحاديثه، حركاته، لمعان عينيه، دموعه تفضح هذا الحب (فإن الصَبَّ تفضحه عيونه).

بل اسمع له سلسلته الماتعة التي لا أَمَلُّ من سماعها (أسباب المحبة) وهو يتحدث عن رب العالمين وينقل أشعار المحبين أمثال أبي الشيص محمد الشاعر العباسي وهو يقول:

وقفَ الهوى بي حيث أنتَ فليس لي ... مُتأخرٌ عنه ولا مُتقدَّمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي جاهدًا ... مَا مَنْ يَهونُ عليكَ ممن يُكرمُ
أشبهتَ أعدائي فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظي منكَ حظي منهمُ
أجدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً ... حبًّا لذكركَ فليلمني اللُّوَّمُ

تلك الصفة تحتاج إلى بحث استقرائي لكل ما قاله وكتبه ليستفيد منها طُلاب الهدى، فإن من ركب الحب وصل إلى الله بسهولة، وهانت عليه مشقة الطريق، أدام الله عليه هذا الحب وحشره مع من أحبهم وأكرمه بكرامتهم.

أما عن توقعه للأحداث وما سوف تؤول إليه فتلك نعمة مَنَّ الله بها عليه، والمواقف كثيرة أذكر منها ما يعرفه الناس جميعًا من ثورة ٢٥ يناير، فلقد رأيته وسمعته في مسجد الخياط بكفر الشيخ والناس فرحون من نشوة الانتصار بهذه الثورة بعد خطبة الجمعة وقد التف الناس حوله يسألونه، وإذ به يفاجئ الجميع بأنها (فورة) وأنها لن تنجح،

وأن استقراء التاريخ يؤيد ذلك، فهي ثورة بلا رأس، وهي ثورة يقودها شباب الجيتار والموسيقى -حتى قال لي رجل من القوم وقد مال عليَّ: أنا أرجو أن يسكت الشيخ-، وتذهب الثورة مع الريح بمؤامرة كبرى وقد قُتل كثيرٌ من الناس ظلمًا.

ويسيرُ ركبُ البغي ليس يَضيره　　　شاةٌ إذا اجتُثَّتْ مِنَ القُطعانِ

إن عبقَ السنة تظهر على مُحَيًّا من تمسك بها، وعمل على نشرها، فتراه وميضًا يلمع في الوجه، ونورًا يضيء حركات اللسان، وإني لأحسب الشيخ الحويني له نصيب وافٍ من ذلك، فترتاح لسماع كلامه القلوبُ، وتطمئن النفوس المضطربة مع استعار نار الفتن في زماننا هذا والتي تكاد تعصف بدين الرجل وبعقله، فتدع الحليم حيران، أرتاح لسماع كلامه ولرؤيته يذكرني ذلك بكلام شيخ الإسلام ابن القيم عندما تدلهمُّ حولهم الخطوب، وتضطرب النفوس، فيذهبون إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فما يطالعون مُحياه إلا وتعود الثقةُ والطمأنينةُ إليهم مرة أخرى.

الشيخ الحويني كأنما سقط من القرون الثلاثة الأُول كما أعتقد دائمًا وأقول، في وقت عز فيه أهل العلم، وأصبح الناس تقودهم الأذناب يميلون بهم يَمنةً ويَسرةً إلى بنيات الطريق، وأراه متماسكًا متمسكًا بما علمه عن الله ورسوله كما قال ﷺ: «**تجدون الناسَ كإبلٍ مائة لا ترى فيها راحلة**».

إن نظرتَ إليه أو ماشيتَه أو حاورتَه نفعك، وقد أسعدني كثيرًا أنني صحبته في رحلاته الدعوية داخل مصر، وفي القنوات الفضائية، وفي بعض الرحلات خارج مصر.

أُشهد الله أني أحبه في الله حب الأخ الشقيق الحاني والعالم الذي يأخذ بحجزك إلى الخير ويبعدك عن معصية الله.

يؤلمني مرضه الذي استقبله راضيًا من الله وعن الله وتُسرُّ نفسي عندما أراه وَضِيءَ الوجه مبتسم الثغر فكتبتُ له يومًا أبياتًا أُسليه بذلك، فقلت:

أبا إسحاق طبْتَ اليومَ نفسًا　　　وعلمُك طابَ والجسدُ العليلُ

وقفــتَ علــى الحــدودِ تــردُّ كيـدًا لِــذي حقــدٍ لــه لُــبٌّ جَهــولُ
حــرسْتَ الــدِّيـنَ لمــا كنــتَ يومًـا صحيــحَ الجــسمِ كنتَ بـه تصــولُ
فــلا تجــزعْ لأحــداثِ الليالــي فنجــمُ الدِّيــنِ ليــسَ لــه أُفُــولُ
ولا تحــزنْ فإنــك مــا بَرِحْــتَ تدافــعُ بالدَّليــلِ هنــا تصــولُ
فإنــك فــي حُلــوقِ القــومِ شـوكٌ تُعلِّــمُ سُــنَّة الهــادي تجــولُ
علمتُــك للإلــه تــذوبُ حُبًّــا وللمختــار حُبُّــك لا يــزولُ
سُـقيتَ المــاءَ مِنْ يَد خيرِ خَلْقٍ رَسُــولِ اللهِ ليــس لــه مثيــلُ

إنني أدعو الله له في صلاتي دائمًا أن يحفظ عليه عقله، وصحته، ودينه. وأن يبارك في نسله. ولأمي وأبي وإخوتي وأن يتغمدهم بفيض رحمته وأن يشملهم بعفوه ومغفرته، ولأخي شريف الذي افتقدته كثيرًا، وأثر فيَّ موته كأنما لم يمت لي أحد قبل ذلك فألجم موتُه لساني، فلم أكتب عنه إلا هذين البيتين من الشعر:

أَعينــيَّ جُــودِي بِدمــعِ العَيْــن واحْتَسـبي شَــقيقًا غَــدا تَحْــتَ التُّــرابِ حَبيــبُ
ويــا قَلــبُ لا تحــزَنْ لمُــرِّ مُصيبتـي فإنِّــي بمــا يَقْضــي الإلــهُ مُنيــبُ

فاللهم احفظنا بحفظك واسترنا بسترك ولا تفضحنا يوم العرض عليك، ولا تؤاخذنا بزلات اللسان، وخلجات النفوس.

والحمد لله رب العالمين.

كفر الشيخ
في الثلاثاء ١٢ من رجب ١٤٣٧هـ
١٩/ ٤/ ٢٠١٦م

ومضات من حياة الشيخ

بقلم
شقيق الشيخ
د. سمير محمد شريف

(١)

أجد صعوبةً كبيرةً عندما أكتب عن أخي وشقيقي الحبيب «حجازي» الذي هو الآن مشهورٌ ومعروفٌ بين النَّاس بالشيخ أبي إسحاق الحوينيّ، لكنّي توكّلتُ على الله خالقي، واستجمعتُ بعض شجاعتي وقررت أن أكتب!

هي كلماتٌ يسيرةٌ، لكنّي أرجو أن تكون صادقةً ومعبّرةً!

نشأنا معًا، نحن أبناء الرجل الذي أحسبه كان من الصالحين الحاج «محمد أبو شريف»، ذلك الرجل الشريف حقًّا! وأبناء تلك السيدة الرائعة، التي وهبها الله لنا كأفضل ما تكون الأمهات! رحم الله أبي وأمي! كانا من أهل الصلاح والدين. مات أبي في عام ١٩٧٢ ونحن صغار في بداية مراحل الصبا والشباب، وماتت أمي ونحن كبار في عام ٢٠١٣. افتقدنا الأب ونحن في أشد الحاجة إليه حيث كنّا جميعًا في بدايات الطريق، وافتقدنا الأم بعد أن كبرنا وأنهكتنا الحياة وتعلقت قلوبنا بها! وعندما ماتت فكأنما خُلع قلبي من مكانه! رحم الله أمي وأبي!

(٢)

لم يكن الحاج «محمد أبو شريف» يتصور وهو يختار اسم «حجازي» لولده أن هذا الطفل سوف يكون له شأنٌ كبيرٌ فيما سيأتي من الزمان! وأن مستقبل وحياة ذلك الفتى سوف يكون لها ارتباط وثيق بأرض الحجاز!

كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرر أنه سوف يحج في ذلك العام ١٩٥٦ من الميلاد، وكانت هذه هي حجته الثانية بعد حجته الأولى التي كانت في عام ١٩٣٩ من الميلاد، وقد ذهب إلى الحجاز راكبًا جملًا كعادة الحجاج في ذلك الزمان. ثم انقضت الأيام ورغب «الحاج محمد» في الحج مرةً أخرى، وكان ذلك في عام ١٩٥٦ كما سبق، وكانت زوجته «نعيمة» حاملًا في هذا العام، وولدت قبل أن يسافر غلامًا هو الثالث لها بعد ولديها «رزق» المولود

في عام ١٩٤٨، و«شريف» المولود في عام ١٩٥٥، ثم جاء «حجازي» إلى الوجود في عام ١٩٥٦، ثم ولدت «محمدًا» في عام ١٩٥٨، ثم «سميرًا» كاتب هذه السطور في عام ١٩٦٠. وهناك ثلاثةٌ من البنات، وهن «آيات» ١٩٤٦، و«منازل» ١٩٥٣، و«سعاد» ١٩٦٢.

كان «الحاج محمد أبو شريف» رجلًا شريفًا وكريمًا، وله قدر كبيرٌ وإجلالٌ بين أبناء قريته والقرى المجاورة، وكان صاحب دينٍ وخلُق.

(٣)

هذه ليست قصةَ حياةٍ، ولكنها ومضاتٌ من حياة أخي الحبيب فضيلة الشيخ أبي إسحق الحويني.

نشأنا معًا إخوةً متحابّين. تعلمنا من والدَينا حبَّ الدين. كان أبي لا ينام من الليل إلا قليلا.. كان صاحبَ صلاةٍ وذكرٍ، وكان رحيمًا بالحيوان قبل الإنسان.

عندما مات أبي كنتُ أنا في الشهادة الابتدائية، وكان أخي «حجازي» في الشهادة الإعدادية. تولّى هو إيقاظَ العائلة لصلاة الفجر، كان يوقظُ الكبيرَ والصغيرَ. ولم يكن الزمن مثلَ هذا الزمان؛ فلم تكن هناك كهرباء وكنا نعيش على «لمبات الجاز»! ولم يكن هناك ماءٌ، وكنا نتوضأ من «ترعة» صغيرة تمر من أمام منزلنا كنّا نسميها «الملّال»!

كان هذا في إجازة الصيف. أما في أيام الدراسة، فكنا نسكن في مدينة «كفر الشيخ» في حيّ اسمه «الحلقة».. كنا نسكن في شقة تملكها العائلة، وكنا نقوم بخدمة أنفسنا؛ فهذا عليه إحضار الطلبات من السوق، وهذا عليه طهي الأرز، وهذا عليه طهي الخضار، وهذا عليه غسيل الأطباق في نهاية الطعام.. وكانت تأتي لنا «الزُّوَّادة» كما كانت تسمى في ذلك الزمان؛ تأتي لنا من قريتنا «حوين»، وكان يحضرها لنا أحد أفراد العائلة المقيمة في القرية..

لقد كانت فترةً حافلةً بالدروس والعبر؛ إذ كيف يتسنى لشباب صغير أن يخدم نفسه؟! لكنها حدثت، وتعلمنا الاعتماد على أنفسنا في هذه السن المبكرة.

دخل «حجازي» المدرسة الثانوية، ودخلتُ المدرسة الإعدادية، وكان «محمد» يكبرني بعامين، وكان «شريف» يكبر «حجازي» بعام، وكان «حجازي» يكبر «محمدًا» بعامين.. وكان لنا حلمٌ أن ندخل جميعًا كلية الطب حتى تكون لنا مستشفى خاص اسمها «مستشفى الإخوة»! وكان «رزق» قد سبقنا إلى دخول كليّة الطب، وكان هو الذي فتح أعيننا على هذا الحلم الكبير! وفعلًا دخل «شريف» كلية طب «قصر العيني» بعد «رزق»، وقلنا: ها هو الحلم بدأ يكون حقيقة! لكن «حجازي» في الثانوية لم يحصل على المجموع الكبير الذي يلحقه بالطب، ودخل كلية الألسن قسم اللغة الإسبانية، وكان هذا من قدر الله المقدور، والذي كان بدايةَ الطريق لـ«حجازي» كي يضع قدمه على أول طريق طلب العلم الشرعي.. لو كان دخل كلية الطب كما أردنا نحن وكنا تمنينا لربما لم يكن قد استطاع أن يُفلت من القيد الذي تفرضه الدراسة الطبية وشَغلِها لكل وقت الإنسان.. لكن دخوله كلية الألسن مهّد له الطّريق الذي صنعه الله له.. ورغم حزننا الشديد على أن مشروعنا لإقامة المستشفى ها هو يفقد أحدَ أعمدته، لكن قدرَ الله كان هو الغالب!

ثم دخل «محمد» كليةَ دار العلوم في القاهرة، ودخلتُ أنا كلية طب قصر العيني.. وهكذا تبخر الحلم بإقامة المستشفى.

(٤)

فترة الجامعة..

كنّا جميعًا في القاهرة. والقاهرة مدينة ساحرة، صاخبة.. كنتُ أقول عنها: إن مدينة القاهرة تلبي احتياجات كل البشر! من أراد أن يكون ملتزمًا فالقاهرة تُلبّي طموحَه، ومن أراد أن يكون منحرفًا فالقاهرة تلبي طُموحَه!

كنّا نحضر خطب «الشيخ كشك» -عليه رحمة الله- في مسجد «عين الحياة» في شارع «مصر والسودان»، وكان أخي «رزق» يسكن في أول هذا الشارع، وكنا نأخذ المسافة من سكن «رزق» إلى مسجد «الشيخ كشك» سيرًا على الأقدام.. وكنتُ أرى تأثر

«حجازي» بالشيخ «كشك» كبيرًا، وكان قد بدأ يكتب بعض خواطره في الدين في «أجندة» وكنتُ أقرأ ما يكتب.. وكان خطه بالعربية رائعًا مثل عقد اللؤلؤ ومثل حبات الذهب.. وأتذكر أني قرأتُ له في الآية ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ في وصف شجرة الزقوم، وما زلتُ أذكرُ تساؤلَه: «هل يمكن وصف مجهولٍ بمجهولٍ؟!»، وردودَه على ذلك، وكان هذا كلامًا كبيرًا عندي في هذا الزمان البعيد..

كان يسكن في المدينة الجامعية بـ«عين شمس»، وكنت أسكن في المدينة الجامعية بـ«الجيزة».. وكانت المدن الجامعية في هذا الزمان معقلًا من معاقل الصحوة الإسلامية بين الشباب؛ كانت الصلوات تقام في مساجد المباني، وكانت الندوات الدينية التي يلقيها كبار الدعاة في هذا الزمان مثل الشيخ «محمد الغزالي» و«محمد نجيب المطيعي» و«صلاح أبو إسماعيل» و«عبد الرشيد صقر» و«إبراهيم عزت» وغيرهم رحم الله الجميع.. كان لهذا النشاط الديني الأثرُ الكبير في الاهتمام بعلوم الدين إلى جانب الدراسة الأكاديمية العادية.. تعلمتُ تجويدَ القرآن في المدينة الجامعية على يد طالب في كلية الهندسة جامعة القاهرة، وتعلم غيري الفقهَ وغيري الحديثَ بسبب هذا النشاط الديني الذي كانت تعجّ به المدنُ الجامعية في ذلك الزمان..

أقول هذا وأنا حزينٌ على شبابنا؛ على ولدي وولدك، عندما يُحارَب المتديِّنُون الآن، ولا يَدخلون المدن الجامعية بسبب تديّنهم، ويُطردون من المدينة إذا ثبت أنهم متديّنون بعد أن يدخلوها!

كان تفوقه في اللغة الإسبانية أثناءَ الدراسة سببًا لإرساله إلى إسبانيا في صيف عام ١٩٧٦.. وكانت هذه الرحلة من رحلات الخير عليه؛ فالذين أرسلوه أرادوا شيئًا، لكن الله أراد شيئًا آخر، وكانت إرادةُ الله غالبةً.. هم أرادوا أن يطّلع على المجتمع الإسباني، وأن تتعمق لغتُه، وأن يمهّد لنفسه الطريقَ في أن يكون عضوًا في «مجمع اللغة الإسبانية» كما قال! لكن اللهَ أراد أن تكون رحلة إسبانيا فاتحةَ الخير عليه في طلب العلم الشرعي،

فبدأ حفظَ القرآن، وأطلق لحيتَه في هذه الرحلة المبارَكة! وعاد من إسبانيا وعنده انبهار بمستوى النظافة في ذلك البلد، حيث كانت الشوارعُ تُغسَل ليلًا بالماء والصابون، وكان هذا مشهدًا عجيبًا له! وكنا نرى شوارعنا القذرة، ونتعجب على قوم ليسوا مسلمين يُنفّذون تعاليم الإسلام، ونحن -المسلمين- لا نلتزم بتعاليم الشرع الحنيف!

(٥)

انتهى «حجازي» من الدراسة الجامعية، ودخل الجيش لقضاء فترة التجنيد الإجباريّ.. وكانت أيضًا فترةً مهمّةً في طلبه لعلم الحديث، وقد منَّ الله عليه بأن جعله في مكانٍ مريحٍ وهو «هيئة التدريب» في القاهرة، وقد أعطاه قائدُه العسكريُّ كتابًا باللغة الإنجليزية وقال له: «ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، واعتبر هذا هو فترة الجيش بتاعتك»! وقد أعطاني «حجازي» هذا الكتابَ وقمتُ أنا بترجمته!!

وعندما انتهى من فترة التجنيد وبدأ البحث عن عمل كان أمامه خيارات أن يعمل في الإرشاد السياحي، ولكن الله صرفه عن ذلك.. ثم عُيِّن في «الإذاعة المصرية» في قسم الإذاعات الموجَّهة، ولم يمكث فيها إلا شهرًا واحدًا وتركها، وقال لي يومها: «أنا كأني أعمل مع شياطين!»، وذلك لأن كل النساء اللائي كن يعملن في هذا القسم كن متبرجاتٍ غايةً في التبرج، وهو كان على طريق الالتزام يسير! فوجد نفسه غيرَ قادر على مواصلة ذلك العمل، فتركه حتى أنه لم يَصرف مرتَّب ذلك الشهر، وتركه لهم!

بعد ذلك عمل في بقالة في «مدينة نصر»، وكان يسكن في مخزن البقالة.. وقد زرته كثيرًا في هذا المخزن، وكنتُ أشفق عليه، ولكني كنت أُكبِر فيه هذه الروح العالية تحدي الصعاب والعمل في ذلك العمل الذي كنّا نراه غير مناسب بالمرة لا لتاريخ أسرتنا ولا لدراسته؛ لكنه كان أعلم الناس بنفسه، وكان في ذهنه هدف محدد، وأراد أن يحققه مهما كان نوع العمل الذي يعمل به.. كان ذلك العمل وسيلة له لكي يعيش.. يأكل ويشرب، أما هدفه الكبير في دراسة علم الحديث وعلوم الشريعة فكان هو الشيء الذي تهون -بجانب الوصول إليه- كلُّ الصعاب!

(٦)

بعد مقتل السادات في أكتوبر ١٩٨١ اعتُقل كثير من الناس، وكان «حجازي» أحدَ الذين اعتُقلوا من أمام مسجد النور بالعباسية، ورُحِّل إلى «سجن أبو زعبل»، وكنا لا ندري أين هو حتى أرسل لنا مع أحد الناس أنه موجود في ذلك المكان.. وقد حزنتُ على ذلك حزنًا شديدًا، وخشيت أن يمكث في السجن فترة كبيرة؛ لأن أحوال البلد المضطربة في هذا الوقت كانت توحي بذلك..

وقد قام أخي رزق بزيارته في السجن وقام بطمأنتنا عليه.

خرج من السجن في يناير ١٩٨٢، وذهبت لأراه في شقته التي كان يقيم فيها في «عزبة النخل» بالقاهرة، وهالني منظره! لأنه كان قد فقد الكثير من وزنه، وبدا شاحبًا وهزيلًا.. كان فقدانُه لوزنه بسبب إصابته بمرض السكر في فترة السجن، وكان لهذا المرض تداعياته الكثيرة التي أثرت في صحة الشيخ تأثيرًا سلبيًّا شديدًا حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها..

(٧)

تزوج حجازي زوجته الأولى، وذلك في عام ١٩٨٥ في شقة صغيرة متواضعة في منشأة ناصر، وكانت تطل على «مقابر الغفير» بالقاهرة.. وكان والد زوجته «عمّ حسين شراقة» رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا فاضلًا، يعمل بالسكة الحديد، وكان من «سوهاج»، وكان ذا مروءة ودينٍ..

وأنجب من زوجته الأولى أولاده: سلمى، حاتم، هيثم، سفيان، شُعبة، ورُقيّة.. أسأل اللهَ أن يحفظهم أجمعين، وهم نعم الأولاد الأبرار.

وفي عام ١٩٨٧ قرر الشيخ أن يعود ليقيم في كفر الشيخ مستقرًّا له، ومنها ينطلق في دعوته إلى أي مكان يريد.. وسكن في «تقسيم زهدي» وكان مسجد «عِباد الرحمن» في «تقسيم ٢» بكفر الشيخ أسفلَ منزل الدكتور «محمد أبو حجر» هو مقر الدعوة ودروس الشيخ..

وفي بداية العام الدراسي من ذلك العام ١٩٨٧ انتشرت في شوارع كفر الشيخ

ملصقات تدعو إلى الحجاب وتقول: «الحجاب عفة وطهارة»، فقامت مباحث أمن الدولة باعتقال الشيخ، ورحَّلوه إلى «سجن طُرَة» في القاهرة مع أربعة من شباب الدعوة في ذلك الوقت..

وزرتُه في «سجن طُرَة» وكان معي «رزق» و«شريف».. أخذنا تصريح الزيارة من مكتب النائب العام، وذهبنا إلى منطقة سجون طُرَة، وكانت هذه هي المرة الأولى لي التي أذهب إلى مثل هذه الأماكن..

ونحن في انتظار الدخول مكثنا وقتًا في الساحة الكبرى أمام باب السجن، وجلستُ أرقب حركة الدخول والخروج إلى ذلك المكان الذي يحوي حبيبي في داخله، ورأيتُ شابًّا صغيرًا ينزل من عربة السجن يبتسم ويحمل مصحفًا في يده والسواكَ في جيبه، وحواليه أمةٌ من العسكر يحملون أسلحتَهم ويحيطون بالشّاب من كل ناحيةٍ، فقلتُ في نفسي: «يا تُري من يَسجُن من؟!!»، أحسستُ أن هذا الفتى الصغير هو الحر، وأولئك الجنود هم المساجين!

دخلنا إلى صالة الزيارة، وجاء «حجازي» مبتسمًا مطمئنًا.. جلسنا معه بعض الوقت، وحكى لنا كثيرًا مما يحدث داخل السجن، والمناقشاتِ التي تجري بينه وبين الشباب الآخر داخل السجن، مثل جماعة التكفير وغيرها من التيارات التي كانت تعجّ بها السجون في ذلك الوقت..

غادرنا السجن وكان قلبي يتفطر عليه ونحن نتركه وحيدًا ونمضي، ولكن كان العزاء أنه إنما هو في هذا المكان الآن من أجل الله، ومن أجل دعوته المباركة..

(٨)

مكث الشيخ في السجن عدة أشهر، خرج بعدها ليواصل دعوته، ويُمضي ليلَه ونهاره ما بين مدينة ومدينة ومحافظة ومحافظة..

وكان معه في ذلك الزمان رفقاء دربه من الدعاة؛ الشيخ محمد حسان، والشيخ محمد

حسين يعقوب؛ يجوبون البلاد شرقًا وغربًا يدعون إلى الله على بصيرة، يدعون الناس إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.. وقد فتح اللهُ لهؤلاء الدعاة الثلاثة القلوبَ، وتعلق الشبابُ بهم وبدعوتهم، وكانوا -بحق- هم الرعاة الحقيقيون للصحوة الإسلامية السلفية في مصر، لا بل حتى خارج مصر؛ فقد ذاع صِيتهم في دول الخليج، ودول المغرب العربي، وأمريكا، وأوربا.. وقد سافر الشيخ إلى كل دول الخليج في رحلات دعويّةٍ، وسافر إلى أمريكا كذلك، وسافر إلى أوربا في رحلته العلاجية عام ٢٠١٠ والتي امتدت قرابة أربعة أشهر، ألقى فيها كثيرًا من المحاضرات في بلاد أوربا.

(٩)

الزواج الثاني للشيخ..

نظر الشيخ الحويني إلى حال المسلمين، وفكر في حال نفسه وقد أصبح من الدعاة الذي يَقتدي الناسُ به وينظرون في أحواله، ووجد المسلمين في نظرتهم إلى الزواج الثاني وقد أصبحوا مثل النصارى؛ فإذا كان النصارى يُحرّمون الزواج الثاني شريعةً وتديّنًا، فإن المسلمين يحرّمونه واقعًا.. فكرةُ الزواج الثاني أصبحت غيرَ مقبولة عند كثيرٍ من المسلمين، حتى في أوساط الملتزمين منهم، وقرّر الشّيخُ أن يكسِر هذا التفكيرَ الأعوجَ، وأراد أن يُحيِي هذا الفضيلةَ التي كادت تموت في ديار المسلِمين، وقرر أن يتزوج للمرّة الثانية، وكان ذلك في عام ١٩٩٤.

تزوج الشيخ، وذهبتُ لزيارته في بيته الجديد، ووجدتُ بعض المشايخ وبعضَ الأخوة الأصدقاء عند الشيخ، ورحبوا بي، وبادرني أحدُهم بالسؤال: «د. سمير! ما رأيك في زواج الشيخ الثاني؟!»، قلتُ له: «أنا أعتقد أنه سوف يكون -إن شاء الله- فتحًا مبينًا للشيخ في دعوته!»، والحمدُ لله قد كان!

وكان الشيخُ يداعبني بقوله: «على فكرة! أنا أبويا ماخلفش راجل غيري!»، يقصد أنه استطاع أن يتزوج ثانيةً ونحن عاجزون ومُكبَّلُون!!

(١٠)

كان بيتُنا في «حوين» -وما زال- مقصدًا لكثير من الناس.. منّ اللهُ علينا جميعًا بفضيلة قضاء حوائج الناس، فكان أخي «رزق» -وما زال- يخدُم الناسَ، يساعد في إيجاد وظائف للشباب، ويعمل على تحسين الخدمات العامة التي يستفيد منها الناس مثل الكهرباء والماء والطرق ومستلزمات الزراعة، وقد وضع الله له القبولَ عند أهل القرار، فكان له ما كان من السُّمعة والذكر بين الناس..

وكنتُ أنا و«شريف» وقد من الله علينا بمهنة الطب، قد حاولنا قدر جهدنا أن نخدم الناس ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.. والحمدُ لله! مَنَّ اللهُ علينا بالسُّمعة الطيبة والذكر الحسن..

أما أخي الشيخ، فقد جعل لمنزِلِنا في «حوين» شأنًا آخر! كنّا نلتقي في البيت كلَّ يوم جمعة ويأتي الشباب وكلُّ من له مسألةٌ عند الشيخ، يأتي ليسأل وليسلم على الشيخ ويجلس بين يديه.. وقد حضر إلى بيتنا في «حوين» كثيرٌ من المشايخ، مثل الشيخ محمد حسين يعقوب، والشيخ محمد حسان، والشيخ مصطفى العدوي، والشيخ أحمد النقيب، وغيرهم ممن شرُفَتْ «حوين» باستقبالهم..

وأنا أشهدُ! أن مجلسنا كل جمعة في «حوين» لم يكن مجلسًا للنميمة أو لإيذاء الناس، بل كان مجلسًا يستفيد منه كل من حضره، وكان أحيانًا يكون أقرب إلى الصالون الأدبي ومجالس العلم المتخصّصة؛ وكان ذلك بسبب وجود الشيخ بيننا.

(١١)

حكاية الشيخ مع الفضائيات..

كان الشيخ معارضًا تمامًا لفكرة الظهور على شاشات الفضائيات، وكان عنده مبرراته لذلك؛ لقد كانت سيّئةَ السُّمعة، تنتشر على شاشاتها شتى أنواع الرذائل من عري وعهر وجرائم وسخائم، وكان الشيخُ يسمّيها «الفضائحيات»، حتى جاء الشيخ «محمد حسين

يعقوب» وحاول جاهدًا أن يُقنع الشيخ بأنّ ظهورَه على إحدى الفضائيات المحترمة وتقديمَه أحدَ البرامج عن علم الحديث؛ سوف يكون له مردودٌ طيبٌ وإيجابيٌّ عند الناس البسطاء العوام والنساء الذين لا يتمكنون من متابعة الشيخ في المساجد التي يدعو فيها.. وما زال الشيخ «يعقوب» به حتى اقتنع الشيخُ بالظهور على قناة اسمها «خير»، وكان البرنامج اسمه «فاسمع إذًا».. وكان الشيخ «يعقوب» يحاور فيه الشيخ «الحويني»؛ «يعقوب» يسأل و«الحويني» يجيب.. وكان من أمتع البرامج، وشد إليه كثيرًا من المشاهدين.. وقد تقبل الناسُ الشيخَ بقبول حسن.. ولكن القناة ما لبثت أن أغلقت أبوابَها..

وكان نجمُ قناة «الناس» قد بدأ يظهر ويعلو كقناةٍ دعويةٍ سلفيةٍ بعد أن كانت بداياتها كأي قناةٍ ماجنةٍ، وبدأ الشيخ يعطي دروسًا في قناة «الناس» عن علم الحديث ومصطلح الحديث، وكذلك في قناة «الحكمة» وقناة «الرحمة».. وكانت دروسًا طيبةَ الأثر عظيمةَ الفائدة، استفاد كثير من الناس العوام وطلبة العلم من دروس الشيخ.

وقد سهل الشيخ جدًّا فهمَ علم الحديث، حتى عند رجل الشارع.. وكم قابلتُ من خَلْق وهم يثنون على دروس الشيخ، ويذكرون أنهم أحبوا علم الحديث من أجله.

وأنا في تقييمي لظهور الشيخ على الفضائيات أقول: إنها فعلت شيئين متناقضين معه.. الأمر الأول مفيد جدًّا، والثاني ضار جدًّا!

أما الفائدة فكانت في انتشار علم الشيخ، وإذاعة خطبه ودروسه، وتعريف الناس به في شتى بقاع الأرض، وتسهيل علم الحديث على الناس؛ تسهيلِ فهمه وتسهيلِ تعلُّمِه.. أما الشيء الضار فكان أمرًا شخصيًّا، وهو أن الشيخ بدأت حالتُه الصحية تتدهور.. هكذا لاحظتُ أنا بصفتي الطِّبّية؛ وذلك لأنه اضطر إلى السفر كثيرًا إلى «القاهرة»، يمكث فيها يومين أو ثلاثةً، ويمكث في «كفر الشيخ» مثلَها.. وهكذا لم يستطع تنظيمَ مواعيد أخذ علاجه واختلاف نوع الطعام وإجهاد السفر وغير ذلك، كل ذلك أدّى إلى تدهورٍ مستمرٍ في حالته الصحية، لم نتمكن من السيطرة على هذا التدهور، ولم نستطع ضبط السكر الضبطَ

المطلوب، وعانينا من كل مضاعفات ذلك المرض حتى هذه اللحظة. وأنا أسألُ اللهَ أن يشفيه ويرفعَ درجته بذلك المرض.

(١٢)

كثرت سفريات الشيخ إلى خارج مصر، إلى كل دول الخليج، وإلى «الأردن» قبل ذاك ولقاؤه بالشيخ «محمد ناصر الدين الألباني».. كانت كلها رحلات لإعطاء الدروس لأهل هذه البلاد. وسافر إلى «أمريكا» أيضًا لإلقاء المحاضرات للمسلمين. وسافر إلى أوروبا في رحلته العلاجية الأخيرة عام ٢٠١٠م، وأعطى دروسًا كثيرةً هناك، وأسلم على يديه عدد من الخلق..

سافرتُ معه عام ٢٠١١م في رحلته الدعوية إلى «قطرَ» و«الكويت»، ورأيتُ بنفسي محبة أهل هذه البلاد للشيخ، ومدى القبول الذي وهبه الله له، وكان معنا الأخ «شكري أبو عبد الله رَحِمَهُ اللهُ» والأخ «محمد سعد حفظه الله»..

وفي محاضرته في «الدوحة» كان يحضرها عدد من الوزراء، وبعد أن انتهى الشيخ من محاضرته وهمَّ بالانصراف رأيتُ وزيرَ الأوقاف القطري يهرول وراءَه وهو يقول له: يا سيدنا! أنا أحد تلامذتك! وقد حضر معنا هذه المحاضرة الماتعة في فندق «شيراتون الدوحة» فضيلةُ الشيخ الحبيب «محمد إسماعيل المقدّم».

أما في «الكويت»، فقد كان الترحيب به شديدًا والاحتفاءُ به ظاهرًا، وعندها تذكرتُ أن الله يرفع بهذا العلم أقوامًا.. لقد كان الشيخ -وما زال- مَثَل الملك المُتوّج! رأيتُ أكابرَ الناس وهم يحاولون فقط السلامَ على الشيخ، وكم كانت سعادتُهم لمجرد رؤيته والسلام عليه، أما الذي يحدّثه ويسامره فلسان حاله يقول: «تلك هي الغنيمة الباردة»!

(١٣)

حكاية شكري عبد الله..

كثيرٌ هم الخلق الذين أحاطوا بالشيخ، وما زالوا يحيطون به، لكن يبقى «شكري

عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ» هو أهمّ شخصيةٍ من خارج عائلتنا كان لها ما كان في تاريخ الشيخ الدعوي، وكان له ما كان من الأهمية في حياة الشيخ، وكان له ما كان من المحبة من الشيخ ومنا نحن أسرة الشيخ؛ كنّا نحبه لحب الشيخ له، وكنا نعتبره واحدًا منا، يدخل بيوتنا في أيّ وقت، يأكل معنا ويتحرك مع الشيخ في كل مكان.

و«شكري» ليس غريبًا عنا؛ هو ابن قريتنا «حوين»، وتربطنا به صلة قرابة، وكان الشيخ يثق فيه، وكان هو بكل جدارة كاتمَ أسرار الشيخ، وموضعَ ثقته الشديدة، وكان يستحق ذلك.

تحرك مع الشيخ في كل مكان من أسفاره سواء داخل مصر أم خارجها، وكان يقول: «أنا غلام الشيخ». وكان يقود سيارة الشيخ، وكان الشيخ يتّكأ عليه في سيره، وكان يساعد الشيخ حتى في لبس نعليه! وكان أحد رفقاء الشيخ يقول: «سبحان الله! كلنا نحاول أن نُلبِس الشيخ نعليه، لكنه كان لا يرتاح إلا إذا فعل «شكري» ذلك!».

وفي شهر سبتمبر من عام ٢٠١١م قرّر الشيخ أن يُزوّج ولديه «حاتمًا» و«هيثمَ»، وقد بدأ الإعدادُ لهذا الحدث الكبير، ودُعي كل علماء الدعوة في مصرَ، وكان الناس يُطلقون عليه «فرح القرن». وكانت تجهيزات الفرح تتمّ في بيتي القريب من بيت الشيخ.

وفي مساء تلك الليلة التي سيكون صباحُها هو موعد اللقاء الموعود، جلس «شكري» معي بعد أن ذهب الناس كلٌّ إلى بيته انتظارًا ليوم الغد، جلسنا نتحدث في أمور كثيرةٍ، وفجأة قال «شكري» لي: «تصور! أنا دائمًا أتذكّر حديث السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما ذهبت السيدة فاطمة بنتُ النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أبيها وقالت له: إن أزواجك يسألنك العدلَ في ابنة أبي قُحَافة! فقال لها عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أي بُنيّتي! أتحبينني؟**» قالت: نعم! قال: «**فأَحِبّي هذه!**»، قال لي «شكري»: «أنا قلت لزوجتي: إذا كنتِ تحبينني فأحبي الشيخ!»، فتعجبتُ لمدى محبة «شكري» للشيخ ودقة استدلاله بهذا الأثر الشريف. ثم قلت «لشكري»: «هيا بنا ننام لأن عندنا غدًا يومًا طويلًا»، وكان الليل قد انتصف.

صعدتُ إلى منزلي، وذهب «شكري» إلى بيته القريب جدًّا من بيتي. صليتُ الوترَ، ووضعتُ نفسي على السرير، وفجأةً وجدت التليفون المحمول يرنّ ورقم «شكري» يظهر على شاشته. بدأت أردّ، ولكني لم أسمع إلا صوت صراخ.. نزلتُ مهرولًا، فوجدتُ بعضَ الشباب يحملون «شكري» وهم يهرولون به في الشارع بجوار بيتي. نظرتُ إليه وإذا به قد فارق الحياة، عرفتُ ذلك لكني لم أجرؤ أن أُخبر أحدًا؛ لأنها سوف تكون صدمةً كبرى..

أدخلناه مستشفى «الزهراء» المجاور لمنزلي لمحاولة فعل أي شيء، لكنه كان قد ترك دنيانا وغادر!

حملناه وذهبنا به إلى بيتي في الدور الأول ووضعناه على السرير، وكلنا كأن على رؤوسنا الطير، وقد ألجمت الصدمةُ ألسنتَنا. واجتمع كثيرٌ من ضيوفنا من خارج مصر ومن داخلها الذين كانوا سيبيتون معنا انتظارًا للغد الموعود في بيتي. وكانت المشكلة الكبرى: من سيخبر الشيخ؟! ولم يكن من بدٍّ من أن أتحمّل أنا هذا العبء الشديد، واتصلتُ بالشيخ وأخبرتُه وأنا أبكي، والشيخ لا يستطيع الرّدّ عليّ، وجاء مهرولًا إلى بيتي، وبكى وهو يكشف وجه «شكري» ليراه لآخر مرة.. وتنتهي قصةٌ من أعظم قصص المحبة في الله بين هذين الرجلين.

وفي اليوم التالي، وقد تحول الفرحُ إلى عزاء كبيرٍ، وجاء كل الذين كانوا سيحضرون ذلك الفرح وودّعوا «شكري» الوداع الأخيرَ، وواريناه الثّرى، وعدنا ونحن نتعجّب من تصاريف القدر، وأجمَعْنا على أن هذا من أعظم البلاء الذي مرّ بالشيخ، ولكنّه تقبّله راضيًا مُحتسبا، وكان الشّيخُ دائمًا ما يقول: «أنا وقّعتُ على بياض» للرّضا!

رحم اللهُ «شكري»، ذلك الصديق الصدوق، وأسكنه فسيح جناته.

(١٤)

منذ أن ظهر الشيخُ على شاشات الفضائيات بدأت شهرتُه تتّسع بين العوام..

كان قبل ذلك يعرفه طلبة العلم ورواد مسجده والناس التي كانت تحضر خطبه ومحاضراته في البلاد التي كان يذهب إليها. أما الآن فقد دخل كل بيت؛ هذا أدّى إلى متابعة الإعلاميين له من أهل الصِّحافة وأيضًا من مُقدِّمي البرامج في الفضائيات الأخرى، وتعرض الشيخُ لحملات من الهجوم المستمر من بعض هؤلاء الصحفيين؛ يتهمونه بالرّجعية والتخلف، فقط لأنه يتكلَّم عن القرون الثلاثة الأُوَل من تاريخ الإسلام، وهي القرون التي زكاها النبيُّ ﷺ في قوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»؛ ويقولون عنه تارةً أخرى: «عودة أهل الكهف»! وهكذا.

أخذ الشيخُ عهدًا على نفسه ألا يرد على أي انتقادٍ أو هجومٍ عليه، وكان يقول: «لو رددتَ على كل أحد يهاجمك، فكيف تصل إلى هدفك؟! إنه إنما يريد تعطيلَك عن مواصلة سيرك لئلا تصل إلى هدفك المرسوم»، وكان يتمثل قولَ السيدة عائشة رضي الله عنها حينما قيل لها: «أترين إلى الذين يسُبُّون أبا بكرٍ وعمَر!»، قالت: «وما يعجبكم من ذلك؟! قطعَ الله عنهم العملَ، فأراد ألا يقطع عنهم الأجر». وكان الشيخُ يقول عن الذين يهاجمونه: «الله يجمع بيننا وبينكم في يومٍ تُبلى فيه السرائر».

ولكن في عام ٢٠١٢ نشرت مجلة «روزاليوسف» تحقيقًا مطولًا على عدة صفحات عن الشيخ وأسرته. وكان تحقيقًا مليئًا بالأكاذيب، كتبه صحفي اسمه «وائل لطفي»، كان نائبَ رئيس التحرير. لم أستطع أنا تحمُّلَ تلك الأكاذيب، فقررتُ أن أخالف منهجَ الشيخ وأردّ، وفعلًا اتصلتُ بالمجلة وقلت لهم: «أنا فلان شقيق الشيخ»، وقلتُ: «إن التحقيق الذي نشرتموه عن الشيخ عبارة عن مجموعة من الأغاليط والأكاذيب»، حوَّلُوني على الصحفي كاتب التحقيق، وقلت له: «إنك تكذب، وإن كل ما نشرته عن الشيخ خطأ محض»، وقلت له: «حرامٌ عليك الخوضُ في أعراض الناس وانتهاك سمعتهم بالباطل والافتراء!»، رد عليّ بقوله: «أنا آسف جدًّا، ولو حضرتك أردت أن تكتب ردًّا وأنا أنشره في المجلة»، قلتُ له: «أنا لن أكتب ردًّا، ولكن الواجب عليك أنت أن تكتب: أنه اتصل بي شقيقُ الشيخ وأخبرني أن ما كتبتُه عنه كذب وافتراء»، قال لي: «أريد أن أقابل الشيخ»، وعندما حكيتُ

للشيخ ما حدث قال: «أنا لن أقابله.. دعه يقابل ربَّه بما كتب!»، وانتظرتُ أن يكتب أيَّ شيء عن فحوى تلك المحادَثة، لكنه لم يفعل.

ومرَّةً أخرى حاولتُ أن أدافع عن الشيخ؛ فقد نشرت جريدةٌ اسمها «البوابة» تحقيقًا كاذبًا فحواه أن الشيخ هو الذي يُموّل تنظيمَ «داعش»! تصوّروا؟! إي والله هكذا! لم أتمالك نفسي، واتصلتُ بالجريدة وأخبرتُهم بكذبهم، وأنهم يفضحون أنفسهم عندما يَنشُرون مثلَ هذه الأعاجيب والتُّرَّهات التي لا تنطلي على أحد، فقالت الصحفيَّةُ كاتبةُ المقال: «من حقّك أن تردّ»! لكني أدركتُ بعدها أن ردي سيكون نوعًا من العبث، وأدركتُ صحة رأي الشيخ في عدم الرد على أمثال هؤلاء؛ دعهم يقولوا ما يقولون، الموعدُ القيامةُ، أليست القيامةُ بقريبةٍ؟! وما هي من الظالمين ببعيد:

فلا تكتبْ بكفِّكَ غيرَ شيءٍ ... يسرُّكَ في القيامةِ أنْ تراهُ

هكذا تعلمنا من الشيخ الجليل.

(١٥)

استيقظت مصرُ في صباح يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م على احتجاجات كبيرةٍ من الناس على نظام «حسني مبارك»، والذي ظل يحكم البلاد طوال ثلاثين عامًا. كان الشباب الغاضبُ ينادي بنداءٍ عفويٍّ، ولكنه عبقريٌّ: «الشعب يريد إسقاط النظام».

واجهت الحكومةُ المظاهرات بقسوةٍ وغباءٍ كالعادة، وظنّت أنها تظاهرات عابرة سرعان ما ستنقضي. لكن المظاهرات لم تنته، بل زادت حدتُها، وانضم إليها الكثير من طوائف الشعب وطبقاته المختلفة. كانت تونس قد قامت بثورة في نفس هذا الشهر أدت إلى إسقاط حكم الرئيس «زين العابدين بن علي» الظالم.. أغرى الناسَ في مصر هذا النموذجُ، وتمنوا أن لو تحقق في مصرَ ذلك، ولذلك واصل الشعبُ المظاهرات وهو يحدوه الأملُ في إسقاط النظام. حتى كان يومُ الجمعة ٢٨ يناير والذي عُرف باسم «جمعة

الغضب»، وفيها انهارت مقاومةُ جهاز الشرطة أمام إصرار وتحدي الشعب الغاضب. ثم تواصلت التظاهرات، واعتصم الناس في «ميدان التحرير» حتى استسلم «حسني مبارك» وترك الحكمَ للمجلس العسكري.

وأنا لست أريدُ أن أقيّم ما حدث، ولكني أريد أن أعطي ملمحًا عن رؤية الشيخ لهذا الحدث المهم في تاريخ مصر الحديث.

أنا كنتُ أرى أن ثورة يناير هي أعظم حدث في تاريخ مصر بعد الفتح الإسلامي! الفتحُ الإسلاميُّ هو أعظمُ حدث في تاريخ مصر، فمنذ أن دخل عمرو بن العاص وأصحابه ﭫ مصرَ في خلافة عمر بن الخطاب ﭬ فاتحين لمصرَ؛ تحول ذلك البلدُ بحمد الله من دار كفرٍ إلى دار إسلامٍ. وكنتُ أرى أنّ ثورة يناير قد حولت مصر من دار استبداد واستعباد وفساد! إلى دار حرية وكرامة.. هذا كان ظني الذي لم يتحقق ولم يستمر طويلًا!! أما الشيخ المبارك، فقد نضح عليه علمُه، واستفاد من دراسة السُّنَّة وأحوالِ الصحابة الأبرار، ولذلك كان يرى أن ما حدث في يناير ليست ثورةً، ولكنها «فورة»؛ أنّها كانت فلتةً كبيعةِ أبي بكرٍ، وهو يقصد اجتماعَ الناس على هدفٍ واحدٍ. وكان يقول: إنَّ بيعةَ أبي بكرٍ وقى اللهُ شرَّها، ونحنُ لا ندري هل يقي اللهُ شرَّ «فورة» يناير؟

وكان يقول: «إنَّ الاستبدادَ خيرٌ من الفوضى».

وكان يرى أن التغيير له في الشّريعة أسباب ووسائل، ونحن لم نكن نملك لا الأسبابَ ولا الوسائل.

سكت الشيخُ ولم يتكلم، والناس تسأل: «لماذا يسكت ولا يُبدِي رأيَه فيما يحدث في مصر؟!»، ولما كثر ملام الناس ذهب الشيخُ إلى مسجد «العزيز بالله» في «القاهرة» وألقى محاضرةً مهمّةً عنوانها «لماذا سَكَتُّ»، قال فيها: إنَّ الوضع في مصر ضبابيٌّ، وهو لا يحسن قراءةَ الأحداث حتى تنجلي. وقال: إنَّه متوجّسٌ شرًّا من المستقبل؛ لأن التغيير لا يحدث بمثل هذه الفورات، وما أدرانا أن التظاهرات قد أسقطت نظامًا استبداديًّا، أن

يأتي بعده نظامٌ أكثر استبدادًا. وقال بعض الملاحظات التي ذكرتُها قبلَ ذلك.

كان هذا بعد الفورة بثلاثة أشهر، وكان الشيخُ يتمثّل ويستشهد بموقف الصحابيّ الجليل سعد بن أبي وقّاص في فتنة علي ومعاوية ﵃.

وأنا بعد مرور الوقت وانجلاء الأمور إلى ما صارت إليه في مصر أدركتُ أنّ رؤيةَ الشيخ للأحداث كانت أكثر صوابًا، وأنها رؤيةٌ تزيّنت بنور العلم وأهله، وأنّ الشيخ كان أبصَرَنا بالحق؛ فإن مصر قد وقعت في شرٍّ وفتنةٍ بعد يناير لم تنته حتى وقت كتابتي لهذه الصفحات في سبتمبر ٢٠١٥؛ وقد قُتل من قتل، وأُصيب من أصيب، واعتُقل من اعتُقل، وانقسمت البلد إلى شركاء متشاكسين، وعداواتٍ ظاهرة وباطنة، والنفوسُ معبّأة بما لا يُحمد عقباه حتى هذه اللحظة، وهناك عداواتٌ وثاراتٌ، ولم تعد مصرُ كما كانت، وضُيِّق على الدّعاة ومُنعوا من الصعود على المنابر، وأغلقت القنوات الدينية، وأصبح صوتُ العلمانيين عاليًا، وتجلّى الموقفُ عن أكبر انتكاسة شهدتها مصرُ منذ زمن، وذلك بوصول رجلٍ قال عن مصرَ: «إن مصر علمانية بالفطرة!»، هذا الرجلُ الذي قال هذا القول الفاجر أصبح وزيرًا للثّقافة في مصر! وهذا كلّه من تجلّيات يناير واتّخاذ الناس طرقًا غير شرعية للتغيير.

وقد تغنّى رجلٌ بأقبح ما أنت سامع عندما قال: «رغم إن الرب واحد؛ لينا رب وليكو رب! رغم إن الشعب واحد؛ إحنا شعب وانتو شعب»! يقصد بهذا الكلام الوقح التيارَ الإسلامي في مصر!

كل ذلك من آثار تلك «الفورة»، وهذا جزء من تجلياتها!

(١٦)

موسم الحج ١٤٣٢هـ (عام ٢٠١١م).

سافر الشيخ للحج في هذا العام الصعب بعد وفاة شكري ﵀، وكان معه أخي محمد والأخ محمد سعد.

في هذا الحج ركب الشيخ السّيّارة وهو في طريقه إلى منى.. اشتدت سخونةُ محرّك السيارة، ولأنّ أقدام الشيخ كان الإحساس بها ضعيفًا نتيجة مرض السّكّر؛ لم يشعر الشيخُ بالسخونة، وكان أن احترقت قدما الشيخ!

عاد الشيخُ إلى مصر بعد أن أتمّ الحجّ، وبدأ يُعاني من آثار هذا الاحتراق. حاولنا كثيرًا من أجل أن تلتئم آثارُ الحرق، ولكن دون جدوى، لم تلتئم القدمُ اليُسرى، وحدث التهابٌ شديدٌ في ساقها، ما اضطرنا إلى إدخاله مستشفى «عين شمس التّخصّصي» في محاولةٍ لإنقاذ ساق الشيخ، ولكن دون جدوى، وكان قرارُ الأطبّاء أنه لا بد من بتر ساق الشيخ فوق الرّكبة، وكان ذلك في شهر مايو من عام ٢٠١٢م.

أبلغنا الشيخَ بالأمر، وكان الرضا التام منه ﷺ، كان هو الذي ثبّتَنا، واستقرت قلوبُنا بعد أن رأينا ثباتَ الشيخ وعدمَ جَزَعه ورضاه بالقدر المقدور.

ولقد رأيتُ وعايشتُ في هذه المِحنة التي مرت بالشيخ، والتي كان يُسميها هو بالمِنْحة! أقول: رأيتُ وعايشتُ محبّةَ النّاس للشيخ، وقيمتَه الكبرى، وعرفتُ أنّ الله يرفع بهذا العلم أقوامًا، وقد رأيتُ رضا الشّيخ وعايَنْتُه، وكان يقول: «أحسستُ ببَرْد الرّضا، والحمدُ لله رب العالمين».

(١٧)

من مرض الشّيخ أستلهم بعض العبر..

أُصيب الشّيخ بمرض السكر بعد خروجه من المعتقل في عام ١٩٨١.

ومرض السكر من الأمراض التي لا بد للمريض من «احترامه»، والمواظبة على علاجه واتّباع التعليمات الغذائية الخاصة به. وهو مرض من الممكن أن يُؤثّر على أغلب أعضاء الجسد، ومضاعفاتُه في حالة حدوثها تكون شديدةً.

وكان لي مع الشّيخ مشكلتان.

الأولى: نظامُ نوم الشيخ. كان الشيخ بعد أن بدأ في طلب العلم ودراسةِ علم الحديث يَسهر كثيرًا ويُحبّ التّحصيل بالليل، ويقول: إنَّه عندما ينام الناسُ ويهدأ الكونُ من حوله يجد من الصّفاء والهُدُوء ما يُمكّنه من التحقيق والتدقيق. فتحول ليلُ الشيخ إلى نهارٍ ونهارُه إلى ليلٍ. صَعّب هذا من متابَعة حالته بدقّةٍ على مدار الأيام والسنوات.

والثانية: كثرة سَفرات الشيخ في الداخل والخارج، أدى إلى عدمِ التّمكّن من الانضباط الغذائي، وعدمِ التمكن من إعطاء الأدوية اللّازمة بالدّقة المطلوبة.

بدأت مضاعفاتُ مرض السكر تظهر على الشيخ بقوةٍ، كان من أهمها التهاباتُ الأعصاب الطرفية، وبداية ضُمُورٍ في العضلات، ثم مشاكل في الكُلى أدّت في النّهاية إلى توقّف الكلى، ما اضطرنا أن نجري عمليات غسيل كلويّ دائمٍ ابتداءً من شهر أكتوبر ٢٠١٤م وحتى الآن. وغنيّ عن البيان أنّ المشكلة التي حدثت في الحج لأقدام الشيخ كانت بسبب ضعفِ الأعصاب الشّديد الناتج من مُضاعَفات السكر، والذي أدى في نهاية الأمر إلى بتر ساق الشيخ.

أحبّ أن أقول: إنني من المؤمنين بأن «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»، وأنه ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، وأنه ليس لنا أيّ اعتراض أو سخطٍ على ما حدث للشيخ ويحدث من اعتلال صحّته، وأنا أتمنى أن يَجعل اللهُ مرضَ الشيخ رِفعةً لدرجته في عِلّيّين، وأن يجعله كعَهْدِنا به دائمًا من أهل الصّبر والرضا.

إلا أنني أقول: إنّ أيّ مرضٍ لا بد أن يُحترم، ولا بد أن نمتثل لكلّ التّعليمات المطلوبة؛ لأن حفظَ النفس من مقاصد الشريعة الكُبرى. نظامُ الجسد من حيث اللّيل والنهار لا بد أن يُحافظ عليه؛ اللهُ جعل الليل سَكَنًا والنّهار معاشًا، فينبغي علينا أن نُحافظ على ذلك ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

والشيخ لم يُقصّر في طلب الشّفاء والعلاج، وقد سافر إلى ألمانيا في عام ٢٠١٠م، ومكث هناك أربعةَ أشهرٍ في محاولةٍ لضبط السّكّر وإيجاد حلٍّ لمشكلة التهاب الأعصاب، ولكن قالوا له في ألمانيا نفسَ ما كنّا نقوله له في مصر، ولم يجد جديدًا في حالته الصحية بعد السّفر عن قبل السفر. ولكنّ عزاءنا أنّ الشيخ إنّما كان يبذل وقتَه في سبيل الله، وفي سبيل تحصيل العِلم، وفي سبيل منفعة المسلمين بذلك العلم:

وإذا كانتِ النفوسُ كبارًا تعبتْ في مُرادِها الأجسامُ

(١٨)

مرض الكُلى..

في أكتوبر من عام ٢٠١٤م تدهورت حالةُ الكلى عند الشيخ، وقررتُ أنه لا بد من إجراء عمليّة غسيلٍ كلويٍّ للشيخ. وكنتُ أريد أن أَسترشد برأيٍ طبيٍّ آخرَ يساعدني في هذا القرار، فاتصلتُ بالأخ الحبيبِ والصديق القريب إلى نفوسنا جميعًا الأستاذ الدكتور مجاهد أبو المجد أستاذ الأمراض الباطنة بكليّة طب المنصورة، وهو من الرجال الذين يَندُر وجودُهم في هذا الزمان؛ فهو إنسان شريفٌ ونبيلٌ وصاحبُ أخلاقٍ عاليةٍ ومُروءةٍ في الخير قلّما تجد مثلَها، وهو من أحباب الشّيخ.

حدّد لنا الدكتور مجاهد موعدًا في مركز الكلى بالمنصورة، وذهبتُ أنا والشيخُ وشريف أخي رَحِمَهُ اللَّهُ. استقبلونا في المركز وقرّروا نفسَ القرار: أنه لا بد من إجراء الغسيل الكُلوي.

وقال لنا أحدُ أهمّ الأطباء في المركز: إنّه يفضّل أن يسافر الشيخُ إلى «قطر»؛ حيث إن عندهم تقدمًا كبيرًا في عمليات غسيل الكُلى.

قررنا السفر إلى «الدوحة»، وكان السّفر في بداية شهر مايو ٢٠١٥م. سافر الشيخُ مع

زوجته وولدِه، وسافرتُ أنا ومعي الأخ محمد سعد بعد أسبوع من سفر الشيخ، ومكثتُ في «الدوحة» لمدة أسبوعين. أدهشتني «قطرُ»! رأيتُ كيف يتقدّم النّاسُ ونحنُ نتأخّر! لقد سبقونا وتفوّقوا علينا في كل شيءٍ! إنّ مستوى الخدمة الطبّيّة التي تُقدّم في «قطر» تتفوّق على مستوى الخدمة التي تُقدّم في «مصر» بمراحلَ كثيرةٍ. البلادُ التي كنّا نحن في يومٍ من الأيّام بالنسبة لهم مصدرَ الإلهام والتّلقّي في شتّى مَناحي الحياة؛ في العلوم والأدب وحتّى في علوم الدين، تفوّقوا علينا وسَبَقونا: قد يبلغ الظالعُ شأوَ الضليع، وعُدّ في جُملة المتعاقلين المتعاقلُ الرقيع!

(١٩)

موت «شريف»..

من أشدّ ما أُصيبت به أُسرتُنا أخي «شريف». لم يكن شخصيةً عاديةً، بل قد كان رجلًا استثنائيًّا. كان شخصيّةً فذّةً، وهبه اللهُ من صفات الخير، ومن مكارم الأخلاق، ومن الرّحمة والشّفقة بالنّاس وغيرِها من صفات الحُسن والجمال. وعلى المستوى الشخصي كان إنسانًا متواضعًا، هيّنًا ليّنًا. وكان صاحبَ عبادةٍ، كان عنده جلدٌ وصبرٌ، كان صوّامًا قوّامًا متصدّقًا، حتّى أني كنتُ دائمًا ما أتذكّر حديث النبيّ ﷺ الذي يذكر فيه أنّ هناك من يُدعى لدُخُول الجنّة من باب الصّلاة، وآخرُ من باب الزكاة، وآخرُ من باب الصدقة، وهكذا، فقال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه: وهل على أن يُدعى من كل هذه الأبواب؟، قال النبيّ: «**نعم! وأرجو أن تكون منهم**»؛ من كثرة ما كان يمتلك أبو بكر من صفات ومواهب الخير.

أقول: وأنا أرجو أن يكون أخي «شريف» أيضًا من أهل هذه البُشرى، وأن يُدعى لدخول الجنة من كل هذه الأبواب.

كان قد اشتد المرضُ عليه منذ شهر أبريل من هذا العام ٢٠١٥م، الموافق ١٤٣٦هـ، وذهبنا به إلى أماكنَ كثيرةٍ طلبًا للشّفاء والعلاج، لكنّ قدرَ الله كان أسبقَ إليه، ومات في ١٦ من رمضان ١٤٣٦، الموافق ٣ من يوليو ٢٠١٥م.

وأنا قد فقدتُ الكثير على المستوى الشخصيّ بموت أخي «شريف»؛ فقد كان بيني وبينه رباط أكثر من رباط الأخوة بالدم: رباطٌ ومحبّةٌ يعلمُها الله. وربما يأتي يومٌ أستطيع أن أكتبَ عنه؛ أكتبَ عن إنسانٍ نبيلٍ من أهل الخير.

وكان أخي الشيخُ في هذه الفترة التي كان يُعالَج فيها شريف ثم موته؛ كان الشيخُ في «قطر» للعلاج. وكان في ذلك اليوم، يومِ الجمعة الذي مات فيه شريف؛ كان من المقرّر أن يُلقي الشيخ محاضَرةً بعد صلاة العشاء في «مؤسّسة عِيد الخيريّة» بالدّوحة، وكان الشّيخُ لا يعلم بعدُ بوفاة «شريف». وسُبحان الله! لقد اختار الشيخُ عُنوانَ المحاضَرة عن الرّضا: رضا النبيّ ﷺ، والرّضا عمومًا. وكأنّ اللهَ هداه إلى تلك المحاضَرة حتّى إذا ما أتاه الخبرُ يكون قد سَبَق الكتابُ عن الرّضا فيَصبر. وهذا بفضل الله ما كان: أبلغه الإخوةُ الذين كانوا معه بالخبرِ بعد المُحاضَرة، فلم يكن بدٌّ إلّا الصبر والرضا. وأنا أعلم كم كان هذا الخبرُ قاسيًا على الشّيخ كما كان قاسيًا علينا، ولكنّ الله كان بنا رحيمًا.

ولقد وَجَدنا من ثناء النّاس على «شريف» وكثرةِ الخلق الذين حضروا جنازَته ما أراح قُلوبَنا. وإنّي أتذكر حديثَ النبي ﷺ الذي فيه أن ثناءَ النّاس على شخصٍ إنما هو من عاجل بُشرى المؤمن. وكما يقولون: «ألسنة الخلق أقلام الحق».

أسألُ الله أن يَحشُر أخي «شريفًا» مع النبي ﷺ وأصحابِه في الفردوس الأعلى، وأن يَأجُرَنا في مصيبتنا بفَقده خيرًا، وأن يبارك في ذُرّيّته.

وبعد:

فهذه ليست قصّةَ حياة أخي الغالي وحبيبِ نفسي وشقيقِ روحي حجازي، ولكنّها لقطاتٌ من حياته، أو قُل: هي ومضاتٌ أو إشراقاتٌ من حياة رجلٍ لا تملك عندما تعرفه إلّا أن تحبه.

وهو رجلٌ كله مَنفعة؛ إن جاوَرْتَه نفعك، إن حاورته نَفَعك، إن ماشَيْتَه نفعك، إن أكلتَ معه نفعك، إن سافرتَ معه نفعك، إن استمعتَ إليه نفعك، إن نظرتَ إليه نفعك؛ فكلُّ أمرٍ من شأنه مَنفعةٌ. وإنّي أُشهِد اللهَ أنّي أحبُّه؛ أحبُّهُ حبَّ الأخ الشّقيقِ، وأحبُّه في الله.

ووالله! ما عرفتُ عنه إلا خيرًا، وأشعُر أن مَحبّتنا للدّين ولسُنّة النبي ﷺ إنّما كانت بفضل الله ثُمّ من فيض بركة أخي الطاهر المبارَك التي حلّت علينا. وإني وايمُ الله! لا أكذب ولا أبالغ إذا قلتُ: إنّني لا أملّ أبدًا من سماع خُطَبه ودُرُوسه! وسُبحان الله! أَسمع الخطبةَ وكأني أسمعُها لأوّل مرّةٍ، وأَخرُج في كلِّ مرَّةٍ بفائدةٍ جديدةٍ أو قيمةٍ كانت غائبةً.

ولقد حلّت بركتُه على كثيرٍ من النّاس؛ فكم ساعد الفقراءَ، وكم كان في عونِ المحتاجين، وكم وكم.. وما زال عطاؤُه موصُولًا بحول الله وقُوّته.

ولقد كان سببًا في محبّة كثيرٍ من الخلق لسُنّة النبي ﷺ ولعلم الحديث. ولقد كان سببًا لمحبّة كثيرٍ من الخلق لصحابة النّبيّ الحبيب ﷺ. ولقد كان سببًا لمحبّة كثير من الخلق لعُلَماء المسلِمين ولسلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين. ولقد كان سببًا بفضل الله لالتزام كثيرٍ من الملتزِمين: قابلتُ كثيرًا من الشبّاب؛ واحدٌ يقول: «لقد كانت بدايةُ التزامي خطبةً سمعتُها للشيخ»، وآخرُ يقول: «سمعتُ درسًا»، وهكذا.

وأُشهِد الله! أنّه يحبّ النّبيّ ﷺ، وعاش حياتَه حتى هذه اللّحظة وهو يُحبّه ويحبّ صحابتَه الكرامَ، ويُدافعُ عنهم، ويصدُّ هجومَ الأغمار الذين يَقدَحُون في السّنة ليل نهار.

وأنا أسألُ اللهَ أن يُمتّعنا بحياته أعوامًا عديدةً وأزمنةً مديدةً، وأسألُه تعالى أن يحفظ عليه دينَهُ، وأن تكون كلُّ كلمة قالها، كلُّ خطبة خَطَبَها، كلُّ درسٍ أعطاه، كلُّ خطوة مشاها، كلُّ نصيحة أَسْداها، كلُّ دمعةٍ سالت على خَدّه وهو يتكلّم عن النّبيّ وأصحابِهِ = أسأل اللهَ أن يَجعل ذلك في ميزانه يومَ القيامة. كما أسألُ اللهَ أن تكون الخلائقُ التي سارت

على طريق السّنّة بسببه في ميزانه. كما أسألُه تعالى أن يحفظ عليه صحّتَه، وأن يجعله من الصّابرين الرّاضين، الذين لا يسخطون أبدًا. وأسأله سبحانه أن يُمتّعه يوم القيامة بصُحبة النّبيّ ﷺ، وأن تَقَرَّ عينُه بذلك.

وأخيرًا، أتذكر عُروةَ بن الزّبير عندما بُتِرت ساقُه، وجاء إليه رجلٌ فقال له: «يا عُروة! إنا لم نُعدّك لنزالٍ ولا لقتالٍ، إنّما نريد عقلَك وقلبَك»..

وأنا أقول له: يا حبيبي وأخي وشيخي! إنا لم نُعدّك لقتالٍ ولا لنزالٍ، إنّما نريد عقلَك وقلبَك!

واللهُ من وراء القصد، والحمدُ لله رب العالمين.

د. سمير محمد شريف

كفر الشيخ في:

الأربعاء ١٧ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٣٠/ ٩/ ٢٠١٥م



الفصل الأول:
شهادات أهل العلم
في الشيخ، وأشعار قيلت
في فضيلته

شهادات
أهل العلم في الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فقد سُئِلْتُ عمَّا سمعتُ من والدي فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه؟

فأقول:

كنتُ سألتُ والدي عن مَن نأخذ علم الحديث من بعدك، بعد عمرٍ طويلٍ؟

فقال: الشيخ أبي إسحاق الحويني، والشيخ علي الحلبي.

وكان هذا أيَّام وفاة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى.

وكتبه

أبو عُبادة

عبد اللطيف محمد ناصر الألباني

عمَّان – الأردن

الأربعاء ١ محرم ١٤٣٧هـ

١٤ أكتوبر ٢٠١٥م



شهادة الشيخ محمود ميرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلّم على سيّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإني لم ألْتقِ بالشيخ شخصيًّا؛ وإنما أُتابعُ ما يُنتِجُه ويُصدِرُه، ولقد قرأتُ له كثيرًا مما كتبَهُ، فلما قرأتُ له عملَهُ المُتأخِّر في سنن النسائي «بذل الإحسان»، رأيتُ ما أعجبني وسرَّني، واعتقدْتُ أنَّ الرَّجلَ مُتمكِّنٌ عالِمٌ، وله مُساهمَةٌ جيِّدةٌ في الاطِّلاعِ الواسعِ، والمعالجةِ التَّامّةِ للأحاديث، بتتبُّعِ الطُّرُق، وكشْفِ العِلَلِ، والتراجمِ للرُّواةِ، والرَّبْط بين الرِّوايات، فهو في نظري فيما أعتقدُ بحقٍّ ممن لهم المقدرة والتفوّق على كثيرٍ ممن هم خدموا السُّنَّة في هذا العصر.

أسألُ اللهَ ﷻ أن يُوفِّقَه وأن يُبارِكَ له في عُمُرِه، وأن يَشْفِيَه ويُعجّل بشفائِه، وأن يرْزقَه متابعةَ العملِ، وأن يُمتِّعَه بسمْعِه وبصرِهِ وقوَّتِه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١).

---

(١) وصلتني هذه الشهادة عبر مقطعٍ صوتيٍّ سجّلَه مع الشيخ، تلميذُه الأخ رمضان عوف، صبيحة يوم الأحد غرة شهر رجب سنة ١٤٣٩هـ، الموافق ١٨ مارس ٢٠١٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلامُ منهجٌ كاملٌ للحياة بشتى مناحيها.

والمسلمون جميعًا مُطالَبون بالالتزام به ونشره في ربوع الأرض، لكي يحافظوا على الخيريَّة التي وصفهم الله بها في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآيةَ [آل عمران: ١١٠].

أمَّا العُلماء العاملون المخلصون فدورهم فوق هذا كله، إنه باختصارٍ شديدٍ: دور المرسلين، وميراث الأنبياء، فهم يحملون هذا العبء الثقيل لهذا الدين، ومن فضل الله عليهم أنهم متحابون ومتعاونون، لا يتسرَّب إلى قلوبهم البغض أو الحسد، بل كلما ظهر داعية موفَّق فرِحُوا به، وأحسُّوا أنه يحمل عنهم بعض ما حُمِّلوا.

ومع الأسف الشديد تسمح بعض الأنظمة في بعض بلاد المسلمين لفريقٍ من الجهلاء المرتدين عن الإسلام أن يتناولوا -بما لا يليق- صحابة الرسول ﷺ، الذين زكَّاهم القرآن، والنبي ﷺ، بل تناولوا السُّنَّة ذاتها، بل تناولوا القرآن نفسه.

ولعلَّ أخانا الفاضل الشيخ أبا إسحاق الحُوَيني يأتي في الطَّلِيعة، وبما حباهُ الله من علم، وبما فتح له قلوب الناس، يأتي دوره في هذه الأيام العجاف.

أسأل الله أن يُلْبِسه ثوب العافية فضفاضًا، وأن يُقوِّي قلبَه، ويشرَح صدرَه، ويُطلِق بالحقِّ لسانَه، وأن يملأ بجهاده موازين حسناته.

الشيخ أحمد المحلَّاوي

الإسكندرية

الاثنين ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٥م

١٣ محرَّم ١٤٣٧هـ

شهادة فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط(١)

سأله تلميذه الأخ أسعد محمود محمد صالح، عن الشيخ أبي إسحاق الحويني، فقال فضيلته:

«أبو إسحاق الحويني، طالب علمٍ ممتاز جدًّا، وعنده علم بالسنة النبوية الشريفة، وهو أهلٌ لأن يؤخذ عنه.

والله الموفق لا ربَّ سواه».

وكان ذلك في مقطع صوتي -يظهر فيه شدة مرض الشيخ شفاه الله وعافاه- أرسله لي يوم الثلاثاء ٣ نوفمبر ٢٠١٥م-٢١ محرم ١٤٣٧هـ.

---

(١) توفي فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط مساء يوم الخميس ٢٦ محرم ١٤٣٨ هجرية - الموافق ٢٧ أكتوبر ٢٠١٦ ميلادية، نسأل الله أن يتجاوز عنه ويغفر له ويجزيه خير الجزاء؛ جزاء ما قدم من نشره لأمهات كتب الشريعة الغراء.

شهادة الدكتور محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على سيّدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحابته أجمعين..

وبعد..

فكلما اتّخذتُ طريقي من القاهرة إلى البلدة التي وُلدتُ بها «صروة» مركز قلين - محافظة كفر الشيخ، أتذكر -دائمًا- أسماء عشرات العلماء الذين أنجبتهم قُرَى وبلدات هذه المحافظة، والذين لمعوا في سماء العلم الإسلامي، بل وفي قيادة ثورات هذه الأمة، من مثل:

١- العلّامة المجدّد الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر [١٣٠٥-١٤٠٠هـ -١٨٨٨-١٩٨٠م].

٢- والشيخ الدكتور عبد الرحمن بيصار [١٣٢٨-١٤٠٢هـ - ١٩١٠-١٩٨٢م]، الإمام الأكبر، وشيخ الأزهر الشريف.

٣- والشيخ الدكتور عبد المنعم النمر [١٣٣٢-١٤١٢هـ - ١٩١٣- ١٩٩١م] وزير الأوقاف، وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

٤- والشيخ سعد زغلول باشا [١٢٣٣-١٣٤٦هـ - ١٨٥٧-١٩٢٧م] ابن الأزهر الشريف، وقائد أعظم ثورات الأمة في العصر الحديث.

وغيرهم وغيرهم كثيرون...

كما يقفز إلى ذاكرتي اسم البلدة الطيّبة «حُوَيْن» مركز الرياض- محافظة كفر الشيخ، التي أنجبت معجزة الرواية لحديث رسول الله ﷺ، العالم الجليل، والعلّامة المُتفرّد أبا

إسحاق الحويني.. الذي كلما سمعته يُحدّث الناس بأحاديث رسول الله ﷺ وسيرته، بلغ بي الانبهار إلى الحدّ الذي تقفز فيه إلى ذاكرتي نماذج العلماء الأعلام الذين رابطوا على ثغور جمع السنة النبوية، والذين أبدعوا ذلك العلم الذي نباهي به الأمم كلَّ الأمم، علم «الجرح والتعديل»، الذي تفرّدت به حضارتنا، وحُفِظت به سنة رسولنا، التي هي البيان النبوي للبلاغ القرآني العظيم.

إنه لا يوجد في تاريخ الأمم والحضارات «مذهب»، أو «فكر»، أو «فلسفة»، أو «تاريخ»، بغير «نصوص» تمثل المرجعيات الكبرى لهذه المذاهب والفلسفات والتواريخ.

لكن «علم الرواية» و«قواعد السند» -في حضارتنا الإسلامية- قد تفرّدت بالضوابط التي خلتْ منها وافتقدتها كلُّ المذاهب والفلسفات والتواريخ في سائر الحضارات الأخرى.

فحفظتْ للسنة النبوية أعلى درجات الثقة والتوثيق، وضمنتْ لها أن تكون -بحقّ- البيانَ والتطبيق للنص القرآني، الذي تفرّد بين جميع الكتب -عبر التاريخ الديني- بالحفظ الإلهي الذي رفعه مكانًا عليًّا في سماء الإعجاز والخلود.

وأشهد أني ما سمعتُ شيخنا العلّامة أبا إسحاق الحويني يُحدّث جمهوره في السنة النبوية، فيروي -بحافظته- السند قد يزيد رجاله على العشرين، ويقارن بين نصوص الروايات، ويفك الغموض، وينفي الشبهات، ويقرن الدراية بالرواية، إلا وتذكّرتُ رائد [المنار] أنجب تلاميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦-١٣٢٣هـ - ١٨٤٩-١٩٠٥م] = العلّامةَ الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢-١٣٥٤هـ - ١٨٦٥-١٩٣٥م]، الذي كانت السنة النبوية -رواية ودراية- على لسانه وقلمه كأنها الأُنشودة المحفوظة، أو حبات المسبحة التي ألفتْ -بل عشقت- الأنس بسنة خير المرسلين.

وعندما أخرجت كتابي «معالم المشروع الحضاري في فكر الشيخ محمد الغزالي»، وجدته يقول عن السنة النبوية، وعن «علم السند»، في هذه السّنة: «إن السنة هي ركن

الإسلام بعد القرآن الكريم، وهي البيان والتفسير لهذا القرآن، وإن تجاهل السنة النبوية هو جهلٌ فاضحٌ بقدر أعظم رجل في تاريخ الإنسانية الطويل، وإن الإسناد من الدين، ولولاه لقال من شاء ما شاء».

وأمام هذا الموقف، تذكرتُ شيخنا العلّامة أبا إسحاق الحويني، الذي تفرّد -في عصرنا- بهذه الملكة، التي وضعته على عرش «إمارة السنة النبوية»، في واقعنا المعيش، حتى لكأن الله ﷻ قد رفع بوجوده بيننا عموم بلوى الجهالة التي زحفت وتزحف على معالم الإسلام.

لقد سبق للإمام الذهبي [٦٧٣-٧٤٩هـ- ١٢٧٤-١٣٤٨م] أن وصف الإمام يحيى بن معين [١٥٨-٢٣٣هـ - ٧٧٥-٨٤٨م] بأنه «سيد الحفاظ».. ولقّبه البعض بـ«أمير المؤمنين في الحديث».

ولا إخال عالمنا العلّامة الشيخ أبا إسحاق الحويني إلا واحدًا من البقية الباقية من هذا المستوى الرفيع من علماء الحديث النبوي الشريف.

بارك الله له في عمره، وفي صحته، وبارك في عطائه، وهيأ لأمتنا من شبابنا من يحمل عنه هذه الأمانة، ليظل الخير في أمتنا إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

دكتور محمد عمارة

٦ من رجب ١٤٣٩هـ

٢٤ مارس ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـر

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

منذ أيام وصلني كتاب كريم من أخ كريم، يخبرني فيه بعزم جماعة من إخوان الشيخ أبي إسحاق الحويني وتلاميذه على جمع جملة من أبحاث ودراسات جادة مفيدة في مجلد يطبع ويهدى لفضيلة الشيخ أبي إسحاق، وطلبوا مني تصدير المجموعة، ولست أهلًا للتصدير، ولكن الإخوان استَسْمنُوا ذا ورم، ونفخوا في غير ضرم، ومع ذلك فقد آثرت المشاركة استجلابًا لدعوة مباركة من الشيخ الممتحن بارك الله فيه، وكشف ضره، وكساه أبراد العافية آمين.

إن أول اتصالي بالشيخ كان بالمدينة النبوية في عُمرة مباركة وزرت أثناءها كثيرًا من العلماء والمشايخ منهم الشيخ ربيع المدخلي حيث زرته في بيته، ووجدت الشيخ محتَدِمًا في الحط على الجماعات الإسلامية، وتضليل رؤسائها جميعًا وحاولت مراجعته فيما يرجع للمودودي وسيد قطب وأخيه محمد فلم يَدَع لي مجالًا، وكان بجانبي صفي الرحمن صاحب [الرحيق المختوم] فاستفهمتُه؛ فوافق الشيخ ربيعًا، وانفض الجمع، وكان دخل ساعتئذ الشيخ أبو إسحاق ولم أعرفه.. وهو شاب وسيم ذو لحية كثة سوداء، ولما خرجنا سألته عن [الزند الواري في الرد على الغماري] وكنتُ اقتنيته تلك الأيام، فقال: إنه بانتظار أن تصفو نيته ليكون الرد خالصًا لله.

وبعد سنوات يسر الله تعالى زيارة القاهرة وكان من مقاصد رحلتي زيارة الشيخ، وسألتُ عنه فقيل لي: إنه لا يقطن القاهرة، وسكناه بمدينة كفر الشيخ التي تبعد عن القاهرة بنحو مائة كيلو، فسافرت إليها مع زوجي، وسألت عنه فدللت على منزله، فإذا هو مُشرِف على بناء مسجد سماه باسم شيخ الإسلام ابن تيمية، فلقيتُه وتعرفتُ إليه فعَرفَني وهشَّ وبَشّ ورحَّب ودخلتُ المسجد، فإذا هو مسجد مبارك إسلامي بمعنى الكلمة ليس

فيه ما يُذَكِّر بالدنيا، فلا زخرفة ولا ألوان، ولا منارة، ولا طاق المحراب وهو في ثلاثة أدوار: في الأسفل مصلى النساء والمراحض، وفي الوسط المسجد العام، والدور الأعلى مكتبة وبيت الضيوف والطلبة.

ثم أخذني الشيخ إلى بيته، ودخلتْ زوجتي إلى بيت النساء، وقدَّم لي الشيخ شرابًا حُلوًا عَصيرًا، وقمتُ أُقَلِّب طرفي في رفوف المكتبة الزاخرة بنوادر الكتب والمصورات الموزَّعة على الحجرات. ثم جلسنا على مائدة الغذاء وتناولنا أطراف الحديث ولمست من الشيخ فضل توجه وإقبال للحديث عن المغرب وعلمائه، فشرحتُ له ذلك وأطلعته على الإجازات العامة التي نلتُها منهم، فكأنه رغب في ذلك، فكتبتُ له إجازة مختصرة في بضعة أسطر في دفتر كبير، وقد أعجب الشيخ بخطي المغربي.

وقد كان المغرب يومئذ يتوفر على عناصر سلفية تقوم بدورها في نشر السنة والدعوة إليها، وقد كان لشيخنا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الفضل -بعد الله تعالى- في تبصيرنا بالحق والسلفية الصحيحة، وتطورت الأحوال بعد ذلك، ووُسِّد الأمر إلى غير أهله، فكانت آخر صيحة إنذار في جمادى الثانية الجاري أن أمر ما يسمى المجلس العلمي الأعلى للفتوى بدراسة السلفية ومعناها ومقتضاها وأثرها بالمغرب، فقام بذلك وأصدر بلاغًا تلاه محمد يسّف رئيس المجلس على وسائل الإعلام، وهو أن السلفية بالمغرب شاملة لكل مظاهر التدين، وأكثر ما تتجلى في ثوابت أربع: مذهب مالك في الفروع، وعقيدة الأشاعرة، وتصوف الجنيد، وزاد وزير الأوقاف إمارة المؤمنين، هذه الثوابت هي المعبَّر عنها بالتعبير العصري بالخطوط الحُمر، يجب التزامها ولا تُتخَطَّى من المؤذِّن إلى الإمام والخطيب والواعظ والمدرس، وأُسِّسَتْ بالمغرب سبعون مجلسًا علميًّا تضم في حظيرتها مئات الدكاترة من خريجي دار الحديث والجامعات أُمِرُوا أن يلزموا الصمت ولا يقوموا بأي نشاط، فكانوا مُدَجَّنين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلًا، وقد أراد أحدهم بالدار البيضاء أن يغير منكرًا فأصدر بلاغًا، فعوقب بالعزل، فكان هذا الصنيع رسالة إلى رفاقه بعدم اقتحام العقبة.

وفي تلك الأيام صدر الجزء الثاني من تفسير ابن كثير بتحقيق الشيخ، فأهداه إلي وكتب عليه بخطه، ومن تواضعه العجيب أنه استشارني هل يُقدِّم الدعوة بالأسفار والمحاضرات والدروس، أو ينقطع للتدوين وإتمام مشروعاته العلمية وهي كثيرة، فأشرت عليه بإتمام ما بدأه كتخريج أحاديث سنن النسائي وقد صدرت منه جزآه، وتخريج أحاديث وآثار التفسير وغيرها من أبحاث ودراسات مميزة، فأخبرني أنه اختار العمل في المجالين.

هذه بعض الخطوط العريضة لقصةٍ عَطِرة ما زالت فصولها تَتْرى في حياة رجل لا كالرجال، رجل وهب نفسه لله تعالى والعلم والدعوة وهيأه الله تعالى لإحياء رسوم الحديث وعلومه بصبر، فكان -بحق- محدثَ الديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر والسخاوي، ورغم لحظات الجلال الإلهي الصعبة التي تجاوزها بسَّامًا راضيًا بقضاء الله وقدره، فإنه يواصل عمله في نشاط ورضا، وقد أرسل إلي من فتاويه الحديثية ومنتقى ابن الجارود محققًا مفهرسًا، بارك الله في أنفاسه، وكشف ضره وشفاه وعافاه آمين.

وكتبه

أبو أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني

تطوان في منتصف جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخُ أبو إسحاق الحُوينيُّ، نبيلٌ في تصرُّفِهِ، أصيلٌ في تحقيقه، موسوعيٌّ في ثقافته، يقفُ جبلًا شامخًا أمامَ الفكر الغازي، يريدون أن يتكلَّموا فيه؛ ولكنهم خابوا وخسروا.

أسأل الله أنْ يُعينه على تفريق جمعهم، وعلى دحْرِ آرائهم.

أملاهُ:

حسين سليم أسد

الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

٧ نيسان أبريل ٢٠١٥م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق العباد، وشرع لهم من دين الحق ما به قضى وأمر، والصلاة والسلام على النبي الهادي الوقَّاف بأمته عند حدود ما أمر الله به وعنه زجر، ورضي الله عن خير القرون الذين قفوا أثره واتَّبعوه على المنهج الأسنى الأغرّ.

أما بعد:

فإنَّ منن الله علينا كأمة مسلمة لا تحصى، وأجلّها وأعلاها أن ارتضى لنا هذا الدين القويم واجتباه لنا وخصَّنا به تمييزًا لنا عن سائر الأمم وأن اصطفى لنا هذا النبي العظيم محمد بن عبد الله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أفضل الخلائق جميعًا وسيد الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وديننا هو الدين الذي لا تكون نجاة لأحدٍ من الخلق إلا إذا ارتضاه لنفسه في الدنيا ليلقى به رب العزة -جل وعلا- يوم يقوم الأشهاد لرب العالمين لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومعلومٌ بداهةً أن كل الكتب السماوية والأديان والرسالات جميعًا قد حُرِّفت وبُدِّلت وغُيِّرت غير هذا الدين القويم القائم على الكتاب والسُّنَّة الصحيحة اللتين جاء بهما نبيُّنا ورسولنا محمد ﷺ بالوحي الأمين من عند ربنا جل وعلا، ولم يُحفظ هذا الدين إلا لأنه -جل وعلا- تكفَّل بحفظه قائلًا: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ومن تمام حفظه -جل وعلا- لكتابه حفظُ السُّنَّة المُطهَّرة والمتمِّمة والمُكمِّلة والمُبيِّنة والمُفسِّرة لما ورد في الكتاب بأن قيَّض لهما رجالًا أفذاذًا مصابيح للهدى ينيرون بعلمهم غياهب الظلم الحالكة والدروب الوعرة ليسير الناس فيهما بلا عثرات، كيف وهم قد باعوا الدنيا بكل ما فيها وملذَّاتها واشتروا الآخرة ليعملوا على تعلُّم ما ورد فيهما

وتعليمهما لمن يأتي من بعدهم من الأجيال كما وصلت إليهم كاملةً غير منقوصة من عند نبيّنا ورسولنا محمد ﷺ؟!

والرسل والأنبياء -عليهم صلوات الله جميعًا- لم يُورِّثوا شيئًا من الدنيا غير العلم الإلهي الربَّاني الشرعي الذي جاءهم من عند ربنا -جلَّ وعلا- لقوله ﷺ: «**نحن معاشرَ الأنبياء لم نُورِّث درهمًا ولا دينارًا؛ ولكن ورَّثنا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»، وهو ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين جميعًا وسيد الخلائق كافَّةً قد جاءنا بهذا الدين العظيم لنجاةِ البشرية كافَّةً إن آمنت وصدَّقت بما جاء به.

والذين حملوا هذا الميراث العظيم ميراث الكتاب والسنة، هم الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، والتابعون من بعدهم والعلماء الأبرار مصابيح الهدى، ولم يَخْلُ قرنٌ من القرون مذ فارق نبينا محمد ﷺ هذه الدنيا وحتى زماننا هذا من الأساطين من هؤلاء العلماء الذين لا نزال نتغنَّى بسيرهم وبما قدَّموا ونفعوا به الإسلام والمسلمين.

ولا أُجانِب الحقَّ ولا أبالغ حين أقول: إنَّ أخانا أبا إسحاق الحُوَيني، هو واحدٌ من ذِروة هؤلاء العلماء في زماننا، هذا بما قدَّم ولا يزال في خدمة العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة الصحيحة مع مواصلةِ الليل بالنهار في تبليغ دعوة الله ﷻ إلى الناس كافَّةً على خُطَى المصطفى عليه الصلاة والسلام، وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، مع ما واجهه من صعاب كدأبِ الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وورثتهم من العلماء الأبرار الذين مضوا، وتضيء سيرهم النيِّرة الكتب والمكتبات، وستظلّ كذلك إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وما زاده ذلك إلا ثباتًا وصبرًا على الحقِّ الذي كان عليه نبيُّنا ورسولنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

أسألُ الله جلَّت قدرته أن يحفظ أخانا أبا إسحاق، وأن يمد في عُمُره وينفع به، وأن يجمعنا وإياه مع نبيِّنا ورسولنا محمد ﷺ عند حوضه الطاهر لنشرب من يده الشريفة شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا، وأن يجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى، إنه الوليُّ إلى ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه

محمد إبراهيم شقرة(١)

أبو مالك

عمَّان-الأُرْدُنّ

الأحد ٨ نوفمبر ١٤٣٧هـ

٢٦ محرَّم ٢٠١٥م

---

(١) وصلني خبر وفاة فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة، ليلة الاثنين ٢٣ شوال ١٤٣٨ هجرية - ١٧/ ٧/ ٢٠١٧ ميلادية، بالمستشفى الإسلامي بعمَّان الأردن، وسيصلى عليه ظهر الاثنين في مسجد صلاح الدين، رحمه الله رحمة واسعة، وألحقنا به على خير. وكتبه/ عمرو عبد العظيم الحويني

أخي الداعية المُحدِّث المُوفَّق
أبو إسحاق الحُوَيْنيّ

بقلم/محمد عيد العبَّاسي

الحمد لله ذي الجلال والجمال والإكرام، وصاحب الفضل والإحسان والإنعام، وأفضل الصلاة والسلام على سيد الأنام وآله وصحبه السادة الأعلام.

أما بعد...

فيسرُّني ويُشرِّفُني أن أكتُبَ عن أخي العزيز وصديقي المفضال الشيخ المُحدِّث، والداعية المُوفَّق أبي إسحاق الحُوَيْني، حفظه الله تعالى، وبارك فيه، وجزاه عن الإسلام والسنة والمسلمين خير الجزاء وأجزل الثواب.

والحقُّ إنه ليجمعني بفضيلته أواصر متينة، وروابط وثيقة ثابتة مدى الزمان، كيف وقد عقدها الله تعالى ووثَّقها؟

أوَّلُها: عقيدة التوحيد الصافية النقية الشاملة.

وثانيها: منهج السلف الصالح ومَن تبعهم على فهم الدين.

وثالثها: الاشتراك في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرةٍ وعلمٍ وهُدًى، وفي الدراسات الإسلامية التي تجمع بين الأصالة والحداثة، وبين الوحي والعقل والعلم، وتُوَازِن بين الدنيا والآخرة، وتبعد عن الغلوِّ بنوعية: الإفراط والتفريط.

أَضِف إلى ذلك رابعها: التلْمذة على مُحدِّث العصر ومُجدِّد القرن- فيما أحسب ولا أُزكِّي على الله أحدًا -العلَّامةِ محمد ناصر الدين الألباني- رحمه الله تعالى وأعلى مقامه في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا - وتلك نعمةٌ كبيرة وشرفٌ عظيم آثَرنا اللهُ به، فله سبحانه فيه الـمَنُّ والفضلُ.

عَرَفْتُ الأخَ أبا إسحاق عبر حديثِ الركُّبان عِقِب خروجي من السجن، ثم عرفته من خلال مطالعتي بعض كتبه وتحقيقاته، وكان أوَّلُها «جُنَّةُ المُرْتاب»، ثم من خلال ما كانت تنقله القنوات الفضائية وأجهزة الهاتف الذكي من خُطَبِه ودُرُوسِه وأحادِيثِه، وأخيرًا من لقائي إيَّاهُ أثناء زيارتي مِصْر منذ سنتين ونيِّف؛ إذ قضيْنا ليلةً طيِّبَةً تبادلْنا فيها الأحاديث، وتآلَفت فيها القلوب مصداقًا لقول النبي ﷺ: «**الأرواحُ جُنودٌ مُجنَّدةٌ ما تعارَفَ منها ائْتَلَف، وما تناكر منها اختلف**» رواه الشيخان وأحمد وغيرهما.

لقد عرفت أخي الحُوَيْني من خلال ذلك كله، وتبيَّن لي أنه من خِيرَة الدُّعاة وأهل العلم الذين أخلَصوا لله تعالى النيَّة، ووهبهم الله تعالى طاقات كبيرة ومَلَكات عزيزة، أهَّلَتْهم ليكونوا من حَمَلَةِ هذه الدعوة الإسلامية السلفية المباركة، ومن خَدَمَة السنة النبوية المشرَّفة الذين يُسْلكون فيما أخبر عنهم النبي ﷺ في قوله: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين**» رواه البيهقي وصحَّحه الحافظ العلائي والإمام الألباني -هذا فيما أحسب ولا أزكي على الله أحدًا-.

لقد وهبهُ الله ﷻ ذاكرةً قويَّةً وفهمًا سليمًا وفكرًا ثاقبًا وصبرًا على الدَّرْسِ والتحصيل، وخُلُقًا حسنًا، وهِمَّةً عاليةً؛ فكان غزير العلم، واسع الاطِّلاع، جيِّد الحفظ، وكان مُحدِّثًا ماهرًا، وخطيبًا مُفوَّهًا، وواعظًا مؤثِّرًا، يدخُلُ حديثُه القلب بلا استئذانٍ، بعيدًا عن التكلُّف والتشدُّق والتقعُّر.

لقد جدَّ واجتهد، وصبر وصابر، وتمكَّن في علم الحديث خاصَّةً، فألَّف الكتب الكثيرة بين تأليفٍ وتحقيقٍ، وبرع في علم الجرح والتعديل وتراجم الرُّواة، وصحَّحَ وضعَّف، ووثَّق وأوْهَنَ، وزاحم بمنكبه العلماء المتخصصين، ونقد اجتهاداتهم فصوَّب منها وخطَّأ، بل تصدَّى لبعض الاجتهادات التي ذهب إليها أستاذنا الألباني فخالَفَهُ في بعضها من حيث الرواية والدراية، وفي رأيي أنه أصاب في بعضها وأخطأ في البعض الآخر، ولبيان هذا مجالٌ آخر؛ ولكن مما يمتاز به أنَّ نقدَهُ هذا لمن خالَفَهُ كان من النقد

البنَّاء، الخالي من التجريح والتنقُّص، بل مع كل الاحترام، وضمن الخُلُق الإسلامي الرفيع الذي كان عليه سلفُنا الصالح رحمهم الله تعالى.

وقد يستنْكِر ما فعلَهُ أخي الحُوَيْني بعضُ الإخوة الذين يستكثرون على مَن هو بمنزلة التلميذ أن يتجرَّأ على مُخالَفة مَن هو أقدمُ منه وأشهر، وأنا أخالِفُ هؤلاء وأُخطِّئُهُم فلا أرى أيَّ حرجٍ على طالب العلم أن يُخالِف شيخَه وأستاذَه أو مَن هو أعلم منه أبدًا، إذا كان يبني مخالفته على المنهج العلمي وتحكيم الدليل، وإذا كان يخلو بحثه من التعالي والتباهي والطعن والتجريح، والهمز واللمز، سواءٌ منها ما كان تصريحًا أو تلميحًا، بل إني لا أَعُدُّ الرجلَ عالِمًا إذا كان لا يُصوِّبُ ولا يُخطِّئُ، وهؤلاء السلف الصالح الذين هم خير الناس -كما أخبر النبي ﷺ، وقبله القرآن الكريم- كان يُخطِّئُ بعضهم بعضًا، وينقُدُ أحدهم أخاه، ولكن بكل حبٍّ واحترامٍ، وبُعْدٍ عن أيِّ همزٍ أو لمزٍ، بل مع التماسِ العُذْر لخطئه، وأكتفي بمثالٍ واحدٍ على ذلك:

روى الترمذي في (التفسير ٨٦/ رقم ٣٣٥١) عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قال: قلتُ لأُبَيِّ بن كعبٍ: إنَّ أخاك عبد الله بن مسعودٍ يقول: مَن يَقُم الحَوْل يُصِب ليلةَ القَدْر، فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن (وهي كُنْيَة ابن مسعود) لقد علِم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين؛ ولكنه أراد ألا يتَّكِل الناس.

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال صاحب التحفة: أخرجه أحمد ومسلم.

قلتُ: وهذا ما كان عليه الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى، فقد كان تلاميذهم يخالفونهم في كثيرٍ من آرائهم، كما كان يفعل أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني إزاء اجتهادات شيخهما أبي حنيفة، وكما كان يفعل المُزني والربيع وأبو ثور والبخاري مع اجتهادات الشافعي، بل ما فعله الشافعي إزاء آراء شيخه الإمام مالك وهكذا، وهذا نفسه ما كنا عليه أنا وعدد من الإخوة من تلامذة الشيخ الألباني، إزاء بعض اجتهاداته ونناقشه فيها، وقد نرجع إلى قوله، وقد نبقى على مخالفته، ولا يُغيِّرُ ذلك من

نفسه ولا من نفوسنا، بل هذا ما كان عليه الألباني نفسه مع آراء أساتذته الكبار من شيوخ الدعوة السلفية: ابن تيمية وابن القيم وابن كثيرٍ والذهبي، وغيرهم.

وهذا كله خلافًا لطريقة السلف الذين فرضوا التقليد على طلَّاب العلم، وألْزموهم بتقليد آرائهم ولو لم يقتنعوا بها، وهذا جمودٌ مذمومٌ، وكان من أسباب تخلُّف المسلمين وضعفهم وتأخُّرهم.

وأمرٌ آخر يذكر للشيخ أبي إسحاق؛ وهو صبره واحتسابه ورضاه بما قدَّر الله عليه من الابتلاء بما أصاب رجله وأدَّى إلى قطعها، ومع ذلك صبر واحتمل، وبقي على نشاطه ودأبه في العطاء والتعبد والالتزام، فبارك الله تعالى في أخينا العزيز الغالي الحبيب، ونفع بعلمه الأمَّة، وأكثر أمثاله، وجزاه عن دينه وسنة نبيه أفضل الجزاء.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على محمدٍ وآله. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد عيد العبَّاسي

الرياض - في ليلة الأول من رمضان

عام ١٤٣٧هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيّدنا وإمامِنا وقُدوتِنا محمّد، وعلى آلِه الطيِّبينَ الطاهرين، وصحابتِه أجمعين، وبعد:

فقد عرَفْتُ صديقي العلّامةَ المحدِّث الشيخَ أبا إسحاقَ الحُوَيْنيَّ عن قُرب، يوم بَدَت عليه أماراتُ العلم لائحة، وآياتُه واضحة، ومناهجُه شارعة، ثم سُرْعانَ ما سَمَت هِمّتُه وارتفعت رُتبتُه، حيث تَسَوَّر العلمَ وتَوَقَّد له، فزَها ثمرُه وأينَع، وحان قِطافُه، ليذُبَّ عن حَوْزة السُّنّة المُصطَفَويّة في الدّيار المصرية ويناضلَ من ورائها بفَهْم ثاقب، وعَقْل راجح، ولسانٍ فصيح، وجَنانٍ جريء؛ ينفي عنها تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين، فيُسعَدُ به حَمَلةُ الأثَر ونَقَلتُه ما بينَ مشرِقٍ للشمسِ ومغيب، فضلًا عمّا حَباهُ اللهُ من أخلاقٍ سَنِيّة، ونَفْسٍ أبيّة، وأثوابٍ نَقيّة، وقلبٍ ساكن، وسِرْبٍ آمِن، فصار عِلْمُه عندَ مُحبّي سُنّة المصطفى ﷺ يسيرَ المُلْتَمَس، سَهْلَ المُراد، لا يفوتُهم مطلَبُه، ولا يتعذَّرُ عليهمُ ارتيادُه، فهذا من نِعَم الله عليه، وعميم إحسانِه إليه.

وإنّي لَسعيدٌ أنْ أتصَدَّى اليومَ لهذا السِّفر بالتقديم، وأتشَوَّفَ إلى مَضامينِه بعدَ أنِ استَوْقَفني عُنوانُه بدلالتِه المُسْتَحْسَنة، حينَ وَصَف مَن تعَقَّبهم بهذا التأليف بالأماجد، صيانةً منه لحُرْمة العُلماء، وذِكْرًا لهم بالجميل من الأمْر، معَ النَّقْد البَنّاء، القائم على الخِبرةِ العميقةِ الشّاملة، فأَذْكَرَني العُنوانُ بما كتبَه صديقُنا المُقَدَّمُ، محمد إسماعيلَ المُقدَّم: «حُرْمةُ أهل العلم»، الذي سَمَا به إلى التنزُّه عنِ الوقيعة فيهم، والنَّيْل

---

(١) أصل هذه المقدمة كتبها د. بشار -حفظه الله- تقدمةً لكتاب «تنبيه الهاجد» لشيخنا -حفظه الله- والذي هو قيد الطبع الآن، وقد هاتفته، فأذن لي بإعادة نشرها مقدمة لهذه البحوث.

مِن مَراتبِهِمُ الرَّفيعة، كوْنَهم وَرَثةَ الأنبياء، فقد رَفَع -جلَّ في عُلاه- المؤمنينَ على مَن سواهم، ثم رَفع أهلَ العلم على سائر المؤمنين، فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

وقد عَرَفنا العلماءَ، الجهابِذةَ الأذكياء، يَرُدُّ بعضُهم على بعضٍ معَ الاحترام التامّ، بل لَهِجَ بهذا الأمرِ كثيرٌ منهم وكَلِفوا به عندَ اختلافِ المَناظير وتعدُّدِ الرُّؤَى، وجَرَوْا فيه على جميل عاداتِهم ومذاهبِهمُ المُستحسَنة، فهذا هو الذي يُؤَصِّلُ العلمَ ويُنقِّيه، ويثبّتُ صحيحهُ ويُذْهِبُ سقيمَه، وكلُّ إنسان يُؤخَذُ من قولِه ويُترَكُ إلّا مَن لا يَنطِقُ عن الهوى إنْ هُو إلّا وَحْيٌ يُوحَى ﷺ.

ثم عادت بيَ الذاكرةُ، حينَ قرأْتُ مقدِّمته النَّفيسةَ التي وَصَف بها تشوُّفَه وتشوُّقَه إلى العلم وما كابَدَه من أجْل ذلك، إلى أيّامي الخَوالي قبلَ أكثرَ من نصفِ قَرْن وأنا أطُوفُ في البُلدان، أتحمَّلُ شَظَفَ العَيْش ومَرارةَ الغُربة، فضلًا عن بَذْل وافِرِ المال معَ عَدَم تحمُّل الحال يوْمَئذٍ، ثم الاتّصالِ بالمشايخ لتلقِّي العلم عنهم، وما يتحمَّلُه الطالبُ النَّهِمُ المُستزيدُ أبدًا من تعبٍ ونَصَب لشدّة طلبِه وكثرتِه.

على أنّ اللهَ -جَلّ في عُلاه- إذا أراد بعبدِه خيرًا وفَّقَه إلى المشايخ النُّبلاء، وهكذا كان العلّامةُ الشيخُ أبو إسحاقَ حفظه اللهُ تعالى، فقد هيَّأَ اللهُ له الاتّصالَ بعَلَمٍ من أعلام السُّنّة؛ الشيخ أبي عبد الرحمن محمّد ناصِر الدِّين الألبانيِّ يرحمُه اللهُ تعالى، وهُو بهذا قدِ التَجأَ إلى مَعْقِلٍ مَنِيع، وظِلٍّ مَديد وبناءٍ وَطِيد، فصار ينهَلُ من مَنْهلٍ عَذْب، ومَضَت أيّامه، وتَصَرَّمَتْ شهورُه، وهو يُغذِّي عقْلَه من صحيح السُّنّة، ومناهج الجَهابذة في الرِّوايةِ والدِّراية، بشَغَفٍ وتشوُّف، فتَوقَّد لهذا الأمرِ، واشْرَأَبَّ صدرُهُ له، وسَمَا إليه بهمّةٍ عَليَّة، واستحكامٍ قلَّ نَظِيرُه.

وحينَ فارَقَه ازدادَ شَرَهًا في طلب العلم، وغَرِيَ به وكَلِفَ بحبِّه، حتى اشتَدّتْ عندَه عُراهُ، وتأكَّدتْ قُواه، فنَهَض به، وجَرَى في ميادينه، بسهولةٍ ويُسْر، يَسْتقي مِن مَعينِه بعدَ أنْ تمكَّن من مصادرِه ومَوارِدِه، فأنْجَحَ اللهُ سَعْيَه، ويَسَّر أمرَه، ووفّقَ له مُرادَه.

وقد وَفّى الشيخُ بعهدِه لشيخِهِ الذي علّمه، لم يَدَّخِرْ عنه بِرًّا، ولم يؤخِّرْ له أمرًا، فكان كتابُه في الذَّبِّ عن شيخِه أُحْدوثةً سائرةً يُنْبئُ عن وَكيدِ الاعتقاد به، وعن قوّة العَزْم في نُصْرتِه، ورَدِّ غائِلةِ المُفْتَرينَ عليه، الرَّامِينَهُ بالإفْكِ المُبين، منَ الأغْمارِ الذين لا ناقةَ لهم في العلم ولا بَيْضة.

والوفاءُ لمَن عَلَّم وأفادَ مِن شِيَمِ النُّجباءِ الذين يُوفُونَ الذِّمّة، ويَرْعَوْنَ العهدَ، ويَصْدُقونَ الوَعْدَ، وتتكافأُ الأحوالُ بينهم وبينَ أساتيذِهم على الوفاءِ والإحسان، كما هُو حالُ صديقِنا العلّامة الحُوَيْني، حين رَفَع لشيخِه العَلَمِ رايةً لا تَنتكِسُ، ببَحْثٍ شواهدُهُ صادقة، ودلائلُه ناطقة، وآثارُه مُوافقة للمَنْهج الأقْوَم، والسّبيلِ الأمثل.

وقد جَرّبنا عندَ بعض مَن علّمناهم، عُقوقًا وغَدْرًا ذَميمًا، وخَتْرًا وَخيمًا، نسألُ اللهَ السِّتْرَ والعافية.

ولا أُراني بحاجةٍ إلى إطراءِ هذا العمل العِلميّ المُتميّز، الذي لا يُحسِنُه إلّا مَن آتاهُ اللهُ رزقًا غَدَقًا في هذا العلم، ولا سيّما في تصدِّيه لآفاتِ ما في بعضِ الدّواوين المُعتمَدة مِن بلايا، وفي مُقدِّمتها: «مُستدرَكُ» أبي عبد الله الحاكم، الذي أجدُ بحثَه فيه قريبًا من نَفْسي ورأيي الذي أعلنتُه منذُ زَمَنٍ ليس بالقصير.

وقد اتّسم هذا الجُهدُ العِلميُّ الرائقُ باتّساقِ البناء، وصحّةِ التقسيم، واعتدال النَّقْد، مما يُنْبئُ من غير رَيْب عن حظٍّ موفورٍ مِنْ عِلمٍ تَأتّى مِن دَوام المِرَاس والصَّبرِ في طَلَبِهِ، قُصِدَ به نُصرةُ سُنّةِ المبعوثِ رحمةً للعالَمين، بالبناءِ والتشييد، لا بالتقليد المذموم، سَعَى به مُؤَلِّفه

إلى أن يُقامَ به المائدُ ويُصلَحَ الفاسدُ، وتُدرَكَ المطالبُ، وتُستَجْلَبُ المنافعُ الشّوارِدُ.

ولا يَسَعُني إلّا أن أتوجَّه إلى خالِقي جَلَّ في عُلاه، فأسألَه أن يُعْليَ كلمةَ صديقي العلّامة الشَّيخ أبي إسحاقَ الحُوَيْني، ويَحرُسَ مُهجتَه ويُديمَ قُدرتَه، ويَهَبَه مَزيدًا من العلم النافع المؤدِّي إلى مزيدٍ من العمل الصالح.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمين.

كتبَه بدار هجرتِه عمّان البلقاءِ في غُرّة شعبان سنةَ ١٤٣٦هـ

أفقرُ العباد بشّارُ بن عوّاد

حامدًا ومُصَلّيًا



بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخُ أبو إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى- شيخٌ مُباركٌ أينما حلَّ، أَحَبَّهُ الناس، ونفع الله به الناس، أعرِفُه من أكثر من خمسةٍ وثلاثين عامًا، رأيتُه شيخًا كريمًا وفيًّا لأصحابه رجَّاعًا للحق، أحسبُهُ من أهل العلم والتقوى، ولا أُزكِّي على الله أحدًا.

كانت له دروسٌ راتبةٌ في حُلوان بالقاهرة، أفاد فيها النَّاسَ وحبَّبهُم في السنةِ وأحبُّوه حُبًّا جمًّا.

بارك الله فيه وفي علمه، ورزقنا وإياه حُسن الخاتمة.

وكتب

مصطفى محمد مصطفى

البحرين

السبت ١٩ ذو الحجَّة ١٤٣٦هـ

٣ أكتوبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ العلامة المحدث أبو اسحاق الحويني -وفقه الله-.

عَلم من أعلام الأمة، وإمام من أئمة السنة، وقائد من حراس حدود الملة، ذودًا عن حمى حديث نبينا المحمود، صاحب الحوض المورود، محمد صلى عليه ربنا المعبود، لم تمنعه عن تحقيق غايته حدود، ولم تصرفه عن بغيته سدود، ولسان حاله يقول:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أُدركَ المنى ... فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرِ

صاحب أناة وحلم، ورائد حكمة وعلم، وملهم حجة وفهم، ما لانت له قناة، ولا وهنت منه أناة، هامته عزيزة سامقة، وهمته عليّة واثقة، ودعوته مخلصة صادقة، لباسه التقوى، وحصنه الورع، ودرعه الحياء، وجلبابه الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، إذا حدث نفع وأفاد، وروى الحديث بالمتن والإسناد، وإذا قص شوق وأجاد، وأتى باللطائف والطرائف وهو جاد، وقد بلغ الغاية، في الدراية والرواية، فكان آية وأيَّ آية.

رحل لطلب العلم، وتنقل لتعليم الناس العلم، والحديثَ خاصة، وقد نفع الله به العامة والخاصة، إن تيسرت له ركوبة ركب، وإلا مشى على قدميه يرتل القرآن ترتيلًا، ويذاكر الحديث تفصيلًا وتأصيلًا، يعيش معه بكرة وأصيلًا، يلقي الخطب والدروس والمواعظ احتسابًا لا يرتجي من غير الله جزاءً أو ثوابًا، فما اعتراه ملل، ولا أصابه كلل، فالأمر عنده جلل، في سبيل مرضاة الله ﷻ، ونيل مبتغاه من مقصود العمل، ومراد الأمل، مع صادق القول وصالح العمل.

ابتُلي فصبر، وأُوذي فعفا وغفر، أقعده المرض عن سرعة إنجاز طموحاته، وإتمام مخطوطاته، سافر للعلاج، فعالج القلوب بهدي القرآن، وحديث النبي العدنان، صلى عليه ربنا في كل حين وآن.

ولقد سعدتُ بلقاء صاحب الفضيلة الشيخ الجليل أبي إسحق الحويني في الأردن

بمعية أصحاب الفضيلة: الشيخ مشهور حسن، والشيخ علي الحلبي، والشيخ باسم الجوابرة، وعدد من الإخوة الفضلاء، وقد فتح الله على الشيخ فيوضات ربانية، وحكمًا إيمانية، من خلال حديثه الجامع النافع، الذي شُنِّفَتْ لطيبه المسامع، وذرفت من تأثيره المدامع.

وقد كنا جلوسًا متقابلين لبضع دقائق، في مستهل هذا المجلس الجامع الرائق، فإذا بشيخنا يقوم من مقامه، ويكرمني ويشرفني بالجلوس إلى جانبي مع علو مقامه، وهذا من عظيم فضله، وكريم خلقه، أكرمه الله في الدنيا والآخرة.

لقد كان -حفظه الله- كلما هاتفته لأسلِّم عليه، والاطمئنان على صحته، سمعت منه كلام العالم الصابر، المحتسب الراضي بقضاء الله تعالى وقدره.

يا فخرَ مصرَ! إذا ما رُمتَ تمثيلَا ... بهَدْي أحمدَ تصديقًا وتدليلا
بشيخِ سُنَّتِهم أَنْعِمْ به رجُلًا ... شيخُ الحديث أبو إسحق ما عيلا
قد أبصرَ الحقَّ شولًا فاستقامَ به ... فأُعْطِيَ البِشرَ تكريمًا وتنويلا
أفنى الشبابَ بحفظِ السُّنةِ الغرَّا ... متنًا وإسنادًا ضَبطًا وتأصيلا
إنْ رُمتَه أسدًا فلتأتِ مِنبَرَهُ ... تَلقى الزئيرَ كما لو كانَ قد نيلا
أو شئتَ دَرْسًا بليغًا ما به سأمٌ ... فدُونكَ الشيخَ ما تسطيعُ تحويلا
قد جاهدَ الصَّعبَ في تَطْوافه أبدًا ... يُلازمُ الشيخَ لو قد قيل ما قيلا
فأورَثَتْه ثباتًا قلَّ في زمنٍ ... وصار قُطبًا وصارَ القُطبُ مأهولا
لا تَجزَعَنَّ مُحبَّ الشَّيخِ من مرضٍ ... إذا أصابَ نجيباتٍ مَرَاسيلا
فمعدِنُ التِّبرِ لا تَبدُو مَناصعُه ... حتَّى يُجمَّلَ بالنِّيران تجميلا
وصلِّ ربي على خيرِ الورَى عَلَمًا ... والحمدُ لله تسبيحًا وتهليلا

أسأل الله ﷻ أن يجمع له بين الأجر والعافية، وأن يكلأه برعايته الكافية، ويمن عليه برحمته الشافية، كما أسأله جلت قدرته، أن ينسأ له في عمره، وأن يبارك له في علمه وعمله

وأثره، ويجزيه خير الجزاء، ويجزل له المثوبة والعطاء، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وكتبه

أحمد بن محمد هليل

قاضي القضاة وإمام الحضرة الهاشمية

في المملكة الأردنية الهاشمية

في ١٩/ ذو القعدة/ ١٤٣٦هـ

الموافق ٣/ أيلول/ ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد طلب مني فضيلة الشيخ المُحقِّق عمرو بن عبد العظيم نيازي أبو المنذر -حفظه الله- أن أكتُب له ما أعرفُهُ عن أخينا في الغيب الداعية المُحقِّق أبي إسحاق الحويني الأثري (حجازي محمد يوسف شريف)..

فأقول، والله حسبنا جميعًا ونعم الوكيل:

بداية المعرفة كانت عندما أرسل لي الشيخ أبو إسحاق الحويني في عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) رسالة من تأليف أحمد بن حجر العسقلاني، تحت عنوان (ردع المجرم) قد حقَّقها -حفظه الله- وأرسل إلي منها أكثر من نسخة، فقد حفظت الاسم ولم أرَهُ. ثم في أعوام التسعينيات تقابلنا معًا عندما زارني في مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الجابرية، وأهداني مجموعة من تحقيقاته ومؤلفاته، ثم توالت الزيارات للمركز واختياره للمخطوطات المتنوعة، وهي بالعشرات.

ثم يسَّر الله لي أن أحضر له محاضرة ألقاها في مسجد سعيد بن جبير في منطقة كيفان قريبًا من بيتي، وكانت محاضرة ثريَّة بالعلم والمعرفة والدعوة بالحكمة والموعظة، وشاء الله أن ييسِّر كذلك أن ألتقي به في جمعية إحياء التراث الإسلامي (فرع الجهراء)، وقد تحاورنا في موضوعات شتَّى.

وفَّق الله الشيخ أبا إسحاق الحويني، وجعل الخير على يديه وبارك في جهوده العلمية والدعوية، اللهم آمين.

كتبه أفقر العباد إلى رحمة ربه، وغفر الله له زلَّاته دِقَّها وجِلَّها، اللهم آمين.

د. محمد بن إبراهيم الشيباني

رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق

الكويت - الجابريَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني
-حفظه الله وشفاه-

من نوادر هذا العصر ومن الذين أحيا الله بهم السنة، وقمع بهم البدعة، وكتب الله له القبول في قلوب كثير من الصالحين.

عرفته في دروسه ومحاضراته، وشاركتُ معه في بعض الدورات العلمية في دولة البحرين، ورأيته شخصًا مهذبًا تقيًّا نحسبه والله حسيبه.

تميز بدقة معلوماته وموازنته بين الأقوال وترجيحاته القيمة في كثير من محاضراته ودروسه، وتميز بالوسطية دون غلو ولا إجحاف.

فنرجو الله تبارك وتعالى أن يعافيه ويشفيه وينفع بعلمه وما خطته يداه من تراث عظيم، وأن يجعله خلفًا لخير سلف، وأن يصلح ذريته، وأن يوفق محبيه وإخوانه في السير على دربه في خدمة العلم والعلماء.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيه ويشفيه.

كاتبه:

محمد بن عبد الرحمان المغراوي

المملكة المغربية

أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى سابقًا

حرر بتاريخ: ٢٨ رجب ١٤٣٦ بجوار الكعبة المشرفة

ترجمة موجزة للشيخ المحدث
أبي إسحاق الحويني حفظه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

ففي نافلة الأمر ومقتبله أقول: إن الشيخ المحدِّث أبا إسحاق الحويني -حفظه الله ووفقه وعافاه- ممن لا يحتاج إلى تعريف من عرفه عن طريق كتبه التي هي شهادة حق على تبريزه في علم الحديث الذي هو واسطة عِقد العلوم الشرعية، لأنه يُعْنَى بأحد الوحيين -ألا وهو السنة النبوية الشريفة- ولقد بذَّ فيه الأقران، وأحيا الله به ما اندثر منذ أزمان، في أمصار صحيح الأديان، وكاتب هذه الأحرف الذي دأب في التحلل من توابع الأدب غير المحمودة -وأعني به ما جرى عليه الكُتَّاب في كتاباتهم (الأدبية) من الكذب والفحش والغلو والازدراء والسخرية، مما عظم شرعًا ولا سيما الشعراء منهم -هذا الكاتب يشهد بحق -حسبما استفاده من قراءة كتب الشيخ- ولا يكتم بنت صدره ولا مضمر سره؛ أن الشيخ أبا إسحاق بلغ في علم الحديث وسائل ومقاصد مرتبةً قلَّ من وصلها في هذا العصر الذي جدبت فيه البلاد وتبلدت فيه عقول العباد أن يضطلعوا بهذا العلم الشريف، وكما يقال: «علم الحديث ذَكَرٌ ولا يقدر عليه إلا الذكور».

وتآليفه الكثيرة الفذة في هذه الصناعة الرفيعة الدقيقة خير شاهد على تبريزه في هذا الشأن مثل «تنبيه الهاجد»، و«بذل الإحسان»، و«جنة المرتاب»، و«غوث المكدود»، وغيرها، ولا سيما الأَوَّلَيْن.

هذه التآليف شاهدة أيّ شهادة على بلوغه عالي الرتبة في الفن، ومغنية عن شهادة

هي كوصف الماء لنجوم السماء، فليس الخبر كالعيان. وهنا مقارنة: «فليس كذلك» في «جنب التنبيه» ليس كذلك في الصناعة والأدب! فما أبعد ما بين الثرى والثريا!!! وإن كان صاحب «ليس...» قد بلغ في الصناعة والحفظ وسرعة البديهة مبلغًا، فهناك سر...!

فترك الهوى، والتأني في إصدار الحكم على الأحاديث وسعة الاطلاع مع الغوص في البحث عن العلل الخفية القادحة -التي قد لا يفطن إليها الكبار حال الاسترواح والملل من كثرة البحث- ذلك مما يساعد على بلوغ المرتبة العليا والدرجة المثلى في هذا العلم الشريف، وقد يتفوق في هذا التلميذُ على شيخه في بعض الأحيان، وقد يكون للتلميذ التفوق المطلق كما بين الحافظينِ الهيثمي والعسقلاني، والحافظينِ السبكي والعراقي الكبيرين.

واعترافًا بالجميل رأيت ألا أغفل هذه الترجمة عن إشارة إلى صاحب اليد البيضاء على أهل الحديث، وذي الفضل الكبير في المنهجية الراقية المتبعة في تخريج الأحاديث -بعد أن كان العزو إلى المصادر عزوًا مجملًا يجعل القارئ يتيه والباحث المحدَث في النقل مدلسًا، ولا حسيب ولا رقيب إلا عند القلة القليلة- شيخ أبي إسحاق خاصة وشيخ المحدِّثين المعاصرين عامة -وإن كان البعض قد لا يرى هذا الفضل لأمر يخصه- الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى.

فالشيخ الألباني بعبقريته قطع الطريق على المدلسين الكسالى من المشتغلين بالحديث، حيث إنه يكشف مصادره للقارئ بحيث يستطيع إدراك الخطإ في الحكم على الحديث الذي لا يسلم منه باحث حين بحثه. وهذا ما جرَّأ كثيرًا من الحديثيين على نقد الشيخ وتضعيف بعض ما صحَّحه، وقد يسقط بعضهم في خطإ فاحش حيث لم يستوعب جميع ما اعتمده الشيخ من الطرق المقوية.

ويتميز الشيخ أبو إسحاق بنقده الهادئ وتعقبه المهذب على نهج السلف الصالح في النصح وتبيين الحق.

الباعث على كتابة هذه الترجمة:

كتبت هذه الترجمة بذيلها رجاء أن أنتظم في سلك المحبين لمن دعا لهم النبي ﷺ بالنضارة في الحديث الصحيح، واستجابة لرغبة الأستاذ أبي المنذر عمرو عبد العظيم الحويني قريب الشيخ، فله مني خالص الشكر والتقدير.

وكتبه

أبو منذر محمد محفوظ البحراوي

الخميس ١٣ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ

الموافق لـ ١٥ من سبتمبر ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا أبو إسحاق الحُويني..

أعلى أهل العلم كعبًا في علوم الحديث، على ما أعرف.

أفاد طلبة العلم، بل العلماء.

وقد أثرَى ميادين الدعوة والنُّصح للأمة بمحاضراته القيِّمة، وكتب الله له القبول والمحبة في قلوب الناس.

ما زال ذكرُهُ بين الناس عطرًا، والثناء عليه مُستفيضًا.

أبقاه الله للأمة مُعلِّمًا وهاديًا، وعافاه من كلِّ شر، وأمتعنا بعلمه وسَمته.

وكتب

صفاء الضوِّي العدوي

رئيس جامعة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

في باكستان سابقًا

ورئيس تحرير مجلة المجاهد في باكستان سابقًا

وعضو رابطة المسلمين وعضو اللجنة العلمية فيها

تركيا

السبت ١٩ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٣ أكتوبر ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإنَّ الشيخ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله ورعاه- من أهل العلم العاملين المُثابرين المتميزين في عِلمِهم ودعوتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وله مشاركات اجتماعية واسعة، وأساليب دعوته متعددة المجالات، متنوعة مؤثرة بليغة محبوبة مرغوبة.

أسأل الله تعالى أن يمُنَّ عليه بالشفاء والعافية والقبول وحسن الختام.

أحسبه ولا أزكِّي على الله أحدًا.

وصلَى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

وكتب

حسين بن عودة العوايشة

السبت ١١ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٢٦ سبتمبر ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن من فضل الله على هذه الأمة أن جعل فيها العلماء الربانيين ورثة الرسل الموقعين عن رب العالمين المجددين ما درس من أمر الدين، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، واختار من بينهم عصبة شغلها بخدمة السنة النبوية حفظًا ودراسةً وتخريجًا وتحقيقًا ونشرًا وشرحًا، فظهرت أنوارها على وجوههم مصداقًا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**».

وإن منهم في هذا الزمان الشيخَ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله- فقد بذل في خدمة السنة النبوية جهوده الموفقة، وأحبها بكل قلبه، وسخَّر لها عمره المبارك فذكَّرنا بشريكه في الكنية أبي إسحاق السبيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أسأل الله أن يشفي أبا إسحاق الحويني، ويعافيه ويلطف به، ويطيل في الطاعة عمره، ويختم لنا وله بالحسنى، ويبارك في جهوده وفي ذريته وعقبه... آمين.

كتبه

محمد الحسن بن الدَّدَوْ الشنقيطي -من موريتانيا-

ماليزيا يوم ٥ محرم ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة محِب لأبي إسحاق الحويني في أبي إسحاق

الحمد لله، الذي حفظ حجته على خلقه بحفظ تنزيله ووحيه إلى رسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا للبرية أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجَبة، الصدورِ المحببَّة، الفطَنة النبَغة، معادنِ الصدق واليقين، وموائل الصبر والمثابرة والجد ومتانة الدين، الذين فاؤوا للحق فاستظلوا بظلاله، وفاء إليهم الحق فارتفعت بهم رايتُه، ورفرفت فوق هامِهم شارتُه ونَضارتُه، به خرجوا من العدم إلى الوجود، وبهم انصدعت آيُه وبراهينه من جديد، فرضي الله عنهم من صفوة جديرة بالتقدير، والاعتزاز والتبجيل.

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ

أما بعد:

فإن السنة النبوية -شرفها الله تعالى- قد قام جهابذة النقاد بمحصها ونقدها قديمًا، ونفوا عنها الشُّبه بأدلة دامغة للباطل، معزِّزة للحق، فعظُمت بذلك في النفوس، وكثر طالبوها والمولعون بها، وانتشرت علومها، وعادت مناهجها إلى التطبيق من جديد، وحُكِّمت في التوجيه والتأصيل والتجديد.

ومن جملة طلابها حديثًا، الناقرين عنها، والساهرين في تتبعها من مظانها، والسائرين في سبيل تطبيقها، وإحيائها، والتحلي بالعمل بها، وإبلاغها كتابةً، ونشرًا، ودرسًا، وعملًا = الشيخُ المحدث النقاد، العلامة أبو إسحاق الحويني، حفظه الله وخلد في الصالحات سعيه، وبارك في جهوده القيمة.

هذا، وماذا يقول مثلي من صغار طلبة العلم في كبارهم من أمثال أبي إسحاق؛ وهذا العلَم الشامخ، لم يقدَّر لي أن لقيته، ولا جلستُ إليه للبعد في الأوطان، لا للبعد في القلوب والأفكار، ووددتُ لو حصل ذلك، وإذا تيسر لي زيارة القاهرة، فهو أول من أزوره إن شاء الله تعالى، وإنما عرفتُ الشيخ من خلال محاضراته ودروسه القيمة، ومن خلال تحقيقاته الفذة التي هي غاية في التحقيق والدقة، مع تحاشي الحشو والاستطراد غير المفيد.

وأشهد الله أني أحب هذا الرجل؛ لأني ألمس فيه الصدق من خلال كتاباته، وليس من المتاجرين بعلم السنة النبوية ككثيرٍ غيرِه، ولا هو بمعتَمدٍ فيما يَكتُب ويُصنِّف على صغار الطلبة المبتدئين الذين يُستأجَرُون للتحقيق والتخريج فيقع في عملهم طاماتٌ، فيُنسب ذلك لمن استأجرهم الذي يتبنى باسمه عملَهم دون أن يذكرهم، فأصبح ميدانُ التحقيق والتخريج مسرحًا لكل من هبَّ ودبَّ، ففسد العلم بذلك، واختلط جيده برديئه، فتعذر التمييز على كثيرين.

فأبو إسحاق -حفظه الله- يتولى عمله بنفسه، ويعرف ما يكتب، ولذلك تأتي أعماله في القمة في التحقيق، وأنا أشتري كتبه، وأطمئن إليها. وأما من سواه إن اقتنيت كتابه فإني لا أعول على عمله، بل أتتبعه بالتنقيب والتفتيش الذي يبين أخطاء كثيرة في الأسانيد والمتون معًا.

ويعجبني من الشيخ أمور؛ منها: زهده في الدنيا، وإقباله على ما يصلح شأنه، وهذه من علامات الصادقين.

ومنها: إقباله على طلب الحديث الشريف وجعله همه، وهذه علامة محبة النبي عليه السلام.

ومنها: اعتداله ووسطيته، فليس بمتعصب لفريق من جماعات المسلمين دون فريق،

ولا رافعٍ رايةَ فريق دون فريق، بل يحب المسلمين كلهم حسب قربهم وبعدهم من جوهر الدين، ولا يبدع ولا يفسق أحدًا ما لم يجهر بذلك، ولا يُكنّ لأحد غلًّا وحقدًا، مما جعله محبوبًا عند الجميع ومقبولًا. وهو يتحرى الحق ويعمل به، ويدعو إليه بلا عتب ولا لوم.

هذا ما استنتجته مما قرأت من كتبه، وما رأيت من محاضراته، ولو قدر لي أن ألقاه لزاد الوصف عند الواصف، وليس من رأى كمن سمع.

هذا، وقد بلغني أنه منهمكٌ في مشروعات علمية متعددة، فأنصحُ شيخنا أن لا يكثر من المشروعات، وأن يسير في مشروع واحد حتى ينهيه، ثم يبدأ في آخر، فهذا أفيد له وللأمة، وعلى الشيخ أن يأخذ التجربة من العلامة المحدث أبي الأشبال رَحِمَهُ اللَّهُ الذي شرع في مشروعات ولم يتم أحدًا منها، وكان ذلك حسرة على الأمة، فلو قدر له أن أتم تحقيق المسند وحده لكان في غاية الروعة.

هذا، وقد وجدت في السوق لشيخنا أبي إسحاق جزءًا من تحقيق تفسير ابن كثير في غاية الروعة والتدقيق، ولو أتمه الشيخ لكفاه فخرًا.

هذا، وأنصح شيخنا أن يهتم بالكتب الستة التي هي الأصول، فهي بحاجة إلى تحرير، فما زال فيها إشكالات، وتحريفات وتصحيفات وسقط أحيانًا مما يعرفه المزاول لها، فخدمةُ هذه بما تستحق من تحرير الأسانيد والمتون، وشرح ما يحتاج للشرح من أعظم الأعمال التي لم تتم على الشكل المقبول إلى الآن، وما فعله شيخنا الشيخ ناصر رَحِمَهُ اللَّهُ حولها، ليس بالمحرر غاية التحرير؛ لأنه كان على عجل، فيحتاج المشروع للتأني والمراجعة.

وأبو إسحاق -حفظه الله- ممن عنده القدرة العلمية على ذلك، وإذا رغب الشيخ أن أرسل له نماذج مما فيها من تحريفات وأن نتشاور في خطة العمل، فإني على استعداد.

وفَّق الله الشيخ لصالح العمل، وجعله مِفتاح الخير، مِغلاق الشر، وشفاه من المرض، وقد آلمني ما بلغني من مرضه، جعله الله كفارة لذنوبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتب
الدكتور الحسين آيت سعيد
أستاذ السنة النبوية وعلومها، ومقاصد الشريعة،
بجامعة القاضي عياض، كلية الآداب مرَّاكُش: المملكة المغربية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلال وجه ربي العظيم وسلطانه القديم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاجْزِه اللهم عنا خير ما جزيت به نبيًّا عن قومه ورسولًا عن أمته، وصلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، وارض اللهم عن أتباعهم ومن سار على نهجهم واتبع أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإني أكتب هذه السطور مُوجَّهةً مني لتدوينها في كتاب «**بحوث مُهداة إلى فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني**» الداعية الإسلامي، والعلَّامة الكبير، مُحدِّث عصره الذي انتفع بعلمه الجم الغفير من أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها عمومًا، والمُهتمِّين بالحديث النبوي الشريف وعلومه خصوصًا، كما عمَّ الانتفاع بدروسه الدعوية التي بثتها كثيرًا من القنوات الإسلامية على مرور سنوات عديدة، كان لها أثرها الإيجابي في تغيير سلوكيات كثير من شباب وفتيات الأمة الإسلامية الذين تأثروا بدعوته، فسلكوا طريق الحق والنور بعد أن كادوا أن يضيعوا بين الفكر الليبرالي أو العلماني، وغيرهما من التيارات العصرية الهدَّامة، والتي راح ضحيتها كثير من أبناء هذه الأمة.

إنَّ الشيخ أبا إسحاق ليشهد بعلمه القاصي والداني من هذه الأمة، ولا ينكر ذلك إلا غبي حاقد، أو مريض حاسد، وإنني إذ أكتب هذه الأسطر عن الشيخ العلَّامة فمن باب إعطاء كل ذي حق حقه، وإلا فمكانة الشيخ أكبر بكثير ممن يكتبون عنه، وإنني لأرجو من

الله العلي الكبير أن يجعل كل ما قدَّمه الشيخ من خدمةٍ لحديث رسول الله ﷺ وعنايته به عمرًا طويلًا في موازين حسناته يوم يلقاه.

وصلِّ الله وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه العبد الفقير إلى رحمة مولاه الكريم

أحمد بن عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية

ورئيس لجنة مراجعة المصحف بالأزهر سابقًا

والأستاذ بجامعة الأزهر

الخميس ١٢ ذو القعدة ١٤٣٦هـ

٢٧ أغسطس ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛

فإنَّ الشيخ أبا إسحاق قامةٌ علميةٌ شامخةٌ، ورمزٌ من رموز السنة النبوية المطهَّرة، تشهدُ بذلك آثاره العلمية المسموعة والمرئيَّة، لم يُتَحْ لي شرفُ اللقاء به، نظرًا لظروف اغترابي خارج ديار الإسلام؛ ولكنني تابعت بعض آثاره العلمية عن بُعد، وسعدتُ بها، كما سعِد بها وأفاد منها كثيرون.

أسأل الله أن يحفظه للأمة، وأن يُثيبه على ما قدَّم: عافيةً في بدنه، وسَعةً في رزقه، وصلاحًا في ذرِّيته، وحُسنًا في خاتمته.. اللهم آمين.

وكتب

الدكتور صلاح الصاوي

الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

رئيس الجامعة الإسلامية بأمريكا الشمالية

الثلاثاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٢٩ سبتمبر ٢٠١٥م

هيوستن – أمريكا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور محمد بن موسى آل نصر[(١)]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن للعلماء الربانيين ذكرًا حسنًا في الأرض والسماء، بل يصلي عليهم أهلهما حتى النملة في جحرها وحتى الحيتان في الماء، وكيف لا وهم وراث النبي عليه السلام وحماة الشريعة ودعاة التوحيد والسنة، الذابون عن وحي الله تحريفَ الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، إن غابوا غاب العلم وعمَّ الجهل وحلت الفتن، قبضهم ثلمة في الإسلام، وها نحن نعيش أيامًا قل فيها العلماء الربانيون، ومن هؤلاء القلة: أخونا فضيلة الشيخ المحدث العلامة أبو إسحاق الحويني -شفاه الله وعافاه وأطال عمره في حسن عمل- التقيته مرارًا، واستمعت لكثير من محاضراته، وقرأتُ له وأعجبتُ بتحقيقاته، وما عرفته إلا ناصحًا صادقًا غيورًا على دين الله، معظمًا للسنة وأهلها، ذابًا عن علمائها الربانيين أمثالِ شيخنا العلامة الألباني الذي هو شيخه وأستاذه، لازمه شهرًا في رحلته إلى بلاد الأردن، وألقى عليه سؤالات دقيقة في علوم الحديث ما زالت منهلًا عذبًا ومرجعًا لطلاب العلم.

وهو -حفظه الله وزاده من فضله- بشر يصيب ويخطئ، وخطؤه يغيب في بحر فضله وإحسانه، نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله، وهو بقية السلف، نحبه ونواليه، ونعادي في الحق من يعاديه.

---

(١) توفي فضيلته مساء يوم الأحد ٧ ربيع أول ١٤٣٩ هجرية-٢٦ نوفمبر ٢٠١٧م، في حادث بمدينة تبوك السعودية، أثناء ذهابه لأداء مناسك العمرة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتغمده بواسع فضله ومغفرته. (عمرو الحويني).

وهذه كلمة وجيزة أكتبها تقدمة لكتاب: (**بحوث مهداة لفضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني**) وفاء ببعض حقه على أخيه ومحبه.

وكتب

أبو أنس محمد بن موسى آل نصر

يوم الاثنين: ١٦ ذي القعدة ١٤٣٦هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن الشيخ أبا إسحاق الحويني من أعلام العلماء الذين خدموا سنة النبي ﷺ في هذا العصر والأوان.

ولا تخفى جهود الشيخ أبي إسحاق في ذلك على أهل العلم وطلبته، فكل من يتتبع جهوده العلمية يرى صدق ذلك.

ومنذ أكثر من عشرين عامًا اقتنيت كتابه «النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة» فوجدت فيه علمًا نافعًا، ومنهجًا قويًّا في دراسة أحوال الرواة، ونَفَسًا عميقًا في تتبع الروايات، واطلاعًا واسعًا على أقوال المحدثين.

والأعمال العلمية للشيخ أبي إسحاق الحويني تجعله في مصاف كبار المحدثين المعاصرين الذين قدَّموا خدماتٍ جليلةً للسنة النبوية، كمحدث القرن الرابع عشر الهجري بلا منازع، الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه.

نسأل الله ﷻ أن يجزي الشيخ أبا إسحاق خير الجزاء وأن يعطيه الصحة والعافية.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الثالث من محرم الحرام سنة ألف وأربعمائة وسبع وثلاثين هجرية

الموافق السابع عشر من تشرين أول سنة ٢٠١٥م

كتبه الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة

أستاذ الفقه وأصوله

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس

بيت المقدس/ فلسطين المحتلة

بسم الله الرحمن الرحيم

انطباعاتي عن أخي
أبي إسحاق الحويني -حفظه الله-

لقد وفقني الله تعالى أثناء فترة وجودي بالكويت أن أزامل الإخوة المشايخ وطلاب العلم من أهل مصر العزيزة، وممن أذكر منهم: الشيخ عبد الحميد عبد المطلب، والشيخ فؤاد سراج الدين، والشيخ محمد بهجت، والشيخ عربي، والشيخ وليد دويدار، والشيخ حامد شعبان، والشيخ محمد شبل، والشيخ جمال القاضي، وغيرهم من الإخوة الأفاضل، وكنّا نتجاذب أطراف الحديث عن علمائها ودعاتها وخطبائها، وكانت تتكرر على مسامعي أسماء بعضهم، ومنهم: الشيخ محمد صفوت نور الدين رَحِمَهُ اللَّهُ (الرئيس العام لجمعية أنصار السنة آنذاك)، والشيخ محمد حسان (خطيبها المعروف)، والشيخ أبي إسحاق الحويني (المحقق الشهير)، والشيخ زكريا حسيني، والشيخ الدكتور جمال المراكبي، والشيخ محمد حسين يعقوب، والشيخ عبد الله شاكر، والشيخ مصطفى العدوي، والشيخ مجدي عرفات، وغيرهم -جزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين-.

إلى أن قدّر الله ﷻ لي أن ألقى هؤلاء الأفاضل كلّهم في دولة الكويت في أوقات متفرقة ومناسبات مختلفة ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وكان من حسن المناسبة أن اجتمعت بالثلاثة الأول حين نزلوا ضيوفًا في جمعية إحياء التراث الإسلامي -فرع الجهراء- ورأيتهم يناقشون المسائل المطروحة في المجالس والمحاضرات بالأدلة والبراهين، فتفطنت أن كلًّا منهم كان يتميز بميزات في نظري.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ

* فرأيت الشيخ محمد صفوت نور الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتدفق حين كلامه توجيهًا وإرشادًا، وتربيةً وتعليمًا، بكل ثقة واعتماد، إن سمح به الوقت للإطالة أطال وإلا أجمل وأحسن، وقد كتب في هذه الزيارة مقدمة على كتابي «الإيمان بالرسل ودوره في بناء شخصية المسلم» (من سلسلة أركان الإيمان) في غرّة جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ.

* ورأيت الشيخ محمد حسّان -حفظه الله وتولّاه- يأخذ بمجامع القلوب حين إلقائه الخطب والدروس والمحاضرات بصوته الرنان وأسلوبه الأخاذ، وترتيبه المفهوم عند العامة والخاصة من الناس، وقد تحيّر هو عند لقائي معه بأني أنا صلاح الدين مقبول أحمد؛ لأنه استفاد من كتابي «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة»، وذكره إشادةً به في مقدّمة أحد كتبه تعليقًا، وأهداه لي كذلك في هذه الزيارة.

* ورأيت الشيخ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله ورعاه- يختار موضوع الكلام في دروسه ومحاضراته ويزيّنه بحديث النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تخريجًا وتحقيقًا وبيانًا لاختلاف الرواية فيه، وبحثًا وشرحًا تتلذّذ منه الأسماع وتنجذب إليه القلوب، وخاصّة حين تتخللها نكته الظريفة لإنعاش همم المستمعين.

وقد برز هذا المحقق الفاضل والمحدّث البارع في ساحة الدعوة والإرشاد والتصنيف والتأليف، خاصة في الحديث وعلومه وتخريجه وتحقيقه، كعَلَم من أعلام الدعوة السلفية في مصر، بل في العالم الإسلامي كلّه، وبشهادة من العلماء الثقات، وعلى رأسهم شيخه العلّامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* كان تخصصه في الألسن واللغات، أجنبيًّا عن الحديث وعلومه، ولكن أبى الله إلا أن يجعله خادمًا لكتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فوفّقه في باب التخريج والتحقيق والحكم على الحديث تصحيحًا وتضعيفًا ما تقاصر دونه كثير من كبار الرجال في هذا العلم الشريف المبارك.

* قيّضه الله لخدمة السنة المشرفة ومهّد له هذا السبيل، ابتداءً بأمور بسيطة صارت

نقطة تحول في حياته العلمية، فتتلمذ على كتب الشيخ الألباني ثمّ عليه بنفسه، (ولو لمدّة يسيرة) في المملكة الأردنية، ففتح الله له باب الخير من العلم بالحديث تحقيقًا وتخريجًا، وأثرى مكتبة هذا الفن الشريف بما سطّره يراعُه من الكتابات، حتى وصلت كتبه نحو (١٧٠) كتابًا أو يزيد، بين صغير وكبير، وتأليف وتحقيق، وتخريج ودراسة، مطبوع ومخطوط، وكامل وناقص في الطريق إلى إتمامه بإذن الله.

* قال عليه السلام: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**» (متفق عليه من حديث معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما)، وإرادة الله نفذت في أخينا العلّامة الحويني مع قلة ذات يده، والعوائق المالية وغيرها في بداية أمره، لكنها لم تحل دون همته العالية في طلب الحديث حتى صار الآن علمًا من أعلامه، يشار إليه فيه بالبنان.

* قلّما أرى هذا الاستقصاء البالغ في تخريج الأحاديث وتحقيقها في كتب غيره من المشتغلين بهذا العلم المبارك في الوقت الحاضر، فيتلذذ منه العالم، ويستفيد منه الباحث، ويستزيد منه الطالب على السواء.

* ومما انطبع في قلبي عنه: غيرته على السنة وحرصه على نشرها وتعليمها، والالتزام بها عقيدةً وعملًا ومنهجًا وسلوكًا، مما أكسبه حبّ طلاب العلم له، فاستفادوا منه ومن خلقه ومن أدبه، وهو يبادلهم هذا الحب بما في هذه الكلمة من معنى، فيقوم معهم في السّراء والضرّاء ليتفرغوا لطلب العلم وتعليمه للناس، وهكذا كان هو أيضًا في تأدبه مع شيوخه، كما هو ظاهر من كتبه وخطبه.

* ومن ميزاته أنه يدلي دلوه في المسائل المستجدّة، والمشاكل الحاصلة في الداخل والخارج من وجهة نظر إسلاميّة، مستنبطًا أحكامها من كتاب الله عز وجل وسنّة رسوله عليه السلام. ما يكون نبراسًا للباحثين عن طريق الحق في الظلام الحالك، في هذا الزمن الذي يتحير فيه العاقل لكثرة الآراء والأهواء.

هذا من انطباعاتي عن العلّامة الشيخ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله ورعاه،

وشافاه وعافاه- وفضل إبدائها يرجع -بعد الله ﷻ- إلى أخينا الفاضل الشيخ عمرو عبد العظيم الحويني -وفقه الله- ومتابعته المستمرة لكتابة هذه السطور، وإلّا أنَّى لمثلي أن يكتب عن مثله؟ وهو أسد من أسود السنّة، وعلم من أعلام السلفية، وقمّة من قمم الحديث في العصر الحاضر.

وإنْ سكتوا أثنتْ عليه الحقائبُ

صلاح الدين مقبول أحمد

(غفر الله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه والمسلمين أجمعين)

الجهراء - الكويت

غرّة رمضان المبارك ١٤٣٦هـ

١٨/٦/٢٠١٥م

smaqbol@gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين. **وبعد؛**

فإنَّ الله ﷻ قد وفَّق للشيخ الفاضل والأخ الحبيب المحترم أبي إسحاق الحويني المصري حفظه الله تعالى ورعاه، توفيقًا خاصًّا لخدمة السنة المطهَّرة تخريجًا وتحقيقًا وشرحًا وتعليقًا.

والشيخ -حفظه الله تعالى، بفضل الله العظيم وكرمه العميم- قد أجاد في البحث والتحقيق، وأفاد الإسلام والمسلمين، وأتحف المكتبة الحديثية والإسلامية كتبًا علميَّةً نافعةً كثيرةً، تمتاز بسلاسة اللفظ، وجودة التعبير، ووضوح الدلالة، وقوة الحُجَّة، يدخل الشيخ لأجلها في قلوب القارئين بدون إذن منهم.

وكل هذه الجهود في وسط ازدحام الأمراض المُرهِقة والمستعصية والخطيرة.

والشيخ الحبيب -الله يحفظه- قد التقيتُ به وبأولاده وأحفاده، قبل شهور في بيته في مدينة كفر الشيخ، والذي أثلج صدري كثيرًا في هذا اللقاء هو كون أولاد الشيخ على دينٍ وعلمٍ، والحمد لله رب العالمين.

فنرجو الله ﷻ أن يتقبل من الشيخ كل هذا قبولًا حسنًا، ويشفيه شفاءً كاملًا وعاجلًا، وأطال في عمره بصحَّةٍ وعافية، ويُوفِّقهُ بمزيدٍ من التوفيق لخدمة العلم والعلماء.

وكتبه العبد الفقير إلى الله العليِّ

حافظ ثناء الله الزاهديّ

رئيس الجامعة الإسلامية

بمدينة صادق آباد – باكستان

التاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

لقد زرتُ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله وبارك فيه- في بيته بكفر الشيخ صحبة ثلاثة إخوة مصريين، وكان معنا في الرحلة الإخوة المغاربة، وقد رحَّب بنا الشيخ كثيرًا، وقضينا معه سبع ساعات متواليات، وجدنا في الشيخ العالم الجليل والمربي الصدوق وصاحب الهمة العالية، ورجل المواقف النبيلة، وكان الحديث يدور حول مسائل الاعتقاد، وكانت إجابات الشيخ على مذهب السنة والجماعة، بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، والأئمة الهداة المهديين، وفي مسائل الحديث والأثر وهو فارسه المقدام، فذكر نوادر فريدة ومسائل عميقة في فن الحديث وعلوم الأثر، ثم خضنا مع هذا البحر الزاخر في مسائل السلوك والتربية، فله الباع الطويل والدراية النافعة لا سيما وقد تعمق في كتب الرجال وسير الأئمة، ثم ذكرنا مسائل في الفقه فهو صاحب دليل لا يقلد في دينه الرجال ولا يعول على الأقوال العارية عن الدليل مهما كان قائلها؛ لأن الله تعبد الخلق بسلوك طريق الرسول -عليه الصلاة والسلام- حذو القذة بالقذة، وقد ظل حياته ينافح عن السنة النبوية والتمسك بالهدي الرباني، ثم بدأ الحديث في السياسة الشرعية وفي فقه الدعوة، فكان كلام هذا الفارس المقدام والليث الضرغام على هدي النبي ﷺ وبفقه سلف الأمة، فتكلم عن بدعية التحزب وأنه فتنة كبيرة وفساد عريض، فتدخل بعضُ الإخوة الحاضرون يذكرون محاسن الأحزاب ذات المرجعيات الإسلامية والمصالح والمفاسد والمؤامرات

والأزمات؛ لكن الشيخ -حفظه الله ورعاه وبارك لنا فيه- ظل على موقفه يبين وجه الحق، ولما ختمنا المجلس وكان مباركًا وبينما نحن عائدون في الطريق ذكر الإخوة المصريون أن هذا الموقف من الشيخ سيكون له آثار وخيمة على نشاطهم، وعند وقت الظهر جاءنا إلى الفندق الشيخ شعبان درويش -وهو شيخ فاضل أكرمنا وبالغ في إكرامنا وكنا على موعد معه وسجلنا معه لقاء- فطلب منا الشريط الذي سجل مع الشيخ أبي إسحاق الحويني، فذكرنا له أن الشريط يوجد عند الشيخ؛ لأن آلتنا نحن المغاربة قد عَطِلت فلم يسجل إلا ذلك القدر الذي بث على اليوتيوب، وقال لنا: إن شيوع موقف الشيخ الذي بلغني أنه ذكره لكم سيكون ضربة قاسمة للأحزاب ذات المرجعيات الإسلامية، وللنشاط السياسي الذي تقوم به جهات تنسب إلى التيار الإسلامي، وهذا واضح كل الوضوح وبيِّن تمام البيان، فنعوذ بالله من حسد الحاسدين وفتنة الفتانين والله المستعان.

أما تلك العبارات التي انتزعت من الشريط انتزاعًا، فقد ذكر فيها الشيخ مسألة الواقع؛ أي أن الواقع لا يرتفع، فيتكلم العالم عن الواقع بصرف النظر عن موافقته لأمور أو معارضته لأخرى، كما ذكر مسألة الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، وأنها خلاف الأصل، والضرورات تبيح المحظورات، فكان الكلام على خلاف الأصل اضطرارًا بناء على واقع معين، وإلا فكلام الشيخ -حفظه الله وبارك لنا فيه- خلال تلك الليلة كلها كان إبطالًا لأساليب الحزبيين وانتقادًا لطرائق الحركيين، وأنهم بدلوا وغيروا، فنصح للمسلمين، وبين الحق المبين، فأثلج صدورنا، وأحيا قلوبنا، وحقق لنا ما ابتغيناه في تلك الرحلة المباركة، وكان بعضهم حاضرًا سمع بأذنه، وبلغ الشاهد الغائب.

هذه شهادة الحق لا نريد من ذلك جزاءً ولا شكورًا ولا نساير من أراد في الأرض علوًّا ولا فسادًا، ولكن حتى لا يُذكر الشيخ بسوء ولا يُنسب إليه الباطل بغير الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وأضيف لهذه الشهادة من القرائن الساطعة والبينات الواضحة: أن كل من تتبع حياة

الشيخ العلمية يجده -حفظه الله وبارك لنا فيه- لم يشهد قط مظاهرات ولا نزل إلى ميدان التحرير ولا أعان على شيء من ذلك البتة، بل سكت طويلًا ولما تكلم ذكر -حفظه الله وبارك لنا فيه- أنه يجد مرارة تمزق فؤاده، وأنه غير مرتاح لهذه الفلتة التي لا يوجد الصِّدِّيقُ ﷺ لإخراج الناس من نفقها المظلم، وقد كرر هذا الكلام مرارًا، وأنها فلتة لا يعلم إلا الله ما ستؤدي إليه من مصائب وكوارث، ثم كان -حفظه الله- في غاية الوضوح الشرعي والأداء الأمثل لواجب العلم، فجزاه الله عن السنة والحديث خير الجزاء، وتقبل الله مواقفه المباركة، إن الله ولي ذلك والقادر عليه.

وإن المتتبع لدروس الشيخ وخطبه ومواعظه ومحاضراته في الفضائيات وما صنف وما كتب = يجد هذا الإمام العلم مفخرة للحق وأهله وعنوانًا للسنة علمًا وعملًا، فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ونصح للأمة وغضب لله ونافح عن النبي عليه الصلاة والسلام، كلما تجرأ زنديق أو تكلم مرتد، ثم كان موقفه واضحًا من الحزبية والحركية والفتن ما ظهر منها وما بطن؛ فعندما تكلم عن الانتخابات وبين بطلانها، ونصح أهل العلم بأن يجتنبوا ذلك كله، وأن لا يترشحوا تكريمًا للعلم ورفعةً للعلماء، فذكر مسألة الضرورة، التي يُومئ إليها مَن انتزع الكلام عن سياقه، ولم يربطه بأصول هذا الإمام وقواعده ومنهجه الذي عاشه خلال حياته الدعوية، فالضرورة التي أرادها الشيخ قد فصلها في دروس، فقال حفظه الله وبارك لنا فيه: إن الإنسان إذا خُير بين شاة ميتة وشاة أخرى إضافة إلى موتها كانت كريهة الرائحة وهو مضطر؛ أيهما سيختار؟ قال: لا شك أنه سيختار التي ليست فيها الروائح الكريهة من باب درء المفسدة الأكبر بالمفسدة الأصغر، وإلا فالميتة حرام في كل صورها.

وقد تتبعنا أشرطة الشيخ ودروسه ومحاضراته فما وجدنا إلا الحق المبين والصراط المستقيم والتمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأنه حريص على ذلك غاية الحرص، نحسبه والله حسيبه، فنسأل الله أن يكمل مسيرته بسلام، وأن يزيده علمًا نافعًا وعملًا صالحًا، وأن ينفع الله به المسلمين في الدنيا والآخرة، فهو الجواد الكريم.

وفي الختام أهمس بين يدي الشيخ بكل أدب قائلًا: قد سبقتْك أيها الإمامُ قوافلُ الأباة من العلماء العاملين والفقهاء الصادقين، وقد امتُحنوا امتحانات شديدة، وابتلوا بلاءً عظيمًا من قبل الطغاة المفسدين والعلماء المبتدعين والأقران المنافسين وغيرهم من أهل الفتنة والفساد، فما زادهم ذلك إلا تمسكًا بما ورثوه عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وإن هذا البلاء يزيد العلماء ثباتًا ورفعةً وعلوَّ مقام ومقعد صدق في الدنيا والآخرة.

بارك الله لنا فيكم أبا إسحاق، وحفظكم الله ورعاكم، ورفع درجاتكم في الدنيا والآخرة، آمين آمين آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن سلك مسلكه واقتفى أثره نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حسبي الله ونعم الوكيل، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

أبو عبد الرحمان عبد الحميد أبو النعيم

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة

عام ستة وثلاثين وأربعمئة وألف بعد هجرة النبي ﷺ

الموافق ١١ أكتوبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخُ أبو إسحاق الحُوَيني، عالِمُ الحديثِ بمصرَ، ثِقةٌ، مُتفنِّنٌ في هذا الباب، حاملُ رايةِ السُّنَّة.

سائلًا اللهَ تعالى أن يشفيه، وأن يُوَفِّقه لما يُحبُّ ويرضى.

وكتب

حسن أبو الأشبال الزهيري

مساء الجمعة ٢٤ محرَّم ١٤٣٧هـ

٦ نوفمبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد طلب مني بعض مَنْ أُحِبّ أن أكتُب شيئًا عن أخي فضيلة الشيخ الحبيب والعلامة الأريب/ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله وأمد في عمره ومَتَّعَهُ بالعافية ونفع به-، فألفيتني في موطن لا أُحسد عليه، حيث أتكلم عن جبل من جبال العلم في بلدنا «مصر»، أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا، لكن كان لزامًا أن أجيبه إلى طلبه، راجيًا من الله -تعالى- أن يرزقني الصدق فيما أقول، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد كانت بداية سماعي عن الشيخ المبارك أبي إسحاق -حفظه الله- سنة (١٩٨٨م) تقريبًا من خلال بعض طلبة العلم في القاهرة، وهذه إرادة الله، فمع أن الشيخ لم يكن ذائع الصيت وقتئذ -كما هو عليه الآن- لكن كما يقول الشاعر:

ومحلُّ الفتى سيظهرُ في النا ... سِ، وإنْ كانَ ذائبًا يخفيهِ

المهم، أنني أحببت لقاءه والنظر إليه، وكان هذا في سنة (١٩٨٩م)، في محافظة الغربية، بدعوة من الشيخ الحبيب المفضال/ عماد صابر، صاحب مكتبتَي «التوعية» و«التربية» بالهرم، وكان الموعد على طعام يوم الجمعة.

واستمعتُ لأول مرة إلى الشيخ أبي إسحاق، وهو يشرح حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، فألفيته متمكنًا في خطابه، جزل العبارة، سهل الأسلوب، قوي الحجة، ينتزع الفوائد باقتدار، كما كان الكلام في جملته من القلب -كما أحسب- صادرًا، فألقى الله في قلبي حُبَّهُ.

زاد ذلك أني كنت في المجلس الذي انعقد على سطح الدار بعد الطعام كنت أرمقه وأرمق تصرفاته، فكيف يخالط الناس؟ وكيف يعاملونه؟ فوجدت منه تواضعًا جمًّا، فكم

اعتراض له أبداه بعض الحاضرين، ممن هم دون الشيخ سنًّا وعلمًا فما كان من الشيخ إلا حُسْن المقابلة، ولطيف المحاضرة، وهو ثابت حليم، فازداد حبي له، لكن لم أتعرف إليه، وقلت في نفسي: ماذا أقول له؟ وكيف أفتح الحوار معه في هذا المجلس الكبير؟!!

وكرت الأيام سريعًا ونزلتُ كفر الشيخ مرارًا، وحللتُ ضيفًا على الشيخ بعد التعرف إليه ونحوه، وبثُّ عنده، وكانت بيننا منادمات وخواطر، ازددت له فيها حبًّا وتقديرًا وتعظيمًا، واطَّلعت على خبايا وخفايا لم يطلع عليها كثير من الناس، في خلقه، أو في اعتقاده، أو في تصوراته، أو في علمه، أو في طموحه.

ولقد بلغت العلاقة مبلغها، لدرجة عظيمة، أفديه لله تعالى -حفظه الله- وعندما طلبت منه التفكير بجدية أن يترجم لنفسه وأتحمل أنا هذه المهمة -لا سيما أن مشروعًا مختمرًا في ذهني لترجمة أعلام الدعوة والعلم في مصرنا في هذا القرن- ووافقني الشيخ على هذا في أحد اللقاءات المتأخرة.

وما أدين الله به، أن هذا الرجل سلفي الاعتقاد امتلأ قلبه حبًّا لدين الله، وغيرة على منهج رسول الله ﷺ، وأنه في العلم عَلَم مكين، وفي العقل متزن رزين، له خلقٌ جَمٌّ دفق معين، فمن مفرداته: طلاقة وجهه، وضبط أنفاسه، والصبر على أذى مخالفيه -هداهم الله- وبذل الندى، وإيصال الخير إلى عموم المسلمين، فلا يُحرم مسلم منه خيرًا، وفقه الله وزاده، وجعله خيرًا مما نظن.

وهمة الشيخ لا تضارع، لكن أريد من الشيخ -حفظه الله- أن يولي عنايته بأمور هي:

الأول: إيجاد طلبة علم مخلصين مؤهلين يحملون العلم وينشرونه، وفي الوقت نفسه يكونون امتدادًا لعلمه ولدعوته إن في حياته أو بعد مماته، أمد الله في عمره، وأسبغ عليه الصحة والعافية.

الثاني: أن يهتم بإخراج بعض مشاريعه أولًا بأول بهمة وعزيمة، فأنا من أعلم الناس بمشاريعه وأفكاره العلمية؛ لا سيما تحقيق «تفسير ابن كثير» -يسَّر الله إتمامه- مع سلوانه:

«تسلية الكظيم»، فالعمر لن يتسع لمثل ما يريد الشيخ دفعة واحدة، فأريد منه أن يتذكر قول القائل: «إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنمها»، وهو المعنى الذي أتت به نصوص الشريعة، مثل قوله ﷺ: «**خذ من شبابك لهرمك، ومن عافيتك لمرضك...**».

الثالث: أن يتئد ويتأنى في مستجدات العصر: من قضايا ومسائل وأحوال، فلا ينهي حكمه أو رأيه في شيء من ذلك إلا بعد الدراسة العلمية؛ إذ يقتدي بالشيخ الكثير من محبي العلم والدين -حفظه الله ومتعه بالصحة- والشيخ -في نفسه- ركن من أركان العلم والفهم والغنى؛ ولذا فلا أرجو له شيئًا عند أحد من الخلق، وأسأل الله -تعالى- أن يعينه على خلقه جميعًا، وأن يوفقه ويمد في عمره مع صحة وعافية وبركة في البدن والأهل والمال والولد، وأن يزيح حزنه، وأن يقيه شر الحاسدين والجهال وعلية القوم، كما أدعوه سبحانه وتعالى أن يقيه شر نفسه، وأن يأجره أجر الصابرين المحتسبين العاملين.

وأدعوه -سبحانه- أن يبارك في عمره وولده وأهله ومحبيه، وأن يقر عينه -في الدنيا- بكل ما يحب، كما أدعوه -سبحانه- للشيخ أن يحسن خاتمته بشهادة في سبيله يفوز بها بالدرجة العلية في الآخرة، كما فاز بالعلم في الدنيا توفيقًا وعملًا وثناءً صَبًّا، كما أسأله -سبحانه- أن يكون الشيخ المبارك -حفظه الله- أفضل مما نظن، وأعقد مما نعتقد.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى التابعين وتابعيهم على الإيمان والسُّنَّة ومحبة الدين ونفع المسلمين إلى يوم الدين.

خطه بيده الفقير إلى مولاه
أحمد بن عبد الرحمن النقيب
أستاذ الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة المنصورة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسول الله.

أما بعد:

ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ العبد ليتكلَّمُ بالكلمة من رِضوان الله لا يُلْقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات**».

وقد وقع في حديث بلال بن الحارث المُزَني، الذي أخرجه مالك وأصحاب السنن، وصحَّحه الترمذي وابن حبان والحاكم بلفظ: «**إنَّ أحدَكم ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله ما يظنُّ أن تبلُغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة**».

لقد وقفتُ عند هذه الجملة من هذا الحديث، وأنا أتأمَّل في معناها، وأقول في نفسي: تُرَى ما عسى أن تكون هذه الكلمة؟!

فتذكَّرتُ قولَ الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

فوقع في ضميري أنّ الدَّعوة إلى الله من هذه الكلمة، ورجوتُ الله أن يكون قد مَنَّ على عبده الشيخ أبي إسحاق الحويني ورزقه هذه الكلمة من رضوانه بسبب دعوته إلى الله، التي رفعه الله بها درجات، وبلغه بها هذه المحبة في قلوب المؤمنين، فإنَّ كلام الشيخ في دروسه وخطبه مَثلُه كمثل جنَّةٍ يانعةٍ فيها من كل الثمرات الطيِّبة، يُذكِّرُنا بقول الله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

لقد جاء الشيخ أبو إسحاق إلى كفر الشيخ في فترةٍ كانت الدعوة فيها تمرُّ بمرحلةٍ حسَّاسةٍ، وكان الإخوة القائمون عليها ليس فيهم مثل الشيخ في علمه ولا قريبًا من ذلك، وكان يكتنف الدعوة في كفر الشيخ مدرستان: مدرسة الدعوة السكندرية، وكانوا قد اختاروا أن يكون عملهم في صورة جماعة منظَّمة ولها هيكل يدير شئونها. والمدرسة

الأخرى: مدرسة القاهرة، وهي مدرسة الشيخ أسامة عبد العظيم، وهي دعوة تربوية، وكان قد حصل بعض التنافس بين المدرستين مما تسبب في حدوث ضعف للدعوة في كفر الشيخ.

وجاء الشيخ أبو إسحاق إلى كفر الشيخ، فكان مجيئه رحمةً من الله وفتحًا عظيمًا، وبركةً على الدعوة في هذا البلد، والْتَفَّ حوله الشباب، ووضع الله له القبول في قلوبهم، وكان همُّ الشيخ ومنهجه: البلاغ عن رسول الله ﷺ، وإظهار سنَّته وقمع البدعة، ومحاربة المنكرات، وإحياء منهج الصحابة في تلقِّي الوحي، وتربية الجيل على الاتباع ومحبَّة النبي ﷺ، ومحبَّة الصحابة رضي الله عنهم.

ولم يجنح الشيخ أبدًا إلى تكوين جماعة ولا اعتماد أي مخالفات للسنَّة في أي منهج تربوي، فكان منهج الشيخ واضحًا منذ البداية، منهجًا سلفيًّا محضًا.

وواجه الشيخ بعض الصعاب حتى من بعض الجماعات، ومن بعض الإخوة، وأذكر أنني حين كنت في مجلس إدارة الدعوة، دار نقاش حول الشيخ ومنهجه في الدعوة، فقلتُ في هذا المجلس كلامًا هداني الله إليه بفضله، بيَّنتُ في هذا الكلام قدر الشيخ، وفضله ومكانته وعلمه، وجميل أثره في الدعوة، والحمد لله اجتاز الشيخ هذه الصعاب بفضل الله، وبما آتاه الله من العلم والحكمة، وحسن الأسلوب، فكانت دعوة الشيخ قوية ومكتسحة، وفرضت نفسها على الواقع، وفتح الله له البلاد وقلوب العباد، وانتشرت دروس الشيخ في كل مكان، وكان يبذل جهدًا غير عادي، كان يجوب البلاد شرقًا وغربًا، وليس لذلك تفسير إلا أنه مُعانٌ من الله عز وجل، نحسبه كذلك.

وانتشرت الشرائط المسجَّلة للشيخ حتى خارج مصر، وهدى الله على يديه كثيرًا جدًّا من الشباب، منهم من كان سبب هدايته شرائط الشيخ المسجَّلة، ولم يلْتَقِ بالشيخ، وأذكر أنَّ شابًّا من السعودية اتصل بي وقال لي: بَلِّغ الشيخ سلامي وهو لا يعرفني؛ ولكني -والله- أدعو له في صلاتي، فإن الله جعله سبب هدايتي، فقد سمعت له شريطًا كان

سبب توبتي إلى الله.

ومثل هذا الشاب كثير جدًّا، وليس في مصر وحدها، فقد سافر الشيخ إلى دولٍ شتى، وترك أثرًا مباركًا في كل مكان ذهب إليه.

ومما تميَّز به الشيخ: شجاعته في الحق، وأنه لا يخشى في الله لومة لائمٍ، وفِراسته في قراءة الأحداث، فقد أعطاه الله بصيرةً وسدادًا في الرأي، ومن عظيم فضل الله عليه ظهور أثره في الأمة، حتى إنَّ أثر الشيخ بمفرده أكبر من أثر بعض الجماعات الدعوية بشيوخها، ونحسب أن هذا الأثر واضح لكل مُنصف، وأن وراءه عملٌ قلبيٌّ وسرٌّ بين الشيخ وربِّه.

نسأل الله أن يثبِّت قلبه على دينه، وأن يجعل خير عمره آخره، وخير عمله خواتمه، وخير أيامه يوم لقاه، وأن يبارك في عمره وأثره، وفي أهله وذرِّيَته. آمين.

وكتب

إبراهيم أبو طالب

كفر الشيخ

مساء السبت ١١ محرم ١٤٣٧هـ

٢٥ أكتوبر ٢٠١٥م

~~~•~~~•~❀~•~~~•~~~
~~~

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فقد طلب مني الأخ عَمرو بن عبد العظيم أبو المنذر الحُوَيْني -حفظه الله تعالى- أن أكتُبَ كلمةً عن صاحب الفضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني -سلَّمه الله من كل سوء، وأتمَّ علينا وعليه نِعَمَهُ الظاهرة والباطنة- فدعوت الله ﷻ أن يغفر لي ولأخي أبي المنذر، فهل تحتاج البحار إلى الركايا؟ وهل مثلي يُسأل عن مثل الشيخ أبي إسحاق؟ وهل تحتاج ترجمته إلى مثل كلمتي وعبارتي؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعلى كل حال؛ فإن كان ولا بدَّ لي من كلمة، إجابةً لطلب أخي أبي المنذر -حفظه الله- فأقول:

على قِلَّة لقاءاتي بالشيخ، فلم ألْتَقِ به إلا مرّةً واحدةً في بيته عندما زُرْتُ مصرَ سنة ١٤٣٣هـ، بعد غياب عنها استمرّ ثلاثة وثلاثين عامًا؛ إلا أنني قد وقفتُ على بعض كتب الشيخ، فرأيتُ سعة الاطلاع، وطول الباع، وقوَّة الإقناع، كما رأيت عُلوّ الهمّة والغوص في الأعماق للإتيان بالدُّرَر والفوائد، وتحصيل الشوارد والفوائد، هذا مع عذوبة الأسلوب، والتوفيق في اختيار الموضوع، كما تيسّر لي استماع بعض محاضرات الشيخ، فوجدتها -ولله الحمد- عامرة بالفوائد العلمية، ولا يخلو استطراده من إفادة السامع، مع المُلَح العلمية، والفُكاهات الحُويْنيّة!!!

فلله درَّك يا أبا إسحاق، وعلى الله أجرك، وأطال الله في عُمرك، فطُلّاب العلم في مصر وغيرها بخيرٍ ما بَقِيتم وأمثالكم في الأمّة، فأهلُ الحديث صمام أمان للأمّة من الفتن، والله ﷻ يرحم أهل الأرض برحلة أهل الحديث، والشيخ من هذه الطائفة كواسطة العِقْد، ولا أزَكِّيه على الله تعالى.

هذا، وكم أصابنا من غمٍّ بسبب الأمراض التي توالَت على الشيخ، فشغلَتْه عن مَهامِّه؛

لكن المرء لا يدري أين البركة؟ فلعلّ الله ﷻ يبارك في القليل فيجعله كثيرًا.

واللهَ الكريمَ أسألُ أن يحفظ الشيخ من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وأن يُصلِح له ذرِّيّتَه، ويجعلهم قرَّة عينٍ للإسلام وأهله.

وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

كتبَهُ

أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني

اليمن - مأرِب

٦/ ٥/ ١٤٣٧هـ

١٥/ ٢/ ٢٠١٦م

كلماتٌ في الشيخ
أبي إسحاق الحويني حفظه الله

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين النجباء، ومَن تبعهُ وسار على نهجه إلى يوم الدِّين من أهل التُّقى.

أما بعد:

فقد سألني أحد الفضلاء عن رأيي في الشيخ أبي إسحاق الحويني، فتذكرتُ قولَ الإمام أحمد عندما سُئِل عن إسحاقَ بنِ راهويه، فأجاب: «مثل إسحاق يُسألُ عنه؟ إسحاقُ عندنا من أئمَّة المسلمين»، وقولَ يحيى بنِ مَعين حين سُئِل عن أبي عُبيْد فأجاب: «مثلي يُسأل عن أبي عُبيْد؟ أبو عُبَيْد يُسألُ عن الناس».

نعم، الشيخ أبو إسحاق الحُوَيْنيّ عندي من أئمَّة المسلمين في هذا الزمان، وأحدُ آحادِ العلماء العاملين الربانيين.

عالمٌ بالحديث متنًا ورجالًا وعِللًا، وخادمٌ للسُّنَّة روايةً ودرايةً وتصنيفًا وذبًّا وتدريسًا، مع مُشارَكةٍ متقدِّمةٍ في علوم العقيدة والتفسير والفقه وأصوله واللغة العربيَّة.

مُعتصِمٌ بالكتاب والسُّنَّة، سالِكٌ لمنهج الصحابة ومدرسة السلف والآثار، حاملٌ لِهَمِّ الإسلام والمُسلمين، حامٍ لِحِمَى الدِّين، واقِفٌ بحقٍّ على ثُغُور الدَّعوة والتَّعليم والفُتْيَا والتَّربية لعُقُودٍ بلا مَللٍ ولا كَللٍ، مُؤلِّفٌ مُجِيد، ومُحاضرٌ مُتقِن، وخطيبٌ مُحسِنٌ، أنيسٌ في مجالِسه، سَامٍ في أخلاقه، طَيِّبُ المَعْشر، صادقُ اللهجة، ظاهرُ البهجة، قويُّ الحُجَّة، واضحُ المَحجَّة، مع ورَعٍ ظاهرٍ، وزُهدٍ باهرٍ، وصبرٍ على المِحَن آسِر، وإدراكٍ بيِّن لفقه الواقع، وتفاعُلٍ حيٍّ مع أحوال المسلمين ومُجتَمَعِه.

وبالجُملة، فإنَّ الشيخ أبا إسحاقَ الحُوَينيّ خصالُه وافرةٌ، وفضائله سائرةٌ، ومآثره زاهرةٌ، ومذاهبه في الحق ظاهرة.

أسألُ اللهَ تعالى أنْ يُكرِمَه في الدَّارَيْن، وأنْ يجمَعَ له بين السعادَتَيْن.

أحسَبُهُ كذلك، ولا أُزكِّي على الله أحدًا.

وصلِّ اللهُ وسلِّم وبارِك على نبيِّنا محمد، والحمد لله ربِّ العالمين.

الأستاذ الدكتور

الحُسَيْن بن مُحمَّد شواط

رئيس الجامعة الأمريكية العالمية

غرة شهر الله المحرم ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هذه كليمات في شيخنا الشيخ أبي إسحاق حفظه الله:

تعرفت إلى الشيخ العلامة المحدث المحقق أبي إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى ومتعه وإيانا بالعافية- قبل أن ألقاه بفترة طويلة من خلال سؤالاته العلمية القيمة للشيخ العلامة الألباني رحمه الله تعالى؛ وكل من استمع إليها أو قرأها -لاحقًا- يعلم دقة الشيخ الحويني فيها، فحسن السؤال نصف العلم -كما ورد- فذكرتني بسؤالات البرقاني للدارقطني، وسؤالات أبي داود للإمام أحمد.

وعرفته أيضًا من خلال تحقيقاته النفيسة وتعليقاته المفيدة على المخطوطات التي حققها والرسائل التي نمقها؛ فحمدت الله تعالى أن أَخْلَفَ اللهُ أهلَ مصر بعد الإمام أبي الأشبال أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَن جدَّد نضارة الحديث وأحيا الآثار فيها؛ فنفس الشيخ الحويني في التخريج وتتبُّع الطرق ومعرفة العلل يندر في ذلك الزمن وجوده ويعز وروده!

ثم يسَّر الله تعالى ووفَّق للقاء الشيخ في بلدنا البحرين حيث شرفنا مرارًا في زيارات دعوية ورحلات تدريسية علمية، فوجدت تواضعه يفوق علمه، وأخلاقه وبشره تزين طلعته البهية ومحياه المشرق؛ ومن تواضعه أنه أكرمني بحسن ظنه وشرفني بمحض فضله في طلب الإجازة بالرواية في الحديث الشريف وهو من هو في العلم والتحقيق والسن، فأين الثرى من الثريا؟!

إلا أنه ألح وأصر وقال لي: قد حصَّلتَ أنت منها ما لم أُحصِّلهُ، وأدركتَ من العلو ما لم ندرك، فقلت: شيخنا الفاضل، قد استسمنتَ ذا ورم، ونفختَ في غير ضرم، ولكن امتثالًا لأمرك أجيزك من باب إجازة الأصاغر للأكابر، وعلى أن تجيزني فنتدبَّج؛ فكان ذلك حفظه الله تعالى ونفع به.

وبالجملة، فمهما أُسهِب وأُطنِبُ وأترك للقلم بيانه وللفرس عنانه، فلن أوفي شيخنا المفضال حقه ومستحقه، وما قل وكفى هنا خير مما كثر وألهى!!

أسأل الله تعالى أن يطيل في عمر شيخنا الميمون ويوفقه لإنهاء ما تمنى من مشروعاته العلمية ومؤلفاته البحثية، وأن يختم لنا وله بخاتمة الحسنى والسعادة آمين.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قاله وكتبه

خادم العلم بالبحرين

نظام بن محمد صالح يعقوبي العباسي الهاشمي

السبت ٢٨ ذو القعدة ١٤٣٦هـ

١٢ سبتمبر ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم الله ﷻ مدى سروري وأنا أكتب عن أخي الحبيب فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني، كما أخبرني الشيخ محمد حسين عبد الغفار أن الشيخ إذا تحدث عني يكون أيضًا في غاية السرور، وكما يقولون في المثل: (القلوب عند بعضها).

أول مرة سمعتُ عن الشيخ منذ أكثر من عشرين سنة عندما كان يعطي درسًا في مصطلح الحديث بالقاهرة، وسمعت من الأخ/ عماد بطنطا أنه رحل إلى الشيخ وأثنى على علمه، فما ظنكم بعلم الشيخ بعد عشرين سنة، أسأل الله تعالى أن يبارك في علمه وعمله، وأن يشفيه ويمتعه بالعافية ويمتع المسلمين بحياته.

زرتُ الشيخ أكثر من مرة في بيته وقريته (حوين)، وسمعتُ له بعض الخطب والمحاضرات، ومن تواضعه سمع لي كذلك بعض الخطب، وأذكر أنني في سنة من السنين كنت في مدينة (بلطيم)، وعلمت أن الشيخ سيخطب الجمعة بمسجد التوحيد، فقلت: لا أقدم عليه إلا بعد الخطبة، خشية أن يصرَّ على أن أخطب مكانه، ولكن الشيخ سمع بحضوري، فحلف بالله أن أخطب أنا الجمعة، وكما يقولون: لا ينبل الرجل حتى يسمع ممن هو فوقه، وممن هو مثله، وممن هو دونه، بل يتعمد بعض الشيوخ السماع من تلامذتهم حتى يرفعوا شأن التلاميذ، كما سمع الإمام البخاري من الإمام الترمذي بعض الأحاديث، كما يقولون: رواية الأكابر عن الأصاغر، وكان الإمام الترمذي يفتخر بذلك، ويقول: هذه الأحاديث قد سمعها مني محمد بن إسماعيل رحم الله الجميع.

وبعد الخطبة تكلم الشيخ الحويني -حفظه الله وزاده رفعة بتواضعه- وقال: لا يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، والله ﷻ يعلم أنه الفاضل، وأنا المفضول.

والتواضع لا ينقص العبد بل يرفعه، ثم أخذ يثني على إخوانه بالإسكندرية، وهذا يدل على إنصافه -حفظه الله-.

الشيخ الحويني سريع البديهة حاضر النكتة، قلت له يومًا: كلما آتي إلى كفر الشيخ لأخطب الجمعة تخطب خارج كفر الشيخ، فقال في سرعة وذكاء: أخطب أنا يوم السبت.

استضافني الشيخ مع أهلي في بيته أكثر من مرة، ورأينا من كرم ضيافته وحسن استقباله ما يدل على نبله، وقد زارني الشيخ كذلك في بيتي -فجزاه الله عني خير الجزاء- أكثر من مرة استمتعت فيها بصحبة الشيخ منذ عشرة أعوام تقريبًا، خرجت إلى الحج، ولم يكن لي ترتيب معين، أو اتفاق مسبق مع أي طائفة أو حملة أتمم معها المناسك، وقبل دخول مكة عندما مررنا بمكتب الزمازمة، وأعطوا كل واحدٍ منا زجاجة من ماء زمزم شربت زمزم بنية أن يرزقني الله ﷻ حجةً ميسرةً مبرورة، وبالفعل دخلت مكة قبل الفجر بساعتين تقريبًا، فأديت مناسك العمرة، ثم ذهبت إلى سكن بعض إخواننا من طلبة العلم بالعزيزية، ولم أبت معهم إلا ليلة واحدة، أخبروني أن الشيخ أبا إسحاق مع رحلة من الإمارات تسمى (الفجر) وهو قريب منا، فذهبت وتركت قناعي مع إخواني بنية السلام عليه، فسألني الشيخ هل أنت مرتبط بأي حملة للحج؟ فقلت: لا، فعرض علي أن أحجَّ معهم؛ لأنهم كانوا ينتظرون فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب، ولكنه خرج مع حملة أخرى، فقلت: لا مانع، فكلم المسئول عن الحملة، فرحب بذلك، وجمع لي في هذا الحج بين الحج والدعوة، فكانت أكثر الدروس والتذكير بعد الصلوات وبعرفة ومنى أقوم بها، والأهم من ذلك أنني كنت بجوار الشيخ أسعد بصحبته، وكان معنا الأستاذ اليعربي، وتعرفت إليه لأول مرة.

من الطرائف في هذا اللقاء أنني كلمت الشيخ في مسألة حلق الشارب، وقلت له: قال

بعض العلماء أن حلقه بدعة، وقال الإمام مالك: يُوجَع ضربًا، فقال: أنتم حنابلة في كل شيء إلا هذه فأنتم فيه مالكية، فقلت: نعم!

مما ارتفع به الشيخ أبو إسحاق الجرأةُ في الحق، وهذه من علامات محبة الله ﷻ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وسيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله.

وقال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

بلغ به الأمر أنه قال عن كلمة قالها شيخ الأزهر السابق: إن كان قالها فقد كفر.

وهو يعلم أنه قالها، وشيخ الأزهر يعلم أنه قالها، ولكنه يتكلم بذكاء حتى لا يقال: كفَّر شيخ الأزهر.

وهو يخاطب المسئولين بجرأة، ويسميهم المؤسسة الرسمية، وقوته في الحق هي التي جعلتْ له منزلة في قلوب الخلق، فمن أعزَّ دين الله أعزه الله. فضيلة الشيخ أبو إسحاق يتكلم أحيانًا بالعامية مراعاة لأحوال الناس، كما أفصح عن نفسه فقال: قلمي للخاصة، ولساني للعامة، إلا أننا نشم رائحة الحديث منه، ويجمع كلامه بين الطرافة والفائدة العلمية، ولذا أقبل الناس كلهم عليه من طلبة العلم والعوام لما في أسلوبه من السهولة واليسر والجاذبية، ومن المتانة العلمية.

الشيخ أبو إسحاق نحسبه حي القلب، حاضر الدمعة، غيورًا على الإسلام، رفعه الله ﷻ فوق كثير من خلقه، قال سفيان الثوري: إن هذا الحديث عز، فمن أراد به الدنيا وجدَها، ومن أراد الآخرة وجدَها، ولا شك.. من أراد به الآخرة نال عز الدنيا والآخرة.

تصدى الشيخ بكل قوة لمن أراد أن يطعن في سنة النبي ﷺ أو في بعض الصحابة ﷺ، وكان قويًّا في ردوده كشيخه الألباني رحمه الله، ووقف وقفة صلبة أمام من حارب النقاب وأمام المبتدعين والمخرفين.

وهذه رؤيا رآها أحد إخواني الأخ علي الدسوقي أن الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعطى لحيته لأبي إسحاق، واللحية تفسير بالسنة، فكأنه أعطى له لواء السنة من بعده، فأسأل الله أن يحفظه للأمة، ينافح عن السنة ويذب عنها.

وكتبه

أحمد فريد

الإسكندرية

الجمعة ٥ رمضان ١٤٣٧ هجرية

١٠/ ٦/ ٢٠١٦ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه أجمعين...

وبعد؛

فقد التقيتُ بالأخ الشيخ المُحدِّث/ أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى، وشفاه وعافاه، منذ أكثر من خمسٍ وعشرين سنة، ورأيت فيه حُبّ العلم والرغبة فيه، والاستفادة من أهله وشيوخه، وعلم الحديث خاصة، وجمع المؤلفات فيه، والعمل الدؤوب على تخريج الحديث وتحقيقه، والكتابة فيه، والدفاع عنه وعن كتبه ومصنفاته، بالمحاضرات النافعة، والدروس العلمية الماتعة، والبحوث والمقالات المفيدة، مع الخُلُق الرفيع، والأدب الجمّ.

فنسأل الله تعالى أن يُمَتِّع بعمره، وينفع الإسلام والمسلمين به وبعلمه، وأن يُسدِّد خطاه على الحق، ويوفقنا وإياه لما يحب ويرضى، من القول والعمل.

والله تعالى أعلم...

وكتبه

محمد الحمود النجدي

رئيس اللجنة العلمية - جمعية إحياء التراث الإسلامي

فرع ضاحية صباح الناصر

٥/ ١١/ ١٤٣٥هـ-٣١/ ٨/ ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن لله ﷻ سننًا لا تتخلَّف في نُصرَة دينه، ونشر سنة نبيِّه ﵇، بتهيئة علماء ربانيين، يقوم علمهم على الكتاب وصحيح السنة، فيعمل الله ﷻ على غرسهم، فيُرَبِّيهم ويُؤدِّبُهم، ويُعلِّمهم ويُزكِّيهم، ويسلكهم في عقد (العدول) الذين يحملون الدين، وذلك في كل خَلَفٍ، ليكونوا حُجَّة على الناس بالعلم الذي وهبهم الله تعالى إياه، ولتبقى الحجة الرسالية قائمة على خلقه من خلال تقريراتهم المُدعَّمة بالبيِّنات والزُّبُر.

وهذه السنة ماضية لم -ولن- تتخلَّف باختلاف الأمصار، وتعاقب الأعصار؛ وكان من ثمارها المباركة الربانيون من المفسرين والمحدِّثين والفقهاء والأصوليين والنُّحاة، والدعاة والوعاظ.

وممن لمس الخاصة -قبل العامة- نفعُهم وأثرهم المبارك، وقام البرهان العلمي والعملي على ذلك = جهود فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله ورعاه، وعفاه وشفاه- في ميدان الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة من أمره، وَفْق سنن النبيين، والعلماء الراسخين، الناصرين لدين الوحي، المُحذِّرين من التهوُّر والطيش من الحركيين والحزبيين، القائمة أحكامهم ومواقفهم على (العقل) المجرد عن صنيع منهج الأكابر، ممن ألجموه؛ فتأنَّوا، فنالوا ما تمنَّوا.

لم نعرف لأخينا فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني -قوَّاه الله، ونفع به- موقفًا دعويًّا نشازًا، ولا رأيًا فقهيًّا شاذًّا، ولا تعصُّبًا لشيخٍ أو لموقفٍ قائم على عصبية وتهوُّر،

فإن نصر فعن حُجة، وإن ردَّ ونبذ فعن بيِّنة، وإن أحبَّ، أو أبغض فعلى سلطان الشرع، ومهيع الربانيين.

أول ما تعرفتُ إلى فضيلة الأخ أبي إسحاق بعد منتصف الثمانين من القرن العشرين المنصرم، وذلك في رحلةٍ علمية، خصَّها لشيخنا الإمام الألباني -عليه الرحمات المتتابعات إلى يوم القيامة- وزار بمناسبتها جمعًا من طُلَّابه، وكان صاحب السطور ممن نالتهم بركة الزيارة، التي أسأل الله ﷻ أن تكون سببًا لمحبّته ﷻ، ودوام المحبة والصلة بيني وبين فضيلته.

كانت مجالس أبي إسحاق الحويني المُتعدِّدة طافحة بالفوائد العلمية، ولا سيَّما الحديثية منها؛ إذ حوت كثيرًا من المسائل التي كانت تشغل طلبة العلم، ولم تستقر -بعد- الكلمة فيها في كثير من الأمور التي لها آثار خطيرة في الصنعة الحديثية.

نعم، هي موجودة بأصولها في كتب المصطلح، ولكن بعض فروعها اللازم في الحكم على الأسانيد غامض، أو مهمل، أو مُعمّى، أو المبحث فيها يحتاج إلى بسط، لتظهر ثمرته العلمية، وقد تناولها شيخنا الألباني رَحِمَهُ الله بتوسُّعٍ كبير، وإحاطةٍ قيّمة، وفيها (إفاضات) و(إضافات) و(تحقيقات) و(تحليقات)، على وجهٍ تكاد لا تجده في (المُطوَّلات).

والشاهد من إيراد هذا: دِقّة السائل، وتنوُّع أسئلته، وكونها من ممارس، وممن له معرفة ودِرْبَة، وعلم وفهم، وذوق ونقد في هذا العلم.

نعم، تأثَّر أبو إسحاق الحويني بشيخنا، وأشاد به، ونشر مواقف تربوية له، وعلَّق طلبة العلم به، فكان هذا من إنصافه وحُسن أَدبه، وطِيب مَعْدنه.

على الرغم من اللقاءات القليلة بفضيلة الشيخ أبي إسحاق، فإني وجدتُ فيه -والله حسيبه- العالم، الحريص على العطاء والبذل، الغيور على دين الله ﷻ وحرماته، صاحب النظر الواسع البعيد، ورزقه الله فِطنة، وشَغَلَه بمعالي الأمور، وجنَّبه سفاسفها، فلم يُلْقِ

بالًا للمُتكلِّمين فيه، وجميعهم -أو جُلُّهم- عوراتهم ظاهرة للعيان، ولا قوة إلا بالله!

كيف لا يصنع ذلك، وهو على سنن الكبار، وممن أَوْلَى للأخلاق والفضيلة عناية حسنة في دروسه ودعوته، وممن أَلْجمَ لسانه، وجَهدَ في تقويم عمله، فظهرت له محاسن غيره، فكانت نفسه مطمئنة، ومواقفه ثابتة، وأحكامه عادلة.

أبو إسحاق في معتقده وطريقته في الإثبات والاستنباط على منهج السلف الصالح، وله مساجلات ولقاءات ورحلات ومحاضرات ومواقف تؤيد ذلك، بل تناضل عن المنهج السلفي، وعاداه كثير بسبب هذا المنهج، وبعضهم من رؤوس الضلال والفرق المبتدعة، والمقام لا يتسع للإفاضة، والواجب على مُلازِميه وعارفيه بسطُ ذلك وإظهاره، من أجل استفادة الطلبة منه.

هذه أسطرٌ يسيرة في زحمة أعمال، كتبتها على استعجال، من غير إمهال، وأرجو أن لا يكون في كلياتها إهمال، وطلب ذلك مني بعض ذوِيه ومُحبيه، لتنشر في «**بحوث مُهداة لفضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني**»، والله يشهد على حُبِّي له فيه، وأسأل الله ﷻ أن يحشرنا معًا مع النبيين والصديقين والشهداء ممن أنعم عليهم، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الأردن - عمان

في الثالث عشر من ذي القعدة من سنة

ست وثلاثين وأربع مائة وألف من هجرة نبينا ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة حق
في الشيخ المحدث أبي إسحاق الحويني
حفظه الله ورعاه

الحمد لله الذي بعث في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسنَ أثرهم على الناس! وما أسوأ أثر الناس عليهم! ينفون عن دين الله تحريف الغالين وتأويل المبطلين ونزعات الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد؛**

فإنّ حاجة الأمة إلى العلماء الربانيين كحاجة الجسم إلى الماء والطعام وكحاجة الدنيا للشمس، حتى تبقى وتستمر في هذه الحياة، ولن أضيف جديدًا إن تحدثتُ عن فضل العلماء عمومًا وأهل الحديث خصوصًا، ومكانتهم في شريعة الله ﷻ، فذلك أمر معلوم، ونصوص الكتاب والسنة في فضل العلماء كثيرة جدًّا، ولكن أكتفي بذكر آية من القرآن العظيم وحديث من سنة النبي الكريم ﷺ؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في مفتاح دار السعادة: «استشهد ﷻ بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة الملائكة.

والرابع: أنّ في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإنّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ: «**يحمل هذا العلمَ من كل خلف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإنّ العالم ليستغفرُ له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وعلم الحديث من أجلِّ العلوم وأشرفها وأعظمها عند الله تعالى قدرًا، فبه يعرف المراد من كلام الله عز وجل، وبه يطلع العبد على أحوال نبيه ﷺ وشمائله، وأكرِم بعلمٍ النبيُّ ﷺ بدايته، وإليه مستندُه وغايته، وحسب الراوي للحديث شرفًا وفضلًا، وجلالةً ونُبلًا، أن يكون في سلسلة آخِرُها الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولذلك قال بعض أهل العلم: أشدُّ البواعث وأقوى الدَّواعي لي على تحصيل علم الحديث لفظ: (قال رسول الله ﷺ).

فمن تحمَّل الحديث واشتغل بتعلمه وتعليمه، كان له الحظ الأوفر من هذا المدح للعلماء، وكفى بذلك شرفًا للحديث وحملته، بل إن صرف العمر في تعلم الحديث ونشره أفضل من الاشتغال بنوافل القربات، وما ذاك إلا لما فيه من بيان القرآن، وإحياء سنة النبي ﷺ، والتأسي به، ولو لم يحصل لأهله من الفضل إلا كثرة الصلاة على النبي ﷺ التي ورد فيها ما ورد من الفضل الجزيل، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**أولى الناس بي يومَ القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً**» رواه الترمذي وحسَّنه. قال يزيد بن زُريع: «لكل دين

فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد». وقال أبو عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث: «فلولا الإسنادُ وطلبُ هذه الطائفة له وكثرةُ مواظبتهم على حفظه؛ لدرسَ منار الإسلام ولتمكنَ أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتْرًا».

ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «أهلُ الحديث في كل زمان كالصحابة في زمانهم»، وكان يقول: «إذا رأيتُ صاحبَ حديثٍ فكأني رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله عليه السلام».

ولله در القائل:

أهلُ الحديثِ همُ أهلُ النبيِّ وإن   لم يصحبوا نفْسَهُ أنفاسَهُ صحِبوا

فعُلم بذلك شرفُ أهل الحديث، وعلو مكانتهم في الدين، وأن الاشتغال بالحديث من أعظم الطاعات وأجلِّ القربات، فينبغي على المسلم أن يعتني بحديث رسول الله عليه السلام حفظًا وفهمًا، وتعلمًا وتعليمًا، وأن يوقر أهل الحديث ويحبهم ويدافع عنهم، فإن محبتهم من تمام محبة رسول الله عليه السلام.

ومما لا شك فيه أن من أبرز علماء الحديث المعاصرين ممن خدموا حديث رسول الله عليه السلام تدريسًا وتأليفًا ودفاعًا؛ هو محدِّث مصر الشيخ العلامة أبو إسحاق الحويني -حفظه الله ورعاه- الذي أحيا الله تعالى به علم الحديث والإسناد في مصر في وقتنا الحاضر. والذي يُعد كذلك من أبرز مَن تتلمذ وصحب الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- الذي أثنى عليه في مواطن كثيرة منها: قوله -رحمه الله تعالى- في القسم الثالث من الجزء السابع من سلسلة الأحاديث الصحيحة (ص١٦٧٦-١٦٧٧):

هذا، ولقد كان من دواعي تخريج حديث الترجمة بهذا التحقيق الذي رأيته: أن أخانا الفاضل [أبا إسحاق الحويني] سئل في فصله الخاص الذي تنشره له مجلة التوحيد الغراء في كل عدد من أعدادها، فسئل -حفظه الله وزاده علمًا وفضلًا- عن الحديث في العدد

الثالث، ربيع أول ١٤١٩هـ فضعَّفه، وبيَّن ذلك ملتزمًا علم الحديث وما قاله العلماء في رواة إسناده، فأحسنَ في ذلك أحسن البيان، جزاه الله خيرًا، لكنى كنتُ أود وأتمنى أن يتبع ذلك ببيان أن الحديث بأطرافه الثلاثة صحيح حتى لا يتوهمنَّ أحد من قراء فصله أن الحديث ضعيف مطلقًا سندًا ومتنًا.

وفى آخر الشريط رقم ٨٧ من سلسلة الهدى والنور؛ سأل أحد الطلبة الشيخ الألباني: مَن تُوصي به من المعاصرين في علم الحديث من تلاميذكم؟ فقال: فيه عندكم الشيخ مقبل تلاميذنا الشيخ مقبل... وفيه شاب مصري ناشئ في مصر قد زارنا في عمان اسمه الحويني... ثم تكلم الشيخ عن آخرين مثل الأرناؤوط وغيره.

ولقد اتجه الشيخ أبو إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى- كما ذكر هو نفسه، إلى دراسة العلوم الشرعية بعدما وجد بعد الصلاة كتابًا للشيخِ الألبانيِّ -رحمه الله تعالى- حول (كيفية صلاة النبيِّ ﷺ)، وعندما قرأه وجد أن كثيرًا مما يفعله الناس في الصلاة خطأ ويتعارض مع السنة الصحيحة، مما جعله يبدأ رحلته البحثية عن علم الحديث.

ذهب بعد ذلك الشيخ الحويني ليحضر مجالس الشيخ المطيعي -رحمه الله تعالى- في بيت طلبة ماليزيا حيث أخذ عليه شروح كل من: صحيح البخاري، المجموع للإمام النووي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، كما لزم الشيخ المطيعي نحو أربع سنوات حتّى توقفت دروسه بسبب الاعتقالات الجماعية في عهد السادات، مما أدى إلى رحيل الشيخ المطيعي إلى السودان.

ولقد اعتمد الشيخ الحويني على مجهوده الشخصي لتلقي العلم، حيث كان يحضر دروس مجموعة من كبار المشايخ منهم الشيخ العلامة عبد الله بن قعود، والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، **والشيخ العلامة عبد الله بن جبرين رحمهم الله تعالى، وقد التقى به الشيخ في جمع كبير، ألقى الشيخ ابن جبرين محاضرة، ثم تلاه الشيخ، وألقى بعده محاضرة، فأثنى عليه الشيخ ابنُ جبرين ثناءً عاطرًا، حتى استحيى الشيخ من الحضور،**

وهو يسمع هذا الثناء؛ إذ وصفه الشيخ ابن جبرين بـ(مُحَدِّث مصر)، والشيخ سيد سابق -رحمه الله تعالى- الذي تعلم منه أصول الفقه واللغة والقراءات، حتى أصبح واحدًا من أشهر دعاة المنهج السلفي في العالم الإسلامي، ومن أبرز علماء الحديث النبوي الشريف درايةً وروايةً في الوقت الحاضر.

والشيخ أبو إسحاق الحويني من المجتهدين في الدعوة إلى الله ﷻ لإرشاد الناس إلى دين الله رب العالمين، ومن أشد المدافعين عن سنة رسول الله عليه السلام وعن دين الله تعالى، وظهر ذلك جليًّا في سلسلة حلقات برنامج (حرس الحدود)، وقد أصدر الشيخ أبو إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى- العديد من المؤلفات القيمة منها: (تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد)، و(مسامرة الفاذّ بمعنى الحديث الشاذّ)، و(النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة)، و(نبع الأماني في ترجمة الشيخ الألباني)، و(الثمر الداني في الذبّ عن الألباني)، و(تخريج تفسير ابن كثير)، و(تحقيق الديباج شرح صحيح مسلم للسيوطي)، و(بذل الإحسان بتخريج سنن النسائي أبي عبد الرحمن)، و(تحقيق الناسخ والمنسوخ لابن شاهين)، و(سد الحاجة إلى تخريج سنن ابن ماجه)، وغيرها من الإصدارات النافعة.

واتجه الشيخ أبو إسحق الحويني إلى الدعوة إلى الله تعالى ونشر سنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- والذود عنها، عن طريق الفضائيات من خلال دروس على قناة الحكمة الفضائية التي يرأس لجنتها العلمية، وقدم خلالها عددًا من البرامج؛ منها: (زهر الفردوس) و(حرس الحدود) و(أولئك آبائي) و(مدرسة الحياة)، بالإضافة إلى برنامج (فضفضة) على قناة الناس الفضائية، وبرنامج (ساعة وساعة) على قناة الرحمة الفضائية.

وقد كان سلفنا الصالح يعرفون لأهل العلم قدرهم وفضلهم، حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى: «وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه، ويشكر إحسانه إليه، فإنّ من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولا يجحد حقه، ولا ينكر معروفه».

ومن باب الاعتراف بفضل العلماء وشكرهم وبيان مكانتهم، كتبنا هذه الكلمات الموجزة في حق الشيخ المحدث أبي إسحاق الحويني وإن لم أكن أهلًا لذلك، ولكن ردًّا للجميل وامتثالًا لأمر رسول الله ﷺ في توقير علمائنا وبيان فضلهم والدعاء لهم، ونسأله تعالى أن يحفظ الشيخ الحويني، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، اللهم اشفه شفاءً ليس بعده سقما، اللهمّ احرسه بعينيك التي لا تنام،واكفه بركنك الذي لا يرام، واحفظه بعزك الذي لا يُضام، واكلأه في الليل وفي النهار، وارحمه برحمتك، وألبسه ثوب الصحة والعافية يا أرحم الراحمين. وصلِّ اللهمّ على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشيخ الدكتور

أبو مصعب ضياء الدين عبد الله الصالح

كلية الإمام الأعظم الجامعة

عضو المجمع الفقهي العراقي لكبار العلماء للدعوة والإفتاء

عضو مؤسس في مركز الشيخ صبحي السامرائي للحديث النبوي الشريف وعلومه في بغداد

عضو المجلس العلمي المركزي في ديوان الأوقاف

الأحد ١٣ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٢٧ سبتمبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، الغُرِّ الميامين، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فهذه كلماتٌ أقولُها، وأتشرَّفُ بها، عندما أتحدَّثُ عن أخي الحبيب والشيخ الجليل فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني، كما هذه كُنيتُهُ وشهرته ونسبته إلى بلده، وإلا فأنا أعرفه قبل هذه الكُنيَة وتلك الشهرة بالأخ الشريف: حجازي.

الذي التقيْتُ به منذ نعومة أظفاري وأنا طالبٌ في الثانوية الأزهرية، وكان الشيخُ أبو إسحاق قد أتمَّ دراسته في كلية الألسن، وعُيِّن مُعيدًا، ثم لم يُكمِل وراح يعمل إعلاميًّا ولم يُكمِل، وهيَّأ الله له الأسباب ليسلُك سبيل العلم الشرعيِّ وطلب علم الحديث خاصَّة، وقيَّض الله له مَن يُعِينُه على شراء الكتب، وقد رزقه الله ﷻ بذاكرةٍ قويَّةٍ استطاع في فترةٍ وجيزةٍ أن يتلقَّى الكثير من العلم، وأن يقرأ العديد من الكتب، وقد زُرْتُه في غُرفته الصغيرة المتواضعة في منشية ناصر في أوائل الثمانينات الميلادية، ورأيتُ مكتبته، وحرصه على طلب العلم، وإذ ذاك كنتُ مُحِبًّا له ولأهل العلم قاطبةً، والحمد لله على هذه النعمة، وقلت له: يا أخ أبا إسحاق هل تحبُّ أن تكون مثل الشيخ الألباني في علم الحديث؟ قال: بل أرجو أن أكون مثل شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكانت بعدها فكرة بناء المسجد، مسجد ابن تيمية الذي كانت فيه دعوته، واستمرَّت علاقتي بالشيخ أبي إسحاق -والحمد لله- منذ هذه الفترة، وتوطدت ونحن داخل

أسوار السجن سنة ١٩٨١م، حين دخلنا السجن بسبب الأحداث التي مرَّت بها مصر، والتظاهرات التي تمت في مسجد النور ومسجد الشيخ كشك، والاعتقال لعدد من علماء المسلمين، والذين تظاهروا بسبب هذه الاعتقالات، فالتقيتُ مع الشيخ في سجنه في تلك الفترة، وربما كنا نتناوب على التنقُّل في «الزنزانة»، عندي مرَّة وعنده مرَّة، ويحدثني عن بعض ما كتب من رسائل ترتبط بعلم الفقه وعلم الحديث، وكان قد جمعنا شيخٌ حبيبٌ إلى قلْبَيْنا وهو فضيلة الشيخ عبد الحق بن عبد اللطيف من علماء سوهاج، وكان الشيخ أبو إسحاق يُحبُّه ويزوره هناك، ومِن ثَمَّ وُفِّق في أن يرتبط في أمر زواجه الأول، بزوجةٍ من سوهاج، وهذه بلدتي، فكأني من أصهار الشيخ، بحكم أنه صاهر أهل سوهاج.

جزى الله الشيخ أبا إسحاق خير الجزاء، على ما قدَّم لخدمة دين الله، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفي الوقت الذي لم يكن فيه الشيخ أبو إسحاق معروفًا داخل مصر، كنت قد أُعِرْتُ -من الإعارة- إلى موريتانيا حيث بلاد شنقيط، وكان عندي طلَّاب من أهل المغرب والجزائر وشمال أفريقية، وإذا بهم يسألونني عن الشيخ أبي إسحاق، وقد قرأوا كتبه وسمعوا أشرطته وما إلى ذلك، في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه الشيخ، فعلمت أن الشيخ قدَّر الله له القبول في الأرض، وأن الله ﷻ أراد نشر علمه، وما قام به من دورٍ يُتمُّ به جهد السابقين، ومسيرة الأولين، في الذَّبِّ عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يكتف الشيخ أبو إسحاق بأن يكون مُحدِّثًا مُحققًا للأحاديث مُخرِّجًا لها، حتى كانت له صولاته وجولاته في الدعوة إلى الله ﷻ، في الوسائل المختلفة عن طريق المساجد والندوات والمؤتمرات والإعلام والسفر خارج البلاد، فجزاه الله كل خير، عما قدم لخدمة دينه وسنة نبيه عليه السلام.

عرفته بفصاحته ولغته وبلاغته وغيرته على دينه، على الرغم من أنه ليس أزهريًّا؛ لكن العلم بالتعلُّم، فقد تفوَّق على أقرانه، ولقي الحسد من الكثيرين، الذين أرادوا أن يغمطوا

حقَّه لكن الله ﷻ أيده ووفَّقه، حتى كانت تلك الآونة الأخيرة التي ابتُلي فيها بعددٍ من الابتلاءات وبمزيدٍ من الأمراض، وهكذا حكمة الله تعالى في عباده حين قال النبي عليه الصلاة والسلام: أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل.

فالله أسأل أن يعفو عنه، **وأن يطيل** في عمره، وأن يُكلِّل جهوده بالنجاح، وأن يتمَّ مسيرته خدمةً لدين الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

جعله الله ﷻ من المجددين لهذا الدين، والموفقين، وأحسن الله لنا وله الخاتمة، وثبتنا وإياه على الحق، حتى نلقاه ﷻ، وأن يرزقنا بهذه الأخوة والمحبة أن نستظل تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب

الدكتور عمر عبد العزيز قريشي

الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف - ماليزيا

الثلاثاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٢٩ سبتمبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الثَّبتُ الثقةُ الحافظُ، طبيبُ العلل، فارسُ مَيدان الجرح والتَّعديل، الصادقُ الصدوقُ، الجبلُ الأشمُّ، رئيسُ حرس الحدود للإسلام عامَّةً، وللحديث خاصَّةً، مُحدِّثُ الديار المصريَّة، والمُدافع والمُنافح عن سُنَّة خير البريَّة، صاحبُ التصانيف المَرعيَّة، والتحقيقات المَرضيَّة، فضلًا عن أنَّه أصوليٌّ بارع، وخطيبٌ مِسْقَع، ومُحاضرٌ فذ، ومربٍّ نافع بفضل الله تعالى، وصاحب ابتلاءٍ وصبرٍ ورضًا، وتعلُوهُ نُضرةُ الحديث على مُحيَّاه، ولا تكادُ تَبْتَدِأهُ لهيبته، ولكن إذا دنوْتَ منه وجدتَهُ الهاشَّ الباشّ، يُصغي سمعَهُ لك، في تواضعٍ جمٍّ، وأدبٍ رفيع، وإذا بلالئ العلم ودُرَره وفوائده تنهالُ عليك كالغيث، بأسلوبٍ سهلٍ ممتنع.

نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نُزَكِّي على الله أحدًا.

وختامًا..

ما قيمةُ شهادةُ مثلي في مثله، وهو مَن هو؟

إنَّه العلَّامةُ أبو إسحاق الحويني، الشيخ حجازي آل شريف.

حجزَ الله تعالى عنه كل سوء، وشرفني الله تعالى وإيَّاه بصحبة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، في الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا.

وكتبه

أبو بكر بن محمد بن الحنبلي

ميت حديد - منية النصر - محافظة الدقهلية

الأحد ٢١ ذو الحجة الحرام ١٤٣٦هـ

٤ أكتوبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإنَّ الأخ الشيخ أبا إسحاق الحويني من أهل العلم والفضل، ومن الدعاة إلى الله ﷻ، أحسبه ولا أزكِّيه على الله تعالى.

وقد ألَّف مؤلفات قيِّمة نافعة، استفاد منها الناس، وتداولها أهل العلم.

والله أسألُ أن يشفيه، ويبارك في علمه ودعوته.

وبالله تعالى التوفيق.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

الخميس ١ محرم ١٤٣٧هـ

١٥ أكتوبر ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

يشرفني ويسعدني أن أكتب هذه الكلمات الموجزة عن أخي الحبيب فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله وأتم عليه العافية. تلبية مِنِّي لرغبة أبنائه وطلابه الذين سألوني أن أكتب كلماتٍ في دعوة الشيخ الذي عرفته على طريق الدعوة منذ ثلاثين عامًا بفضل الله جل وعلا، حيث كان اللقاء الأول في محافظة السويس العامرة في مسجد «النبي موسى»، وقدَّر الله بعدها أن أزوره مرارًا في محافظة كفر الشيخ بمسجد الجمعية الشرعية العامر المبارك ثم في مسجد ابن تيمية، وأن يزورني بمسجد التوحيد بالمنصورة ومجمع أهل السنة بقريتي دموه.

وقدر الله أن نسافر معًا للدعوة إلى الله جل وعلا في مصر وخارج مصر.

فعرفتُ الشيخ عن قرب، عرفتُ فيه حسنَ الخلق وتقديمَ حسن الظن بالمسلمين والصبر على الأذى، والتواضع فلم أره يرى لنفسه على أحدٍ فضلًا ولا يرى لنفسه عند أحدٍ حقًّا. ورأيته مُحبًّا لإخوانه من دُعاة أهل السنة يفرح بلقائهم بل يقدمهم على نفسه إذا اجتمعوا في أي محفل دعوي.

وأما في مجال الدعوة العملي فمع أن الله -جل وعلا- قد فتح على الشيخ حفظه الله في جانب الحديث الشريف وعلومه فإنه لم يدع مجالًا من مجالات الدعوة وبابًا من أبوابها إلا وتحدث فيه بفضل الله جل وعلا.

وكتبه

أبو أحمد محمد حسان

القاهرة - رمضان ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما بعد؛

فإن الشيخ المفضال أبا إسحاق الحويني -حفظه الله- علمٌ من أعلام الدعوة إلى الله تعالى في هذا العصر، وله جهود مباركة في الدعوة ونشر العلم الشرعي المؤصل، خاصةً في علم الحديث، وقد استفدتُ كثيرًا من كتبه وأبحاثه وأشرطته نفع الله به.

وقد عرفتُ الشيخ عن قرب. وعلاوة على ما تميز به من العلم؛ قد رأيت فيه حسن الخلق، والتواضع، والأدب الجم.

وقدر الله لي أن اشتركتُ معه في حلقة في التلفزيون عن مكانة السنة النبوية، وسعدتُ كثيرًا بذلك اللقاء، ومن تواضعه أنه أبى إلا أن أدخل قبله مع امتناعي، وإنما قبلت طاعةً له.

وكان يتصل بي للسلام والسؤال عن الحال، وهذا أيضًا من تواضعه.

والشيخ -حفظه الله- جمع بين العلم والتصنيف والدعوة والوعظ، وهذه قلما تجتمع في شخص.

وكتبه

عثمان بن محمد الخميس

١٦ ذو الحجة ١٤٣٦هـ-٣٠ سبتمبر ٢٠١٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

سُئِلْتُ عن الشيخ المُحدِّث أبي إسحاق الحُوَيْني المِصْرِي -حفظه الله- فقلتُ: هو غَنِيٌّ عن تزكيتي، ولكني أشرُفُ بذكر بعض فضائله، التي يتأكّدُ إبرازُها خاصةً في هذا العصر، الذي صار فيه المسلمون غرباء في ديارهم، والمُتمسِّك بالسنَّة منهم أشد غُربةً.

حيث تكالب أعداء الأمة علينا من كل جانب؛ يطعنون في الدين، ويشككون في سنة سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ويتلقَّفُون شبهات الروافض الأشرار، فيتطاولون على الصحابة الأخيار وأئمتنا الأبرار.

ولكن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة العظيمة، أن قيَّض لها من أهل العلم مَن يُجدِّدُ لها دينها عبر الزمان، وقد كان أسدُ السُّنَّة والحارسُ لحدودها: المُحدِّثُ الفاضل، الشيخ العلَّامة أبو إسحاق الحويني، من هؤلاء الأبطال المرابطين الذين تصدَّوا لحملات أعداء الدين، حيث حارَب البدع والمحدثات، وأحْيَا السنن المأثورات، سواء عبر خطبه ودروسه ومحاضراته، أو من خلال تآليفه وتحقيقاته، التي انتشرت في بلاد الإسلام ببركة خدمته لسنة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام.

فيكفي هذا الشيخَ فخرًا أنْ حبَّب الناس في سنة النبي المجتبى، وفي صحابته مصابيح الدُّجى.

ومما زاده شُهرةً ورفعةً في هذا المقام تواضعُه وقُرْبُه من العوام، حيث يُوَطِّئُ لهم العبارة، ويُحفِّزُهم بالترغيب والبشارة، مع قوة التأصيل والاستدلال، في بيان أحكام الحرام والحلال.

لذلك نرجو أن يكون العلَّامة الشيخ الحُويني -حفظه الله- من أولئك الذين قال

فيهم رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلمَ من كل خلف عُدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكِّي على الله أحدًا.

وأخيرًا، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يجازيه عن خدمة السنة خير الجزاء، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولا يفوتني أن أدعو لأخينا -العزيز على قلوبنا- أبي إسحاق الحويني بالصحة والعافية، وأن أذكِّرَه بالحديث الذي صحَّحه في تخريجه لكتاب (الأمراض والكفارات) للضياء المقدسي (١١) الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إنْ أحبَّ الله تعالى قومًا ابتلاهم**».

فأقول له: ثبَّتكَ الله، قوَّاكَ الله، طهور إن شاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أخوكم في الله

الشيخ الدكتور مختار الجبالي

تونس

١٣/ ١٢/ ١٤٣٦هـ-٢٧/ ٩/ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في حقِّ الشيخ العلَّامة أبي إسحاق الحُـوَيْني سلَّمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإنَّ الشيخ أبا إسحاق الحويني من الراسخين في علم الحديث، وله تحقيقاتٌ وتخريجاتٌ نافعة، وقد انتفعتُ منها كثيرًا، ونَفَسُه جيِّد في التخريج والاستيعاب.

ومما نشكر للشيخ فضله أنه إمامٌ في الدعوة إلى الله، انتفع منه خلقٌ كبير من العرب والعجم.

وقد أثرى المكتبة الإسلامية بالفوائد والعوائد، وهو سلفيُّ المنهج، أثريٌّ، بعيدٌ عن الفتن، له اهتمامٌ بفقه الواقع.

أسأل الله العظيم أن يُكثر من أمثاله في أمة محمد ﷺ، وأن يبارك في علمه وعمله.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأَجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

د. ماهر ياسين الفحل

عشيَّة السبت ١ ذي الحجة ١٤٣٧هـ

الموافق ٣ سبتمبر ٢٠١٦م

في مدينة غازي عينتاب التركيَّة،

مدينة بدر الدِّين العيني، شارح صحيح البخاري

أرانا الله خيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الشيخ أبا إسحاق الحويني، هو من خيرة علماء الحديث رواية ودراية، وهو محب للسنة، غيور عليها، ومدافع عن صحابة رسول الله ﷺ، ويُعلِّم الناس الخير والسنة، أحسبه كذلك -والله حسيبه- ولا أزكي على الله أحدًا. وجزاه الله خيرًا، وحفظه الله، وأطال الله عمره في طاعة الله وعافيته.

كتبه أخوكم

أبو سعيد بلعيد بن أحمد الجزائري

٢٦ محرم ١٤٣٨ هجرية

٢٧ أكتوبر ٢٠١٦ ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

زُرتُ مصر في ١٩٩٠ للميلاد، وأقمتُ بها عامًا كاملًا، التقيتُ فيها الشيخ الحويني -حفظه الله- وقد كنت أحضر خُطبه بمسجدَيْ عباد الرحمن والجمعية الشرعية بكفر الشيخ، كما حضرت له بعض الدروس العامة في مسجد الرحمة بالجيزة، وكنت قرأت بعض كتبه قبل ذلك في الجزائر، إلا إن خُطبه أثَّرت فيَّ أكثر من دروسه وكتاباته.

كان خطيبًا يعيش بروحه وعقله ووجدانه وجوارحه كل كلمة ينطق بها على المنبر، تشعر بأنه عالم مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام وأهله.

وقد لاحظت أن الشيخ الحويني، بخلاف كثيرٍ من المشتغلين بالحديث، رجل مُثقَّف بثقافة عصره، مُطَّلع على أحوال المسلمين وهمومهم، وبرز ذلك بشكلٍ كبير -حينها- في مواقفه وتحليلاته العميقة الواعية لحادث دخول العراق إلى الكويت، والحرب التي تلت ذلك.

ومما رأيته فيه: الإنصاف وعدم التعصُّب، فقد ذكرت له مرَّةً أنني أحضر في القاهرة دروس الشيخ أسامة عبد العظيم، ومع أن هذا الأخير كان يُخالِف في أمورٍ كثيرة منهج الشيخ الحويني؛ فإنه شجَّعني على حضور تلك الدروس والاستفادة منها.

ووجدتُ في الشيخ حرصًا شديدًا على اغتنام الوقت وعدم تضييعه، فقد حدَّثني أنه كان ينتقل بين الإسكندرية والقاهرة مع الشيخ محمد إسماعيل المقدّم بسيارته، فيغتنمان مسافة الطريق لتدارس كتاب المغني لابن قدامة، كان يُقدِّم الفوائد الحديثية، والشيخ المقدّم يُتْحفه بالفوائد الفقهيَّة، حتى أكملا المجلد الأول منه في الطريق.

قبل مغادرتي مصر استقبلني في بيته وسهرنا إلى قُبَيْل الفجر، كلَّمني عن أسلوبه في

قراءة الكتب، وطريقته في تدوين الملاحظات في آخر كل كتاب، وتحدَّثنا عن بعض الكتب الهزيلة التي غزت السوق، وأبدى أسفه على ذلك، وقال لي: إن التأليف صار «أكل عيش» عند كثيرين.

استنصحته في السفر إلى الأردن، فنصحني بالبقاء في مصر، وأعلمني أنه سيفتح لي مكتبته من الصباح إلى المساء، وكان ذلك من تواضعه وحُبِّه لطلبة العلم وخدمتهم، لم أعمل بنصيحته فسافرتُ إلى الأردن، فتخلَّيْتُ هناك عن الدِّراسة الشرعية؛ لكن ليس بعيدًا عنها، حيث تحوَّلتُ إلى الإعلام الإسلامي والتربية الإسلامية، والدراسة النقدية للكتاب المقدَّس، برؤية توافق منهج السلف الصالح، كما غرسه فينا الشيخ الحويني وأمثاله من العلماء والدعاة، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

الدكتور: يزيد حمزاوي

الجزائر في: ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٧هـ

الموافق ١ سبتمبر ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ أبو إسحاق الحويني عالمٌ من العلماء العاملين، ومُحدِّثٌ ممن أحيَوا السُّنَّة وعلوم الحديث في هذا العصر، تدريسًا وتأليفًا، وداعيةٌ له أثرٌ كبيرٌ على الأمة في مصر وخارجها، حيث قدَّر الله تعالى لكتبه وخطبه ودروسه الانتشارَ في الآفاق، فاستفاد منها خلقٌ عظيمٌ، وله كلماتٌ تنمُّ عن ذكاءٍ حادٍّ وذهنٍ وقَّادٍ، ومواقف تدلُّ على نفاد البصيرة وصدق السريرة، دخلت مؤلفاته الأولى ودروسه المسجَّلة إلى الجزائر قبل أكثر من ستٍّ وعشرين سنةً، فرأينا إقبال الناس عليها من العامَّة والطَّلبة، وأثرها الكبير فيهم، ولا زالت أخبار الشيخ ترِدُ إلينا، فما عَلِمنا عنه إلا الخير والنصح للأُمَّة، والحكمة في الدعوة، والصبر على الأذى، ولزوم السنة، وتعظيم أهلها، والدعوة إليها، بل أثبتت الأيام رسوخ قدمه في فهم منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة والتغيير، فقد مرَّت الأُمَّة بفتنٍ عزَّ من عُصم من التلوُّث بها، والشيخ نحسبه من هؤلاء الذين ثبتوا على الطريق، فطهَّر لِسانَه وصان قلَمَه عن الخوض فيها، نحسبه كذلك ولا نُزكِّي على الله أحدًا.

قلنا هذا بعدما الْتُمِس منَّا أن نقول فيه كلمة، فسطَّرناها واعتبرناها شهادةً لا بدَّ من أدائها لا تزكيةً له، والشيخ غنيٌّ عن تزكية أمثالي ممن هم دونه في العلم والسن.

نسألُ الله تعالى أن يَمُدَّ في عُمُره وينفع به، ونسأل الله لنا وله الثبات على الحق والدعوة إليه.

الدكتور: محمد حاج عيسى
الأستاذ المحاضر بجامعة تلمسان
الجزائر العاصمة: في ٢٩ ذي القعدة ١٤٣٧هـ
الموافق للفاتح من سبتمبر ٢٠١٦م

كلمةُ حقٍّ من صغيرٍ في كبيرٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ووفده.

وبعد؛

فقد أَلَحَّ عليَّ بعضُ إخواننا في كتابة كلمة بخصوص الشيخ المفضال أبي إسحاق الحويني، واعتذرتُ بأنَّ الصغير لا تصل منزلته حتى يتكلَّم في الكبير، فأَبَى صاحِبُنا إلا ذلك، فمن باب قول النبي ﷺ: «**ليس منا مَن لم يُجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقَّه**»، كتبتُ هذه الكلمات:

الشيخُ الحويني أبو إسحاق من علماء الأمة المخلصين، ودعاتها العاملين الذين عمَّ نفعُهم وانتشر علمُهم وخيرهم، في بلادنا الجزائر خاصَّةً، حيث انتفع شبابنا وشيبنا به من سنواتٍ عديدة، بل كان الشيخ سبب الالتزام عند كثيرٍ من الناس بتوفيق الله تعالى، أو في العالم العربي والإسلامي عامَّةً، فكتبه النافعة ومحاضراته القيمة، وتمسُّكه الظاهر بالسنة، وعدله وإنصافه وخلقه المتميز، وحُرْقته على أمته خير دليل على ذلك.

ومثل هذا العَلَم ليس بمثلي يَشرُف؛ وإنما أنا مَن يَشرُف بذكر شيء من مناقبه مما لمسنا من خير ونفع أجراه الله بسببه عليَّ خاصةً، وعلى الأمة عامَّة.

ويكفي شيخنا الحويني شرفًا أنْ ذكره عَلَمُ الأمَّة وفقيهها ومُحدِّثها الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في مواضع من كتابه «الصحيحة»، ومنها على سبيل المثال قوله في (٢/ ٧٢٠-٧٢١): «... فعسى أن يقوم بذلك بعض إخواننا الأقوياء في هذا العلم كالأخ علي الحلبي، وسمير الزهيري، وأبي إسحاق الحويني، ونحوهم جزاهم الله خيرًا».

وكتبه

أ. د: عبد الكريم بو غزالة

أستاذ بجامعة الوادي - الجزائر

في الوادي: ١ ذي الحجة ١٤٣٧هـ-٣/ ٩/ ٢٠١٦م

ما «حُوَيْنُ» لَوْلا «الحُوَيْنِيُّ»؟

أحمد الله الرّحمن «من عرّف من حُلى الأمصار، وعُلى الأعيان، على تداول الأعصار وتطاول الأحيان، ما فيه ذكرى لأولي الأبصار، وإرشادٌ إلى معرفة الدّيّان... خَلَقَ وبَرَا... قسم العباد إلى خامل وقاصر وكامل، تشير إليه بالأنامل أيدي الكُبَرا...».

والصّلاة والسّلام على خير المرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعدُ:

ونحن صغار شَببة حَزَاوِرة(١) في الجزائر -حرسها الله- وما إخال قطرًا من بلاد الإسلام إلّا وزهر شبابها على ذلك؛ نتابع أخبار المؤلِّفين والمؤلَّفات، ونتسابق للوقوف على أخبار «أعلام» في الحاضر قد برّزوا وذاع صيتهم، ونتطلع إلى معرفة آخرين يُدّخرون لمستقبل الأمّة؛ نمى إلى مسامعنا، وتردّد في مجالسنا اسمٌ بدأ يتألّق في «سماء العلم» وبين «نجوم الحديث» ينسب إلى مكان يقال له: «حوين» بـ«كفر الشيخ» بـ«أرض الكنانة» مصر -حرسها الله-!!

قلت يومًا: «لكنْ ما حُوَيْنُ»؟!

ما وجدتُ بعدَ لأْيٍ من باحث قاصر في معاجم البلدان لها ذكرًا، ترحّمت عندها على المقريّ التلمسانيّ القائل في مقدّمة «نفح الطّيب»: «أَحْمَدُ مَن عرّف من حُلَى الأمصار، وعُلَى الأعيان على تداول الأعصار، وتطاول الأحيان ما فيه ذكرى لأولي الأبصار، وإرشادٌ إلى معرفة الدّيّان...».

رحم الله المقريّ مرّة أُخرى، فما «مقرة» لولا أبو العبّاس المقريّ وأجداده؟ وأمّا اليوم فهي كما قال النّابغة الذُّبياني:

أَخْنَـى عَلَيْهَـا الَّـذِي أَخْنَـى عَلَـى لُبَـدِ

ثم -رحم الله- من قال: «وما عِلْمُنَا بـ«طحا» لولا أبو جعفر الطحاويّ؟! وما عِلْمنَا

---

(١) جمع حَزَوَّر، وهو الغلام الذي شبَّ وقوي.

بـ«جوين» لولا أبو المعالي الجوينيّ»؟!

أسأل الله أن يرحمني إنْ قلت: «ما حوينُ لولا أبو إسحاق الحوينيّ»؟!

فله الحمد سبحانه، فقد عرّف الأمصار بالأعيان، وجعل كثيرًا من عُلَى الأعيان حُلى لكثير من الأمصار الكبار، فكيف بـ«القرى» و«النُّجوع» و«الأكفار»؟

رحمني الله وإيّاك، «ما حوين لولا أبو إسحاق الحوينيّ»؟ فالأمصار كالأعيان، منها المعروف المشهور، ومنها المجهول المغمور.

عوْدٌ...

توالت علينا بعد ذاك أخباره ومؤلّفاته وتحقيقاته، وكُنّا نسمع بعض ما يصلنا من دروسه ومحاضراته، وكان تاجُ المسموع ودرّته لقاء رحلته للعلّامة المحدّث ناصر الدّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد رفعته عليًّا.

عرفنا في كل ذلك من وراء الحروف وخلف نبرات الأصوات صدقه وتثبّته، وعذب منطقه، وحرصه على التّعليم وتسهيل علم الحديث للنّاس، وحبّه للسّنّة، وتفانيه في الدّعوة إلى هدي السَّلف، وغضبه لمحارم الله وغيرته على الدّين، وبُعده عن الإحداث فيه، أحببناه في جلال الله كما نحبّ أهل العلم، واشتقنا لرؤياه كما نشتاق لرؤية أهل الفضل.

وقد قالت العرب: «والأذن تعشق قبل العين أحيانًا»، وهذا من الأحيان.

ويسّر الله وسافرتُ إلى مصر للدراسة في إبّان شهرته ونبوغه.

أوّل لقاء -أكرمني الله به- الشّيخ -أطال الله عمره- كان في سرٍّ[1] بسرٍّ[2] في سرٍّ[3]، كان لقاءً عند الشّيخ المفضال «مَجْدِي عَرَفَات» بمنزله المصون في «ميت غمر» في أُخريات القرن الماضي (أغسطس -أوت ١٩٩٨- على ما أذكر).

---

(١) السِّرُّ من الأرض أطيبها.

(٢) السِّرُّ من الناس أفضلهم وأكرمهم.

(٣) السِّرُّ من الأزمنة آخرها.

نَزَلْنَا عَلَى حيٍّ كثيرِ الأفاضلِ ... وما هو إلّا من كرامِ الأوائلِ
تضمّنَ أقوامًا كرامًا أعزّةً ... وما فيه إلّا فاضلٌ وابنُ فاضلِ

أَنْعِم به من لقاء ومنزل.

فانْزِل بساحتهم ولا تبرحْ بها ... فلقد نزلتَ بساحةِ الكرماءِ

دار فيه بين الحضور حديث عن بعض قضايا العلم والدعوة والآداب، وكان فيه عَوْجٌ على الواقع وعلى المجد التّليد، وكذلك كان شأن شيخنا وجلسائه، وشعارهم:

حفظَ الزّمانُ لهم مآثرَ لم تزلْ ... تحلو معَ الإنشادِ والإنشاءِ
والعلمُ والمجدُ التّليدُ شعارُهم ... والبذلُ فِي السّراءِ والضّراءِ

انصرم المجلس وليته ما انصرم، وصحبتُ الشيخ يومها بسيارته من «ميت غمر» إلى «دسوق». وكان بعدُ -على ما أذكر- لقاءان؛ أحدهما في كفر الشّيخ، وآخر في منية سمنّود عند أخينا الشّيخ الفاضل مصطفى العدويّ، ولكنّهما لم يطولا كالأوّل، وحضرت خلال إقامتي بمصر كثيرًا من دروسه بمسجده وغيره.

لقد صار العيان لما كنتُ أعرفه من وراء الحروف بياني، ولما أعرفه من خلف نبرات الأصوات ترجماني، وصادقَ الخُبْر الخَبَر، طلعة بهيّة على محيّا ذي الطّلعة ثغر باسم على قسماته نضرة أهل الحديث.

عَلَى وجهِه نورُ الجمالِ يزينُه ... طلاقةُ بِشرٍ فوقَه يستفيدُها

ورأيت خلال ذلك خلالًا وخصالًا، يشدّني منها اثنان؛ أحدهما: راجع إلى الحروف، والآخر للأصوات، وأعجب ما بين الحروف والأصوات أَسْرُ القلوب بجوامع السَّداد والصَّبر والجلد، وأَسْرُها بالتّواضع والفكاهة والجدّ، يُقال فيه وهو بين الطُّروس[1] والدُّروس:

دنوتَ تواضعًا وعلوتَ مجدًا ... فَشأْنَاك انخفاضٌ وارتفاعُ
كذاك الشّمسُ تبعدُ أنْ تُسامى ... ويدنو الضّوءُ منها والشّعاعُ

(١) جمع طِرس، وهي الصّحيفة إذا كُتِبَت.

أمّا الأوّل: فما تراه من صبرٍ وجدٍّ وتثبتٍ وتحرٍّ وتقصٍّ يصحبه شَغَفٌ للوصول إلى الحقيقة مقاربةً أو سدَادًا بأمانة وفق مسلك علمي حديثي لا شطط فيه.

وذلك بارزٌ في مؤلّفاته وتخريجاته، وعلى رأسها ما تراه في إنسان عينه ومشروع عمره «بذل الإحسان»... ترى فيه -وفي غيره من مؤلفاته- إحسانَ بَذْلٍ وصبر على البحث والنّظر والتّنقيب.

وأُشْهِدُ الله -أنّني كنتُ إذا ذهبت إلى مكتبة «المُصْطَفَى» بالدمرداش- القاهرة، للبحث والمطالعة تحدّثني جدرانها ورفوفها بصبر وجلد من كان يبحث ويطالع فيها، وتمر على مخيلتي صور بعض المشايخ كان منهم شيخُنا، فقد حدّث عن نفسه أنه كان ممن يرتادها للبحث والتخريج.

وأمّا الثاني: فهو السُّهولة والدّعابة والفكاهة دون خفة أو نزق، دعابة بلمسة قاهرية وطبوع ريفية، بنوادر مبهجة تنم عن روح بعيدة عن طبع التجهم، لم تفقده يومًا هيبته، وأجمل ما فيها تأثيره في سامعيه، فتراه يربط المسلم فيها بدينه وتراثه، ويحببه بسلفه، فكم من شاب حبّبه في علم الحديث، وسهل له ولوج علم الفحول بتلك النّوادر والفكاهة.

اسمع إن شئت شرحه لحديث «أم زرع»، وحديث «الأقرع والأعمى» وغيره كثيرٌ.

حُلْوُ الفكاهةِ والقريضِ مهذّبٌ ... أقلامُه عسّالةٌ وعواسلُ
لو كان ماءُ النّيل مرًّا آجنًا ... حلّته أنفاسٌ له وشمائلُ

ومن لطيف ما انقدح في الذهن الكليل تحسينًا للقبيح على سَنن واصطلاح أهل البلاغة، لمّا تذكّرت مصابه بالسُّكريّ -شفاه الله وأذهب عنه كلَّ سقم ووقاه كلَّ سوء- أن قلتُ:

وَمَا حَدَثُ اضْطِرَابِ السُّكَرِيِّ ... يُكَدِّرُ صَفْوَ بَحْرٍ بالعُضَالِ
ولَكِنْ حُلْوُ منطِقِ شَيْخِنا فِي ... مَجالِسِه غَدَا طَرَبَ الطِّحالِ!

هذا، وقد بلغنا عن حال الشيخ الفاضل الصحيّة ما بلغنا، وأَبْلَغُه مصابه المعلوم

و«**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل...**».

لَيت شعري مَنْ عرف مصابه قال: لقد صدَق كُشَاجِم الشاعر إذْ قال:

مَـا كَانَ أَحْـوَجَ ذَا الْكَمَـالِ إِلَـى عَيْـبٍ يُوَقِّيـه مِـنَ الْعَيْـنِ

فما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله.

ونحن ببلادنا، ولكنْ:

وفواصـلُ الأوطـانِ غيـرُ مضـرّة إنْ لـم يكـن بيـن القلـوبِ فواصِـلُ

فما زلنا على ما كنّا عليه قبل عشرين حَوْلًا نردّد وفاءً:

بِتْنـا نتـوقُ إلـى مصـرٍ لرؤيتـه ونرصـدُ الرِّيـحَ هـل تأتـي لنـا بِنبَـا؟!

وإذْ تغيَّر كثير من أوضاع الكنانة، فلا علينا من عُتْبٍ أنْ نتعلَّل بقول من قال:

مَـنْ ليـس يقـدرُ فـي وصـل الأحبّـة أنْ يسـتخدمَ الخيـلَ فليسـتخدم الكُتُبَـا

وذا كتابٌ يفصح عن حبّ ووداد ووفاء، ختامه عروسٌ تُهدى -شيخَنا- إليك، تستحي منك هيبة لك، من المغرب الأوسط -الجزائر- وليست بالوَسَط[1]، مستغنيًا ببحرها الطّويل عن التّطويل، وأنت أهلٌ لكلِّ جميل:

تَطِيبُ لَنَا الذِّكْرَى بِذِكْرِ الْأَفَاضِلِ وَتَفْرَحُ يَا قَلْبِي بِفَخْرِ المَفَاخِرِ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ لِكِلْمَاتِ مَادِحٍ يَنُوءُ بِهَا حِبٌّ[2] لِنَشْرِ الْمآثِرِ

سَلَامٌ أَبَا إِسْحَاقَ ثُمَّ الدُّعَاءُ مِنْ لَهَامِيمِ[3] عُرْبٍ، أَهْلِ أَرْضِ الْجَزَائِرِ

سَلَامٌ عَلَى بَدْرٍ؛ «حُوَيْنٌ» بِهِ سَمَتْ شُمُوخًا، وَفَاحَتْ مِنْ أَحَادِيثِ عَاطِرِ

سَلِيلُ بَقَايَا مِنْ فُحُولٍ شِعَارُهُمْ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ زُهْرِ الْمَحَاضِرِ

فَتَى عَسْقَلَانٍ قَرَّ عَيْنًا فَدُونَكُمْ وَرِيثُ أَبِي شِبْلٍ يَصِي[4] آلَ شَاكِرِ

---

(١) الوسط من كل شيء أعدله، أو أخيَره، والمراد الثاني.

(٢) الحِبُّ هنا المُحِبُّ والمَحْبُوب.

(٣) جمع لُهموم، وهمُ السّابقون من النّاس.

(٤) يصي معناه «يصل».

سَنَى كَوْكَبٍ مِنْ كَفْرِ شَيْخٍ بَدَا لَنَا ... يَرَاهُ سُعُودًا شَيْخُ كَفْرٍ لِغَابِرِ[1]
وَمَا بَصُرَتْ عَيْنَايَ غَيْرَ مُحَدِّثٍ ... يَرَى سُنَّةَ الْهَادِي نَفِيسَ الذَّخَائِرِ
رَعَى اللهُ نَاسًا فِي كِنَانٍ مُبَارَكٍ ... مَنَارَاتُ عِلْمٍ أَنْجُمٌ لِلْبَصَائِرِ

وكتب -حامدًا مصلِّيًا- محبُّكم في الله:

عبدُ السلام عمر علي هزيل الجزائريُّ

-عفا الله عنه وعن آله-

الجزائر الثلاثاء ٤ ذو الحجة ١٤٣٧

٢٠١٦/٩/٦

---

(١) من الأضداد، وهو هنا بمعنى الباقي من الزّمن لا ما مضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

سرَّني جدًّا أن طلب مني بعض الأفاضل كلمة في شيخنا العالم النحرير، صاحب التآليف النافعة، التي طبَّقت الآفاق، الأستاذ العلَّامة المُحدِّث أبي إسحاق الحويني، صاحب الأيادي البيضاء في الأمة، وذلك لما له في القلوب من المقام الرفيع والرتبة العليا، تبوَّأ ذلك كله عن جدارة واستحقاق، ولصلته الخاصة بطلبة العلم الجزائريين، فقد كانت له عناية مميزة بهم.

أشرطته النافعة التي حوَت علمًا جمًّا وتوجيهًا سديدًا وإرشادًا منيرًا، لقيَت قبولًا عامًّا لدى العامة والخاصة، وسجَّلت أرقامًا قياسية مذهلة في الانتشار.

إن كنتُ أنسى فلن أنسى ما دمتُ حيًّا تلك المجالس التي حظينا بها في رحاب المسجد الحرام -أفضل بقعة على وجه الأرض- بين يدي الشيخ الهمام حسنة الأيام، في مناسبات الحج والعمرة، فقد كنتُ أجمع له نخبة من طلبة العلم الجزائريين؛ فيقبلون على مجلسه مبتهجين تعلوهم الغبطة، وتحفزهم شهرة الشيخ العلمية، فيفتح لهم باب الأسئلة والاستفسار والمباحثة والاسترشاد والاستنصاح؛ إذ كانت الحاجة ماسة -ولا تزال- إلى مثله من العلماء الأفذاذ الصادقين الناصحين الأمَّارين بالمعروف الناهين عن المنكر، لا سيما في زمن تلك الفتن المدلهمة التي ضربت الجزائر الحبيبة في تلك الفترة الحساسة، فكانت توجيهاته الرشيدة، النابعة من عقله الكبير وعلمه الغزير وحكمته الرصينة ومعرفته بانشغالات الشباب، كانت منارًا استضاء به شباب الدعوة من أهل السنة في الجزائر، اهتدوا به في الطرق المظلمة إلى النور، وتجنبوا الطرق الملتوية إلى السبيل القويم.

كما منح طلبة العلم منهم مفاتيح المسائل العلمية المغلقة في شتى الفنون والعلوم لا

سيما في ميدانه الذي لا يشق له فيه غبار؛ علم الحديث.

كما أنه لسخائه العلمي وبذله الدعوي، أبدى الاستعداد الكامل لزيارة الجزائر، وإلقاء المحاضرات والدروس، والدورات العلمية، مما أدخل الفرحة على عموم الطلبة، بيْد أن ذلك تعذَّر ولم يتيسر للأسف؛ لكن إشاعة مجيئه إلى الجزائر جمعت غير ما مرة الجموع الغفيرة من مختلف الشرائح، احتشدت لسماع الشيخ في مساجد الأحياء التي شاع عنها أنها ستحتضن دروس الشيخ حفظه الله وأمدَّ في عمره ونفع به.

الأستاذ المدرِّس/ محمد بن عامر الجزائري

الجزائر - العاصمة

الأربعاء ٥ من ذي الحجَّة ١٤٣٧هـ

الموافق ٧ من سبتمبر ٢٠١٦م

شُكرًا شيخنا أبا إِسحاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد وآله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد؛

لا أَخُطُّ هذه الكلمات تزكيةً لشيخنا العلَّامة المُحدِّث أبي إسحاق، فمثله في جلالة علمه، وعلو مكانته، واستفاضة عدالته، وسموّ منزلته في العلم، والدعوة إلى الله، لا يحتاج إلى تزكية مثلي، ولا أكتب ما أكتب مدحًا وثناءً على هذا العَلَم، فمثله غنيٌّ عن المدح، زاهدٌ فيه، مُعرِضٌ عن الثناء، لا يلتفتُ إليه، وإنما أرْقُمُ هذه الكلمات -عَلِم اللهُ- من باب «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»، فأقولُ:

شكرًا شيخنا الحبيب أبا إسحاق، فقد علَّمتَنا -ونحن شبيبةٌ صغارٌ- حُبَّ الحديث النبوي، والجلَد في البحث، وطول النفس في التحقيق، وإن نسيتُ فلا أنسى -قبل عقدين من الزمن أو يزيد- يوم قرأت كتابكم «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن»، الذي أحسنتم فيه أيّما إحسان، فرأيتُ فيه من التحقيق والتدقيق ما لم أره في كثيرٍ من الشروح، فشحذتَ فينا الهمَّة على سلوك هذا الطريق الوعْر الذي قلَّ سالكوه، وتوالت الأيام وأنا أتابع ما يصدره شيخنا من تآليف وتحقيقات، والتي كانت نبراسًا لطالب العلم الجاد يستضيء به، ومعلِّمًا يستهدي به، ومنارًا يسترشد به.

وعرفتك شيخنا الجليل من خلال أشرطتكم الدعوية والعلمية، في دروسكم ومحاضراتكم وخطبكم، والتي تتدفَّق غَيْرَةً على الإسلام، وذبًّا عن حياضه، ونشرًا لسنة المصطفى ﷺ، ودعوةً إليها، ودفاعًا عنها، فكانت لنا -حينها- نعم العون على فهم الإسلام الصحيح، والتمسك به والدعوة إليه، فتعلَّمنا منك الصبر في الدعوة والصدق فيها واحتمال الأذى من القريب والبعيد.

شكرًا شيخنا أبا إسحاق فقد علَّمتنا -ونحن كبارٌ- كيف يكون العالم الرباني، في صبره وحلمه وتأنّيه، فلا ينزلق مع العواطف، ولا ينساق مع الأهواء، ولا يجبُن عند اللقاء، فجنبتم كثيرًا من الشباب الفتن العمياء، والولوغ في الدماء، وانتقاص الدعاة والعلماء.

وأخيرًا، شكرًا شيخنا أبا إسحاق، فقد علَّمتنا كيف يعيش العالم لأمته، ويتفانى في خدمة دينه وعقيدته، بالرغم من وهن الصحة وتوالي الأسقام، وتكالب الأعداء، وجفاء الأصدقاء، وتنكُّر الأخلَّاء، فشكرًا شكرًا، وجزاكم الله خير ما يجزي عالمًا عن أمته، ورزقكم الصحَّة والعافية، ورفع درجتكم في عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وكتب
أ. د. أبو بكر بن الطيب كافي
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسطنطينية - الجزائر
يوم الجمعة ٨ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ
٩ من سبتمبر ٢٠١٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة صادقة

عن فضيلة الشيخ العلامة

المُحدِّث أبي إسحاق الحويني

الحمد لله رب العالمين، وبه ثقتي وأستعين، وصلِّ اللهم وسلِّم على النبي الأسعد الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛

فإني عرفتُ الشيخَ العلَّامة أبا إسحاق الحويني منذ زمنٍ طويلٍ وإنْ لم أَلْقَه، وكان أوّل معرفتي له -حفظه الله- عن طريق الشريط -«كاسيت»- وكان وقتها -وما زال- منبعًا للمعرفة، وصاحبَ علمٍ أصيلٍ، وقائمًا بالسنة أحسن قيام، وقُدوَة طُلَّاب العلم ومُرشدَ الناس.

أُوتيَ معرفةً دقيقةً بالحديث وعلومه، صاحب فقهٍ ونظرٍ مُتَّزِنٍ، حباهُ الله فصاحةَ اللسان، وحُجَةَ في البيان، وهو ممن تقوم بهم الحُجَّة في هذا الزمان، مع هَيْبَةٍ وخشيةٍ، هذه الخشيَةُ التي يفتقدها كثيرٌ من العلماء اليوم، وأحسب أن مَن رآه وسمعه أحبَّهُ إلا مَن أُشْرِبَ قلبه بشيءٍ من مُلوِّثات البدع، أو مَن أعماه الهوَى والحسد.

«أبو إسحاق الحويني» عالمٌ من علماء أهل السنة والجماعة الذين عزَّ نظيرهم في هذا الزمان، وهو قائمٌ على ثغرةٍ عظيمةٍ في هذه الأمة قلَّ مَن يقدر على سدِّها، وإننا حينما نتحدّث عنه، لا نريد مجرد رفع ذكره من أجله -وهو لا يحب منا ذلك- بل إنّ رَفْع ذكر أئمة السنة إنما هو رفْعٌ لمقام الهداية وتفعيلٌ للقدوة؛ لأن به يهتدي الناس، ويؤوب المذنب، فهذه رسالة شرعية عظيمة، ولا يجوز إخماد ذكر مثل هؤلاء الأئمة؛ لأن في ذلك صرفًا للهداية، وقطعًا للقدوة، قال العلَّامة ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورَفْعُ الذكر لمن يُقتدَى به محبوبٌ شرعًا لما يحصل في ذلك من الأجر بسبب الاقتداء به، وأما مَن لا يُقتدى به فالخمول أوْلَى

به... وقال العزُّ بن عبد السلام: ينبغي لمن يقتدى به أن يجري على هيئة صنفه وعادتهم، وقد كنت عند تجرُّدي من المخيط للحجِّ لا يعرفني أحد ولا يسألني، حتى رجعتُ إلى هيئتي المعتادة، فرجع الناس يسألونني»[١].

من هنا نُدرِك ضرر التجريح لأئمة أهل السنة الثقات، وخطر الانتقاص من مقامهم، ماذا يمكن أن يُحدث من قطع الهداية على أهل الضلال، وأصحاب الذنوب والأخطاء، وماذا يحصل بعد ذلك من فسادٍ من تمكين أهل الزيغ والانحراف من اعتلاء منزلة الدعوة والتعليم؟!

إنَّ رفع ذكر العلَّامة الحويني ليس لذاته، بل لما حباه الله من علم صحيح، وعقيدة صحيحة، وفكر نظيف، مع الخُلُق الجم، والصدق في المنطق، والإخلاص في المخبر.

أحسبه كذلك، ولا أُزكِّي على الله أحدًا.

أسألُ الله أن يطيل في عُمُر الشيخ العلّامة المحدِّث الحويني وينفع به، وأن يقهر به أهل البدع والزيغ، وينصره على أهل الظلم والشنآن.

هذه شهادةٌ أؤديها لله، ولا أُزكِّي عليه أحدًا، وأسأله أن يتقبَّل منا، ويحفظ الشيخَ المُحدِّث أبا إسحاق الحويني، وأن يمدَّه بالصحة والعافية والستر، وأن يمنَ عليه بالرضا والقبول.

أ. د. حميد قوفي
أستاذ الحديث وعلومه
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسطنطينية - الجزائر
الأحد يوم عرفة ٩ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ
١١ من سبتمبر ٢٠١٦م

---

(١) ينظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي (٣/ ٦٣٣). منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فقد سألني بعضُ الأفاضل كلمةً وشهادة في حقّ العالم الكبير، أبي إسحاق الحويني، فقلتُ في نفسي: الرجل يُسأل عنّا، ولا نُسأل عنه.

لكننا في زمان كثرت فيه الفتن، وانقلبت فيه الموازين، فنَطَقَ فيه الرُّوَيبِضَةُ(١)، وتصدر فيه حُدثاء الأسنان، وأُعجب فيه كُلُّ ذي رأيٍ برأيه، فكان لا بد من القول والبيان، إحقاقًا للحق، وإلجامًا للطَّغام، وإقامة للحجة، فأقول:

الشيخ أبو إسحاق الحويني -حجازي بن محمد شريف-، هو العلّامة المحدّث، العالم السُّنيّ، الخطيب الأديب، الداعية الصَّبور.

أحْيَا الله تعالى به السنة النبوية بعد إمام السنة في هذا العصر العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، ورزقه موهبةً وملكةً قَلَّ نظيرها في هذا الزمان، وبخاصة في الشرح الحديثي، وبيان الهدي النبوي، درسًا وتعليمًا.

عرفتُه منذ نحو ربع قرن، وعرفه عامّةُ طلبة العلم، من خلال أشرطته، ودروسه، وخطبه، ومحاضراته، وكتبه... عرفناه بوضوح دعوته إلى المنهج السلفي، منهج أهل السنة والجماعة، منهج أهل الحديث، داعيًا إلى عقيدة التوحيد، مُجرِّدًا جهودَه في سبيل إحياء منهج الاتباع، منافحًا عن السنة النبوية وأهلها وعلومهم ومصادرهم، محذّرًا من شرور الإحداث في الدين والابتداع فيه، حريصًا على ربط الأمة -وبخاصة شبابها- بسلفها، حتى تنهل من علمهم وهديهم وآدابهم... ومنه وعنه، حفَّظنا قولَ الشاعر:

---

(١) هو «الرجل التافه، يتكلم في شؤون العامة»، كما صح عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فتشَبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم إنَّ التشبُّهَ بالكرام فلاحُ[1]

فهو ممن استفاضت عدالته، واشتهرت إمامته في السنة وعلومها خاصة، وعمّت دروسُه وخطبه ومحاضراته البلدان، وبلغت الآفاق، فاستفاد منها المخالف قبل الموافق، فصدق فيه وفي أمثاله قولُ الحافظ الكبير أبي يوسف عمر بن عبد البر الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما مثلُ من تكلّم في مالك وفي الشافعي ونظائرهما، إلا كما قال الحسن بن حُميد:

يا ناطحَ الجبلِ العالي لِيَكْلِمه أَشفِقْ على الرأسِ لا تُشفقْ على الجبل»

ولقد مرّتْ على الأمة أزماتٌ وفتن، لزم فيها الشيخُ -وفقه الله- غَرْزَ السُّنة، وطريقةَ السلف الكرام، فحفظ دينَه، وصان لسانَه، ونصح للأمة، وتلك -والله- من صفات الأكابر، وسمات الرّاسخين في العلم، وإني لأتمثل فيه قول أستاذنا الكبير، الدكتور بشار عواد معروف:

«الشيخ أبو إسحاق، يَشرح طرائقَ لم يألفها كثيرٌ من الناس في الدعوة إلى الله تعالى، بذكرٍ غَوّاصٍ في عميقات الأمور، وفِراسةٍ في تناول عويصات القضايا، بِإفصاحٍ واتِّضاح، مع نَجاعة في الهدف المتمثل في الدفاع عن بَيْضة الإسلام، ورَدِّ غائلة الْمُفترين عليه، بعيدًا عن الغلو والتطرف والتفريق، مع ما وهبه الله تعالى من أخلاق سَنِيّة، وأثواب نَقية، ونفس أبيّة، مع إيمان راسخ بعلوّ الإسلام وظهوره...».

فهذه كلمات وشهادة أسأل الله -تعالى- أجرها وذُخرَها، ونفعَها للمسلمين عامة، ولطلبة العلم خاصة.

والشيخُ -حفظه الله- ما طلبَها، ولا حَرَصَ عليها، ونعلم عنه كراهتَها، لكنّه حقُّ الأخ على أخيه، وحق منهج أهل السنة على أهله، أن ينصروه، وينصروا أئمته، ويَدْفَعُوا عنه وعنهم انتحالَ المبطلين، وغُلوّ الغالين، وتنطع المتشددين، وإسقاط المسقطين.

(١) أي: الصحابة وسلف الأمة.

وأسأل الله -تعالى- للشيخ موفور الصحة، ودوام العافية، ومزيدًا من العلم النافع، والعمل الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

أ.د/ أبو أيوب صالح بن سعيد عومار

أستاذ الحديث وعلومه

كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

يوم الأحد ٩ ذي الحجة ١٤٣٧هـ، الموافق ١١/ ٩/ ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الشيخ أبو إسحاق حجازي محمد شريف، الحويني نِسبَةً إلى بلدة حُوَيْن من كفر الشيخ في مصر الكنانة، العلَّامة الشيخ صاحب التصانيف النافعة، له باعٌ طويلٌ في الحديث وعلومه، كما عنده من سعة الصدر وتحمُّل الصبر على محن الزمان، وعَهْدُنا به خيرًا، لم نسمع عنه إلا الخير.

له تصانيف جيدة حِسان؛ من أهمها: «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن»، وكتاب «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد» الذي هو دفاع عن العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، وغيرها من الكتب القيمة النافعة التي استفدنا منها كثيرًا.

كما عُرف الشيخ بدعوته السلفية على منهج السلف، وهذا من خلال أشرطته القديمة ودروسه الرائعة الهادفة في القنوات الفضائية، ومنها شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري، الذي أبدع فيه، وهو مشتملٌ على فوائد كثيرة، ودرر الكلام ونفائسه، وعلم جم سواء في الحديث أو اللغة أو التاريخ أو التراجم، وأيضًا دروسه الأخرى التي أظهر فيها الشيخ دفاعه المستميت عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فجزاه الله خيرًا على ذلك.

وحاصل الأمر أن الشيخ عالمٌ معروفٌ، وداعيةٌ إسلاميّ كبير، سليم السريرة طيب الأخلاق، صاحب سمتٍ عالٍ، متفنن في العلوم، وقد أحزننا كثيرًا ما ألَمَّ به من مرضٍ شديدٍ استدعى بتر إحدى ساقيه؛ فصبر واحتسب، فلله درُّه، فنسأل الله أن يشفيه ويعافيه ويبقيه ذخرًا للإسلام والمسلمين.

كتبه

الأستاذ أبو أحمد محمد بن مكي

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

يوم الخميس ١٣ ذو الحجة ١٤٣٧هـ - موافق ١٥ سبتمبر ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة: وحيد بالي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أولًا: الحويني والمحاضرات العامَّة:

فإنَّ فضيلة الشيخ الحويني نفع الله بمحاضراته الصوتية والمرئية جمًّا غفيرًا من المسلمين في دول العالم، وقد رأيتُ أثر ذلك أثناء أسفاري المتعددة خارج مصر، حيث رأيت له محبَّةً عجيبةً في قلوب المسلمين، فتذكَّرتُ قول النبي عليه السلام: «**إنَّ الله إذا أحبَّ العبد، نادى جبريل: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبَّهُ، فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إنَّ الله يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**» متفقٌ عليه.

وقد كان في محاضراته يربط النصوص الشرعيَّة بالواقع، ولذلك كانت تترك أثرًا كبيرًا في نفوس المستمعين، وإن شئتَ فاستَمِعْ إلى محاضرة (ليلة في بيت النبي عليه السلام).

وقد انتفع بمحاضراته جميع شرائح المجتمع من الرجال والنساء والشباب والفتيات.

ويمكنك أن تدخل إلى موقعه على (النت) وتقرأ فقط عناوين المحاضرات لترى التنوُّع والشمول والعُمق في تناول الموضوعات.

ثانيًا: الحويني وعلمُ الحديث:

أما تبحُّرُه في علم الحديث عِلَلًا، ومُصطلحًا، ورجالًا، وجمع طرق، ودراسة أسانيد، ونحو ذلك؛ فقد شهد به المتخصصون في هذا العلم ممن وقف على مؤلفاته وبحوثه، مثل: (بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن) و(تنبيه الهاجد) و(النافلة) وغيرهم.

وليس أدلّ على ذلك من إعجاب الشيخ الألباني به، واستقباله للشيخ الحويني في بيته، وتفريغه أوقاتًا خاصَّةً للقائه -راجع القصة كاملة في ترجمة الشيخ الحويني على موقعه-.

ثالثًا: الحويني وتعظيمه للعلماء:

ومن أخلاقه الحميدة أنَّه كان يُعظِّم علماء السلف، حتى أثناء استدراكه على بعضهم، فلقد رأيتُ صنيعه في كتاب (تنبيه الهاجد فيما وقع من النظر في كتب الأماجد) فوجدته لا يفرح بالعثور على أخطاء للعلماء، بل يلتمس لهم الأعذار، بل ويترضَّى عليهم.

وهذا يشِفُّ عن نفسٍ راقيةٍ، وقلبٍ صافٍ، وأُفُقٍ واسع، حيث صدَّر كل استدراكٍ بقوله: (رضي الله عنك)، ثم يذكر استدراكه على العالم.

وقد بلغت استدراكاته ١٥ مجلدًا.

رابعًا: الحويني ومنكرو السنَّة:

لقد دافع الحويني كثيرًا عن سُنَّة النبيِّ ﷺ، ووقف في وجه الطاعنين في الأحاديث الشريفة، وقد تميَّزت ردود الشيخ الحويني بالاستدلالات العلمية العميقة بعيدًا عن السباب واللعان والمهاترات، فتراه هادئًا أثناء الرد، متمكِّنًا من المادَّة العلميَّة، مُفنِّدًا لأدلَّة الطاعنين علميًّا، وعقليًّا، بأسلوبٍ فذٍّ، ويمكنك أن تراجع محاضراته في ذلك.

خامسًا: الحويني ومخالفوه:

ومن أخلاقه الحميدة أنه لا يحب أن ينتصر لنفسه، ولا يحب الجدال والخصام، واسع الصدر، كثير التحمُّل، لا يحب الرد على الطاعنين وغيرهم، دائم الابتسامة، إذا سمعت به أحببته، وإذا اقتربت منه ازددت له حُبًّا، يحب الخير للمسلمين جميعًا، يفرح لفرحهم، ويتألَّمُ لحزنهم.

رغم عُلُوّ كعبه في العلم فإنه لا يرى نفسه، ابتُلِي في أبويه فصبر، ثم في أعزِّ أصدقائه

فازداد صبرًا، ثم في أخيه فازداد صبرًا ويقينًا، ثم في نفسه بُتِرَت ساقه فرَضِي وسَلَّم، ثم أصيب بالفشل الكُلَوِي فازداد رضًا وتسليمًا، وتجلس معه فتشعر أنه سعيد دائم البسمة، حفظه الله وسدَّد خطاه.

وحيد عبد السلام بالي

مصر - كفر الشيخ - منشأة عباس

٤ محرَّم ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأرفق، وجامع الأشياء والمفرق، ذو النعم الواسعة الكثيرة، والحكم الباهرة الغزيرة، ثم الصلاة مع سلام دائم، على النبي القرشي الهاشمي، وآله وصحبه الأبرار، الحائزي مراتب الأبرار.

وبعد؛

لما غَيَّبَ الموتُ علامةَ العصر ومحدِّثَ الشام العلامةَ الشيخ **محمد** ناصر الدين الألباني، كان يومًا بكتْ فيه الأمة فَقْدَ عالم من علمائها الكبار الذين قل أن يتكرر أمثالهم في هذا الزمان، كان ذلك قبل ١٦ سنة؛ لكن مما خفف مصاب الأمة أن العلامة الألباني مات لكنه خلَّف تراثًا حديثيًّا لم يمت ولن يموت بإذن الله، وأيضًا خلف العلامة الألباني تلاميذ يخلفونه في حمل راية علم الحديث الذي برع وامتاز به الألباني، وكان من أبرز التلاميذ، الشيخُ العلامةُ المحدثُ أبو إسحاق الحويني عالم أرض الكنانة الذي سار على نهج العلامة الألباني في دراسة الحديث والتصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، ومثل شيخه الألباني جاءت بداية العلامة أبي إسحاق الحويني في العلم الدنيوي، فتخرج في كلية الألسن ودرس اللغة الأسبانية بتقدير امتياز مما يدل على نبوغ الشيخ أبي إسحاق؛ لكنه انكب على كتب شيخه العلامة الألباني ينهل منها، ولم يكتفِ بالتتلمذ عن طريق الكتاب، بل سافر واغترب لطلب العلم، وثنى ركبتيه تحت شيخه العلامة الألباني في الأردن، كما رحل لبلاد الحرمين وجلس ينهل من علم العلامة الكبير الشيخ **محمد** بن العثيمين وغيره من العلماء الكبار.

إن سيرة عالم بمنزلة الشيخ أبي إسحاق الحويني جديرة بالاستفادة منها وخصوصًا

لطلبة العلم ليستفيدوا من علمه ومن طريقته بالطلب والتعلم.

نسأل الله أن يمتعنا بعلمه وأن يمن على شيخنا العلامة أبي إسحاق الحويني بالصحة والعافية.

كتبه

د. وليد بن مساعد الطبطبائي

الكويت مساء الخميس

١٩ من ذي القعدة ١٤٣٦ الموافق ٤/ ٩/ ٢٠١٥م

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد اتصل بي أخي الشيخ عمرو بن عبد العظيم الحويني -حفظه الله تعالى- وأخبرني أنه يُعدُّ كتابًا عن شيخنا أبي إسحاق الحويني -حفظه الله تعالى- وطلب مني أن أكتب رأيي في شيخنا بصفتي من تلامذته، فاستجبت لطلبه، وكتبت ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد منَّ الله عليَّ برؤية شيخنا لأول مرة سنة سبع بعد أربعمائة وألف من هجرة خير الأنام محمد ﷺ وكنت آنذاك في مفترق طرق حائرًا بين الجماعات المختلفة على الساحة، لا أجد من يأخذ بيدي إلى الطريق الصحيح، فحضرت مجلسه الأول في محافظة كفر الشيخ، وكان في قريتنا (الكوم الطويل)، وكان يشرح الحديث الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري، أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفسًا**...» وعندما سرد الحديث بألفاظه، وبدأ في الشرح والتفصيل، لم أكن أصدق ما يحدث أمامي وما يطرق مسامعي، سيل متدفق من العلم، بأسلوب فصيح قريب سهل، يتخير السهل العذب من الألفاظ، قوي الحجة، موفق في استلال الفوائد من الحديث، محيط بالمعاني، عالم بالأسانيد، متميز في التفريق بين الصحيح وغيره، مستحضر للأدلة التي يحتاج إليها عند الإجابة على السؤال، ملم بأقوال الأئمة، بالإضافة إلى طريقة العرض الجميلة التي أذهلت الحاضرين، فكان كلامه شذرات منثورة، توقظ الوسنان، وتنبه الغافل، وتنعش العليل، فوالله ما سمعتُ قبله مثله، فما انتهت المحاضرة حتى أحسستُ أن كلامه اخترق قلبي، وسكن فؤادي، وذقتُ لأول مرة طعم العلم

الصحيح، فاستقر في قلبي أشياء منها، مدى الجهل الذي كنت -ومن حولي- نغطُّ فيه، وأن الأمة لا تخلو من قائم لله بالحجة، وأن هذا الشيخ سيكون له شأن كبير، لذا قررت أن أمشي خلفه، وأتخذه معلمًا لي، وكم كنت متشوقًا أن أرى عالمًا على الطراز الأول، أفتح له قلبي، فيصب فيه ما فهمه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولما انتهى من الشرح طلب من كل واحد من الحضور أن يسأل عما استشكل عليه، وجاء الدور عليَّ، فسألته هذا السؤال:

هل هناك تعارض بين قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ...﴾ الآيةَ، وبين قوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله...**» الحديثَ؟ فأدهشني جوابه وتأصيله العلمي، وأذهلني حفظه، وأخذ لبي تواضعُه، ولين جانبه، ونضارة وجهه، ولما صافحته بعد المجلس، أحسستُ أني أعرفه منذ زمن، وجال بخاطري قول القائل:

تزينك إما غاب عنك فإنْ دنا رأيتَ له وجهًا يسرك مقبلا
يعلِّم هذا الخلق ما شذ عنهم من الأدب المجهول كهفًا ومعقلا

فلما انتهت المحاضرة، وانصرف الشيخ تمنيت أن أراه ثانية، فعلمت أنه سيلقي محاضرة في قرية منشأة عباس بعد صلاة المغرب، وكنت في اختبارات نصف العام بجامعة طنطا، وكان وقت الاختبار من الساعة الثانية إلى الساعة الرابعة عصرًا، فكان الوقت ضيقًا، ولكني وصلت إلى المسجد قبل الآذان بدقائق، ووجدته جالسًا في المسجد، فسلمتُ عليه، وقلت له: يا شيخنا ما جئت لسماع المحاضرة، فنظر إليّ، وكأنه قد استهجن كلامي، فبادرت قائلًا: إنما جئت لأراك؛ لأن المحاضرة ستصلني مسجلة إن شاء الله، فابتسم في وجهي، وسألني عن اسمي، ثم لقيت شيخنا بعد ذلك مرة أخرى في صلاة الظهر بمسجد عباد الرحمن بكفر الشيخ، فسألته عن مسجده في القاهرة، فأخبرني أنه بمسجد ابن شهاب الزهري، خلف معرِض النمر للسيارات، بمنطقة عين شمس، فسافرت إليه لأصلي معه الجمعة مرات عديدة، وذهبت إليه أيضًا في حلوان لحضور

مجالس شرح ألفيه السيوطي، وهكذا بدأت مع شيخنا، فلازمته سنين عددًا، وزرته في بيته وزارني في بيتي عدة مرات رغم مشاغله، وشرفني بحضوره عقد زواجي، وكان لا يؤخر لي طلبًا، وكان دائم التفقد لأحوالي، والسؤال عن أهل بيتي، وكان ما يملكه أقرب إليَّ مما يملكه أخي، بل أكاد أجزم بأنه كان أحنَّ رجل عليَّ في الدنيا كلها، مع أنه يكبرني بعشر سنين فقط، ولأول مرة أذوق طعم الأخوة في الإسلام، ومعانيها التي كنت أقرأ عنها في الكتب، فكان شيخنا بالنسبة لي أبًا وأخًا ومربيًا وصديقًا ومعلمًا ومواسيًا وقاضيًا، فجزاه الله خيرًا.

وإني لأعتذر لشيخنا عن رفع صوت، أو سوء أدب، أو تكدير خاطر، أو سؤال ما كان لي أن أسأله، أو شغله بأمور فوق طاقته، أو كلمة قلتها فضايقته بقصد أو بغير قصد، وإني لأستغفر الله من ذلك، وأكرر اعتذاري لشيخي، وعذري أنني كنت جاهلًا قدره وقدر إخوانه من العلماء، وكان ذلك منذ ثلاثين سنة تقريبًا.

وأقول: والله لو حملتُ شيخي على رأسي ما تبقى من عمري وعمره، وجلستُ عند قدمه لخدمته، ما وفيته بعض حقه عليَّ، لقد ترسم فينا خطى رسول الله ﷺ في أصحابه، وطبق فينا هديه ﷺ، فأثر فينا تأثيرًا كبيرًا، وقرب إلينا علم الحديث، وربطنا بكتب التراث، وعلمنا عقيدة أهل السنة والجماعة، كما غرس فينا مكارم الأخلاق قولًا وفعلًا، وعندي مواقف كثيرة حضرتها بنفسي، ولعلي أذكرها في جزء منفصل تدل على تحليه بمكارم الأخلاق. ومما تعلمناه من شيخنا كيف نطبق الشرع تطبيقًا عمليًّا بين المتخاصمين، وألا نزيغ عن الحق طرفة عين ولو كان أحدهما أقرب الأقربين لنا.

فقد حضرتُ مجلسًا لرجلين تخاصمًا إلى شيخنا، وكان أحدهما أخًا لبعض المشاهير من المشايخ المقربين لشيخنا، فحكم شيخنا بينهما بالعدل، وكان الحكم على هذا الأخ المذكور، بل إن شيخنا كافأ الخصم الآخر، وأعطاه بعض أشرطته ليطبعها، ويوزعها لحسابه هو، ولم يلتفتْ طرفة عين عن الحق لأجل الصداقة أو الأخوة.

ومو قف آخر:

كنت عند شيخنا ذات يوم، فجاءه رجل أظنه كان مشرفًا على إتمام بناء بيت شيخنا اسمه الشيخ أحمد، فقال له: إن عامل البلاط أو الرخام -والشك مني- كنت قد أعطيته أجره كاملًا، ثم هو يدعي الآن أن له ألفًا أخرى لم يأخذها، وأنا على يقين أنه قد أخذ أجره كاملًا، فقال شيخنا: يحلفُ بالله على ذلك، ثم أعطه المبلغ، فقال الأخ أحمد: سيحلف يا شيخنا، فقال شيخنا: يبوء بها، وانتهى الأمر، فقلت في نفسي: سبحان الله! طبق شيخنا ما علمه في المسألة.

موقف لا ينسى:

كنت مطيعًا لشيخنا حتى في خلواتي، فإذا كنت طرفًا في خصومة وحكم عليَّ بحكم أنفذه فورًا، ولو كان مخالفًا لما أعرفه في المسألة؛ لأنني أعرف أنه كان يسد الذريعة المفضية للشر بيننا، وكان حريصًا على عدم الفرقة، وبالمثال يتضح المقال.

ذات مرة شكاني بعض إخواني لشيخنا، وكانت القضية أن هذا الأخ طلب مني أن أشتري له كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، في مقابل أن يعطيني كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي، فقلتُ في نفسي: أنا بحاجة ماسة لهذا الكتاب، لكن هناك فرق بين الكتابين في السعر، فكتابه أغلى سعرًا، المهم اشتريتُ له «أسد الغابة» وأعطيته من عندي كتابًا آخر، بعد سنة غضب هذا الأخ مني لسبب لا أعرفه، فطلب مني الكتاب، بعدما كتبتُ تعليقات وأضفتُ زيادات على التراجم، فقلتُ للرسول الذي بيني وبينه: ليس من حقه شرعًا أن يأخذ الكتاب مني، فلما وصله ردي سب وقزع واغتاب ومشى يتكلم في حقي، فبلغ شيخَنا أنني أخذتُ كتاب السير من الأخ ولا أريد إعادته إليه، فقال شيخنا: هاتوا عبد الحميد، وكنت في مسجد شيخ الإسلام، فوجدتُ الإخوة يبحثون عني، الشيخ يريدك، فأصابني خوف شديد، فقلتُ: أكيد فيه مصيبة، وكنتُ أهاب شيخنا، وما خطر ببالي هذا الموضوع، فنظر إليَّ نظر المغضب وقال لي: أنت أخذتَ كتاب السير

من فلان، فما استطعتُ الرد، فقال: انتظرني عند السيارة، فلما انتهى ركبتُ معه، فأخذني بعيدًا فقصصتُ له القصة، فقال: رُدَّ الكتاب إليه، فقلتُ له: سأفعل، لكن فتوى أم شفاعة، قال: بل شفاعة، ولكن صُن عرضك من هذا الأخ، والله يُعوِّضك خيرًا.

العجيب أنني لما رجعت إلى بيتي الساعة الواحدة إلا ربع ليلًا، أنزلت الكتاب من مكتبتي ووضعته في كرتونته، احترامًا وقبولًا لشفاعة شيخنا، فما انتهيت من وضع الكتاب على باب مكتبتي حتى اتصل عليَّ بعض إخواننا العائدين من المملكة السعودية، وما كان معنا في الدرس وما كنت رأيته منذ زمن، فقال: أحضرتُ لك هدية، فقلت له: ما هي؟ فقال: كتاب «سير أعلام النبلاء» طبعة الرسالة، فأجهشت بالبكاء، وحكيتُ له ما حدث، فتعجب وأحضر الكتاب بعد الفجر، وأخذ الآخر وأوصله لصاحبه، فقلت في نفسي: هذه بركة طاعة أهل العلم، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

أما عن مواساته لإخوانه فيُكتب في ذلك كراريس، جزاه الله خيرًا.

وأذكر لشيخنا كلمات سمعتها منذ ثلاثين سنة لما زرته في شقته بالقاهرة والكائنة بمنشية ناصر، وكانت لا تزيد عن أربعين مترًا، فقلت له: هذه شقة ضيقة يا شيخنا، فقال: لكنها واسعة بالرضا، ولا يدري شيخنا أن هذه الكلمة كانت -بعد توفيق الله تعالى- سببًا في تحملنا ضيق العيش وشظفه في رحلتنا لطلب العلم.

لقد حضرتُ مع شيخنا مجالس كثيرة، واطلعتُ على خبايا لم يعرفها كثير من الناس، سواء كان في علمه أو معاملاته أو أخلاقه، فعظم قدره في عيني، وازداد حبه في قلبي.

وأما عن رأيي في شيخنا محدث العصر فأقول:

لقد سمعت من جل علماء العصر في بلاد الإسلام مباشرة في رحلتي لطلب العلم أو بواسطة التسجيلات، فما رأيت مثله، فهو أعلم أهل زماننا في الحديث وعلله، ورث علم شيخه الألباني، وله نظائر في الفقه، وعقيدته عقيدة سلفية، وله تصانيف جامعة،

وتحقيقات منيفة ماتعة، نفعنا الله وسائر المسلمين بها.

والله أسأل أن يمن على شيخنا بالشفاء العاجل، وأن ينفع المسلمين بطول بقائه، وأن يجزل مثوبته في الدارين.

بَيَّضَ اللهُ وجهَه ووقاهُ   فزعًا يومَ قمطريرٍ وهوله
وأثابَ الفردوسَ مَن قال آمينَ   وأعطاهُ يومَ يلقاهُ سؤله

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأخيرًا.. لقد تعرض مشايخنا عامة وشيخنا خاصة لحملة مسعورة قذرة طالت أخص خصائصهم، في محاولة لتحطيم هذه الرؤوس، وتشويه صورتهم عند عامة الناس، واستخدم في ذلك جميع الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة ووسائل التواصل، وفي خضم هذه الحرب الضروس تقرر الجامعة الإسلامية في الباكستان منح الشيخ أبي إسحاق الحويني والشيخ أبي العلاء محمد يعقوب والشيخ أبي أحمد محمد حسان والشيخ وحيد بالي = الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية بباكستان، فهالني ذلك، فكتبت مقالة بعنوان «الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية»، وكتبت فيها بعض ما كنت أود ذكره في ترجمة شيخنا، وسألحقه بآخر هذه المقالة إن شاء الله تعالى.

وفي نهاية مقالتي أشكر أخي الشيخ عمرو بن عبد العظيم الحويني؛ لشروعه في هذا العمل، والله أسأل أن يبارك في جهده، وأن يجزل مثوبته في الدارين.

وكتبه

عبد الحميد بن عبد الحميد الليبيشي

كفر الشيخ - الكوم الطويل

شهر الله المحرم ١٤٣٧هـ

الدكتوراه الفخرية
من الجامعة الإسلامية

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن تقدير علماء الجامعة الإسلامية لعلماء مصر، ومنح الشيخ أبي إسحاق الحويني والشيخ أبي العلاء محمد يعقوب والشيخ أبي أحمد محمد حسان والشيخ وحيد بالي = الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية بباكستان، جاء في وقت استعرت فيه الحرب على هؤلاء المشايخ، ولقد تعرضوا لسيل من الاتهامات من أناس لم يخافوا الله فيهم، فأطلقوا العَنان لألسنتهم وأقلامهم دون أدنى مراعاة لحق هؤلاء العلماء، بل طالت ألسنتهم أخص خصائصهم، بل طالب أعراضهم.

فعابوا أمورًا يعلمُ الله أنهم ... أحقُّ بها وصفًا وأولى بعيبتي
فواحدُهم يلقي الكلامَ مجازفًا ... على حسبِ ما يأتي بغير رويتي

حتى قال قائلهم: اللهم اهتك عِرض فلان. وسمى واحدًا من هؤلاء الأربعة، ونسوا -نسيان عمد- قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقد أخرج أبو داود في سننه وحسَّنه الألباني من طريق سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**من حمى مؤمنًا من منافق، أراه قال: بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنمَ، ومن رمى مسلمًا بشيء يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**».

وأخرج الترمذي وغيره وصححه الألباني من حديث ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «**يا معشرَ من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**». قال: ونظر ابن عمر يومًا إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: «ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمتكِ، والمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منكِ».

ووصل الأمر إلى إفراد بعض الإعلاميين لحلقات مخصصة للطعن في الشيخ العلامة أبي إسحاق الحويني -حفظه الله- الذي نال النصيب الأكبر من تلك الحملة المسعورة، وعرض هذا الإعلامي بعض فتاوى الشيخ الحويني ورد عليها -بزعمه- بأدلة لو سمعها عالم لأغشي عليه من شدة جهل قائلها، ولم يكتفِ بهذا بل جاء بكسير وعوير وثالث ما فيه خير لتفنيد الأدلة والرد القاطع، فكان حالهم كقول القائل:

خطبتَ فكنتَ خطبًا لا خطيبًا ... أُضيفَ إلى مصائبنا العظامِ

ولقد سمعتُ بعضهم، فجال بخاطري قول أبي الحسن الفالي رحمه الله رحمة واسعة:

تصدَّرَ للتدريس كلُّ مُهوَّسٍ ... بليدٍ تسمَّى بالفقيهِ المدرِّسِ
فحقَّ لأهلِ العلم أنْ يتمثَّلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مجلسِ
لقد هزلتْ حتى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتى سامَها كلُّ مُفلِسِ

ناهيك عن إلصاق الطامات بهؤلاء الثقات، واستلاله لكلمات من بين السطور دون النظر إلى السياق، ولو كان عنده أدنى معرفة باللغة أو قواعد التفسير لعلم أن الكلام سياق وسباق ولحاق، وأن السياق من المقيدات.

فلو استُلَّتْ كلمةٌ من كتاب الله تعالى دون النظر إلى سياقها لكانت على غير ما أراد الله تعالى منها، كما فهم هذا الشاعر الفاسق لما قال:

دعِ المساجدَ للعُبَّاد تسكنها ... وطُفْ بنا حولَ خمَّارٍ ليسقينا

ما قال ربُّكَ: ويلٌ لِلأُولى سكِروا   بل قال ربكَ: ويلٌ للمصلينا
إن الذي شربوا في شربهم طربوا   إن المصلين لا دنيا ولا دينَ

فهو يقصد قول الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٦]، ومثله كثير.

إن إسقاط هؤلاء العلماء الأفاضل ومن على شاكلتهم من أهل العلم وإضاعة هيبتهم عند الناس لا يصب إلا في مصلحة أعداء الدين، بالإضافة إلى ظهور جيل ممن اعتقد فكر التكفير، فأباح دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم لأدنى شبهة، وآخر رأى أن داعش هي الأمل الوحيد لإقامة دولة الإسلام، واستحسن فكرهم دون النظر إلى عقيدتهم التكفيرية واستباحتهم دماء المسلمين لأدنى شبهة -كما حكى لي بعض من جالسهم- ولقد ناقشتُ أحدهم فقال: مصر ليس فيها عالم.

فتلك النتيجة المتوقعة التي خطط لها قادة السب والطعن في العلماء.

فهم يعلمون أن العلماء حملة الشريعة وورثة الأنبياء والمؤتمنون على الرسالة، ما خلت منهم ساحة إلا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا يفتونهم بغير علم، فيعم الضلال ويتبعه الوبال والنكال، وتظل عندها سحب الفتن، تمطر المحن، فتخلو الساحة لهؤلاء الطاعنين، فيهجمون هجمتهم على ثوابت الدين، وهذا ما يحدث، فسفهوا البخاري، وبينوا للناس أنه على ضلال وأنه نظر إلى الإسناد ولم يراعِ النص، فأتى بنصوص مكذوبة... وهكذا.

فإذا كان هذا هو حال كتاب «صحيح البخاري» الذي تلقته الأمة بالقبول، ومر على ألوف العلماء، وأطبقوا على صحته، فما بالكم بـ«صحيح مسلم» وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومسند أحمد وغيرهم؟!

لقد واصل هؤلاء حملتهم الممنهجة على علماء الأمة، فطعنوا في أبي حنيفة الإمام، ومالك إمام دار الهجرة، والإمام الشافعي المطلبي، وأحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ليشككوا الناس في أقوالهم وشرحهم ومذاهبهم، ولم يبق إلا كتاب الله، فشككوا في

المفسرين، وبينوا أنهم لم يصيبوا فيما ذهبوا إليه، وفسروا برأيهم، وأنهم أفسدوا الأمة، وقصدوا بذلك ابن جرير الطبري وابن كثير والقرطبي ومن على شاكلتهم، وشككوا الناس في أسباب نزول الآيات، ولم يكتفوا بهذا، فتعرضوا لشخص رسول الله ﷺ، فطعنوا في عصمته، وكالوا له الاتهامات حتى قال قائلهم: الرسول في القرآن غير الرسول في السنة... وغير ذلك من الترهات والأكاذيب.

وكل هذا لأجل الطعن في كتاب الله، وبيان أن الإسلام ليس دين الحق ولا هو من عند الله، ليُرضوا بذلك سيدهم وإمامهم إبليس عليه اللعنة، وإرضاءً لمن سلطهم وصبَّ آلاف الدولارات في حساباتهم، وفتح لهم مراكز للدراسات المتخصصة في الطعن في الإسلام.

ناهيك عن طريقتهم في نشر سمومهم، فابتغوا في الإسلام سنة جاهلية.

وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أبغضُ الناس إلى الله ثلاثةٌ: ملحدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنةً جاهليةً، ومُطَّلِبُ دمِ امرئٍ بغير حق ليهريقَ دمه**».

وسنَّ هؤلاء للناس سنة سيئة، فعليهم وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فالدال على الشر كفاعله.

وفي «صحيح مسلم» من طريق المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**». والسعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته...

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

ومـا مِـنْ كاتـبٍ إلا سيـلـقى غـداةَ الحشـر مـا كتبـتْ يـداهُ
ومـا مِـن قائـلٍ إلا سيـلـقى غـداةَ الحـشـر مـا نطقتْ شفـاهُ

ولا يعلم هؤلاء أن أمرهم مفضوح، وأن طلاب العلم يعرفون أن هؤلاء إنما نقلوا

هذه الأكاذيب من كتب المستشرقين أمثال اليهودي جولدزيهر الذي ادعى في كتابه أن النبي محمدًا ﷺ سرق العقيدة والتشريع من العهد القديم لليهود، والمستشرق صمويل مارينوس زويمر، ومن يراجع مقالات بعضهم يجدها منقولة من مقالة نشرت في مجلة ألمانية للكاتب شانافاس، ففضحهم الله تعالى.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

فأنا أحذِّر كل مسلم من سماع هؤلاء الكذابين شياطين الإنس، ولقد حذرنا النبي ﷺ من أمثال هؤلاء كما عند النسائي وأحمد والدارمي وغيرهم وصححه الألباني من حديث عبد الله بن مسعود، قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا، فقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين الخط وعن يساره، وقال: «**سبيل على كلِّ -يعني سبيل شيطان يدعو إليه-**» وتلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] يعني الخطوط عن يمينه، وعن يساره.

ونرجع فنقول: إن منح هؤلاء الأفاضل الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية من وجهة نظري سلوى وجبر خاطر من الله تعالى لهم بعدما تنكر لهم كثير من الطلاب الذين تربوا على أيديهم، وتلك هي الداهية الدهياء التي تستحق جز الغلاصم وقطع الحلاقم ونكز الأراقم ونهش الضراغم.

بل إن بعض من أعرفهم تنكر لشيخنا أبي إسحاق الحويني -حفظه الله وشفاه- الذي طالما أفاده وعلمه، وأحسن إليه وأدبه، وكان سببًا -بعد توفيق الله تعالى- في هدايته، لهوى في نفسه، فجحد ما مضى من إحسان الشيخ إليه، وسل لسانه عليه، فقال بقول كافرة العشير: ما رأيتُ منك نعيمًا قط!!! لا أجد ما أقوله إلا قول القائل:

وما عبرَ الإنسانُ عن فضلِ نفسِه   بمثلِ اعتقادِ الفضلِ في كلِّ فاضلِ

وليس من الإنصافِ أنْ يدفعَ الفتى ... يدَ النقصِ عنه بانتقاصِ الأفاضلِ

نسي هذا الأخ -هداه الله- ما بذله شيخنا الحويني من جهد حتى وصل إلينا في قعر الريف، وكنا شذر مذر يلقي الواحد منا الخطبة نصفها كذب على رسول الله ﷺ، نسي أنه بذل جهده ووقته وماله في سبيل وضعنا على الطريق الصحيح، نسي أن أبا إسحاق كان أول من كشف لنا عوار فكر التكفير وجهل الصوفية وضلال الجهمية، ووجهنا إلى مذهب أهل السنة والجماعة، نسي أن شيخنا كان أول من علمنا عقيدة السلف، وربطنا بكتب التراث، فسمعنا منه عن صحيح البخاري وشرح لنا فيه مجالس وصحيح مسلم وأصحاب السنن وكتب المعاجم والمسانيد والمستخرجات والمصنفات، والعلل وكتب التراجم والسير، وغير ذلك من الكتب، كما علمنا أصول العلم، وعلمنا ألا ننسب قولًا لرسول الله ﷺ إلا إذا تأكدنا من صحة نسبته إليه، وكان أول من علمنا كيف نفرق بين السنة والبدعة، بل أكاد أجزم أنه أعاد تربيتنا من جديد، فعلمنا كيف نسمع؟ وكيف نتكلم؟ نسي هذا الأخ أن شيخنا كم كان حليمًا علينا، صابرًا على جهلنا، نسي أن شيخنا كان لنا أبًا وأخًا وصديقًا ومعلمًا ومواسيًا وقاضيًا، وكان صدره رحبًا ووجهه بشوشًا، وكان بيته لنا مفتوحًا، نثقل عليه بهمومنا فيسمع ويطيب خواطرنا، كما علمنا الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله.

إني لأعجب من فعل هؤلاء الطلاب الذين ألقوا جلباب الحياء، ولبسوا أثواب الجرح والتجريح، فألصقوا التهم بمشايخهم، وطمسوا محاسنهم، وشهَّروا بهم في عقائدهم، وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وتفسير مقاصدهم، ونياتهم، وأتذكر قول مالك بن فهم الأزدي -وقيل هو لمعن بن أوس:

فيا عجبًا لِمَن رَبَّيتُ طفلًا ... أُلقِّمُه بأطرافِ البَناني
أعلِّمه الرمايةَ كلَّ يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعدُه رماني
وكم علَّمتُه نَظْمَ القوافي ... فلما قالَ قافيةً هجاني
أُعلِّمُه الفتوَّةَ كلَّ وقتٍ ... فلما طرَّ شاربُه جفاني

لقد فكرت في أمر هؤلاء فكأني أقول للواحد منهم: إذا سعيتَ في أمر فاعرف موطئ

قدمك قبل أن تعلوها، ومواقع خطوك قبل أن تعدوها، فإن من ركب مزلقة عن غرة وغفلة يوشك أن يسقط ليديه وفمه، وتزل به قدمه إلى قرار هلكته، وكما قال أبو تمام في ديوان الحماسة:

فاطلبْ لرجلِكَ قبلَ الخَطوِ موضعَها فمن علا زلقًا عن غِرَّةٍ زلجا
ولا يغرَّكَ صفوٌ أنتَ شاربُهُ فربما كان بالتكديرِ ممتزجا

وأسأل كل واحد منهم: أبعد هذا الإحسان يكون رد الجميل بالإساءة؟ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾.

إن من شكر الله ﷻ أن نشكر من أسدل إلينا معروفًا، كما ورد في سنن أبي داود والترمذي وصححه، كما صححه الألباني من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: «**مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله**».

بل إن رسول الله عليه السلام أمرنا أن نكافئهم، كما عند النسائي وأبي داود وصححه الألباني، من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله عليه السلام: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع لكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**».

أيها المتنكر لشيخك، إن بقيتَ في مكانك هاجرًا للتوبة، مائلًا عن سبيل القصد، متبعًا لهواك، فأقول لك ما قاله هذا الشاعر:

فلا ظَفِرَتْ يمينُكَ حين ترمي وشَلَّتْ منكَ حاملةُ البنانِ

وأخيرًا.. أقول لمشايخنا عامة ولشيخنا أبي إسحاق الحويني خاصة: نحن نتقرب إلى الله بحبكم، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة -كما يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «إنهم يدينون الله باحترام العلماء الهداة»؛ أي إن أهل السنة والجماعة، يتقربون إلى الله تعالى بتوقير العلماء، وتعظيم حرمتهم.

وأتمثل قول القائل:

أُفضِّلُ أستاذي على فضل والدي وإنْ نالني من والدي المجدُ والشرفْ

فهـذا مربـي الـروحِ والـروحُ جوهـرٌ   وذاكَ مربـي الجسـمِ والجسـمُ كالصدفْ

وأخيرًا أسوق قصة وردت في كتب الأدب لعلها تعبر عما في خاطري: يُروى أن إنسانًا يمتطي جواده في الصحراء، وفي أيام الحر الشديد رأى رجلًا ينتعل الرمال الحارة، وكأنه الجمر، فدعاه لركوب الفرس خلفه، وإذا بهذا الإنسان أحد لصوص الخيل، وما إن اعتلى الفرس حتى دفع صاحبها إلى الأرض، وعدا بالفرس لا يلوي على شيء، ماذا قال صاحب الفرس؟ قال: يا هذا لقد وهبتُ لك هذه الفرس، ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك أن يشيع الخبر في الصحراء فتذهب منها المروءة، وبذهاب المروءة يذهب أجمل ما فيها.

وأختم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وكتبه

عبد الحميد بن عبد الحميد اللبيشي

أحد تلامذة العلامة أبي إسحاق الحويني

شفاه الله ونفع المسلمين بطول بقائه

٧ رجب ١٤٣٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

أما بعد:

فهذه إجابتي إلى سؤال أخي الكريم، عمرو بن عبد العظيم، وقد طلبها مني مرارًا فتقاعستُ؛ وما ذلك إلا إشفاقًا على نفسي، وحذرًا من طغيان قلمي، فاعتذرتُ بعدم قدرةٍ وأهليَّةٍ، وتعلَّلتُ بانشغالاتٍ وأمورٍ ذات أولويَّة، فلما مرَّت أسابيع والطلب قائمٌ مُلحٌّ، استخرتُ الله تعالى ورجوتُه حُسنَ النيَّة، والصواب في الكلام عمَّن نعرف من خير البريَّة! فقلتُ عمَّن أحسبُه كذلك، غيرَ مُزكٍّ أحدًا على ربِّه:

إنَّ الشيخ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله وشفاه وعافاه- غنيٌّ بجهده العلمي، وجهاده الدعوي عن كلامٍ يصدُر من بعض من أفادوا من كلامه وعلومه؛ إذ هو من أعلام أهل الحديث الذين ما تزال كتبهم تُكتب، وعلومهم تقرأ، وفتاواهم الحديثية تتحدث! ولسان دعوته إلى السنة ظاهر البيان، ساطع البرهان، ومراغمته لأهل البدع معلومة، ومدافعته للأهواء مشهورة.

فالحمد لله الذي أقرَّ بعلمه عيون أهل الحديث، واللهَ أسألُ أن يجعل بلاءه العلمي في موازين حسناته، وأن يبقيه شامة في جبين أهل السنة في القديم والحديث!

واللهَ أسألُ أن ينفع بأخلاقه وآدابه كما نفع بعلومه وطُلَّابه، وأن يجعل ما أصابه في مرضه كفارةً لسيئاته ورِفعةً في درجاته، وأن يَمُنَّ عليه بطول عُمُرٍ في نُصرَة السنة وأهلها، وأن يُقرَّ أعيينا برؤية أعلامها منشورةً ظاهرة، وعلى أعدائها منصورةً وظاهرةً!

رزقه الله وإيَّاي حسن العاقبة، ومَنَّ علينا بتمام العافية، ونضَّرَ الله وجوه أهل الحديث والسنة في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وآله وصحبه.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

كتبه

أبو عبد الله

محمد بن يسري إبراهيم

الدار البيضاء - المغرب

١٦ محرم ١٤٣٧هـ

٢٩ أكتوبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن العلم الشرعي الشريف يحمله من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وعلى رأس هؤلاء في زماننا الشيخ المحدث العلامة/ أبو إسحاق الحويني -أمتعنا الله بحياته وختم لنا وله بالحسنى- وما مثلي يكتب عن مثله، وثنائي عليه لا يقدِّم ولا يؤخِّر، لكن لا بد من تسجيل شعوري نحوه في نقاط معدودات:

الأولى: أن الشيخ المبارك لم يكن من أهل الاختصاص في العلوم الشرعية ابتداء، لكنه صار مثلًا لأهل زمانه في علو الهمة وحسن القصد في طلبه للعلم، مع وفاء نادر لشيخه الذي أفاد منه وتأثر به، أعني العلامة المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني، رحمه الله تعالى.

الثانية: موسوعيته في طلبه للعلم؛ حيث لم يقتصر -كعادة كثير من المحدثين- على فنه الذي برع فيه، بل علم يقينًا أن العلوم الشرعية متضافرة، وأن بعضها يخدم بعضًا؛ فحرص على أن يتبحر في التفسير والفقه والسيرة والتاريخ، مع تفنن في العبارة وتألق في الأسلوب يذكرك بالفقهاء الأدباء والمحدثين الفصحاء.

الثالثة: اهتمامه بقضايا أمته؛ حيث تناول سائرها بلسان الشرع، وأبطل أراجيف المفترين وأكاذيب المبطلين، وكان شجًى في حلوق أعداء الإسلام في كل مكان؛ بما يجلو من أفكار وما يقرر من حقائق.

الرابعة: عفة لسانه وسلامة منطقه؛ حيث لم يَخُض في أعراض الدعاة ولا اتخذ من علمه تكأة للحكم على نوايا الناس وتصنيفهم، والحدة التي تعتريه في بعض كلامه هي عادة أهل العلم حين يسمعون ما ينكرون؛ كما بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله

تعالى- في توجيهه لقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نوف البكالي: (كذبَ عدوُّ الله).

الخامسة: أنَّ الشيخ -حفظه الله- لا يتوانى في نشر علمه بكل الوسائل مسموعةً ومرئيةً ومكتوبةً، ولا يزال -على كبر سنه وتتابع أمراضه- يجوب المساجد مبشرًا ونذيرًا فهو حجة على كل قاعد.

وبعد؛ فهذه كلمات كتبتها على عجل استجابة لطلب من حفيده الموفَّق الذي وقف نفسه على الترجمة لجده -وحُقَّ له- وإني لأراني في حرج عظيم أن أكتب عن جبل من جبال العلم، لكن لا بأس أن يمدح الصغير الكبير.

أسأل الله -تعالى- أن يحفظ الشيخ ويطيل عمره في طاعته، وأن يستعملنا وإياه في مرضاته، وأن يقر أعيننا جميعًا بنصر الإسلام، والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله وسلم وبارك على خير الأنام وآله وصحبه الأعلام.

كتبه

د. عبد الحي يوسف

نائب رئيس هيئة علماء السودان

٦ ذو القعدة ١٤٣٧هـ

الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

وبعد؛ فإن إمام المحدثين، وأسد المنابر صاحب الفضيلة الشيخ أبا إسحاق الحويني -حفظه الله- منقبة من مناقب مصر، ومفخرة من مفاخر هذا العصر.

إذا رأيته رأيتَ في وجهه النضرة التي دعا بها النبي ﷺ لأهل الحديث.

وإذا سمعته انبعثتْ نفسك إلى العمل الصالح بباعث حثيث، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقد جعل الله تعالى له ودًّا في قلوب عباده، فقد سافرتُ إلى بلاد شتى والتقيت بأهل العلم وطلابه الوافدين إلى أمريكا، ولا يُذكر الشيخ أبو إسحاق الحويني إلا سمعتُ الألسن لاهجةً بالدعاء له، وشعرتُ بالقلوب قد امتلأت حبًّا له.

وقد التقيت بفضيلته في موسم الحج سنة ١٤١٠ في مخيم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسمعت الشيخ الألباني يثني عليه خيرًا.

ثم التقيتُ به في الرياض حين كان يأتي زائرًا خلال الفترة من سنة ١٤١٠ إلى ١٤١٨، ووجدتُ أهل العلم يقدرونه ويثنون عليه.

ثم التقيتُ به في أمريكا حين زار نيويورك سنة ١٤٢٠، وسمعتُ له الكثير من محاضراته القيمة، وقرأت كثيرًا مما كتبه، وكلما قرأتُ له أو سمعتُ ازددتُ له محبة ودعاء، أدامه الله ذخرًا للإسلام والمسلمين.

وكتب

د. وليد بن إدريس المنيسي

رئيس اتحاد الأئمة بأمريكا ورئيس الجامعة الإسلامية

بمينيسوتا وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء بمجمع فقهاء الشريعة

الثلاثاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

٢٩ سبتمبر ٢٠١٥م

كلمة في الشيخ المحدِّث
أبي إسحاق الحُويني

الشيخ المُحدِّث أبو إسحاق الحويني الأثري.. حفظه الله.

لقيتُ الشيخ مرَّةً واحدةً قبل نحو خمسٍ وعشرين سنة، في المدينة النبوية المنورة..

أيَّام كنتُ طالبًا فيها، كان الشيخُ في جولةٍ في مكتبات الجامعة التجارية (المعارف، طيبة، العلوم والحكم، البخاري)، سألته عن بعض الكتب، ثم ودَّعتُه.

لم ألْقَهُ بعدها، لكني أُكِنُّ له في قلبي مكانةً عاليةً أثيرةً، لا زالت تنمو وترقَّى مع الوقت..

استمعتُ بعد مُدَّةٍ لسؤالاته للعلَّامة المُحدِّث ناصر الدين الألباني، فزادت مكانته لعلمه وأدبه، ثم قرأت طائفةً من تحقيقاته وتآليفه، وانتفعت بها.

سمعتُ شيخنا العلَّامة بكر بن عبد الله أبو زيد، يثني عليه وعلى علمه في غير ما مجلس، ورأيته يعزو إليه في كتبه ومصنفاته.

ولا زالت تصلني أخباره الطيبة، وتصانيفه النافعة، وجهوده في نشر العلم النافع.

يصحُّ أن يقال في الشيخ: إنه عصاميّ النشأة، لم يعتمد على شهرة عائلية، ولا تسلَّق على أكتاف الكبار، ولا دخل في المضائق والأغلوطات.

بنى نفسه علميًّا، واجتهد وحصَّل وثابر، حتى بزَّ أقرانه، وجدَّد علم الحديث في مصر بعد الشيخ المُحدِّث أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لم يدخل الشيخ في مهاتراتِ العصر وفتنه، ولا مجالس القيل والقال، فسلم المسلمون منه، وإن لم يسلم من بعضهم، فحفظ وقته ودينه وأخلاقه، وزادت جلالته في النفوس.

أطال الله بقاء الشيخ على طاعته، وزاده رفعةً وعلمًا وفضلًا ونبلًا.

وكتب

د. علي بن محمد العُمرَان

السبت ١٧ محرم ١٤٣٧هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إن ذكر الصالحين والتمتُّع بسِيَرهم وتشنيف الآذان بسماع أخبارهم ليزيدُ الإيمان، ويُكسِب النفس الهِمَّة والإتقان، فبهم تُعمَر المجالس، ويَحضُر عند أخبارهم الأنس والمؤانس، فضلًا عن اكتساب الأخلاق والقِيَم، والوقوف على المبادئ والهمم.

لنا جُلَساءٌ ما نَمَلُّ حديثَهم ... أَلِبَّاءُ مأمونون غَيْبًا ومَشهدَا
يُفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى ... وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مُسدَّدَا

وكما قيل: «عند ذكر الصالحين تتنزَّل الرحمة».

ومن هؤلاء -نحسبهم كذلك ولا نُزكِّي على الله أحدًا- الشيخ الهمام، صاحب العلم والمعرفة، الإمام أبو إسحاق الحويني، حفظه الله، وسدَّد على الخير خطاه.

فكم تعلَّمنا من خُلُقه قبل علمه، وكم استفدنا من قِيَمِه وآدابه قبل فهمه، فقد اشتُهِر حفظه الله ومتَّع الناس بحياته، بالخير والحكمة، ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾، واشتهر بجدِّه واجتهاده في الدعوة إلى الله وتعليم عباد الله، وعُرِف منه الخير والتواضع مع الناس، مع ما حَبَاه الله من لسانٍ فصيحٍ، وقلم سيَّال، حتى بُسِط له القبول، ووضع له الحب في القلوب، إلى أن اتفق على الثناء عليه الموافق والمخالف، فسبحان من أعطى بعض عباده صفات الخير كلها.

والغرض من هذه الكلمات رد بعض حق الشيخ، وحث الأحباب والأتباع على الاستفادة من علمه والتأدب بأدبه.

فتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم إنَّ التشبُّهَ بالكرامِ فلاحُ

أخوكم

د. سعد فجحان الدوسري

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

الخميس ٢٧ ربيع أول ١٤٣٧هـ

٧ يناير ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فأبدع ما خلق، لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من فسق.

أقسم سبحانه بالشفق: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾، وأقسم: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾، ثم قال: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وأصلي وأسلم على من بعثه ربي بالحق، وبالحق نطق، روحي وأبي وأمي ونفسي وولدي له الفدا، عليه الصلاة والسلام.

أما بعد..

لا أعلم بماذا أبدأ حين أتكلم عن شيخي الفاضل فضيلة الشيخ العلامة أبي إسحاق الحويني.

ولا أعلم كيف أنتهي؟! هل أتكلم عن سعة علمه الذي آتاه ربي سبحانه إياه؟ فهو بحر في العلم بفضل ربي سبحانه عليه.

أم أتحدث عن دماثة خلقه التي جسدت لنا نورًا من سنة نبينا -عليه الصلاة والسلام- واقعًا عمليًّا يمشي على الأرض؟

أم عن دفاعه عن الإسلام والسنة التي شرفه بها ربي العظيم سبحانه حتى كان وحده -بفضل ربي- كحرس -وليس كحارس واحد- لحدود السنة المطهرة، يزود عن حياضها في كل ميدان مرئي ومسموع ومكتوب؟

ما ذكرته عن شيخي هو ما نحسبه عليه والله -سبحانه- حسيبه.

وأسأل ربي العظيم الكريم الذي أكرم الأمة بهذا الشيخ العلامة، أن يزيده من واسع

فضله، وأن يثبته على الحق حتى يلقاه، وأن يطيل عمره بالعافية على طاعته، وينفع به الأمة.

كم أحب شيخي في الله..

وأدعو له من أعماق قلبي..

كتبه

عبد المحسن الأحمد

الرياض

ليلة الجمعة ١٣ رمضان ١٤٣٧هـ

١٧/٦/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاةُ والسلام على نبيِّه ومُصطفاه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

وبعد...

فما كان لمثلي أن يكتُب في مقام الشيخ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله- ولكن إنما هي مُشارَكةٌ، وأسأل الله ﷻ أن يتقبَّل مني ومنكم.

من مناقب الشيخ الكثيرة التي لا يتَّسع مقامٌ لإحصائها: أنه من أرَقِّ الناس قلوبًا، وهذا عهدي به، ولا أدَلَّ على ذلك من أنه ذات مرَّةٍ لما أَلَـمَّ به هذا الحادث الأليم الذي أدَّى إلى بتر ساقه، أسأل الله أن تسبقَه إلى الجنة، وكانت قد مُنعت عنه الزيارة وأُشيع حول ذلك الشائعات وأن حالته تدهورت، فـمَنَّ اللهُ علَيَّ بزيارته في المستشفى، وسُمِح لي أن أدخل عليه وهو في هذه الحالة، وكانت أُمِّي تَبْكيه صباحَ مساء، فلما تحدَّثْتُ إليه أخبرتُهُ بحال أُمِّي وأنها تبكيه صباح مساء وأنها تدعو له، فقال لي -وهو في هذه الحالة: اتصل عليها.

وأنا لم أكن أُصدِّقُ أُذُنَـيّ، وهو في هذه الحالة أصَرَّ أنْ أتَّصل على أُمِّي، وأن يُحدِّثَها بنفسه وأن يُطمئِنَها على صحَّته، وهذا موقفٌ لا أنْساهُ له.

عهدْتُ الشيخَ في مواقفَ كثيرة كما قلتُ سابقًا: مِن أرَقِّ الناس قلوبًا، فالشيخُ ليس بعالِم حديثٍ فحسب، وليس من كبار الدُّعاة فحسب؛ ولكنه مُرَبٍّ فاضل يَبَشُّ ويَهَشُّ في وجه الجميع، حتى مَن يُسيءُ إليه، وهذا من كَرَمِ طِباعه ومِن حُسن خُلُقه، أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزانه.

وشرُفْت بزيارة الشيخ أكثر من مرَّة في بيته المتواضع، ومنها مرَّةٌ سهرنا مع صُحْبة الشيخ يوسف إستس حتى الفجر، فأمْتعنا بأبياتٍ من الشعر، وأمتعنا من القصص، وكانت

ليلةً ماتعةً، استفدنا منها كثيرًا أيَّما استفادة.

كان الشيخُ دائمًا حاضرًا إذا ما احتجتُ أنْ أسألَهُ في مسألةٍ شرعيَّةٍ أو فقهيَّة، أو في نازلةٍ فيما يتعلَّق بأحداث الغرب، أسألُ الله أن يجعل ذلك في ميزانه، وأن يَمُدَّ في عُمُرِه، وأن يُحسِن عمله، وأن يتقبَّل منا ومنكم.

وكتبه

محمَّد صلاح عمر

المسئول الشرعي عن قناة هُدى الفضائيَّة

فجر الأحد ٨ رمضان ١٤٣٧هـ

١٢/٦/٢٠١٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تولى حفظ دينه وشرعه، وجعل من أسباب ذلك توريث بعض عباده وجنده، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأكرم رسله.

وبعد:

فإنني أشهد بالله الذي لا إله غيره أن سنة نبينا ﷺ تحتاج إلى من ينصرها، ويذود عنها ويرفع شأنها، في زمان كثرت فيه البدع والمحدثات والمناهج والانحرافات، وأن من بين من اصطفاهم الله -جل وعلا- لهذه المهمة العظيمة وأداء هذه الأمانة الثقيلة، فضيلة شيخنا ومحدثنا سماحة الشيخ أبي إسحاق الحويني -أطال الله عمره في طاعته- فقد عهدناه في تصانيفه وإطلالاته متحريًا لصحيح السنة النبوية المطهرة روايةً ودرايةً، مُلمًّا بأحوال رجالاتها حريصًا على تنقية المنقول منها مما شابها من ضعف أو وضع أو غير ذلك من أسباب ردها وعدم الاحتجاج بها، ولَكَم أَلْجَمَ اللهُ تعالى بالشيخ من فمِ مُتطاولٍ على السنة وأهلها بل على الإسلام وتعاليمه، ولَكَم قطعَ اللهُ به من لسانٍ تجرَّأ على الحق وأهله، فهو من بقايا أهل العلم الذين ينفون عن دين الله انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وغرائب المارقين، يُحيي بكتاب الله وسنة رسوله الموتى، ويُبصر بهما أهل العمى فكم من تائِهٍ ضالٍّ قد اهتدى على يديه، وكم من طالب علم انتفع بتصانيفه وتسجيلاته.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشفي شيخنا أبا إسحاق، وأن يُقوِّيه على طاعته وخدمة دينه، وأن ينفعنا بعلمه ودماثة خلقه، إنه جواد كريم.

وحتى لا أنسى، شرُفتُ بلقاء الشيخ بمكة في موسمٍ من مواسم الحج وبمهاتفته أكثر من مرة، أجزل الله له المثوبة.

أخوكم ومحبكم
بشير بن حسن
(الداعية الإسلامي من تونس)
الأحد ١٢ من شهر الله المُحرَّم ١٤٣٧هـ
٢٥ أكتوبر ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد..

قبل سبع وعشرين سنة، كنت طالبًا في السنة الثانية بكلية الشريعة وأصول الدين، وكان معي طالب مهتم بالحديث وكتبه وتحقيقاته قديمها وحديثها، كنت أجالسه ونتحاور في الحديث وما يتعلق به، لم أسمع حينها بشيخنا ووالدنا المحدث/ أبي إسحاق الحويني، فلم يكن في ذلك وسائل اتصال موسعة ولا قنوات ولا إذاعات كثيرة، لنتعرف من خلالها على العلماء في العالم، فأهدى إليّ صاحبي كتاب «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود» بتحقيق العلامة أبي إسحاق الحويني، أفدتُ من الكتاب كثيرًا، وجعلت أتتبع بقية كتب الشيخ وأشرطته المسجلة سواء مع العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو غيرها..

ثم سارت الدنيا، وزرتُ أمّ الدنيا مصر الخير والعلم، وحرَصتُ أن أزور الشيخ الحويني، فركبتُ من القاهرة إلى محافظة كفر الشيخ، في صحبة جمع من طلبة العلم من المملكة، استقبلنا الشيخ بوجه صبوح، وكرم حاتمي، وبشاشة ولطف وأبوّة، جلسنا في بيته من بعد الظهر إلى غروب الشمس، مرت كأنها دقائق، مليئة بالفوائد والتجارب والتوجيهات..

كانت دروس الشيخ ومحاضراته ولقاءاته معينًا عذبًا لطلبة العلم ومحبيه، في القنوات الفضائية والمساجد وغيرها، وكان بيت فضيلته لا يكاد يخلو من العلماء وطلبة العلم الزائرين..

ومع تتابع البلاء على الشيخ من مرض وغيره، فلا يزال الشيخ مشتغلًا بالتأليف والتعليم والتحقيق..

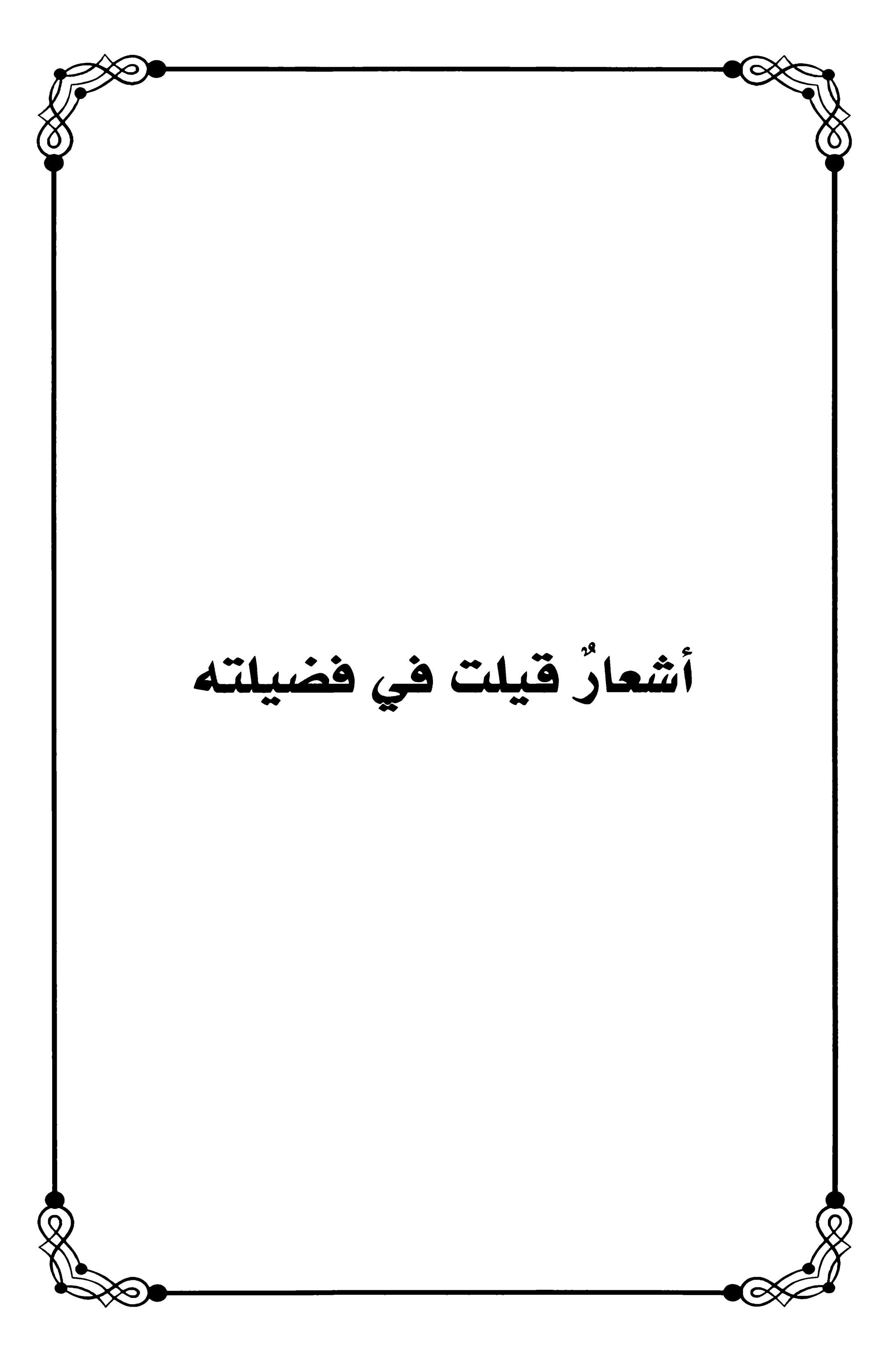
اللهم إني أشهدك على محبته، فاحفظه في نفسه وأهله وماله وولده.. آمين.

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

٢٥ رجب ١٤٣٧هـ

الرياض



أشعارٌ قيلت في فضيلته

مُحدِّثُ العصر

أهلُ الحديثِ وذكْرُهم تِرياقِي — وبكأسِ طُهْرِهِمُ سقاني الساقي
في حُبِّهم ذابتْ بقايا مُهْجَتي — أسْرَجْتُ خلْفَ ركابِهم أشواقي
ذكَرُوا الحُوَيْنيْ فاسْتَهلَّتْ عَبْرَتي — تاقَ الفُؤادُ إلى أبي إسحاقِ
العالمُ الفرْدُ المنيفُ جلالةً — كالدارَقُطْنِي وابنِ عبدِ الباقي
أتْعَبْتَ مَن يأتُون بعدَك فاتَّئِدْ — وارْفُق بنا، أتْعَبْتَني ورِفاقِي
قضَّيْتَ عُمرَك حافِظًا ومُحدِّثًا — ومُصحِّحًا كالبَيْرَقِ الخفَّاقِ
للسُّنَّةِ الغرَّاءِ واصلْتَ السُّرى — أبدًا نديمَ الحِبْرِ والأوْراقِ
فحَبَاكَ ربُّ النَّاسِ أشْرَفَ رُتْبةٍ — مِن كوْثَرٍ تُسْقَى بكأسِ دِهاقِ
يا ربِّ نضِّر وَجْهَهُ واخْتِم له — بمكارمٍ عند الْتِفافِ الساقِ

قاله

الشيخ عائض القرني

الخميس ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٦هـ

١٠ سبتمبر ٢٠١٥م

شعر دكتور أحمد هليل

وقال الدكتور أحمد هُلَيِّل قاضي قضاة الأردن، في شهادته التي كتبها لتوضع ضمن هذا الكتاب:

يَا فخرَ مصرَ! إذا ما رُمتَ تمثيلَا ... بهَذْي أحمدَ تصديقًا وتدليلَا
بشيخِ سُنَّتِهم أَنْعِم به رجُلًا ... شيخُ الحديث أبو إسحاق ما عِيلَا
قد أَبصر الحقَّ شولًا فاستقام به ... فأُعطيَ البِشرَ تكريمًا وتنويلَا
أَفنى الشَّبابَ بحِفظ السُّنَّة الغَرَّا ... مَتْنًا وإسنادًا، ضَبطًا وتأصيلَا
إنْ رُمتَه أَسدًا فلتأتِ مِنبَرَه ... تَلقى الزَّئيرَ كما لو كان قد نِيلَا
أو شِئتَ دَرْسًا بليغًا ما به سأَمٌ ... فدُونك الشَّيخَ ما تسطيعُ تحويلَا
قد جاهدَ الصَّعبَ في تَطْوافه أبدًا ... يُلازم الشَّيخَ لو قد قيل ما قيلَا
فأورَثَتْه ثباتًا قلَّ في زمنٍ ... وصار قُطبًا، وصار القُطبُ مأهولَا
لا تَجزَعَنّ مُحبَّ الشَّيخِ من مرضٍ ... إذا أصابَ نجيباتٍ مَراسيلَا
فمعدِنُ التِّبر لا تَبدُو مَناصعُه ... حتَّى يُجَمَّل بالنِّيران تجميلَا
وصلِّ ربِّي على خير الوَرَى عَلَمًا ... والحمدُ لله تسبيحًا وتهليلَا

وكتبه

أحمد بن محمد هليل

قاضي القضاة وإمام الحضرة الهاشمية

في المملكة الأردنية الهاشمية

أبو إسحاق الحويني، محدث العصر

أَمِـنْ رَسْـمِ دُورٍ بِالمَيَامِـنِ سُـجَّدِ ... نَزَحْـتَ رَمِـيَّ الدَّمْـعِ مِـنْ عَيْـنٍ مُرْمَـدِ
تُبكِّـي علـى آثـارِ رَكْـبٍ مُبَاعِـد ... طَـوَى الأَرْض زَفًّـا فَدْفَـدًا بَعْـدَ فَدْفَـدِ
تَجُـوبُ بِـكَ الأَشْـجَـانُ كُلَّ عَمَايَـةٍ ... مِـنَ الْوَجْـدِ وَالتَّهْـيَـامِ والهَـمِّ مُرْبِـدِ
تُخَاتِـلُ شَـوْقًا قَـدْ تَـقَـادَمَ عَهْـدُهُ ... وتَـرْمِـي خَـوَافِـي قَـلْبِـكَ الْمُتَبَلِّـدِ
أَعَـاذِلُ مـا يُغْنِـي التَّـوَلُّـهُ والبُـكا ... وتسْـكابُ دَمْـعٍ فَـوْقَ خَـدٍّ مُخَـدَّدِ
ولكِنَّـمـا صَبْـرٌ جَـمـيـلٌ وَسَـلْوَةٌ ... وإِيضَـاعُ نَـفْـسٍ لِلثَّـنَـاءِ المُخَـلَّـدِ
إِلَيْـكَ أَبَـا إِسـحـاقَ أَنْضَيْـتُ نَاقَتِـي ... وأَضْـوَيْـتُ أَرْكَـانِـي وَجَـافَيْـتُ مَعْهَـدِي
وَسَـامَرْتُ لَيْلِـي وَاسْـتَجَنَّتْ مَـذَاهِبِـي ... وَأَضْلَلْـتُ أَصْحَابِـي وَأَصْرَيْـتُ حُسَّـدِي
فَـلا تَحْرِمَنِّـي صَيْـبَ عِـلْـمٍ مُحَالِـفٍ ... لِيُمْنَـاكَ يـرْوِي القـلـبَ غيـرَ مُصَـرَّدِ
وَعُـلَّ بِتِرْيَـاقِ النـفـوس وَزُمَّـهَـا ... بِأَرْوِيَـةٍ مِـن نَسْـجِ أحمـدَ سَيِّدي
حديـثُ رسـولِ الله ليـسَ كَسَـحِّهِ ... سَـمَـاءُ فقيـهٍ أَوْ خُـفُـوٌّ مُقَلِّـدِ
يُفَجِّـرُ أَنْـهَـارَ الهُـدى هَتْـنُ مُزْنِـهِ ... فَيَغْشَـى رِيَـاضَ الْقَلْـبِ أَعْـذَبُ مَـوْرِدِ
سُـلَافَـةُ عِـلْـمٍ مِـن تُـراثِ نُبُـوةٍ ... تَعَاقَـرَهَـا الْحُـفَّـاظُ فـي كلِّ مَشْـهَدِ
لَعَمْـرُكَ مَـا بِيضُ التَّـرائـبِ كَالدُّمَـى ... قَدَحْـنَ بِقَلْـبِ النَّاسِـكِ الْمُتَعَبِّـدِ
بَطَشْـنَ بِلُبِّـي وَانْتَـهَبْـنَ تَجَلُّـدِي ... وَلَكِنَّـمـا حُـبُّ النَّـبِـيِّ مُحَمَّـدِ
عَلَيْـهِ صـلاةُ اللـه مَـا هَـشَّ بَـارِقٌ ... إلـى البيـت أوْ أَخْـوى بِبُرْقَـةِ ثَهْمَـدِ

المحدث الشيخ موسى عبد الفتاح الشنقيطي

نواكشوط–موريتانيا

الأحد ١٦ صفر ١٤٣٩ هجرية

٥ نوفمبر ٢٠١٧م

شعر دكتور عمر المقبل

وقال الدكتور عمر المُقبل في بداية بحثه الذي أهداه للشيخ في هذا الكتاب والذي هو بعنوان (منهج أصحاب الكتب الستَّة في ذكر فضائل الصحابة):

إلى الشيخِ الجليلِ أزفُّ بحثًا ... يبيّن منهجَ الكُتبِ الصحاحِ
ومنهجَ أربعِ السننِ اللواتي ... رَوَيْنَ الفضلَ عن نُجبٍ قُحَاحِ
وزكّى النقلُ فيها قولُ حقٍّ ... عن المصدوقِ أبلجُ من صباحِ
رفعتُ إليكَ أوراقًا حسانًا ... وبيّنتُ الضعافَ من الصحاحِ
عسى قلبُ المحدِّثِ يرتضيها ... ويُضْمِدُ كاتبٌ بعضَ الجراحِ
أبا إسحاقَ فليحفظكَ ربي ... ويبقيكَ السِّنينَ بلا قراحِ
لتخدمَ سنةَ الهادي وتهدي ... بفضلِ اللهِ دومًا للفلاحِ

أخوكم ومحبكم
عمر بن عبد الله المقبل
ذو الحجة / ١٤٣٦هـ

أبو إسحاق

أبو إسحاقَ بَدْرُ مُحدِّثينَا — ومِنْحةُ ربِّنا للطَّالِبينَا
حِجازِيٌّ حُوَيْنِيٌّ كَريمٌ — نَبيلٌ لا يَردُّ السَّائِلينَا
مَتى أبْصَرْتَهُ طَلْقَ المُحَيَّا — رأيتَ الخيرَ والحقَّ المُبِينَا
يَسُرُّكَ أنْ تراهُ مَتى تَراهُ — له سَمْتٌ يَسُرُّ النَّاظِرينَا
وإنْ تَسمَعْ أبا إسحاقَ تَسمَعْ — وَقُورًا مِن عُيونِ التَّابِعينَا
هو الثِّقةُ المُحدِّثُ لا يُبَارَى — وثَبْتٌ مِن ثِقاتِ مُحَدِّثِينا
له فَهمٌ يُرِيحُ القلبَ حتَّى — إذا انتقدَ الرُّوَاة الكاذِبينَا
لطيفٌ لا يُمَلُّ له حديثٌ — طَرائِفُهُ تسُرُّ الحَاضِرينَا
لطَائِفُهُ عُلومٌ في سِياقٍ — يُرَوِّحُ عن قُلوبِ الدَّارِسينا
كريمٌ حين يَعفُو عن حَقودٍ — عفيفٌ لا يُجَرِّحُ عَادِلِينا
فقِيهٌ حينَ يَنظُرُ في حَديثٍ — فيَجمَعُ ما يَفُوتُ السَّابِقِينا
حكيمٌ حينَ يَفصِلُ في قَضَايَا — إذا أَعْيَتْ جميعَ البَّاحِثِينا
مُهابٌ حينَ يُقبِلُ لا يُضَاهَى — برهْطٍ من كِبارِ العَالِمِينا
شُجاعٌ لا يَخافُ سِوَى عظيمٍ — هو القيُّومُ ربُّ العَالَمِينا
ويَصدَعُ بالحقائقِ لا يُبَالِي — بغَضْبَةِ حاكِمٍ أو حَاقِدِينَا
حَبَاهُ اللهُ صبرًا في المَعالِي — كما مَنحَ الكِرامَ الأَوَّلينا
فكَمْ عَانَيْتَ سيِّدَنَا بلاءً — فأظْهَرتَ احتِسَابَ الأَكْرَمِينا
فلَمْ تَجْزَعْ ولم تَفزَعْ ولكنْ — تَأَسَّيْتُم بنَهجِ المُرْسَلِينا
وأَبْدَيتُم مِنَ الأخلاقِ قَدرًا — فأضْحَيتُم مَنارَ السَّالِكِينا
وحدَّثْتُم فأحسَنتُم وكنتم — مِثالًا يُحتَذَى لمُعَلِّمِينا
لِهذا النَّهجِ نَهجِ الصَّادِقِينا — أَحبَّكُم جميعُ المُسلِمِينا

فأبْشِـــر يـــا إمـــامُ بخيـــرِ عُـــقبَى عَطِيَّـــةُ ربِّنـــا للصَّـــابِرِينـــا
ومـــا زكَّيْتُـــكُـــمْ بجَميـــلِ شِـعْـــرِي وأحْسَـــبُ أنَّكُـــم فـــي الصَّالِحِينـــا
وقـــد أحبَبْتُـــكُـــمْ مـــن كُـــلِّ قَلبِـــي فهـــل وَفَيْتُـــكُـــم حَقًّـــا ودِينًـــا؟!
أطَـــالَ اللـــهُ مَحيَـــاكُـــم كريمًـــا ودُمـــتُـــم قُـــدوةً للمُهتَـــدِينـــا

قاله

الدكتور أبو الفتوح عقل

الجمعة ٤ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

١٨ سبتمبر ٢٠١٥م

قصيدة في الشيخ الحويني نفع الله به

إمام الكنانة

وقال الدكتور عادل رفوش في بداية بحثه الذي أهداه للشيخ في هذا الكتاب والذي هو بعنوان (الحسن البصري ومنهجه في التدبر):

أَيَا حُسْنَى الدَّلَالِ بِمِعْصَمينِ ... حَنانَيكِ السِّبَاءُ بناظِرَيْنِ
جمالكِ ساحرٌ وعلى اليدينِ ... خضابكِ كالآلِئ واللُّجينِ
وَكُحْلٌ فِي جُفُونٍ ناعِساتٍ ... تُنَاغِيهَا وُرُودُ الوَجْنَتَيْنِ
فَوَصْلًا يا كَحِيلَ الطَّرْفِ أَشْفِقْ ... على عَيْنَيْنِ كالنَّضَّاخَتَيْنِ
فَمَهْمَا قَدْ تَنَاهَى فيكَ مَدْحٌ ... فَلَيْسَ يُسامتُ الجَبَلَ الحُوينيْ
إمامُ كِنانةٍ؛ كَنَّتْ لديهِ ... مِنَ السَّلَفِ الأُلَى أَخْلاقُ هَوْنِ
جَمِيلُ اللَّفْظِ عذْبٌ في خِطابٍ ... يَزِينُ نِداءَهُ كَرَمُ اليَدَيْنِ
حَجَجْنَا وَالمَشَاعِرُ شَاهِدَاتٌ ... نُلَبِّي وَالدُّمُوعُ كَغَرْبِ عَيْنِ
يُذاكِرُنا بِتَذْكِيرٍ وَعِلْمٍ ... فَنَرْقَى فَوْقَ سَطْحِ الفَرْقَدَيْنِ
يَفُكُّ وَثَاقَ نفسٍ في رِقَاقٍ ... فتغدو طُهْرَةً مِنْ كُلِّ رَيْنِ
يُحَلِّيها بأخبارٍ لِطافٍ ... تُحَلِّي السَّامِعِينَ بِكُلِّ زَيْنِ
وَلَمْ تَغِبِ الشَّوَاهِدُ عَنْ عُدولٍ ... «قناةُ النَّاسِ» شاهدةٌ لِذَيْنِ
أَذَاعُوا الخيرَ مِنْ سُننٍ وهَدْيٍ ... فَشَاعَ النُّورُ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ
فَلَمْ تَهْدَأْ لِإِبْلِيسَ الطَّوايا ... إلى أَنْ سَامَها في النَّاعِيَيْنِ
فكانَ الشيخُ محتسبًا صبورًا ... فما التدبيرُ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ؟!
وَقُوتُ الناسِ في قِيلٍ وقالٍ ... وَوَقْتُ الشيخِ بَيْنَ المُسْنَدَيْنِ
وَقُوتُ النَّاسِ في طَمَعٍ تَهاوى ... وَقُوتُ الشيخِ زُهْدٌ في البُطَيْنِ

تَرَبَّـعَ عَـرْشَ تحـديـثٍ بصـدقٍ ... فَـأَدَّى النَّـافِـلَاتِ وَفَـرْضَ عَيْـنِ
وَكَـمْ مِـنْ دِقَّـةٍ أَجْـلَـى رُبـاهَـا ... وَقَـدْ كانـتْ غَـمِيسًـا بَيْـنَ بَيْـنِ
يُغِيـثُ مِـنَ المعـاجـمِ بالأمـالـي ... ويحْـكـمُ كالمَـدِينـيْ والـرُّعَيْـنِي
وَإِنْ عَـرَضَ المذاهِـبَ نَحْـوَ فَهْـمٍ ... تَغَـيَّـى فِيـهِ خَيْـرَ المَـذْهَبَيْـنِ
وَيحْتَـرِمُ الأئمـةَ باتـبـاعٍ ... وَلَا يَقْـفُـو ابْـتِـدَاعَ الطاعِنَيـنِ
«مُقَلِّـدَةً» أَصَمُّـوا عَـنْ دليـلٍ ... وَ«مَـدْخَلَـةً» تُسَـاوِي فَلْسَـتَيْـنِ
وَقَـاكَ اللـهُ يـا شَيْـخَ المعـالـي ... شُـرُورَ العابِثِيـنَ وَكُـلَّ شَيْـنِ
وَأنزلَنـا وإيـاكـمْ رضـاهُ ... بأنعُمِـهِ بِخيـرِ المَنْزِلَيْـنِ
وَصـلِّ إلهَنـا مَلِـكَ الأنـاسي ... وَرَبَّ النَّـاسِ رَبَّ المشْرِقَيْـنِ
على المختـارِ أحمـدَ ذي المزايـا ... وَآلٍ مَعْشَـرٍ وَالصَّاحِبَيْـنِ
لَـكَ الحمْـدُ الـذي ترضى لترضى ... فأَكْـرِمْ بِالرِّضَـا وَالجَنَّتَيْـنِ

محبكم عادل بن المحجوب رفوش المغربي

مراكش

٢٢ رجب ١٤٣٧هـ/ ١ مايو ٢٠١٦م

شعر الأستاذ أبي عاصم محمد شريف،
شقيق الشيخ

أبا إسحاقَ طبْتَ اليومَ نفسًا وعلمُك طابَ والجسدُ العليلُ
وقفتَ على الحدودِ تردُّ كيدًا لِذي حقدٍ له لُبٌّ جَهولُ
حرسْتَ الدِّينَ لما كنتَ يومًا صحيحَ الجسمِ كنتَ به تصولُ
فلا تجزعْ لأحداثِ الليالي فنجمُ الدِّينِ ليسَ له أُفُولُ
ولا تحزنْ فإنكَ ما بَرِحْتَ تدافعُ بالدَّلِيلِ هنا تصولُ
فإنكَ في حُلوقِ القومِ شوكٌ تُعلِّمُ سُنَّةَ الهادي تجولُ
علمتُكَ للإله تذوبُ حُبًّا وللمختارِ حُبُّك لا يزولُ
سُقيتَ الماءَ مِنْ يَدِ خيرِ خَلْقٍ رَسُولِ اللهِ ليس له مثيلُ

هو الحويني

شعر: د. جبران بن سلمان سحّاري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعضو الجمعية الفقهية السعودية، ومؤسس مدرسة الميزان للنقد الأدبي في الرياض.

تجلّياتُ العُلا والفضل تُهدينا ... بعضَ المآثرِ عن شيخ المربّينا
هُو (الحُوينيْ أبو إسحاقَ) نعرفُهُ ... مُذلِّلًا لعسير العلمِ تدوينا
جاءت تآليفُه مسجوعةً فحوتْ ... لُبّ المرادِ وكان الشرحُ يروينا
(إتحافُ ناقمِهِ) (إسعافُ لابثِهِ) ... (تنبيهُ هاجِدِه) كُتْبٌ سمتْ فينا[1]
(ورفعُ ضنْكٍ) وهذا (الإنشراحُ) أتى ... و(بذلُ إحسانِه) يزدادُ تحسينا[2]
(تنبيهُ وسنانِنا) قد صاغ (تسليةَ الـ ... كظيمِ) تخريجُه راعى الموازينا[3]
(تقريبُ ناءٍ)، و(سدُّ الحاجةِ) اتخذا ... تقريب سنتِنا من قول هادينا[4]
و(غوثُ مكدودِنا) قد جاء في حُللٍ ... من البهاءِ ترى في الجيدِ تزيينا[5]
له (العُبابُ) وذاك (العقدُ من ذهبٍ) ... فيه البراعةُ في التحقيق تُثرينا[6]

---

(١) (إتحاف الناقم بما وهم فيه الذهبي والحاكم)، و(إسعاف اللبيث بشرح ألفية الحديث)، و(تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد)، كلها كتب الشيخ.

(٢) (رفع الضنك بشرح حديث الإفك)، و(الانشراح في آداب النكاح)، و(بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن)؛ أسماء كتب للشيخ أيضًا.

(٣) (تنبيه الوسنان إلى ما صح من فضائل سور القرآن)، و(تسلية الكظيم بتخريج أحاديث تفسير القرآن العظيم)؛ كتابان للشيخ أبي إسحاق الحويني.

(٤) (تقريب النائي لتراجم أبواب النسائي)، و(سد الحاجة إلى تقريب سنن ابن ماجه)؛ كتابان آخران له.

(٥) (غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود) من أشهر مؤلفاته.

(٦) (العباب بتخريج قول الترمذي: وفي الباب)، و(العقد الذهبي بتخريج كتاب أخلاق النبي ﷺ)؛ كتابان مخطوطان للشيخ أيضًا.

سارتْ تصانيفُهُ في كلِّ زاويةٍ ... مخطوطُها سبقَ المطبوعَ تُشجينا
سمعتُ بعضَ فتاويه على مهلٍ ... فكان أُنسًا وزادًا للمحبينا
وفي وصاياه بالآدابِ تذكرةٌ ... فلا تسلْ عن حديثِ الشهدِ يُطرينا
ولا يرى الخوضَ في التجريح دون رؤًى ... تُفيد في العلم بل يستصحبُ اللِّينا
وقرَّر الجزمَ حالًا بالشذوذِ لمن ... لم يلتزمْ أدبًا في نقله الدينا[1]
هذا هو العلمُ والنضْجُ الذي انتفعتْ ... به الجموعُ فكم أسقى الرياحينا!

---

(١) للشيخ أبي إسحاق كتاب بعنوان (الجزم بشذوذ ابن حزم) لمسلكه الظاهري الذي خالف فيه الأئمة وفهم السلف.

شعر عبد السلام عمر علي هزيل الجزائري

تَطِيبُ لَنَا الذِّكْرَى بِذِكْرِ الْأَفَاضِلِ ... وَتَفْرَحُ يَا قَلْبِي بِفَخْرِ الْمَفَاخِرِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ لِكِلْمَاتِ مَادِحٍ ... يَنُوءُ بِهَا حِبٌّ(١) لِنَشْرِ الْمَآثِرِ
سَلَامٌ أَبَا إِسْحَاقَ ثُمَّ الدُّعَاءُ مِنْ ... لَهَامِيمِ(٢) عُرْبٍ، أَهْلِ أَرْضِ الْجَزَائِرِ
سَلَامٌ عَلَى بَدْرٍ؛ «حُوَيْنٌ» بِهِ سَمَتْ ... شُمُوخًا، وَفَاحَتْ مِنْ أَحَادِيثِ عَاطِرِ
سَلِيلُ بَقَايَا مِنْ فُحُولٍ شِعَارُهُمْ ... حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ زُهْرِ الْمَحَاضِرِ
فَتَى عَسْقَلَانٍ قَرَّ عَيْنًا فَدُونَكُمْ ... وَرِيثُ أَبِي شِبْلٍ يَصِي(٣) آلَ شَاكِرِ
سَنَى كَوْكَبٍ مِنْ كَفْرِ شَيْخٍ بَدَا لَنَا ... يَرَاهُ سُعُودًا شَيْخُ كَفْرٍ لِغَابِرِ(٤)
وَمَا بَصُرَتْ عَيْنَايَ غَيْرَ مُحَدِّثٍ ... يَرَى سُنَّةَ الْهَادِي نَفِيسَ الذَّخَائِرِ
رَعَى اللهُ نَاسًا فِي كِنَانٍ مُبَارَكٍ ... مَنَارَاتُ عِلْمٍ أَنْجُمٌ لِلْبَصَائِرِ

---

(١) الحِبُّ هنا المُحِبُّ والمَحْبُوب.
(٢) جمع لُهموم، وهمُ السّابقون من النّاس.
(٣) يصي معناه «يصل».
(٤) من الأضداد، وهو هنا بمعنى الباقي من الزّمن لا ما مضى.

شعر ماجد بن عبد الله الشيبة آل دبَيّان

طالب دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الشريعة - قسم أصول الفقه

جعلتُ الشيخَ نِبراسًا لديني ... ومِعراجًا إلى رُتبِ اليقينِ
ونُورًا أستَضيءُ به بلَيْلٍ ... فيَهدِيني إلى النَّهجِ المُبينِ
وفي فتَنٍ كمَوْجِ البحرِ آوِي ... إلى جبلٍ وأركبُ في السَّفينِ
عرَفتُ الشيخَ ذا عِلمٍ وحِلمٍ ... وأخلاقٍ مُكمَّلةٍ ولِينِ
وليس يَلِينُ للأعداءِ مهما ... تكاثَرَ جُندُ إبليسَ اللعينِ
إذا نطقَ الجهولُ ترى هِزَبْرًا ... يذودُ عن الشريعة والعرينِ
فكم بالعلم جاهدَ كلَّ غاوٍ ... يعيبُ الدِّينَ بالحِقدِ الدَّفينِ
إذا ما أمَّةُ الإسلام يومًا ... أُصيبَتْ من ذوي الشأن المَهينِ
تقَطَّعَ حُرْقةً واسْتَلَّ سيفًا ... وكان لها كما الدِّرع الحصينِ
له صبرُ الجبالِ على ابتلاءٍ ... ولا يرجو سوى الربِّ المُعينِ
يُذكِّرُني بما قد قيل قبلًا ... وسار على مدى مرِّ القرونِ
إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لِمَجدٍ ... تلَقَّاها عُرابةُ باليمينِ
يُسائِلُني الأحبَّةُ عن مُرادي ... ومَن أعنِي بذا المَدْحِ الرَّزينِ
فقلتُ لهم: هو الشيخ الحُوَيْنِيْ ... وما أدراك ما الشيخ الحُوِينِيْ؟!

عاشوراء ١٤٣٧هـ
المدينة النبوية المنورة

شعر يعقوب بن مطر العتيبي

قصيدة قالها حين قُطعت ساق الشيخ المحدّث الجليل أبي إسحاق الحويني إثر مرض ألمّ به:

فــي ذمــةِ المـولـى تركـتَ الساقا ... عـافــاك ربــك يــا أبــا إسحاقَ
إن كان قــد عــاق المسيـرَ فراقُها ... لكــنّ قلبــك لــن يكـونَ مُعاقـا
أو كــان تـريــاقُ المريـضِ بجرعـة ... فصفــاءُ روحِــكَ قـد غـدا ترياقـا
يـا خادمًا سننَ الرســول وهَدْيَــه ... ومُضَمِّــخًا بعبيــره الأوراقـــا
ومُجَلِّيًــا نهجًــا تجـــدَّدَ عهــدُه ... كالبــدر حُسْنًـا والسنـا إشـراقـا
ومضيـتَ تنشـرُ فـي الأنـام رسـالـةً ... حــتـى بلغــتَ بشـرحهـا الآفاقـا
لا بـأسَ يـا شيـخَ الحـديـثِ فـربُّنـا ... يجـزي الصبــورَ ويفتــحُ الأغلاقــا
فاهنـــأْ بأدعيـة العبـاد وحبِّهــم ... صاغـوا الـودادَ وأرسلوا الأشـواقـا
يـا مصــرُ يـا بلـدَ الكرام تحيــةً ... مــن أرضِ نجـدٍ والقلوبُ تَلَاقَــى
نسـبُ التُّقـى والعلـمِ أوثـقُ عــروةً ... وحبـالُــه قــد فـاقــتِ الأعراقـا

كتبه

يعقوب بن مطر العتيبي

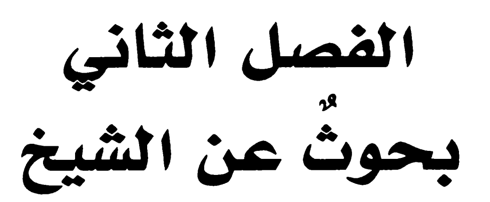
المملكة العربية السعودية - الرياض

أول رجب ١٤٣٣هـ - ٢٢ مايو ٢٠١٢م

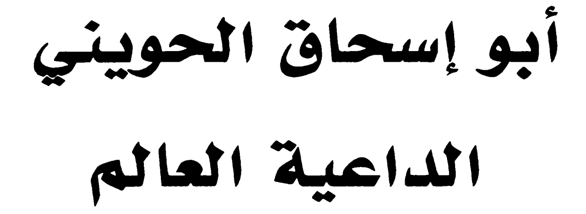
شعر وجدان العلي

يوم دخول الشيخ للمشفى بعد أن ابتُلِي في ساقه سنة ٢٠١٢م.

للشوق في كنف الضلوع ضرامُ! وبكل جفن لهفةٌ وغمامُ
مرضَ الحبيبُ.. فهامَ في أحزانه وجهُ المدى، وتوجّع الإلهامُ
وفمُ الضراعة لاهجٌ بصلاته يتلو الدعاءَ فتسكنُ الآلامُ
حتى إذا جاوزْتَ سُقمَك.. وارتقى عنك النشيج.. وغادرَ الإظلامُ
وأُجيبَ دمعٌ كم هوى بشجونه خوفًا عليكَ.. كأننا الأيتامُ!
عادَ الوجودُ إلى الوجود.. وغرّدتْ روحُ المحبِّ.. وكبَّر الإسلامُ!
والعالم العلويُّ محفلُ فرحةٍ إذ قيل: عُوفيَ شيخُنا المقدامُ
إنْ ترحلِ اليُسرى فيُسرٌ مُقبلٌ يسعى إليكَ وفي يديه سلامُ
تمضي إلى العطشى تبلُّ حنينَهم للعلم.. تحملُ بشرَك الأنسامُ
وتُنير محرابَ الحديثِ بسيدٍ في وجهه الإشراقُ والإكرامُ
ينسابُ من فمه البيانُ مكوثرًا حبًّا لأحمدَ.. والحديثُ غرامُ!
كتمَ الصبابةَ للصِّحابِ فإنْ سرى طيفٌ تداعى دمعه النمَّامُ
وجِعٌ أسيفٌ عند ذِكر ديارهم عقْدُ الحنين لدى المحبِّ ذِمامُ!
يا عاشقَ الصّدّيقِ وجهُكَ دفترٌ للحبِّ.. فيه مواجعٌ وهُيامُ
قبلَ الكلامِ.. بيانُ عينِكَ ناطقٌ عن قلبِكَ المشتاقِ وهْو ضرامُ!
حبي كبيرٌ، لو علمتَ، وقصّتي شوقٌ عصتْه كتابةٌ وكلامُ
الحبُّ عنوانُ الحياةِ وروحُها وسوى الحياةِ متاهةٌ وحُطامُ!



الفصل الثاني
بحوثٌ عن الشيخ



أبو إسحاق الحويني
الداعية العالم

بقلم الدكتور/ **فتحي محمد جمعة**

الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

والخبير السابق بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيرٌ ما هم، أولئك المشهورون في ميدان الدعوة الإسلامية في العصر الأخير!

تراهم نجومًا ساطعة، وشموسًا طالعة، مع بريق وهّاج: معهم أينما كانوا، وفي ركابهم حيثما ساروا!!

وقليلٌ ما هم، أولئك المستحقّون أن يُسْلَكوا في سبيل العلماء؛ بما جَدُّوا في الطلب، فأَجْمعوا أمرهم، وعقدوا عزمهم، واستنفروا عوالِيَ همّتهم، ثم ساروا على الدرب أشواطًا من بعد أشواط، بين نِجاده ووِهاده وحُزونه وسُهولِه بدأْبٍ لا يمَلّ وصبْرٍ لا يَيْأَس حتى بلغوا بعض مأملهم، وأدركوا نصيبًا من غايتهم إذ استَجْمَعوا الوَصْفَيْن، ومَلَكوا الأداتَيْن؛ فكانوا بحقّ هم: العلماءَ الدعاة، والدعاةَ العلماء!!

وفي منزلة عالية من هؤلاء، ومكانٍ مكينٍ بينهم: مَنْ تُسْطَرُ له هذه السطور:

أخي أبو إسحاقَ الحوينيُّ: لقد سعدت حقًّا بدعوتي إلى المشاركة في هذا العمل الكبير، ولكني ما تلبّثْتُ بالسعادة إلا يسيرًا حين أدركت صعوبة المهمّة وجسامة الأمر؛ لأن أداء الحق الواجب هنا، يقتضي مراجعة شاملة لتراث الرجل وسيرته، وهو ما تَقْصُرُ دونه طاقةُ السّنّ، مع ازدحام الوقت بمكدّرات الزمان بين ميدان العمل وأعباء الحياة.

ومع ذلك أحسست بوجوب الانضمام إلى قافلة الكاتبين.

فعلى بركة الله تعالى!

لا ريب أن أبا إسحاق قامة عالية وقيمة كبيرة في ميدان الدعوة الإسلامية المعاصرة. ومن أجل ذلك، تتّسع جوانب الحديث عنه، وتتكاثر جهات الفضل فيه!!

وفي أسطرٍ معدودات كهذه التي نكتب الآن، لا نستطيع أن نستقصي ما يجلو فضائل الرجل أو يُبيّن مزاياه.

وإنما نكتفي بإشارات موجزات إلى بعض المعاني المضيئة في سيرته المنشورة بموقعه من شبكة المعلومات، كما كتبها بعض تلاميذه ومريديه، وكانت هي معتمدَنا الرئيس في سَطْرِ هذه السطور، فضلًا عن «مساءلات هاتفيّة» بين السّاطر وَوَلَدَي الشيخ، وأحد أحفاده -بارك الله فيهم- فنرجو أن نُوفَّق في استيعاب تلك الإشارات لما نَسْعَى إليه

هنا في الحديث عن صاحب هذه السيرة الثريّة من لَدُنْ نشأته، حتى بلغ أشُدَّه واستوى.

وإن تَعْجَبْ فعَجَبٌ ألا نرى -في المرحلة الأولى من حياة ذلك العَلَم- مبشّراتٍ أو مقدِّماتٍ لافتة «تُوشِي»[1] بظهور «داعية» ما يلبث إلا قليلاً، ثم يتقدّم الصفوف، ويتبوّأ مكانه العالي بين مشاهير الدعاة، بل كلّ ما يمكن رَصْدُه من تلك المرحلة، لا يَعْدُو أن يكون إرهاصًا بمكانه أو تبشيرًا به أو لَفْتًا إليه!!

ومن أدلة ذلك عندي: أن الجِدَّ في حفظ القرآن الكريم، لم يبدأ إلا وهو بين يدي الدعوة واقفًا على عتبة بابها، ولم ينته إلا بعد أن أوغل في طريقها في مرة من مرات سجنه الثلاث[2].

ولعل في بعض ما كتبه، ما يشير إلى هذه الحقيقة، أو يدلّ عليها حين سمَّى مرحلة البداية بمرحلة «الخمول» وهي تسمية جيّدة موفّقة تُنْبِئُ عن إدراك صاحبها -وهو يخطو خطواته الأولى- للمنهج القويم ومقتضياته التي يجب على طالب العلم الجادّ أن يعيها ويسعى لها سعيها؛ لأن مرحلة الخمول هذه، تتيح لطالب العلم أن يُغِذّ في مسيرة الطلب وأن يبلغ مأمله في التحصيل بعيدًا عن أضواء الشهرة وبريقها الفاتن الأخّاذ!

إن السيرة المكتوبة تعرض علينا -باديَ بَدْءٍ- صورة لشاب طَموح جادٍّ مستقيم، ولد في بيت دينٍ وصلاح لأبوَيْن صالحَيْن.

ثم تقلّب في نشأته بين أطوار الحياة المألوفة لشباب جيله كلِّه؛ تلقَّى دروسه جميعًا -منذ الطفولة إلى الصبا، ثم الشباب واليَفاع- في مدارس التعليم المدنيّ وجامعاته، وانتهى به جِدُّه إلى واحدة من كليات «القمّة» كما يسمونها وهي كلية الألسن في قسم اللغة الإسبانية، فلماذا؟؟!!

ليس في السيرة المنشورة ما يصرّح بسبب الاختيار، أو يُشير إليه؟!

فهل أراد بدراسة هذه اللغة أن يقترب من «أجواء» الحضارة العربية الإسلامية في

---

(١) من قولهم: أوشت الأرض: خرج أول نَبْتها، والنخلة: رُئيَ أول رُطَبِها. انظر القاموس: وشى.

(٢) كان ذلك في أحداث الزاوية الحمراء وهي المرة الأولى. وقد سجن -حفظه الله وأثابه- تسعة أشهر (سبتمبر ٨١ حتى يونيو ٨٢)، وفي هذه المرة أتم حفظ القرآن الكريم، وقد سُجِن مرتين أخريين إحداهما من نوفمبر ٨٨ إلى يناير ٨٩، والأخرى يومًا وليلة سنة ٩٤، هذا ما أمدّني به حفيده عمرو الحويني بارك الله عليه وعلى آل الشيخ أجمعين.

ركن مجيد من أعز أركانها وهي أرض الأندلس؟؟!!

سياق حال أبي إسحاق في مسيرته يرجّح -عندنا- هذا الاحتمال؛ فلعله -حفظه الله- يؤكد فَهْمنا أو ينفيه؟!

مهما كان الأمر فقد تخرّج الشاب الطموح في كليته حائزًا سَبْقًا مُظفَّرًا يرشّحه لبعثة في إسبانيا، فما صَبَر عليها إلا حينًا قصيرًا؛ إذ يعود بعد بضعة أشهر ضائقًا صَدْرُه بنوع الحياة في تلك البلاد.

وتلك عودة سريعة تدل -فيما أرى- على أمرين كريمَيْن:

أحدهما: الجُنوح المبكّر لمَنْهج الاستقامة، وما يقتضيه من وقار واستعفاف يستَعْلي به على المُغرِيات والمُغْوِيات!! وذلك مطلب لازم بلا ريب لكل مَنْ يتصدّى لمعالي الأمور، وهو ما كشفت عنه الأيام لمن تتناوله هذه السطور بالبيان.

والأمر الآخر: الشعور القويُّ بضرورة السير الحثيث في طريق الدعوة؟!

هذا وقد أوحت إلينا قراءة السيرة مرّةً بعد مرّة -في مرات عديدة متعاقبة- طائفةً طيبةً من المعاني النبيلة، نكتفي هنا ببيانٍ موجز لمعنيَيْن اثنين، لعل فيهما -معًا- ما يشير إلى ما سواهما، أو يصرح به ويدل عليه؟!

المعنى الأول: الاسم والكُنْية والنَّسَب!!

أولًا: اسم (حجازي):

إنه تسمية الوالد الصالح واختيارُه -رحمه الله تعالى- بعد أدائه لفريضة الحج؛ تَبَرُّكًا بالمكان وتَيَمُّنًا بالزمان، رجاءً في أن يكون هذا المولود -بذلك الاسم- من الصالحين؛ كمِثْل دَأْب الطيّبين من الناس في النظر إلى هذه المعاني، والحرص عليها، والطمع في بركتها حين اختيار الأسماء لأبنائهم.

هذا ما نعتقده؛ لا نقوله رَجْمًا بالغيب، ولا تَخَرُّصًا بالظنّ، بل اجتهادًا في تفسير هذا الاختيار، نعوّل فيه على ما نعرفه من عادات كثير من أهل الصلاح في المناطق الريفية وما في حكمها لدى أهل المدينة، والله تعالى أعلى وأعلم.

ثانيًا: الكُنْية (أبو إسحاق):

ما ينبغي لناظر في سيرة الرجل، أن يعدو هذه الكُنْية دون أن يتأمّل ارتباطها الوثيق

المحكم بـ«**شخصيّة الداعية**» التي تمكنت منه، ثم تَغَلْغَلَتْ فيه منذ سلك سبيلها وسار على دَرْبها!!

لقد هجر اسمه ونسبه الذي عُرِفَ به إلى اسم آخر ونَسَبٍ آخر، يتجاوز به الانتماءَ الاجتماعيّ المحدود؛ ليُحلِّق به في آفاق الدعوة، ويجولَ معه في أرجائها الرحيبة؛ ولهذا لم يتجه نظره إلى ابْنٍ عزيزٍ أو ولدٍ مُقَرَّب، بل تردَّد بين كُنْيَتَيْن، كل منهما لإمام كبير من أئمة العلم وعَلَم جليل من أعلام الإسلام!!

أما الأولى -وهي أبو الفضل- فكانت من أثر إعجابه البيّن بالحافظ ابن حجر، رحمه الله تعالى.

وأما الأخرى -وهي أبو إسحاق- فمن تأثره بالشاطبيّ رحمه الله تعالى، ثم رجّحها لديه أنْ قدْ سبقَتْ للصحابيّ الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

لا جَرَم كان هذا «الاختيار» المقصود آيةً على تمكُّن «**صفة الداعية**» منه وسلطانها عليه، منذ بدأ يخطو خطواته الأولى على دربها الكريم.

ثالثًا: النَّسب واللقب:

عُرِفَ أبو إسحاق حينًا من الزمان بنسَبَيْن متجاوِرَيْن وهما: الحوينيّ والأثريّ.

أما الأثريُّ (وهو المشتغل بعلم الأثر أو الحديث) فقد رَغِبَ عنه -على الرغم من دلالته على مُنْتَماه وإشارته إلى متوجَّهِه- تخَفُّفًا، وهربًا من شبهة التفاخر أو تزكية الذات.

وأما الحويني -وهو ما آثره- فقد صَحِبَه ولزمه بضع عشراتٍ من السنين، ارتبط به وأصبح -مع كنية أبي إسحاق- رمزًا له، وعَلَمًا عليه!!

وذلك -في رأينا- دليل عظيم على قوة «الشعور بالانتماء» -بمعناه الاجتماعيّ المعلوم- عند هذا الداعية المسدّد؛ إذْ كان النَّسبُ إلى «حُوَيْن» رَفْعًا لذِكْرِها ومَنْقَبةً من مناقبها؛ تُزْهَى به وتجد فَخْرَها فيه؟!

لقد كانت «حُوَيْن» قرية صغيرة مغمورةَ الاسم، مَنْسِيَّةَ الذكر، ثم غَدَتْ بنَسَب فتاها النجيب إليها: قيمةً ورمزًا ومعنى يتناقله طلاب العلم، ويَسْرِي من سالفيهم إلى الخالفين.

هذا أول المعنيين اللذَّيْن اخترناهما لحديثنا عن أبي إسحاق!!

والمعنى الثاني: هو اكتمال العدة وسداد المنهج:

من اليسير على القارئ المتأمل في السيرة «الحوينيّة» أن يستخرج منها علاماتٍ بارزةً على أن صاحبها قد استكمل «عُدّة» الداعية قبل أن يتخذ سبيله في طريق العِلْم بين الطالِبين.

ويتمثل ذلك في صفاته النفسية، وحظه العظيم من ذكاء العقل وقوة العزم، وعلوّ الهمّة والطموح المتوثّب والحرص العنيد على التفوّق.

وكل أولئك قد أتاح له -كما تقول السيرة- أن يكون دائمًا في مقدمة الصفوف وطليعة الفائزين.

ومن أجل ذلك سرعان ما حلّ بين كبار الدعاة فيما حلّ فيه من مكانة رفيعة ومكانٍ كريم.

ولسوف نتحدث فيما يأتي عن أمرين اثنين نختم بهما ما أردنا أن نشارك به في هذا العمل الكبير عن ذلك العلم الشهير، ذانك ما صرّح به العنوان المتقدم:

اكتمال العُدّة وسداد المنهج: على نحو ما تُبْديه الأسطر التالية من تفصيل وبيان.

أولًا: العُدّة المكتملة:

يرى كاتب هذه السطور أنْ قد تكاملتْ لدى أبي إسحاق عُدّةُ الدعوة وأدواتُ التمكّن فيها من جهتين:

إحداهما: بيئة علميّة تحب العلم وترعاه، وتحتفي به وتُقْبِل عليه، وتقتني كثيرًا من كتبه.

ومردّ ذلك -بعد فضل الله تعالى وجميل مَنّه وكريم إحسانه- إلى حب شقيقه الأكبر [1] للقراءة، ودَأَبه في تهيئة وسائلها والمُرغِّبات فيها، بمكتبةٍ كبيرة منوّعة كان لها أثر كبير في توجيهه إلى ما توجّه إليه مِنْ إيثار العلم، والحِرْص عليه، والسَّعْي الحثيث في طلبه!!

والجهة الأخرى:

ملكاتُه الخاصّة ومواهبه التي وَهَبها ربه ﷻ له، وأنعم بها عليه. ومنها موهبة البيان

---

(١) هو الدكتور رزق حفظه الله.

وملكة الشعر، على نحو ما يبدو فيما يأتي:

لا ريب عندنا في أن البيان المؤثّر الذي أُوتِيَه أبو إسحاق قد تمَّ له من طريقيْن:

أحدهما: ثقافة لغوية أدبية جيدة أمكنتْه منها قراءةٌ مبكرةٌ في كثير من كتب الأدب المشهورة إبّانَ نشأته، مع ذاكرة قوية استطاع بها أن يختزن مقدارًا هائلًا من حصيد هذه القراءة، كما ظهر ذلك في إيراد بعض الأمثال السائرة كقوله: «ندمْتُ ندامة الكُسَعِيّ»(١) حين عجز عن شراء كتاب الألبانيّ أولَ مرة. أو في استعمال بعض العبارات «المصكوكة» نحو قوله: «ما يَجِلّ عن تسطير وصفه بناني، ويضيق عَطَني ويكلّ عن نعته لساني»(٢).

وكذلك قوله في وصف غرابة علم الحديث، حين جَدّ في طلبه والسعي إليه: «إنه كان أغرب من فَرَسٍ بهماء بغَلَسٍ»، وقوله -بعد قراءة كتاب صلاة النبي لشيخه الأثَر: «ألقيتُ الألواح ولاح لي المصباح من الصباح».

وغير ذلك من العبارات المرصَّعة المبثوثة في مؤلفاته وتصنيفاته.

أما الطريق الآخر فهو مَلَكة الشعر، وذلك موضوع الكلمة التالية.

الشعر عند أبي إسحاق:

ذكر كاتبو السيرة أن أبا إسحاق قد قرض الشعر في مطلع شبابه. وكان يشارك -متفوّقًا مميّزًا- في مسابقات قصر الثقافة بكفر الشيخ، ولكنهم -بارك الله فيهم- لم يُورِدوا أمثله لشعره أو مختاراتٍ من دواوينه؛ نتعرّف منها إلى طبيعة هذا الشعر ومجالات نظمه.

غير أن جانب الشعر جانب له أهميته فلم نستطع مجاوزته فجَهَدْنا جُهْدَنا في تحصيل مَثَلٍ منه؛ فاستجاب لنا شقيقه الدكتور رزق الحَفِيُّ بأخيه والمحبُّ له والحريصُ عليه؛ إذْ

---

(١) هذا مثل يضرب لمن يعمل صوابًا يظنه خطأ فيتلف أدواته فيندم ولات حين مندم؛ قال الشاعر:

ندمتُ ندامةَ الكسعيِّ لمَّا ... رأتْ عيناه ما صنعتْ يداهُ

(انظر قصة المثل في القاموس، مادة: كسع).

وأبو إسحاق يورده مبالغةً في التعبير عن شدة ندمه؛ لا لأن حاله تُحاكي حال الكُسَعِيّ لأنهما مختلفتان.

(٢) لعل السبب في إيثار لفظ «يجِلّ» هنا، هو المواءمة الصوتية للفظ «يكل» ولكنّ (يجل) غير مناسب للسياق؛ فأرجو أن يصبح: يعجز أو يَقْصُر.

أرسل إلينا مقطوعة صغيرة من قصيدة كتبها منذ سبع وثلاثين سنة تحت عنوان:

طَرْقَةٌ على دُفٍّ مثقوب:

وعلى الرغم من أن بضعة أبيات (ستة عشر بيتًا)[1] من قصيدة واحدة لا تكفي أبدًا لتحديد اتجاه شاعر أو تبيُّن ملامحه الشعرية - على الرغم من ذلك، عكفنا عليها وقرأناها مرة بعد مرة؛ نغوص في أعماقها، ونجوس خلالها ونجول بين أبياتها، حتى انتهى بنا المطاف الصبور، والتأمُّل الطويل، إلى أنها تقدم تفسيرًا مقبولًا للمنهج الدعويّ وأهدافه عند أبي إسحاق؟!

فهاكم تحليلَنا لهذه القطعة التي «ظَفِرْنا» بها من شعره بادئين بالعنوان:

«طَرْقَةٌ على دُفٍّ مثقوب»

---

(١) قلت -عمرو: وهذه هي القصيدة بتمامها:

ما قلتُ يومًا يا رفيقي إنما ... أنا واحدٌ وتحُدُّني قُدُرَاتِيَهْ
أنا دائمًا أُعْطي وأُعْطي مُسرِفًا ... ما قلتُ يومًا قد خُلِقْتُ لِذاتِيَهْ
أنا شُعْلَةٌ في كُلِّ دَرْبٍ مُظْلِمٍ ... وقصيدةٌ تصِفُ الرَّبيعَ وقافِيَهْ
أنا بَسْمَةٌ تكْسُو الشِّفَاهَ وضِحْكَةٌ ... جَلَبَت نسِيمًا للنُّفوسِ الآنِيَهْ
أنا قطْرَةٌ نزَلَت بأرْضٍ جَدْبَةٍ ... أحْيَتْ زُرُوعًا شاحِباتٍ بالِيَهْ
أنا مِئْزَرٌ يكْسو يتيمًا عاريًا ... ومُسكِّنٌ يَشفي قُلُوبًا دامِيَهْ
أنا حَبَّةٌ غُرِست لِيَخْرُجَ ضِعْفُها ... أنا لُقْمَةٌ في كُلِّ بَطْنٍ طاوِيَهْ
أنا جَدْوَلٌ تجْري المِياهُ بقاعِهِ ... أنا رَشْفَةٌ تروي نفوسًا صادِيَهْ
أنا مِدْفَعٌ يومَ النِّزالِ وطلْقَةٌ ... خرَجَتْ لِتَسْحَقَ باللَّظَى أعدَائِيَهْ
أنا خِنْجَرٌ في ظهرِ كل مُنافقٍ ... وعصًا تُهَشِّمُ كلَّ رأسٍ طاغِيَهْ
أنا صَرْصَرٌ مُتواكِبٌ قد صيَّرَ الـ ... مُتفلسِفين جُذوعَ نخْلٍ خاوِيَهْ
ما حطَّم الدُّنيا ودرَّس روْضَها ... إلا شُخُوصًا كالدَّيَاجي باغِيَهْ
أنا قدْ مَلَلْتُ الصَّمْتَ مُنذُ تكَلَّمَتْ ... كلُّ الشواهِدِ والبرايا صاغِيَهْ
أنا قد سَئِمْتُ العيشَ منذُ تمَذَّقَتْ ... نفسي وضجَّتْ بالأَسَى جَنبَاتِيَهْ
فالعُمْرُ يمضي ساعةً في ساعةٍ ... والنَّفْسُ لا تدري وتلك حَيَاتِيَهْ
إني وجَدْتُ الخيرَ كلَّ الخيرِ في ... نفسٍ تجودُ بما لديها راضِيَهْ

ماذا نقرأ فيه؟ أو ما الذي يشير إليه ويدل عليه؟!

إنّ تأمُّل الحروف، واستنطاق الكلمات يُنبِّئنا أن الرجل يريد أن يعلن أساه من حال زمانه، وأهله الذين يعيشون فيه؟!

دعوتُهم إلى الخير، لا جدوى منها ولا فائدة فيها؟ كيف؟!!

إن الدفّ -كما هو معلوم- لا يظهر صوتُه، ولا يكْمُل أثره إلا إذا كان مُحْكَم النَّسْج مُتْقَنَ الصُّنْع، جِلْدُ غطائه مشدودُ الوَثاق بجداره؛ فإذا تسلّلت الثقوب إليه، أو سَرَت الخُروقُ فيه، كان «طَرْقُه» أو «ضَرْبُه» بلا صوت ولا أثر.

وهكذا الناس في هذا الزمان؟!!

توقظهم من سُباتهم، تنبّههم من غفلتهم، تبعثهم من مَرْقدهم، تدعوهم إلى ما ينفعهم؛ فيذهب دعاؤك سُدًى؛ لا يرجع منه صدًى، ولا يأتي له جواب؟!!

ولقد كان الشاعر حجازي محمد شريف، شابًّا يافعًا تجاوز العشرين ببضع سنين، حين تأمل أحوال أمته وما كَثُرَ فيها من الزَّيْغ، وما غَلَب عليها من الضعف، وما قَبَعَتْ فيه من الهوان، وما انتشر بأرضها من المظالم، فجاشتْ في نفسه الآمال، وماجَتْ في قلبه المطامح التي فاضت بها أبياته؟!

فهذه القصيدة -إذًا- ليست من الفَخْر المتفشّي بالشعر العربيّ، على الرغم من كثرة الجُمَل التي تبدو في ظاهرها للنظر القريب فَخْرًا من الشاعر بما لديه من قُدرات وطاقات يؤدّي بها جلائل الأعمال وعظائم الأمور، وليست كذلك اعتزازًا مُفْرِطًا بالذات يؤدّي بصاحبه إلى أن يَنْسُبَ إلى نفسه ما وَسِعَه من صفات مستعملًا ضمير المتكلم المفرد (أنا) تأكيدًا لهذا الاعتزاز، أو إثباتًا لحقه في ذلك الفخر؟!

كلا! بل هي مطامح شاب «مثاليّ» إلى ما يرجو أن يكون هو عليه، ولما ينبغي أن يفعله من خير لقومه. وكأني به يرجو أن يكون ذلك أملًا عامًّا يسعى إليه شبابُ المسلمين أجمعون[1]؟!

---

(١) أجمعون تأكيد لشباب وهو فاعل (يسعى).

ولعل التأمُّل المُسْتَأْنِيَ لطوائف المعاني الرئيسة البارزة، في هذه الأبيات، يقدم لنا بعض الدليل على ما قررناه آنفًا؛ إذ تشتمل -في رأينا- على أربع مجموعات متمايزة.

أولاها: تعريف الشاعر بنفسه، وإعلاؤُه للقِيَم التي يقيم عليها حياته؛ فهو لا يعوّل على غيره في إدراك غايته، أو بلوغ مأمله بل يربط أعماله ومواقفه وأمرَه كلَّه بطاقاته وقدراته الشخصية أو الذاتية؛ ومن أجل ذلك كان العطاء السخيّ مبدأً من مبادئه وقيمةً من قِيَمِه، ذلك ما ينطق به البيتان الأولان:

ما قلتُ يومًا يا رفيقي إنما ... أنا واحدٌ وتَحُدُّني قُدراتيهْ

أنا دائمًا أُعطي، وأُعطي مُسرفًا ... ما قلتُ يومًا: قد خُلِقْتُ لذاتيهْ

وفي المجموعة الثانية: بيانٌ إحصائيٌّ لما يمكن أن تبلغه طموحاته التي تستدعيها همته العالية وعزيمته الوثّابة في أن يكون: شعلة ضوء، وبَسْمة سعادةٍ، وقطرة حياة، وكساءً للعاري، ودواءً للمريض، وحبًّا ونباتًا لطعام الجائعين.. إلى غير ذلك مما يرجو أن يتمكّن منه ويقدر عليه في بلاغ رسالته وأداء أمانته في نهضة أمته.

ذلك ما شدَتْ به الأبيات الستّة التالية التي ختمها بقوله:

أنا مِئْزَر يكسو يتيمًا عاريًا ... ومُسَكِّنٌ يشفي قلوبًا داميهْ

أنا حَبَّةٌ غُرِسَتْ ليخرجَ ضِعْفُها ... أنا لقمةٌ في كلِّ بطنٍ طاويهْ

أنا جَدْولٌ تجري المياهُ بقاعِه ... أنا رشفةٌ تروي نفوسًا صاديهْ[١]

المجموعة الثالثة: صيحة الإباء:

رأى الشاعر المُفْعَم بأمل الإصلاح ورجاء التطهير، أنّ انتشار البغي وعُتُوَّ الطغاة ينبغي أن يُواجَها بقوة قادرة على دَحْرِهما وقَهْرِهما؛ فتحوّل عن هذه «التمنيات» النبيلة، إلى مجاهد مناضل ذي قوةٍ وذي بأس شديد يتعقّب الظالمين، يغالبُهم حتى يغلبَهم، ويطاردُهم حتى يطردَهم، ويساحِقُهم حتى يسحقهم.

وهكذا صار إلى مِدْفَع ساحق، وخنجر قاتل؛ يضرب ويَهْشِم ويَسْحَق، ويُتَبِّر معوقي

---

(١) يراجع أصل القصيدة في المجموعات الشعرية التي يحتفظ بها شقيقه الدكتور رزق.

الحياة من البغاة والطاغين بعد أن ملّ الصمت وسئم من السكون!!

المجموعة الرابعة: حكمة التجربة وخلاصة الرؤية:

في تسلْسُلٍ منطقيٍّ مقنع ينتهي الشاعر الشاب الطَّموح إلى إعلان ما استخلصه من تجربته مع الحياة والأحياء، خاتمةً رصينة لهذه القطعة المختارة؛ وذلك بتقرير الحقيقة المحتومة في تتابُع الأيام، وتلاحُق الشهور والأعوام مسرعةً إلى الفناء، والنفسُ في غَمْرةٍ ساهية، وعن تلك الحقيقة لاهية؛ لكي يعلن مبدأه، ويصرّح بقِيَمِه ومُثُله في تحديد ما هو جدير به من عمل، وما هو مُعَلَّقٌ عليه من أمل؛ إذ يقول في آخر بيتين من هذا الاختيار:

فالعمرُ يمضي ساعةً في ساعةٍ والنفسُ لا تدري وتلك حياتيهْ
إني وجدتُ الخيرَ كلَّ الخير في نفسٍ تجودُ بما لديها راضيهْ

كل ما قدمنا في «موضوع» الشعر أو ما يتصل بالمعنى أو المعاني الرئيسة التي يسعى الشاعر إلى إعلانها أو بيانها، ولقد قيل: إن المعنى في بطن الشاعر، ولكن ساطر السطور أبى إلا أن يستخلص منها ما أمكنه بالتأمل الصابر لكل كلمة تقريبًا في هذه الأبيات.

فماذا عن «الشكل» أو الصياغة الشعريّة؟!

هنا أيضًا يتبدّى لنا مظهر من مظاهر التوفيق في الوزن المختار، والقافية المُنْتقاة!!

أما الوزن فهو من بحر الكامل الذي لا يُنْظَمُ عليه غالبًا إلا ما كان جادًّا ذا قيمةٍ لافتة من جليل الأحداث، وكبير القضايا، وعظائم الأمور!

وقد نَظَمَتْ عليه طائفة من كبار الشعراء قديمًا وحديثًا!!

فمن القُدامى: أبو ذؤيبٍ الهذليُّ في مرثيّته الشهيرة:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تتوجّعُ والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزعُ

وابنُ الرومي في قوله:

وإذا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأً لنَوالِه وأطالَ فيه، فقد أرادَ هجاءَهُ

ومن المحدَثين أميرُ الشعراء أحمد شوقي في قصيدته المشهورة عن النيل:

مـن أيِّ عهـدٍ فـي القـرى تتدفّـقُ ... وبـأيِّ كـفٍّ فـي المدائـن تُغْـدِقُ

ومـن السـماءِ نَزَلْـتَ أم فُجِّـرْتَ مِـن ... عُلْيـا الجِنـانِ جـداوِلًا تَتَـرَقْـرَقُ

فهل أراد الشاعر أن يكون «إطار» شعره مُكافِئًا لمضمونه ومحتواه؟!

أم أن ذلك المضمون، هو الذي استدعى هذا الإطار؟؟!!

ههنا نرضى بما أبَيْناه آنفًا؛ فنقول مسلّمين: «المعنى في بطن الشاعر».

وأما القافية فهي حقًّا جميلة ورشيقة، تأثر الشاعر فيها تأثرًا كبيرًا بفواصل الآيات الكريمة في سورة الحاقّة، فاكتسبت جمالًا وقوةً في التأثير والنفاذ.

وبعد فما قلنا هنا إلا ما انتهت إليه قراءةٌ فاحصةٌ لدخائل الحروف، غائصةٌ في أغوار الكلمات، وقد أكّدَتْ لنا تلك القراءة أن أبا إسحاق الشاعر قد «كَمَنَ» في أبي إسحاق الداعية مرّتَيْن:

أولاهما: في عطاء القِيَم والمُثُل التي قام عليها منهاج دعوته.

والأخرى: في طاقة تعبيرية مُورِقة ورائقة، صحبتْه في «مسيرته الدعويّة» كلها: دروسًا، ومحاضرات وخُطَبًا؟!![1].

ولا يَغُضّ من ذلك أبدًا أنّ الشعر المختار -وقد كان في مرحلة التكوين الأولى- يَسْتَدْعي بعض الملاحظات اليسيرة من ثلاث جهات:

الأولى: خطأ نحويٌّ ظاهر في البيت الثاني عشر:

---

(١) **تنبيهٌ لازم:** إن إعجابنا الراسخ بلغة أبي إسحاق وما لديه من طاقاتٍ في التعبير والبيان لا يحجُب مخالفتنا له في استعمال «العاميّة»، وخاصّةً في الدروس والمحاضرات.

وكم كنت أودّ -وللشيخ في قلبي مكان مكين ومقام كريم- لو يَسْتَصْفِي أحاديثه الذائعة المؤثّرة من تشويهات العامية؛ لينصر الفصحى أولًا، ثم ليكون وسيلةً نبيلة لنَشْر لغة القرآن العظيم، وتعميم الوعي بها والإقبال عليها بين جموع المسلمين.

إن رأينا في هذه القضيّة ثابت معلوم: أعلنّاه، ثم استمسكنا به وجادَلْنا عنه وجاهدنا فيه سنين عددًا؛ نِصْفَ قرن أو تزيد؟!

مـا حـطّـم الـدنيـا ودنّــس رَوْضَـهــا　　　　إلا شـخــوصًا كالـديـاجــي بـاغـيــة

فنصْبُ شخوصًا خطأٌ، صوابُه (شخوصٌ)؛ لأنه فاعل (حطّم).

الثانية: في اختيار بعض **الكلمات** وغيرُها أوْلَى منها، مثل استعمال كلمة (يشفي) وأجدر منها كلمة (يَأْسُو)؛ إذ الشفاء من **الله** ﷻ، أما الإنسان وما معه من أدوات فلا يملك إلا (الأسْو) أي المداواة وكذلك استعمال كلمة (ضِعْفُها) في البيت السابع، وأَوْلَى منها: خَبْؤُها أو نَبْتُها؛ لأن الضعف محدود، أما الخَبْء أو النَّبْتُ فغير متناهٍ ولا محدود.

وأيضًا: كلمة (ظهر) في البيت العاشر: (أنا خِنْجر في ظهر كل منافق) وأَوْلَى منها كلمة (صدر)؛ إذ هي الأَنْسَبُ لمعنى الشجاعة الذي يدل المقام عليه وتشير قرينة الحال إليه.

والجهة الثالثة: مقابلة القصيدة الواصفة للربيع في البيت الثالث بالشعلة المنيرة للظلام بلا تناسُب ممكنٍ بين الأمرين؟!

كل أولئك لا ينتقص من قيمة هذا الشعر ولا يؤثر فيما يدل عليه لدى كاتب هذه السطور: في رأيه أو حكمه وتقديره!!

ثانيًا: المنهاج السديد:

ذكرنا -من قبلُ- أن المرحلة الأولى من حياة أبي إسحاق، لم تتضمَّنْ دلالة لافتة، أو إشارة مبينة إلى ظهور «داعية» يصبح بعد قليل، واحدًا من أَبْسل الفرسان في الميدان؛ إذ لا نرى في تلك المرحلة إلا فتًى جادًّا يتنقل بين أطوار التعليم المألوفة وهذه تُسْلِمُه إلى أعمال بعيدة عما يبتغيه ويسعى إليه، وما يقتضيه ذلك من جهود وما يستلزمه من واجباتٍ وأعباء!

فتَعَلُّمُ اللغة الإسبانية، دفع به إلى الإذاعة المصرية مذيعًا مرموقًا باهر الإلقاء. ومن قَبْلُ عمل في الإرشاد السياحيّ حينًا يسيرًا، ولكنه رغب عن هذا، كما رغب عن ذاك؛ إذ لم يجد نفسه في كلا العَمَلَيْن، على الرغم من أنهما مَطْمَحٌ بعيدٌ ومطلبٌ عزيزٌ لأنداده ومَنْ سلكوا -في الدراسة المدنيّة النظامية- سبيله؟!

ومن أجل ذلك تحولت مسيرته بقوة إلى الاتجاه الذي ينبغي لمثله أن يتجه إليه وتثبت أقدامه عليه؟!

وهكذا بدأ الخَطْوُ الحثيثُ على الطريق القويم، ليصير الشاب الصغير حجازي محمد شريف هو الداعية الكبير أبا إسحاق الحويني: حقًّا مُحقًّا، لا مجاملةً مُدَّعاة!!

إن كاتب هذه السطور، يقرّر مستيقنًا أن عنوان المنهاج السديد، ليس جملة مَدْحٍ تعسُّفيّةٌ، كلّا! بل هي نتيجة لازمة، لقراءةٍ طويلةٍ في السيرة المنشورة: حَرْفًا حَرْفًا، وكلمةً كلمة في مرات متوالية متتابعة؛ قراءةٍ تَفْحَص الحروف، وتمحّص الكلمات؛ فكان ما انتهى إليه صورةً لِما ينطق الواقع به وتدل الحقيقة عليه!!

إن اسم (أبي إسحاق) لم يَهْبِطْ فجأةً على الشاب حجازي محمد شريف، وإنما حقّقه، وتمكّن منه، ثم استوى على درجته الرفيعة بعد خطوات عنيدة من الإصرار النبيل على بلوغ المأمل وإدراك الغاية!!

لقد سار على الدرب من أوله: خُطْوةً خطوة، حتى بلغ مداه دون أن يقفز أو يَثِب؛ فيتجاوز أو يسعى إلى سَبْقٍ كاذب! كلّا بل حَثَّ في السَّعْي، وجَدّ في الطلب بعد أن هُدِيَ إلى الطريق، وحدّد المسير؟!

لا جرم كان تحوُّله إلى «طريقه» مظهرًا من مظاهر الهداية والتسديد؛ ولهذا استبدلنا كلمة (هُدِيَ) بكلمة (عَرَف) التي سبق قلمُنا إليها؛ لأنا لا نرى لهذا التحول من سبب غيرَ توفيق ربه ﷻ وهدايته وتسديده؛ ومن هنا كان تَرْكُه الحاسم لما كان فيه، على الرغم ممّا تمّ له من نجاحٍ وتألُّقٍ وظهور!!

فكيف كان سداد المنهج؟ أو من أين أتى؟!

في القراءة الصابرة لصفحات السيرة، جوابٌ عن هذا السؤال مُبين!!! فماذا تقول هذه الصفحات؟

تقول على لسان أبي إسحاق نفسه فيما نقله الكاتبون من كلامه الذي يستوجب الإعجاب والتقدير بغير ما حدود، حين أعلن بشجاعةٍ باهرة: كيف كان من العلم، وكيف كان العلم منه في إبّان الطلب الأول!!

لقد كان الشاب الواعد (حجازي محمد شريف) واحدًا من عشرات الألوف المعجبين بخطب الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله تعالى، مُثابِرًا عليها، مبهورًا بصاحبها في جمال

إلقائه ومتانة لغته وصَدْعه العنيد بالحق، ونقده المرير لكل من ينحرف أو يزيغ مهما كان اسمه أو منصبه بين المسئولين.

غير أن هذا الشاب قد أُوتِيَ «**حاسّةً نقديّةً**»، أمكنه منها وَعْيٌ ذاتيٌّ، مع ثقافة جيدة، استوعبها بقراءاته الكثيرة في جملةٍ من المعارف التي يسعى إليها الجادُّون من شباب عصره؟!

هذه «الحاسّة» هي التي حالتْ بينه وبين التمادي -كغيره- في إعجابٍ غير محدود بالشيخ الفاضل الصالح عبد الحميد كشك رحمه الله تعالى؛ نحسبه كذلك، والله تعالى حسيبه.

ذلك أنه لم يتقبّل نصًّا ذكره الشيخ -رحمه الله تعالى- على أنه حديث خاصٌّ بفضائل الصدّيق رضي الله تعالى عنه؛ فتكوّنتْ لديه رغبة جارفة في دراسة علم الحديث؛ فطفق يبحث عن شيوخه؛ ليلقى أولًا شيخًا جليلًا عالمًا ثقةً ثَبتًا هو الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله تعالى، فيلزم مجالسه أربع سنين دَأَبًا؛ لم يبرحها إلا بعد اضطرار الشيخ إلى هجرة السودان ثم رحلة المدينة النبوية؛ ليكون البقيع المبارك مثواه رحمه الله تعالى.

ومن جميل ما تدل عليه تلك «التلمذة» تصريح أبي إسحاق بفائدتها ودُنُوّ قطوفها وطِيب أثرها الذي بدا -أحسن ما بدا- في تعلّمه لعلمَيْ أصول الفقه وأصول الحديث؛ إذ يقول -حفظه الله- فيما نقلته السيرة: «وأتاحت لي هذه المجالس دراسة نُبَذٍ كثيرة من علمَيْ أصول الفقه والحديث، ووالله لا أُشْتَطُّ إذا قلت: إني أبصرت بعد العمى لمّا درست هذين العلمين الجليلَيْن، وأُقرر هنا أن الجاهل بهما، لا يكون عالمًا مهما حفظ من كتب الفروع؛ لأن تقرير الحق في موضع النزاع لا يكون إلا بهما؛ فعلم الحديث يصحّح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يُسدّد لك الفهم؛ فهما كجَناحي الطائر» اهـ.

هذا نصّ كلامه -بارك الله فيه وزاده علمًا- وهو يدل عندي على أمرين كبيرين:

أحدهما: أنه إدراكٌ واعٍ لطبيعة العلوم الإسلاميّة، ودرجاتها في سلّم الطلب وما ينبغي لكل منها من عنايةٍ ورعايةٍ وإقبال!

والآخر: أنه علامة جميلة ظاهرة، على أن هذا «الطالب» يسير في طريقه وئيد الخُطَى؛ لا ينقل قدمه من خطوة إلا بعد أن يَسْتَيْقِن من تحصيل فائدتها وجَنْي ثمرتها وأنه لم «يَعْلَمْ» إلا بعد أن «تعلَّم».. وذلك أساسٌ لا غِنَى عنه في صيرورة المتعلّم إلى مُعلّم،

والطالب إلى عالم. وهو ما تمّ لمَنْ سُطِرَتْ له هذه السطور.

أيًّا ما كان الأمر فقد أسلمته مجالس الشيخ المطيعي -رحمه الله تعالى- إلى «التلمذة» الباقية، المقيم أثرها، والبادي ثمرُها، والكبير نفْعُها وتلك هي «تلمذته» لمحدّث العصر الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى.

ولن نُفيض في الحديث عما تمّ بين أبي إسحاق وشيخه المحدث الكبير؛ لأن «مقامنا» يضيق عن ذلك. بل نأخذ منه ما يشير إليه، أو يدل عليه؛ إذ هو -عندنا- يوضح معالم طريقٍ شاقٍّ طويل، قطعه واحتمل مشاقّه طالبُ علم جادٌّ، بدَأَبٍ لا يفتُر، وصَبْرٍ لا يَقْنَط، حتى بلغ مداه وأدرك منتهاه؛ فكان هو: (أبا إسحاق الحوينيّ).

ولدينا هنا ثلاث وَقفاتٍ موعظةً واعتبارًا!!

أولاها: مع خُطَب الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله تعالى:

كان أبو إسحاق -حفظه الله تعالى- مُعْجَبًا به حريصًا على سماعه مع ألوف من الناس[1].

هذه المرحلة -عندي- بالغة الأهمية في «تكوين» أبي إسحاق وتوجيهه إلى ما توجّه إليه، من جهتين:

أولاهما: أن بداية معرفته بشيخه الأكبر، كانت في جوّها وعلى أرضها من الكِتَاب الذي لم يعرفه -بل لم يره- إلا في جولته المعرفيّة بين الكتب المعروضة في محيط مسجد «عين الحياة» المقرّ الدائم لخطب الشيخ كشك ومحاضراته.

والأخرى: أن «استثارة» حاسته النقدية التي سبقت إشارتنا إليها، كانت في إحدى هذه الخطب؟!

لقد حدّد -من بعدها- طريقه، وأمْضَى عزْمَه، وأجمع أمره؛ فبدأتْ مسيرته المباركة المسدّدة في علم الحديث، ليكون -بعد حين- واحدًا عَلَمًا بين مَنْ يشار إليهم في عصرنا من المحدّثين!

---

(١) كان كاتب هذه السطور واحدًا منهم؛ إذ رأى في ذلك الشيخ -رحمه الله تعالى- مثلاً فريدًا لمتانة اللغة وبراعة الإلقاء. وفي الحفل الكبير الذي امتدَ ليلتين كاملتين؛ حديثًا عنه، وبيانًا لمزاياه الخطابية وآثاره الدعوية لم يجد ما يتحدث فيه خارجًا عن التيار المتدفق، إلا هذه اللغة «الكشكيّة» البارعة. وكانت هذه الكلمة واحدة من اختيارات الكتاب الذي أعده أحد الأدباء ونشره في تلك المناسبة!

والوقفة الثانية: مع المنهاج المختار:

تُطْلِعنا السيرة المنشورة على حالة باهرة من الجدّ الدءوب في طلب العلم؛ فالطالب هنا، لا يسعى إلى سَبْقٍ مُدَّعًى كاذبٍ هشّ، بل يتخذ من الوسائل ويسلك من السبل ما يمكنه من الهدف ويصل به إلى الغاية في ثقة وثبات واقتدار!

لقد أدرك هذا الطالب -منذ اللحظة الأولى لاختياره علم الحديث- أنه يقتحم ميدانًا له أسلحته وأدواته التي ليس معه منها شيء؛ فكان اعترافه الشجاع النبيل الذي ظهر في قوله في وصف الأثر العميق في عقله وقلبه لكتاب الصلاة (أول كتب الألباني قراءةً منه، وأعظمها تأثيرًا فيه):

«... مع جهلي التام آنذاك بكتب السنّة المشهورة، فضلًا عن غيرها من المسانيد والمعاجم، والمشيخات وكتب التواريخ؛ بل لقد ظللت فترةً في مطلع حياتي -لا أدري طالتْ أم قَصُرَتْ- أظنّ أن البخاريّ صَحابيّ؛ لكثرة ترضّي الناس عنه...».

ذلك هو ما نريد بيانه وتأكيده؛ لأنه الدرس المقيم، والعبرة الباقية، لكل طالب علم يبتغي أن يكون يومًا بين العلماء؟!

إنّ قائل هذا الكلام هو نفسه الذي وصفَتْه أمّةٌ من كبار شيوخ الحديث بأنه: محدّث مصر [1].

غير أنه لم يَسْتوِ على تلك الدرجة، إلا بعد جِدٍّ جادّ. وجُهْدٍ جاهد، قبل أن يظهر ثمره، ويُؤْتِيَ أُكُلَه: فوق المِنْبَر فيما حاضر أو خطب. أو على السطور فيما صنَّف أو كتب!!

الوقفة الثالثة: مع القِيَم الـخُلُقِيّة!!

تظهر هذه القِيَم عند أبي إسحاق -أجملَ ما تظهر- في خُلُقَيْن: التواضع والصبر؟!

لقد أدرك الشاب (حجازي محمد شريف) أنه يطلب علمًا لم يتملّكْ عُدّته ولم يتمكّن بَعْدُ من أدواته، وأن دون ذلك طريقًا طويلًا شاقًّا، عليه أن يسلكه: من مبدئه إلى ما يستطيعه منه، أو يقدر عليه فيه!!

---

(١) ارجع إلى السيرة المنشورة (ص٤ وما بعدها).

فأمكنه خلق التواضع من أن يحتمل صعابَ الحياة وتمرُّدَ النفس؛ لقد انسحب من ميادينَ للعمل، يسابقُ إليها أقرانه، ويتنافس فيها أمثاله مِمَّن درسوا في الجامعة دراسته. ولكنه يَصْدِفُ عن تلك الميادين جميعًا؛ زاهدًا فيها غير عابئٍ بما لها من بريقٍ لم يُعْشِه، ولم يَبْهَرْه أو يستَحْوِذْ عليه! بل يستبدل بها أعمالًا صغيرة(١)؛ لم يستَنْكِفْ عنها ولم يستكبر؛ إذ رأى فيها كفايته لِمَسْعاه؟!

إنها تمكّنه من إدراك غايته البعيدة، وصعود هدفه العالي، ورُقِيّ غرضه الكريم وفي الوقت نفسه تُغْنيه في زاد الحياة!!

ويرتبط بخلق التواضع، خلُقُ الصَّبْر؛ هو الذي أكمل الدائرة، وأتمّ المسيرة!

لقد أيقن هذا الشاب الطموح -منذ البداية- أنه يسلك طريقًا وعرًا طويلًا؛ فصبر نفسه عليه، واحتمل لأْواءَه، وقهر مشاقَّه، وجاوز صِعابَه: في بدنه وفي نفسه في وقتٍ معًا: فلم يُعْيِه بدنُه، ولم تخذُلْهُ نفسُه. وهكذا تَصَّاعَدُ درجة الاحتمال عنده حتى يُغْضِيَ عما يمكن أن يبلغ -لدى غيره- مبلغ الهوان. وما أجمل ما قال في ذلك وهو يقصّ نبأ سفره الأول في لقائه بشيخه الأكبر:

«وسافرت إلى الشيخ أول المحرم سنة ١٤٠٧هـ. واستخرجتُ تصريح السفر بأعجوبة عجيبة، وأمضيْتُ في الطريق ثلاثة أيام كان هواني فيها شديدًا، ولكني لم أكترثْ له؛ لما كان يَحْدُوني من الأمل الكبير في لقاء الشيخ...».

هذا هو وصف أبي إسحاق لخطواته الجادّة وسعيه الحثيث في طلب العلم منذ بواكيره ومبشّراته التي توّجَتْها رحلته المباركة إلى شيخه الآثَر ناصرِ الألبانيِّ رحمه الله تعالى.

لا جرم، قد كانت تلك الرحلة «علامة فارقة» في الحياة العلمية والدعوية لأبي إسحاق؛ ولهذا قام بها مرتين متقاربتَيْن في الزمن ومتكاملتَيْن في الأثر؛ فتواصلتْ خطواته الوئيدة الثابتةُ على سبيله التي سلك، وطريقه الذي اختار ليكون -بتوفيق ربّه ﷻ وتسديده وعونه- واحدًا مِمَّنْ يشار إليهم بالبنان بين محدّثي هذا الزمان!!

---

(١) في السيرة المنشورة بيان لأمثلة من هذه الأعمال، فليرجع إليها من شاء.

يذكره الشيوخ؛ فيُكبِرونه ويقْدُرونه قَدْرَه، ويُثْنون عليه ويُعْجَبون بتخريجاته، ويحيلون على آرائه؛ إذ يَعُدّونه بين كبار مَنْ يُعوَّل عليهم ويُؤخَذ منهم ويُرْجَعُ إليهم في علم الحديث وميدانه الرحيب!!

وبعد:

فإن «أبا إسحاق» سيرةٌ، وتجربةٌ، وقيمةٌ، ورمزٌ ومَثَلٌ!! وإنه لَحَقيقٌ أن يَحْذُوَ حَذْوَهُ طُلّابُ العلم، ومَنْ يبتغون أن يكونوا يومًا بين الدُّعاة!!

يتمثَّلُه أولئك وهؤلاء؛ لتكون لهم فيه أسوةٌ حسنة؛ يتعلّمون منه: كيف يكون طلب العلم؟! ثم كيف يكون الاجتهاد فيه والصَّبْرُ عليه؟! إن كانوا حقًّا صادقين في مَسْعاهم، جادّين في مُبْتَغاهم!!!

هذا، ولقد جَهَد كاتبُ هذه السطور جُهْده في أن تكون سُطوره:

أولًا: جديرةً بالمشاركة في تحيّة التكريم والتقدير لذلك العَلَم الكبير.

ثانيًا: صورةً صادقةَ الملامح، واضحةَ القَسَمات، تتراءى فيها حقائقُ باهراتٌ في سيرةٍ ثريّة سخيّة:

(لداعيةٍ عالم، وعالِم داعية).

فهل حالفه التوفيق ولازمه السداد؟!

ذلك مايرجوه ويطمع فيه، وعلى الله قصد السبيل ومنه وحده ﷻ العَوْنُ والهدى والرّشاد.

وكتبه

أبو محمد فتحي بن محمد جمعة

بلقاس - الدقهلية

الأحد ١٣ رمضان ١٤٣٧هـ

١٩ يونيو ٢٠١٦م

الحويني محققًا:
حارس النصوص بالنصوص

د. فيصل الحفيان

مدير معهد المخطوطات العربية

فاتحة

اشتُهر فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني بأنه رجل السُّنَّة، ومن قرأ كتاباته أو استمع إليه، رأى ذلك رأيَ العين، فهو ينبري لكل من يتهجَّم عليها، أو ينالُ منها، حتى إنه اختار لبرنامجه التلفزيوني المعروف الذي كان - عنوانًا هو «حرس الحدود»، غير أني -في هذا البحث- أود أن أضيف إلى حراسته للسنة الشريفة موضوعًا، حراسةً أخرى لا تبعد عن الأولى، هي حراستُه للنصوص؛ نصوصِ التراث عامة، ونصوص السُّنَّة خاصة، وإن اختلفتْ في طبيعتها؛ إذ إنها تعني خدمةَ النصوص من وجوهٍ عديدة، منها تحقيقُها الذي هو موضوعنا. هذه الوجوه -في جوهرها- تدلُّ دلالة واضحة على أنه يريد أنْ يُقيم سورًا عاليًا حولها، لا ليمنعها أو يحول بينها وبين الناس، بل على العكس من ذلك تمامًا، هو يتفيَّا أن يُحيل هذا السور العالي جسرًا، لكي يكون الوصولُ إليها وإلى ما تحمله من السنة والدين وصولًا على الاستقامة، ولذلك فهو يحقِّقها ويقرِّبها ويخرِّجها ويشرحُها ويعيدُ ترتيبَها ويدرسُها ويقدِّم لها، ويحتذيها، أي يؤلِّف على منوالها، وربما ينقدها. والنقد نفسُه -عنده- حراسةٌ لها، ذلك أن النَّصَّ -على عُلُوِّ مكانته- ليس أعلى من مصدره، فإذا ما كان صاحبُ النص القريب الذي روى أو ألَّف قد أخطأ أو حاد عن الصواب، فإن الصاحبَ الأول للنص (الرسول ﷺ) يظل هو الغاية التي لا تَعْدِلها غاية.

ولذلك كانت النصوص التي حَقَّقها وقرَّبها وخرَّجها وشرحها وأعاد ترتيبها ودرسها وقدَّم لها واحتذاها ونقدها جميعًا، إنما هي حراسةٌ للنصوص؛ مَرَّةً بالعمل فيها من داخلها بالتحقيق والتخريج، ومَرَّةً بإنشاء نصوص جديدة عليها لخدمتها.

كان أولُ ما تبادر إلى ذهني، وأنا أفكر في فضيلة الشيخ الحويني محققًا، سؤالًا، هو: تُرى كيف يتعامل المحدِّثُ اليوم مع النص التراثي؟

أعرف أنَّ المحدِّثين هم -تاريخيًّا- أولُ مَنْ تعامل مع النص من خلال ما كان يعرف بـ«الوِجادة» وأعرف -أيضًا- أنَّ التحقيق هو ابنٌ شرعي لعلم الحديث، وأعرف -كذلك- أن التحقيق إنما استوى على سُوقه تقييدًا وعملًا بفضل أهل الحديث.

وما اقتصر فضل المحدِّثين على الزمن الماضي، فالمحدِّثون في عصرنا هم امتدادٌ لسالفيهم في هذا الباب، وما ذلك إلا لأنَّ انشغالهم بالحديث الشريف وحرصَهم على التحرِّي فيه والضبطِ له، جعل منهم محقِّقين من طراز رفيع؛ إذ امتلكوا بحكمِ موضوعهم الشريف (أحاديث الرسول الكريم ﷺ) الأدواتِ، وكذلك الثقافة التراثية، إضافة إلى أهمَّ مِن ذلك كلِّه، أعني الأخلاق التي لا تقوم هذه الصنعةُ (صنعة التحقيق) من غيرها.

قديمًا الأسماء كثيرة، وآثارها حَيَّة بيننا، ولسنا هنا بصدد التتُّبع والاستقصاء؛ إذ الأمرُ خارجٌ عن الغرض، ولذلك نكتفي بذكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) والقاضي عياض (ت٥٤٤هـ) وابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) واليونيني (ت٧٠١هـ).

وحديثًا نذكر على سبيل المثال لا الحصر: المحدِّثَ المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت١٩٦٦م) والشيخ أحمد محمد شاكر (ت١٩٥٨م) والشيخ السيد أحمد صقر (ت١٩٨٩م).

انشغل الشيخ الحويني بالتحقيق انشغالًا، فبلغ عددُ النُّصوص التي حقَّقها العشراتِ، وبعضُ هذه النصوص كبيرةُ الحجم تقع في مجلدات. إنه عالِم يعيش بيننا اليوم، لكنه -حقيقةً- شأنَ مَنْ ذكرنا؛ امتدادٌ لعلمائنا الأقدمين المحدِّثين المحقِّقين، علَق بهم، فوجَّه نظره لنصوصهم يُخرِّجها، ويرعاها صنوفًا من الرعاية، ثم بنى عليها نصوصًا، فكأنه يحرس النصوص بالنصوص.

وعلى الرغم من أن هذا البحث منصبٌّ -كما قلت آنفًا- على الحويني محققًا، فإني وجدت نفسي أمدُّ نظري على غير إرادة مني إلى جوانبَ أخرى، والتمستُ لنفسي العذر، فأنْ أتحدث عن تحقيقاته وعن رؤيته للتحقيق لا يتأتّى دون أن أضعها في سياقاتها؛ سياقِ

هذه الشخصية العلمية التي تماهت مع التراث الإسلامي تماهيًا لافتًا؛ نصوصًا ورجالًا، وسياقِ الموضوع، فهذا التراث متشابكٌ تشابكًا عجيبًا؛ في مادته، وفي الطرائق التي يجري التعامل بوساطتها معه.

على أن الشهرة الواسعة للشيخ الحويني في علم الحديث والدعوةِ -في ما أظن- قد نالت من ذيوع اسمه في عالم التحقيق المجرَّد. هذا هو السبب الرئيس.

وهناك أسبابٌ أخرى، منها أنه لم يحصل على درجة الدكتوراة -وهو أعلى منها- ومن ثَم لم يعمل في الحقل الأكاديمي الذي يُعطي في نظر الكثيرين مشروعيةً علمية، وليسوا على صواب في كثير من الأحيان. هذان السببان، القِشْريان، وإنما نعتُّهما بذلك؛ لأنهما كذلك؛ إذ لا علاقة لهما حقًّا بجوهر العلم من ناحية، ولا بالإنسان نفسه؛ جِدِّه، وحرصه، وانضباطه، ومتابعته، وخُلُقه العلمي من ناحية أخرى.

يركِّز هذا البحث على تلك المساحة المنسية في شخصية الشيخ، تركيزًا موضوعيًّا، بعيدًا عن المغالاة، أو التأثر بمكانته المُجْمَع عليها في علم الحديث؛ إذ التبريزُ في مجال علمي لا يعني بالضرورة التبريزَ في مجال آخر، وبخاصة في مجال التحقيق الذي يُعَدُّ صنعة لها -اليوم- أهلها.

ولا بد أن أسارع هنا إلى أنَّ ما أقوله هنا ليس مصادرةً على ما سيقوله البحث، لكنه كلامٌ نظري، غرضُه وضع مقدمات أساسية دون أن تكون فيها إشاراتٌ متضمنة إلى الموضوع، وإلا فإننا سنكون قد خالفنا المنهج العلمي واستبقنا النتائج، وهو ما لا يصحُّ، بل لا يسوغ أصلًا، فضلًا عن أنه لا يليق بباحث.

إن البحث أمانة، والباحثُ الذي ينساق وراء أي أمر لا علاقة له بالبحث، حتى لو كان ذلك في سياق كتاب تكريمي، إنما يخونُ هذه الأمانة، ولذلك فإن قارئي لا يتوقع أن يجد في ما أقول ثناء فحسب، وإنما سيجد -بالتأكيد- نقدًا؛ إذ مفهوم النقد هو بالأساس تمييز الجيد من الرديء، فإذا ما اقتصرنا على الجيد، وغضضنا النظر عن الرديء، أو ركَّزنا على

الرديء، وأهملنا الجيد، وقعنا في هُوَّة المجاملة، أو سقطنا في بئر التحامل، وفي الحالتين نكون قد خرجنا من دائرة الحيدة والإنصاف، بل نزعنا إهاب البحث الذي نتسربل به أولًا، وبذلك يَسْقُطُ البحث والباحث معًا.

- ١ -

تراث الحويني(١)

للشيخ الحويني تراث كبير يتجاوز مئة عنوان؛ تأليفًا وتحقيقًا، ويبدو لي أن هذه القسمة: التأليفَ، والتحقيق، ضِيزى، من جهتين: جهةِ أنها ظالمةٌ لطبيعة هذا التراث، فالشيخ يعيش بكُلِّيته في التراث، حتى عندما يؤلِّف، وهو ما سينكشف لاحقًا، وجهةِ أنَّ من يسعى للتصنيف سيجد معاناة بالغة في التفرقة بين التآليف والتحقيقات، وسوف أُسَجِّل هنا بعض الملحوظات العامة على هذا التراث:

١/١: مشروعات لم تكتمل:

تراث الشيخ -للأسف- في جُلِّه، مشروعات علمية، بمعنى أنها لم تكتمل، وقد طال الزمن كثيرًا بها، فهذا تحقيقه لـ«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، صدر منه جزآن في ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م(٢)، ونحن الآن في ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م؛ أي مضى نحوُ ثمانية عشر عامًا، ولم يَلْحق بها جزءٌ ثالث. وهذا «بذل الإحسان بتقريب سنن النَّسائي أبي عبد الرحمن» طُبع منه جزآن قديمًا (١٩٨٧-١٩٨٨)(٣)؛ أي مضى نحوُ ثمانية وعشرين عامًا، ولم يَلْحق بالجزأين شيء! وقد يكون السببُ وراء ذلك أنها أعمالٌ ضخمة، تحتاج إلى الكثير من

---

(١) اعتمدت في رصد تراث الشيخ وتصنيفه على:
- نثل النبال بمعجم الرجال، لأبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل.
- دليل مؤلفات وتحقيقات الشيخ أبي إسحاق الحويني، لأحمد سالم أحمد علي المصري الأثري.
- معلومات استقيتُها شِفاهًا من عمرو عبد العظيم الحويني.

(٢) عن دار ابن الجوزي، في السعودية.

(٣) صدرا عن مكتبة التربية الإسلامية، في مصر.

الوقت. وعلى الرغم من الهِمَّة العالية للشيخ، فإن الإنسان أيَّ إنسان، ضعيفٌ من جهة، ومشاغلُه -في هذا الزمان- كثيرة، فكيف إذا كان صاحب قضية، ويعمل في حقل الدعوة.

١ / ٢: تصنيف التآليف:

تراثُ الشيخ، حتى المؤلَّف فيه شديدُ الصلة بالنص التراثي (التاريخي) والشواهدُ على ذلك كثيرةٌ، فهو لا يخرج عن كونه شرحًا أو تقريبًا أو نقدًا أو تخريجًا أو نمطًا تأليفيًّا تراثيًّا. وهذا تصنيفٌ لبعض ما ألف، على سبيل التمثيل لوثاقة الصلة، إذ ليس غرضُنا الاستقصاء.

الشرح:

إن عددًا من كتبه المؤلفة، إنما هي شروحٌ بالمعنى القريب، لنصوص قديمة:

- إسعاف اللبيث بشرح «ألفية الحديث للسيوطي» (لم يطبع).

- جُنَّة المستغيث بشرح «علل الحديث، لابن أبي حاتم» (لم يطبع، موجودٌ منه قطعة مصفوفةٌ صفًّا نهائيًّا).

- السُّحب الهوامع على «جمع الجوامع للسيوطي» (لم يطبع).

- الهديَّة بشرح صحيح الأحاديث القدسية، كتابٌ في نحو خمسة مجلدات، أشار إلى أنه أنجز منه مجلدًا إلا قليلًا.

- نَوْح الهديل بشرح ما في سنن أبي داود من التذييل.

- مدرسة الحياة، وقد أدرجتُه هنا لأنه شرحٌ لكتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) مع قراءة تفسيرية نقدية له.

- فَكُّ الوَثاق بشرح كتاب الرِّقاق (كتاب الرقاق من صحيح البخاري).

التقريب:

ليس التقريب ببعيد عن الشرح، على الأقل في غرضه، ومن هذا النمط من التأليف له:

- بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن (طبع منه جزآن قديمًا، ١٩٨٧-١٩٨٨)[1].

- تقريب النائي لتراجم أبواب النسائي (لم يطبع).

- سَدُّ الحاجة إلى تقريب سنن ابن ماجه (لم يطبع، جزءٌ منه أنجز).

- غوث المجهد بتقريب الأدب المفرد.

النقد:

وله في هذه البابة:

- إتحاف الناقم بما وَهَمَ فيه الذهبيُّ والحاكم (لم يطبع).

- الجزم بشذوذ ابن حزم (لم يطبع).

- جُنَّة المرتاب بنقد «المغني عن الحفظ والكتاب لأبي حفص». (طبع/ ١٩٨٧-١٩٨٨)[2].

- غنيمة الإياب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب (لم يطبع).

- الزَّند الواري في الرد على الغُماري (لم يطبع).

- سِمْط اللآلي في الردِّ على الشيخ محمد الغزالي[3].

- صفو الكدر في المحاكمة بين العيني وابن حجر (لم يطبع).

- عوذ الجاني بتسديد الأوهام الواقعة في أوسط الطبراني (لم يطبع).

- كشف الوجيعة ببيان حال ابن لهيعة (لم يطبع).

التقديم أو الدرس المنهجي:

- الإمعان مقدمة «بذل الإحسان بتخريج سنن النَّسائي أبي عبد الرحمن» (لم يطبع).

---

(١) صدرا عن مكتبة التربية الإسلامية، مصر.

(٢) صدر عن دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) صدر عن مكتبة التربية الإسلامية، مصر.

البذل طُبع منه مجلدان.

- الظِّلُّ الوَريف في حكم العمل بالحديث الضعيف (لم يطبع).

- إسعاف الجريح بالقصص النبوي الصحيح (لم يطبع).

التخريج:

- تسلية الكظيم بتخريج أحاديث تفسير القرآن العظيم (لم يطبع).

- دَرْء العَبَث عن حديث «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخَبَث» (لم يطبع).

- درء العَيْلة بتخريج «عمل اليوم والليلة، لابن السني» (لم يطبع).

- العُباب بتخريج قول الترمذي: وفي الباب (لم يطبع).

- العِقد الذهبي بتخريج كتاب «أخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ» (لم يطبع).

- غوث المكدود بتخريج مُنتقى ابن الجارود[١].

- كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء[٢].

- شِفاء الزَّمين بتخريج الأربعين[٣].

الأجزاء:

هذا نمطٌ من التأليف في علم الحديث، وفيه دلالةٌ بالغة على شدة الصلة بالنص التراثي وتقاليده، وقد ترك منه:

- جزء في الاكتحال (لم يطبع).

- جزء في الحاجم والمحجوم (لم يطبع).

- جزء في حديث «لا تجتمع أمتي على ضلالة» (لم يطبع).

---

(١) صدر عن دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) صدر عن مكتبة التوعية الإسلامية، مصر.

(٣) صدر عن دار الكتاب العربي، بيروت.

- جزء في حديث «لا نكاح إلا بولي» (لم يطبع).
- جزء في ذم القدرية (لم يطبع).
- جزء في طلب العلم (لم يطبع).
- جزء في فضل الشيب وأحكامه (لم يطبع).
- جزء فيمن سُئل عن علم فكتمه (لم يطبع).
- جزء في تسمية شيوخ البخاري، لابن منده.

- ٢ -

تقليد العنوان

إنَّ الشيخ تراثي حتى في عناوينه، ومن ينظر إلى العناوين التي ذكرنا سيلحظ بادي الرأي أنها جميعًا مسجوعةٌ شأنَ تقاليد مؤلفينا القدامى في كتبهم، وأحْسَب أن أحدًا لم يبلغ مبلغ الشيخ في هذا الانتماء لتقليد العنوان التراثي؛ إذ على الرغم من كثرة كتبه، فإنها أو ما أمكنني معرفته منها -وقد تتبعتُها- جميعًا، لم تخرجْ عن هذا التقليد. وأكثر من ذلك أنه عندما تتعدد أجزاء الكتاب، أو يُخَلِّص كتابًا من كتاب، فإنه يحافظ على التقليد لا يُخِلُّ به، فكتابه «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن» (ت٣٠٣هـ) جعل له مقدمة، يُفْتَرض أنْ تستقلَّ كتابًا، حرص على أن يَسْجَع عنوانَها أيضًا «الإمعان مقدمة بذل الإحسان» بيد أن لدينا بعض الكتب التي لم يسجع عناوينها، وهي -في ما رأيت- لأنها لم تزل مخطوطة، لذلك فإن من المتوقع أنه لن يُخْلِف عهده إذا ما فسح الله في العمر، وأخرجها.

إن في ذلك ما يؤكد الفكرة المجردة التي أشرنا إليها آنفًا من أن قسمة نِتاجه إلى تأليف وتحقيق ظالمةٌ. وإذا كان الأمر كذلك في التراجم أو العناوين فإنه في المحتوى والمنهج على السَّوِيَّة نفسها.

- ٣ -

هاجس الحديث والسُّنَّة

أخلص الشيخ لعلم الحديث والسنة النبوية إخلاصًا، فهو لم يغادرهما أبدًا، حتى إنه عندما يحقِّق نصًّا ليس في الحديث، يكون هاجسه هو الحديث؛ إذ هو الغاية. وهذا ما فعله في تحقيقه «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (ت٧٧٤هـ). فقد كانت القضية التي شَغَلَتْه في تقديم الجزء الأول هي مسألةُ إخضاع أسانيد التفسير كلِّها لقواعد المحدِّثين، وهو لا يقصد -بالطبع- الأحاديثَ المرفوعة، فهي محلٌّ لذلك دون شك، بل يريد آثار الصحابة، وفي سبيل ذلك قدَّم بالإعراب عن إجلاله لابن تيمية وابن قيم الجوزية؛ لأنهما في فقههما كانا يُعَظِّمان الدليل (الحديث) تعظيمًا، ولذلك أتيا بالعجب العاجب على حَدِّ تعبيره[١].

وفي سبيل ذلك -أيضًا- كتب إلى شيخه ناصر الدين الألباني يسأله، وساق رَدَّه عليه بحروفه[٢]، كما سأل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد[٣]، ثم قدَّم نموذجًا تطبيقيًّا، لشيخه أحمد محمد شاكر الذي أخضع أسانيد الآثار في تحقيقه لتفسير الطبري لقواعد المحدثين[٤].

ثم إنه -وهذا مُعْجِب منه- أخضع مقولة الإمام أحمد: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير» بسندها التي اعتمد عليها من يرى إهمال الكلام على أسانيد التفسير، فحقَّقها من جهتي السند والمعنى[٥]، دالاًّ بذلك على تمكُّنه في الفهم والتحليل والمعرفة لأقوال العلماء، والقدرةِ على المحاكمة والموازنة، ومن ثَمَّ الخُلوص إلى ما يراه صوابًا أو أقربَ إلى الصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦- مقدمة).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٩- مقدمة).

(٣) السابق (١/ ١١- مقدمة).

(٤) السابق (١/ ١٢- مقدمة).

(٥) السابق (١/ ١٢- مقدمة).

- ٤ -

من الحديث إلى الفقه

وإذا كان الشيخ في النقطة السالفة قد دخل إلى الحديث الشريف من باب التفسير، فإنه في كتاب آخر قد خرج من الحديث الشريف إلى الفقه، أو لنقل: إنه انشغل بالفقه في حرم الحديث، فكتابُه «تَعِلَّة المفئود بشرح منتقى ابن الجارود» كتابُ حديث غرضُه أو من أغراضه الفقه، توقَّف فيه طويلًا عند الألفاظ الحديثية، أو على وجه الدقة عند الألفاظ الواردة في السياقات المختلفة للحديث الواحد، وذلك في سبيل بيان انعكاسِ اختلافِ هذه السياقات على الحكم الفقهي[1].

- ٥ -

تداخل الكتب وتوليدها من بعضها

لا يرضى الشيخ أبدًا عن صنيعه، سواء في الدرس أو التحقيق، وإذا كان هذا أمرًا له دلالته، ويُغْبَط عليه، فإنه -في الآن نفسه- يؤدي إلى الاختلاط بين هذه الأعمال والتداخلِ بينها، وقد عانيتُ وأنا أحاول أن أنظر في ما ترك، ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ له كتابًا تحت عنوان «جُنَّة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب» عاد بعد سنين ليؤلِّفه مرة أخرى، ولكن هذه المرة تحت عنوان جديد استبدل بمطلعه (جنة المرتاب) غنيمة الإياب.. والطريف أنه حرص على أن تظل السجعة مع العجز «بنقد المغني عن الحفظ والكتاب» متحقِّقة، مما يردُّنا مرة أخرى إلى تقليد العنوان الذي أشرنا إليه آنفًا، وما قلته بأنه «عاد ليؤلفه» ليس فيه تزيُّد، فهو نفسه يقول: «وهو صياغة جديدة لكتاب جُنَّة المرتاب. وقد تراجعتُ فيه عن بعض أحكامي في «الجُنَّة»[2] مع زيادة فوائد كثيرة».

وليس ببعيد عن النقطة السابقة في طبيعتها، وفي ما تؤدي إليه من اختلاط، توليدُه

(١) انظر: نثل النِّبال (١/ ٦٤).

(٢) انظر: نثل النِّبال (١/ ٧٥).

بعضَ كتبه من بعضها، فمن المعلوم أن له كتابًا يحمل عنوان «تَعِلَّة المفئود بشرح منتقى ابن الجارود» ولَّد منه كتابًا أطلق عليه «عُدَّة أهل التقى بتخريج المنتقى لابن الجارود». وظاهرٌ أنه قَصَدَ في هذا الأخير إلى التخريج، على حين كان القصد في الأول الشرح، وقد تجلَّى هذا القصد في أنه فصل في الكتاب المولَّد التخريج عن الترجيحات الفقهية.

وفي الاتجاه نفسه، ولكنْ من جهة أخرى، إدخالُه بعضَ الكتب أو الأجزاء أو الرسائل في كتب أخرى، وهو ما يؤدي بالضرورة -أيضًا- إلى الاختلاط (ليس بالمعنى الحديثي) والتداخل اللذين يُصَعّبان البحث ويعنِّيان الباحث، على أن وراء ذلك أسبابًا وجيهة لابد من أن نأخذها في الحسبان، لعل من أهمها أن النص التراثي بطبيعته مركَّبٌ، أعني أن العملَ فيه له جوانبُ متعدِّدة، فالشيخ وهو يعمل في النص أو يقاربُه من جهةٍ ما، تنفتح له جهة أخرى، ويتعذَّر عليه أن يَجْمع بينهما، فلا يكونُ أمامه إلا أن يُفْرِد للنص نفسه عملًا آخر مستقلًّا، وهذا ما حدث معه وهو يحقق التفسير، تفسير ابن كثير، ولا يستطيع محقِّق مثله أن يغفل عن التحقيق (الآخر) أعني تخريج الأحاديث، والتخريُج لصاحب الصنعة رأسٌ بنفسه، ولعلَّ أفضلَ ما نقوم به هو أنْ ننقل كلامه هو؛ إذ هو أدلُّ، يقول: «أما الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ -يقصد في تفسير ابن كثير- فقد كانت عنايتي بها أكثرَ من عنايتي بتحقيق الآثار؛ لأنَّ الحجة بها لازمة؛ إذ هي الأصلُ الثاني بعد القرآن العزيز، فلم أُثبت حكمي على الحديث إلا بعد دراسة متأنية، جمعتُ لأجلها طرق الحديث من دواوين السنة المشهورة والأجزاء المنشورة، سواء المطبوع منها أو المخطوط، وأنظرُ إلى تفرُّد الرواة ومتابعاتهم، مستعينًا بكلام علماء الحديث على معرفة الراجح. وربما أنفقتُ الليالِيَ الطويلة في تحقيق لفظة واحدة حتى أَصِلَ إلى جادَّة الصواب فيها، فأنظرُ، فإذا الحديث الواحد قد استغرق عدة ورقات قد تصل أحيانًا إلى ثلاثين ورقة، فلا أستطيعُ أنْ أُثبِت ذلك في حاشية كتاب كبير مثل هذا التفسير، فاستقرَّ الرأيُ أن آخذ خلاصة هذا البحث في عدة أسطر، أما أصل البحث فأُودعه في كتابي «تسلية الكظيم بتخريج أحاديث تفسير القرآن العظيم»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧-مقدمة).

- ٦ -

تكامل منظومة العلم

بعض تراث الشيخ تتكامل فيه منظومة العلم، ضبطًا وتفسيرًا: التحقيق (بالمعنى الاصطلاحي)، ضبطِ النص وما يتَّصل به، بالتحقيقِ (بالمعنى الحديثي) تخريجِ الأحاديث والحكم عليها، فهو يحقِّق «الأربعون الصغرى للبيهقي»[١] (ت٤٥٨هـ) يحقق النص (الكتاب الذي ألَّفه البيهقي)، ويُذَيِّله بكتاب أسماه «شِفاء الزَّمين بتخريج الأربعين» يحقق الأحاديث من جهة سندها، وما يتصل بذلك من اتفاق متونها أو اختلافها زيادةً ونقصًا.. إلخ.

وإلى هذين اللذين يتوجَّهان إلى الضبط، ثمَّ الشرح؛ شرح النص الذي يدلُف منه إلى مسائل العلم ذاتِه. ومعلومٌ أنَّ علم الشيخ هو علم الحديث، وقد ترك في هذه البابة «إسعاف اللبيث بشرح ألفية الحديث للسيوطي» (ت٩١١هـ) ففي هذا الكتاب لا يُحَقِّق النص (ألفية السيوطي) وإنما يشرحه، وشَرْحُه يعني الدخولَ في مسائل مصطلح الحديث وتحريرِها. ومثلُه كتابه الآخر: «جُنَّة المستغيث بشرح علل الحديث» لابن أبي حاتم (ت٣٢٧) وهما كتابان كبيران، احتشد لهما احتشادًا، وامتدَّ عمله في الأول الذي أنجز منه ثلاثة مجلدات نحوَ عشرين عامًا. أما الثاني فقد أكمل منه مجلدين[٢].

- ٧ -

الانشغال بالدراسة الصرفة

ولربما انشغل بالدراسة الصِّرْفة، التي تقوم على النص، لكنها لا تتوقف عند ضبط ما فيه وتخريجه وتفسيره، بل تذهب أبعد من ذلك إلى الدراسة الموضوعية والتاريخية، التي تنظر في ترجمة صاحب النص وسيرته العلمية ومنهجه العلمي؛ أي بلغة المحدِّثين: شرطهِ في الجرح والتعديل، وأُمَثِّل لهذا بكتابه «الإمعان مقدمة بذل الإحسان» وما «بذل

(١) صدر عن دار الكتاب العربي، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: نثل النِّبال (١/ ٦٠).

الإحسان» هذا إلا كتابٌ له -أيضًا- عنوانه الكامل: «بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن» (ت٣٠٣هـ) وقد صدر عام ١٤١٠هـ، ثم رأى أن يقيم عليه الدراسة التي أشرنا إليها (الإمعان) التي ما زالت -في ما علمنا- حبيسةَ الخط.

- ٨ -

نقد الرجال

ومما ينبغي التوقف عنده واللَّفْتُ إليه أن السمة الأساسية في العقلية العلمية للشيخ هي النقد، ولربما تجاوزنا النقد الذي يعني التمييز بين الأشياء؛ صوابَها من خطئها، وصحيحَها من سقيمها، إلى تتبع الأخطاء والأسقام، ليس بغرض النعي على الآخرين، وخاصة المتقدِّمين، فهو عظيمُ الإجلال لآثارهم، بالغ الاحترام لهم، لكنها أمانةُ العلم، وهاجسُ الحق الذي يسكن فيه. ولعل كتابه المهم والكبير «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد» الذي طُبع عام ١٤١٨هـ[١]، خيرُ مثال لما قلنا، فهو تعقبٌ لما أخطأ أو سها أو قصّر فيه الأقدمون، لكنه تعقُّبٌ لأناس يصفُهم بالأماجد.

غير أن الاحترام والإجلال للقدماء تقابلهما شدة -وهي عنده شِدَّة في الحق- تجاه المحدَثين الذين يدخلون حرم العلم، وهم لا يملكون الأدواتِ التي تجعلهم حقيقين بذلك، بيد أني لن أتردَّد في أن أقول إنها شِدَّة، تخرج من عَيْبة الشيخ الذي أخذ نفسه بالصرامة في كل شيء، وخاصة إذا ما كان الأمر ذا صلة بالعلم، فالعلم وأمانته عنده فوق الرجال، حتى أولئك الذين يعدُّهم في شيوخه، ويضفي عليهم ألقابًا تشي بمكانتهم الرفيعة عنده.

ذكر في مقدمة تحقيقه لتفسير ابن كثير أنه أخضع أسانيد الآثار لقواعد المحدِّثين حاذيًا حَذْوَ الشيخ أحمد شاكر، أو مستأنسًا -على الأقل- بصنيعه في تفسير الطبري، وقد ذكره ذكرًا يدل على إجلاله، فهو «الشيخ أبو الأشبال أحمد بن محمد شاكر رحمه الله تعالى»[٢] على أنَّ ذلك لا يمنعه من أن يؤلف كتابًا يعنونه بـ«الفجر السافر على أوهام

(١) صدر عن مكتبة البلاغ، دبي.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٢-مقدمة).

الشيخ أحمد شاكر»[١]! ولا يخفى وَقْعُ كلمة «أوهام» ودلالتها، وقد كان يمكنه أن يستبدل بها كلمة أو كلماتٍ أخرى ألين منها من مثل: على ما وقع فيه، أو على ما فات..

وأدلُّ من ذلك في عُلُوِّ العلم من جهة، وفي عدم متابعته للرجال مهما علت مكانتهم عنده، موقفه من الشيخ ناصر الدين الألباني الذي وصفه في مقدمة تحقيقه لتفسير ابن كثير -أيضًا- بأنه شيخنا، وأنه حسنة الأيام[٢]، ودعا له بحفظ الله والتمتيع به، ونَعَتَه في أماكنَ من كتبه بأنه «محدِّث الزمان»، بل إنه ألف فيه كتابًا «الثمر الدَّاني في الذَّبِّ عن الألباني»[٣] هذا المحدِّث ذو المكانة عنده وعند أهل الحديث يكاد يُجْمع عليها، لم يقع الشيخ في أسْرِ شخصيته العلمية، وخالفه في تصحيحه حديث: «لا تصوموا يوم السبت...»، والقولِ بظاهره من جهة المعنى بعد أن ظل زمنًا متابعًا له، إلى أن تسنَّى له التحقيق روايةً ودلالةً، فخلص إلى الحكم بتضعيفه رواية، وتأويلِه دلالة[٤].

على أن استقلالَ الرأي ومخالفةَ الرجال تبقى في إطار الاختلاف العلمي، إلا إذا كان المخالَف لا يملك أدواته، فهو -عنده- يكون غريبًا عن العلم، متطفلًا على الصنعة، ولربما كان من هؤلاء -في رأيه- الشيخ محمد الغزالي الذي أَلَّف فيه «طليعة سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي»[٥]، فنعته بالمتسوِّر لمنبر الاجتهاد مع عرائه من مؤهلاته، وقال عنه: له من الأقوال الفاسدة، والآراء الكاسدة ما يستحق عليه التعزير الشديد، والحَجْر المديد. ولا يكتفي بذلك، بل ينتقل من القدح في علمه إلى القدح في خلقه، ففيه -أي في الشيخ الغزالي- «سلاطة في اللسان، وصلابة في العناد».

ويُتَوِّج ذلك كلَّه بالقول الذي يؤكد ما ألمحنا إليه من قسوته: «ويرى القارئ أنني قد

(١) أدخله في «تنبيه الهاجد». انظر: نثل النِّبال (١/ ٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨-مقدمة).

(٣) لم يطبع.

(٤) انظر: نثل النِّبال (١/ ٦٦).

(٥) صدر عن مكتبة التوعية الإسلامية، ط: ١، ١٤١٠هـ.

قسوت، فأقول: نعم، غير أني لم أتجنَّ عليه، ولكل مقام مقال»[١].

إذن القسوة عند الشيخ مقبولة؛ لأنها قسوة في الحق، وللحق، المهم ألا تكون تجنِّيًا، فذلك ما لا يقبله ولا يقع فيه.

- ٩ -

نظرة على التحقيقات

٩/ ١: حال بين بين:

حقق الشيخ الحويني عددًا كبيرًا من النصوص، وأنا هنا أعني التحقيق بمعناه العلمي القريب المرتبط بالنص التراثي، بهدف ضبطه وإخراجه، وإلا فإن هناك نصوصًا عديدة أخرى قام بشرحها أو تخريج أحاديثها أو خدمتها بوجه من الوجوه، ولا شك أنه في أثناء هذه الخدمة، ومن خلالها حقَّق بصورة من الصور نصوصَها.

وللحق فإن أمر متابعة عمل فضيلة الشيخ أمر صعب، ولن أستنكف في هذا السياق أن أكدر ما سبق أن ألمحت إليه في صدر البحث من إشكالية التعامل مع تراثه، فقدرٌ ليس بالقليل من أعماله مُنْجَز، لكنه ما زال مخطوطًا لم يدفع به إلى الطبع، وهو يحيل عليه في ما طبع من كتبه. وما نقوله ليس جديدًا، حكاه تلاميذه ومريدوه، بل اعترف هو نفسه به، فهذا -مثلًا- كتاب الأحاديث القدسية الأربعينية لملا علي القاري (ت١٠١٦هـ) الذي حَقَّقه ونشره سنة ١٤١٢هـ[٢]، يستخرج منه أو يتكئ عليه في كتابه صحيح الأحاديث القدسية الذي أشار إليه في تقديمه لتخريج كتاب القاري، وليس لنا من الكتاب سوى هذا الذُّكر.

وأكثر من ذلك فإن على هذا الكتاب كتابًا آخر، ذكره في الموطن نفسه، وهو: «الهدية بشرح صحيح الأحاديث القدسية» وزاد: أنجزتُ منه مجلدًا إلا قليلًا، وأُقدِّر الشرح بنحو خمسة مجلَّدات. ومرة أخرى ليس لنا سوى هذا الذُّكر.

---

(١) انظر: نثل النِّبال (١/ ٧٤).

(٢) صدر عن مكتبة الصحابة بجُدَّة، ومكتبة التابعين بالزيتون (القاهرة).

وعلى الرغم من أن «الصحيح» و«الهدية» ليسا نَصَّيْن، لكنهما يكشفان حال الصعوبة التي أشرنا إليها. وللشيخ حجته، فقد حُكي عنه أنه لما بلغه أنَّ ثَمَّ من يقول: إنه ينشر عنوان الكتاب، ويظل سنواتٍ لا ينشره، مما يُزَهِّد الناس في متابعة مشروعاته، قال في ما معناه: إن الفن (يريد فنَّ الحديث) فنٌّ دقيق متشعِّب المادة، وهو دِين، والسلامةُ من الدخول فيه توجب بذل الوسع، فهذا هو الدافع وراء تأخير مصنفاتي التي أنهيتها من قديم (راجع: الأحاديث القدسية الأربعينية).

إن جزءًا من تحقيقات الشيخ ومؤلفاته في حال بين بين، فلا هي مطبوعةٌ بين أيدي الناس، ولا هي مشروعات لا تزال في مرحلة التخطيط والتفكير. إنها موجودةٌ ولكن في مكتبته وضمن أوراقه، غير أنها لا تزال -في ما أظن- تحتاج إلى أن يبارك الله في الوقت، حتى ينظر فيها ويرتِّبها، لِتحظى برضاه، ومن ثَمَّ ترى النور.

لذلك فإنَّ كلامنا في تحقيقاته سيكون شاملًا للصِّنفين معًا، غير أن ما طُبع منها حقًّا سنشير إليه، وما لم يكن كذلك -أي ما كان منها غُفْلًا- سكتنا عنه، وإنما ارتضينا ذلك؛ لأنها أعمال قائمة حقًّا، لكنَّنا لم نرها.

٩/ ٢: عين على النصوص الأصلية:

اشتغل الشيخ أكثرَ ما اشتغل في النصوص الحديثية، وكانت عيناه ترمي إلى البعيد، إلى النصوص الأصيلة (القديمة)، فعلم الحديث هو العلم المرتبط بالنبي ﷺ أقوالِه وأفعالِه وسلوكِه، وكلما كان النصُّ قريبًا منه، كان أَدْعَى إلى الاهتمام به. ولذلك فقد رأينا الشيخ يقصد القرون الأولى قصدًا، فيحقِّق كتاب «القدر» لعبد الله بن وهب (ت١٩٧هـ) صاحبِ «الجامع في علوم القرآن»، وهو من أصحاب الإمام مالك. كما يحقق «الزهد» وهو كتاب مبكر من القرون الأولى، فقد توفي صاحبه أسد بن موسى سنة ٢١٢هـ، على أن هذا الكتاب قد طبع مبكرًا في مطالع القرن العشرين (١٩٠٩م) بعناية المستشرق الألماني رودلف ليزنسكي.

ويُحقِّق مسنَدي سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، للبزار (ت٢٩٢هـ)، وقد رأينا مسند سعد منشورًا سنة ١٤١٣هـ، في حين لم نر مسند سعيد.

ومن القرن نفسه (الثالث الهجري) حَقَّق كتاب «الصمت وآداب اللسان» لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، وصدر سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، على أن هذا الكتاب كان قد صدر بتحقيق نجم عبد الرحمن خلف مع ترجمة ضافية لابن أبي الدنيا، عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ومن النصوص المبكِّرة: كتابُ القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد الفِرْيابي (ت٣٠١هـ) وهو من كتبه غير المطبوعة، وكان قد نشر بتحقيق عبد الله بن حمد المنصور[١].

وغيرُ بعيد عن سابقه نَصُّ النسائي (ت٣٠٣هـ): خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي نشر سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. وعلى الرغم من أنه كان قد طبع[٢]، فإنَّ فيه زيادة مهمة؛ إذ ذيله الشيخ بكتاب من صنعته «الحُلِيّ بتخريج خصاص عليّ».

ومن الكتب التي عُني بها الشيخ كتاب «البعث والنشور» لأبي بكر بن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ)، وقد أصدره في بيروت ١٤٠٨هـ، و«نسخة عمرو بن زرارة الحَدَثي» (ت٢٣٨هـ) برواية أبي القاسم البغوي، المعروف بابن بنت منيع (ت٣١٧هـ) و«جزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي» لأبي عمرو عثمان بن محمد السمرقندي (ت٣٤٥هـ) عن شيوخه، و«ما رواه أبو الزبير عن غير جابر» لأبي الشيخ الأصفهاني (ت٣٦٩هـ) و«المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي» (ت٣٧١هـ) و«فضائل فاطمة الزهراء» لابن شاهين (ت٣٨٥هـ) وقد صدر هذا الأخير سنة ١٤١١هـ، و«ناسخ الحديث ومنسوخه» لابن شاهين أيضًا.

ومن كتب القرن الخامس الهجري عُني الشيخ أيضًا بـ«معجم الشيوخ» لابن جميع (ت٤٠٢هـ) و«كتاب الفوائد الحسان العوالي المنتقاة من الأمالي» لابن بشران (ت٤١٥هـ)

---

(١) صدر عن أضواء السلف سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) بتحقيق أحمد ميرين البلوشي، في الكويت سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، عن مكتبة المعلا، وله طبعات أخر.

و«الأربعون الصغرى للبيهقي» (ت٤٥٨هـ)، وصدر هذا الأخير عام ١٤٠٨هـ.

ومن كتب القرنين السادس والسابع الهجريين «صفة الصفوة» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) و«الترغيب في الدعاء والحث عليه» لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ) و«الأمراض والكفارات والطب والرقيات» لضياء الدين المقدسي (ت٦٤٣هـ)، وصدر هذا الأخير في طبعته الثانية عام ١٤٢٠هـ.

أما في القرون التي تلت، فنجد «جزء في تصحيح حديث القُلَّتين والكلام على أسانيده» لصلاح الدين العلائي (ت٧٦١هـ) وصدر عام ١٤١٢هـ، و«فضائل القرآن» لابن كثير (ت٧٧٤هـ) وصدر عام ١٤١٦هـ، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير أيضًا، وصدر منه جزآن عام ١٤١٨هـ، و«الأربعون في ردع المجرم عن سبِّ المسلم» لابن حجر (ت٨٥٢هـ) وصدر عام ١٤٠٦هـ، و«شرح سنن أبي داود» للبدر العيني (ت٨٥٥هـ)، و«بغية الراغب المتمني في ختم النَّسائي برواية ابن السُّنِّي» لشمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ)، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وقد صدر في ستة مجلدات عام ١٤١٦هـ، ثم في القرن الحادي عشر الهجري «الأحاديث القدسية الأربعينية» لِمُلَّا علي بن سلطان أحمد القاري (ت١٠١٦هـ) وصدر عام ١٤١٢هـ.

– ١٠ –

الرؤية النظرية للتحقيق

ليس للحويني كلامٌ مفرد مستقلٌّ في التحقيق، فالرجل -كما ألمحت- مشغولٌ بالنصوص وخدمتِها، بيد أن ذلك لا يعني أنه يتعامل مع تلك النصوص تعاملًا لا يقوم على معرفة ووعي بأسس صنعة التحقيق وقواعدها وإجراءاتها، وسوف نحاول هنا أن نجمع خيوط هذه المعرفة من كلامه في كتبه ومقدماتها، ففيها بعضُ غَناء لنا في هذا الموضوع.

١٠/ ١: أسس الاختيار:

لعل أول خطوة فيمن يقصد التحقيق هي الاختيارُ، واختيار الرجل -كما يقال- قطعةٌ

من عقله، وقد كان الحويني صادرًا عن هذه الفكرة، وواعيًا بها، ولذلك نجده في مقدمته لـ«تفسير ابن كثير» يؤكد أنه اختار أنْ يحقِّقه؛ لأنه أجلُّ التفاسير السلفية بعد تفسير ابن جرير[١]. ومعلوم أن تفسير ابن كثير قد حُقِّق مراتٍ من قبل، مما يعني أنه قصده قصدًا، بل إنه يذهب أبعد من ذلك عندما يوازن بينه وبين تفسير ابن جرير، على الرغم من تقدُّم هذا الأخير، وإنما فَضُل كتاب ابن كثير عنده لأمرين: أولهما: انفرادُه بالعناية بالأسانيد، لا يُجاريه في ذلك كتابٌ آخر. وآخِرهما: وضوح منهجه، فهو يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة الصحيحة، ثم بالأحاديث، ثم إنه ينقد ويوجه ويُعارض. وليس في كتاب ابن جرير هذان.

إن وراء الاختيار -كما رأينا- هاجسَ السنة الصحيحة، المؤيدة بالأسانيد، ولذلك فإنه في مقدمته أدار كلامًا طويلًا على مسألة حديثية مهمة، هي الحكم على الآثار في التفسير: هل تُخضَع لقواعد المحدِّثين من جهة السند، أم لا؟ وانتهى إلى إخضاعها[٢].

ومثالٌ آخر: كتاب البعث والنشور لابن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ) فقد جاء في تقديمه له أنه نظر في أحاديث الكتاب، فوجدها لا بأس بها، وفيها قَدْرٌ حسن من الأحاديث الثابتة التي يُحْتَجُّ بها في الدين[٣]. إنه الاحتجاج في الدين الذي يدفعه للعمل في النص.

ولربما استند في الاختيار إلى أقوال أهل العلم، فقد توجَّه إلى «تهذيب خصائص الإمام علي» للنَّسائي؛ لأنه من أحسن ما صُنِّف في هذا الباب، وقد قال ابن حجر: وأوعبُ من جمع مناقب علي رضي الله عنه من الأحاديث الجياد النَّسائيُّ في كتاب «الخصائص»[٤]، ويصرِّح تصريحًا: «ولما كان الكتاب بهذه المنزلة عند الحافظ رحمه الله وكان مسند الدنيا في عصره، فرأيت أنْ أخدمه بتحقيق أصوله وتخريج حديثه...»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥-مقدمة).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦-مقدمة).

(٣) البعث والنشور (٣-مقدمة).

(٤) تهذيب خصائص الإمام علي (٤-مقدمة).

(٥) السابق (ص٥).

١٠/ ٢: الحرص على النسخ والاستكثار منها:

يحرص الشيخ على النُّسخ كثيرًا، بل إنه يستكثر منها، ومعلومٌ أنه لا يقوم تحقيقٌ من غير نُسَخ، وقد تجلَّى هذا الحرص في غير موطن، ومن ذلك ما قاله -وهو يتحدث في تقديمه لـ«المنتقى من السنة المسندة عن رسول الله ﷺ لابن الجارود»- أنه عندما كان في البحرين التقى خالدًا الأنصاري فأتحفه بمخطوطة الكتاب، فكاد يطير بها فرحًا[١].

وذكر أنه كان قد نشر الكتاب آنف الذكر اعتمادًا على مطبوعة عبد الله هاشم اليماني، لكنه -في ما يبدو- ما كان يقصد التحقيق، إنما كان هدفه التخريج، ولذلك جعل منه كتابًا، وأعطاه اسمًا «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود»[٢].

وثَمَّ ما يدل على أنَّ في نفسه شيئًا من اعتماده على تلك المطبوعة، فهو يقول: ومبلغ علمي أنه -يريد اليماني- اعتمد على المطبوعة التي نُشرت في الهند، لكنه قال في مقدمته: «فنسختُ أولًا، وقابلتُ ثانيًا» فهل قوله: «فنسخت» يعني به: المطبوع أو المخطوط؟ اهـ[٣]. إنَّ تساؤله الأخير، ينمُّ عن قلقه، وتعلُّقه بأن يقومَ عمله في التخريج على نصٍّ اعتمد على مخطوطة، لا على مطبوعة.

وفي السياق نفسه، ولكن من جهة أخرى أَبْيَنَ، يقول بعد أن يعبِّر عن استيائه من الأخطاء التي وقعت في «غوث المكدود»: «فلما رأيتُ ذلك تمنيتُ لو أعدتُ نشر الكتاب مرة أخرى لأتدارك هذه الأخطاء، فكان يمنعني من ذلك عجزي عن الظفر بالأصل المخطوط»[٤].

ذلك كلُّه عن الحرص. أما الاستكثار، فإن عمله في «تفسير ابن كثير» من أقوى الأدلة عليه، فقد احتشد له بعشرين نسخة، وما اكتفى بذلك، فقد كان في انتظار ست أخرى، لتصل عدة النسخ ستًّا وعشرين، وهو ما دعاه إلى أن يعرب عن ارتياحه، فيقول: «وهي

(١) المنتقى، المقدمة، د.

(٢) السابق، المقدمة، د.

(٣) السابق، المقدمة، ب.

(٤) السابق، المقدمة، ب.

كافية -ولله الحمد- في إخراج نَصّ علمي مُتْقَن»[١].

على أنَّ هنا وقفة لا بد منها، مُفادها أن الاستكثار إن دَلَّ على الحرص، فهو ليس محمودًا من وجهة نظر الصنعة، ذلك أن النُّسخ لا بد أن تخضع للدراسة والتصنيف، فإذا ما صنِّفت، كان الاعتماد على الأمهات. إن النسخ لا تُقْصَد جميعًا إلا في سياق دراسة تاريخ النص، وذلك موضوعٌ آخر لسنا بصدده الآن.

١٠/ ٣: ضبط النص:

يَعْرِف الشيخ تمام المعرفة خطورةَ ضبط النص، ونقصد هنا المفهوم العام للضبط، ولا أَدلَّ على ذلك من قوله: «وأما نص الكتاب -يريد «تفسير ابن كثير»- فجعلته هَمِّي ووَكْدي، ولربما كان أشقُّ شيء عليّ في هذا العمل هو تقويم لفظ الكتاب، بحيث يكون كما صنَّفه صاحبه، إلا ما شاء الله»[٢]. وفي موطن آخر يقول مُفَصِّلاً بعض تفصيل: «فهذا الكتاب -يريد «منتقى ابن الجارود»- أُقدِّمه للمسلمين عامة، ولأهل الحديث خاصة محقَّقًا تحقيقًا علميًّا، مضبوطًا ضبطًا صحيحًا، مرقَّمًا ترقيمًا جيدًا»[٣].

ويدلُّ على ذلك، ولكن من وجه آخر، ما يتبدَّى من كلامه من أسًى وأسف عندما يتحدَّث عن الأخطاء التي تنال من صحة النص، وتشوِّهه: «ولما طُبعت -يريد «غوث المكدود»- ورأيتها ركبني غمٌّ كبير؛ إذ رأيت فيها من التصحيفات ما يندى له الجبين خجلًا»[٤]، وفي موطن آخر: «فأغراني ذلك -يريد النسخة الخطية من «المنتقى» التي أتحفه بها خالد الأنصاري- أن أعيد نشر هذا الكتاب، فلقد وقفتُ على تصحيفات في المتن والإسناد»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨-مقدمة).

(٢) السابق (١/ ٢٨-مقدمة).

(٣) كتاب المنتقى من السنن المسندة، المقدمة، أ.

(٤) المنتقى، المقدمة، ب.

(٥) السابق، المقدمة، د.

إن أشقَّ أنواع الضبط ذلك المرتبطُ بالأسماء؛ إذ إنها غير محكومة بقاعدة، ومعلومٌ أنَّ الأسماء هي عمدةُ أهل الحديث، فعليهم وبهم يقوم السند الذي هو مدار التصحيح والتضعيف، والشيخ واعٍ بهذا متنبِّه له: «وقد حاولتُ أن أقيم الأسماء، فنظرتُ في تراجم الأندلسيين.. وأقمتُ عِوَج عدد كبير من الأسماء»[1]، لكنه بإخلاصه للنص وصدقه فيه يعترف «لكن ذهب عليّ بعضه، وفي نفسي غُصَّة من ذلك، ولعلِّي أستدرك ضبط ما فاتني من هذا الإسناد بعد ذلك إن شاء الله تعالى»[2].

ولعل في قوله الآتي ما يكشفه أجلى كشف وَعْيَه بقيمة الضبط: «وربما أنفقتُ الليالِيَ الطويلة في تحقيق لفظة واحدة حتى أصلَ إلى جادَّة الصواب فيها»[3].

ومما يتَّصل بالضبط حرصُه الشديد على تصحيح التجارب الطباعية، فهو يقوم بنفسه بهذه المهمة الثقيلة حتى يطمئن: «ولم أَكِلْ قراءة نصِّ الكتاب إلى أحد، بل قرأته حرفًا حرفًا رغم كثرة أصوله»[4].

١٠/ ٤: التعليق والتخريج:

لعل أهم عناصر التعليق، هو التخريج؛ تخريج الحديث الشريف، والآثار، وهذا بدهيٌّ، فهو محدِّث، ولذلك فإنَّ معظم ما يدوِّنه في الحواشي، إنما هو تخريجٌ وحُكم على الأحاديث، ومَنْ يتابعْ عمله في كل ما كتب يجدْ تجلياتِ ذلك في الاتساع في ذكر المصادر، والموازنة بينها، وكثرة النقول، والاحتراز البالغ من الالتباس.

ومن أمثلة الحكم -وهي كثيرة جدًّا- قوله معقبًا على الحديث الذي أورده ابن كثير: «أعظمُ الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين» وحكم عليه: هذا إسناد صحيح، قوله: أخرجه ابن أبي داود في المصاحف

(١) السابق، المقدمة، د.

(٢) السابق، المقدمة، د.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧-مقدمة).

(٤) السابق (١/ ٢٨).

(ص٥) من طريق وكيع، وأبي أحمد الزبيري، وعبدة بن سليمان، وقبيصة بن عقبة، وخلاد بن يحيى؛ كلهم من طريق الثوريِّ، عن السُّدِّي الكبير، عن عبد خير، عن عليّ، فذكره. وهذا سند حسن، والسُّدِّي مختلَف فيه، ولا بأس به، فتصحيح المصنف للسند فيه نوع تسامح(١).

ونقل ابن كثير عن أبي بكر بن داود في كتاب المصاحف: حدثنا هارون بن إسحاق، ثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه: أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي عليه السلام. ثم قال: صحيح أيضًا. قال الشيخ معقبًا: وسنده منقطع؛ لأن عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر، فقول المصنف: «صحيح» فيه نظر، فكان ينبغي تقييده بأن يقول: «صحيح إلى عروة»(٢).

ومن الاتساع في المصادر ما نجده في قوله مخرجًا آثارًا رواها البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابقة منها.. قوله: وأخرج هذه الآثار أيضًا سعيد بن منصور في تفسيره والطحاوي وعبد الرزاق والطبري والبيهقي في الشعب والحاكم وابن عبد البر(٣).

ومن أمثلة الاحتراز قوله معلقًا على حديث: وقول المصنف رحمه الله: «مُتَّفق عليه» يعني: على أصل الحديث، وإلا فلم يَرْوِ مسلمٌ قولَ البراء الذي أخرجه البخاري(٤).

وسأكتفي بهذه الأمثلة.

١٠/ ٥: التوثيق:

يُعَدُّ التوثيق أساسًا لا ينهض التحقيق من دونه، وإنما يكون بإرجاع النقول إلى مصادرها، ومقايستها بها، حتى يتبين انضباطُها، وقد حرص الشيخ كثيرًا على ذلك، يجده الناظر بوضوح لافت في تعليقاته، فها هو -مثلًا- ينص على أنَّ المصنف -ابن كثير- نقل

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٠، ح٣).

(٢) السابق (١/ ١٦١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٥، ح١).

(٤) السابق (١/ ٢٣١، ح٢).

عن الدارقطني أنه قال: كلهم ثقات. لكنه لا يطمئن، فيرجع إلى السنن، فلا يجد النقل، فيبحث عن توجيه، ويخلص إلى أن الدارقطني إنما قال هذه العبارة: «كلهم ثقات» في الحديث الذي بعده، فلعل نظر المصنف -يريد ابن كثير- انتقل حال النقل(١).

ومن المعلوم أن ثمة ظاهرة تسمَّى «انتقال النظر» هي وراء ظاهرتين معيبتين في النسخ الخطية: الزيادة أو التكرار، والحذف أو الإسقاط، لكن الشيخ يشير إليها ليس على أنها من عيوب النُّسَّاخ، ولكن على أنها من عيوب المؤلفين، فابن كثير انتقل نظره وهو يمارس فعل التأليف لا فعل النَّسْخ.

إنَّ حواشي الشيخ تكشف سعة علمه بالمصادر وحرصه على مراجعتها والتوثيق منها، وهو يتجاوز ذلك إلى مساءلتها ومفاتشتها والموازنة بينها، ومن ثم الخلوص إلى ما يراه صوابًا.

هذا ما رأيتُه في حواشيه، وبخاصة في تفسير ابن كثير، فهو لا يترك نقلًا أو إشارة إلا رجع إلى المصدر أو المصادر، وفي ثنايا ذلك يدقق ويصوِّب، فلننظر -على سبيل المثال- إلى هذا: نقل ابن كثير قال: قال الضحاك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده. قال الحويني معلِّقًا: أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩١) معلَّقًا. ووصله ابن جرير (٨٥٦) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا جويبر، عن الضحاك. وسنده ضعيف جدًّا. وجويبر تالف. ووقع في تفسير ابن جرير: ابن يزيد. والصواب: يزيد. هذا، وقد خلط ابن كثير بين عبارة الضحاك وكلام ابن جرير، فوصل القولين. والصواب أنَّ العبارة التي نسبت إلى الضَحَّاك: «إنها لثقيلة» ثم قال ابن جرير: ويعني بقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: إلا على الخاضعين لطاعته(٢)...

في هذا التعليق على كلام الضحاك:

- توثيق من ابن أبي حاتم.

---

(١) السابق (١/ ٣٧٤، ح١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٤، ح١).

- الإشارة إلى أنه عند ابن أبي حاتم معلّق.

- توثيقه أيضًا من تفسير ابن جرير (الطبري).

- الإشارة إلى أنه في هذا المصدر الأخير موصول من طريق يزيد.

- الحكم على السند الذي أورده ابن جرير بالضعف.

- اللفت إلى أن ما وقع عند ابن جرير: ابن يزيد. والصواب: يزيد.

- التنبيه إلى أن ابن كثير خلط بين عبارة الضحاك وكلام ابن جرير. فعبارة الأول تقف عند: لثقيلةٌ. وعبارة الآخِر تبدأ بـ: إلا على الخاضعين لطاعته. ويفهم أن ثمة سقطًا، فكلام ابن جرير بدأ بـ: ويعني بقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: إلا على الخاضعين...

هذا كله في تعليقة واحدة في ستة أسطر، يوثّق، ويصحح المصدر الذي وَثَّق منه (ابن جرير)، ويصحح أيضًا المصدر الذي يحقّقه بإقامة عبارته على وَفْق المصدر المنقول منه. ألم أقل آنفًا إنه يسائل المصادر ويفاتشها!

ويبلغ حرصُه على التوثيق مدى بعيدًا عندما يحكم على سند بأنه ضعيف؛ لأن هناك انقطاعًا بين رجلين فيه (السُّدِّي) و(سلمان ﷺ) ويضع احتمالًا بأن يكون السدي اختصر السند. ثم إن هذا الاحتمال الذي وضعه يصدق، فقد رآه (أي السند) بعد على التمام في «كتاب التوحيد» لابن منده، وهذا يحكم على السند بأنه حسن، بيد أنه لا يكتفي بذلك، ويورد سياقًا آخر أطولَ وأوضح بلفظه، هذا السياق يوقف المتن ليشغل صفحتين كاملتين ونصف الصفحة[1].

١٠/ ٦: التكشيف:

يدرك الشيخ قيمة تكشيف النص، أو فهرسته، ولذلك فهو يحرص على أنْ يذيل النصوص التي يحققها بالكشافات أو الفهارس التي تفتح مغاليقها. وسأكتفي بالوقوف

---

(١) ما أجملتُه كان من تعليقه على ما ذكره السدي في سبب نزول الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ...﴾ البقرة. انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٠-٤٦٣).

قليلًا عندما ذَيَّل به تحقيق كتاب «المنتقى» لابن الجارود[1]، فقد صنع له خمسة فهارس غير فهرس الموضوعات، هي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- معجم شيوخ ابن الجارود.
- فهرس أسماء الصحابة.

وقد استغرقتْ هذه الفهارسُ خمسًا وتسعين ومائة صفحة، وهذه بعض ملاحظات عليها:

أ- في معجم شيوخ ابن الجارود، حرص على أن يُذَيِّل كل شيخ بمن روى عنه، فكأنه بذلك قد صنع معجمين: معجمًا لشيوخ ابن الجارود، ومعجمًا لشيوخ شيوخ ابن الجارود. إنه هاجس السند الحديثي، حتى في المعجمات التي يُذَيِّل بها النص.

ب- في فهرس رجال الإسناد دون الصحابة، وأسماء الصحابة يلاحظ أنه قَدَّم في الترتيب الأسماء المركبة المضافة إلى لفظ الجلالة (الله) و(الرحمن) على غيرها من أسماء الله تعالى. ثم انتظم من بعد، فبدأ بـ«عبد الأعلى».. والشيء نفسه فعله في الأسماء المبدوءة بـ«عبيد» فـ«عبيد الله» أولًا، ثم ينتظم الترتيب الهجائي.

جـ- أخرج الكنى وأفردها وأحال منها على الأسماء إن كانت، ولم يدرج فيها ما بدئ بـ«أخ»، وجعلها في قسمين: الآباء (أولًا) ثم الأبناء.

د- أعقب الكنى بالنساء، وقدَّم أسماءهن، وتلا الأسماء بكناهن.

وهو في منهجه هذا يقتفي أثر القدماء، فما فعله فعله محيي الدين النووي مثلًا من قبل في «تهذيب الأسماء واللغات». ومعلومٌ أن المنهج المعمول به اليوم في الفهارس خلافُ ذلك، فلا تفرقة بين الأسماء والكنى، ولا بين أسماء الرجال والنساء، فهي جميعًا تُنْظَم في سلك واحد.

---

(١) صدر عن دار التقوي، بالقاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ولا شك أنه بذلك يؤكد ما سبق أن قرَّرناه في مطلع هذا البحث من أنه تراثي يقتفي أثر القدماء في تآليفهم وفي طرائقهم جميعًا في التعامل مع النصوص، ومنها خدمتها بالفهرسة.

غاشية هذا البحث إطلالة خاطفة على الشيخ الحويني في مجال محدَّد هو مجال تعاملِه مع النص التراثي عامة، وتحقيقِه له خاصة، وما كان وضع القلم رضًا باستيعاب الموضوع أو مقاربة لذاك، فثمة نقاط ومسائلُ كثيرة لم يُسعف الوقت الذي نُزِعت بركته هذه الأيام بأن نعطيها حَقَّها، والله -تعالى- من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مدينة ٦ أكتوبر

السبت ١٨/ ٥/ ١٤٣٧هـ

٢٧/ ٢/ ٢٠١٦م

~~~·~~~·~❁~·~~~·~~~
~~~

السَّهَر لقطع غربة الأثر!

منجز أبي إسحاق الحويني

في تحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف

دراسة تحليلية

من منظور خصوصية النوع

أ.د. خالد فهمي

كلية الآداب/ جامعة المنوفية

٠/ مدخل: قصد جليل!

إن التلبث الطويل أمام مقاصد السيد/ حجازي محمد شريف، المعروف بكنيته ذائعة الصيت التي هي: أبو إسحاق الحويني الأثري (و١٣٧٦هـ=١٩٥٦م) = يكشف عن زمرة من المقاصد الجليلة وراء عنايته بتحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف.

وهي مقاصد تتجاوز الاشتغال المهني -على جلال ذلك- بتصحيح هذه النصوص، واستعادة صورتها التاريخية التي أرداها، ورام إنجازها أصحابها ومصنفوها ساعة توجهوا إلى إنجازها وتصنيفها، وهو حاق عمل المحقق المعاصر بالأساس.

إن هذه المقاصد تتجمع، وتتكثف، وتظهر جلية خلف مقصد كلي أسمى يمكن التعبير عنه بعبارة جامعة تقول: إن مقصد اشتغال أبي إسحاق الحويني بتحقيق مصنفات الحديث النبوي الشريف كامن في **إرادة قطع غربة هذا العلم** التي أحاطت به في العصور المتأخرة؛ لأسباب كثيرة.

وهذا المقصد الأسنى الرامي إلى قطع غربة هذا العلم تجلى في حزمة من العلامات التفصيلية الظاهرة في منجزه التحقيقي، **يمكن إجمال بيانها فيما يلي:**

أولًا: العكوف شبه الكامل على الاشتغال بفروع علم الحديث النبوي جميعها، تحقيقًا لمصنفاته ومدوناته، ونقدًا لما سبق في اشتغال السابقين عليه من تحقيقات، وضبطًا لمشكلات هذا العلم، وخدمة لنصوص الحديث النبوي في غير مصنفاته.

ثانيًا: تنوع وجوه الاشتغال بمصنفات الحديث موزعة على الموضوعات والمجالات المعرفية؛ إيمانًا واعتقادًا، وتزكية وأخلاقًا، وعبادة وسلوكًا.

ثالثًا: تمدد وجوه الاشتغال بمصنفات هذا العلم زمنيًّا على أجيال السلف والخلف معًا.

رابعًا: تمدد وجوه الاشتغال بمصنفات هذا العلم مكانيًّا؛ بمعنى اتساع المساحة الجغرافية التي أنتجت مصنفات الحديث النبوي الشريف من منظور خريطة تراث إنجاز التصنيف في علم الحديث.

والحقيقة أن القول بإرادة قطع الغربة عن هذا العلم في الأوساط العلمية الراهنة لم يكن كشفًا مني أو استنباطًا بل كان التقاطًا لما ورد عند أبي إسحاق نصًّا صريحًا يقول في مقدمة تحقيقه (كتاب الصمت لابن أبي الدنيا، ت٢٨١هـ):

«فالمشتكى لله تعالى وحده من ضيعة هذا العلم على موائد من لا يتعلمونه تدينًا»!

ويقول في مقدمة نشرته لكتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، للنسائي ت٣٠٣هـ) معلقًا على طبعة سابقة [ص/ ١٢]: «ولك أن تعلم أنه قد وقع في أسانيد الكتاب أكثرُ من مئتي خطأ، مع كون أحاديثه لا تصل إلى المئتين.

وهذا مما يدلك على **غربة هذا الفن، وقلة العالمين به**».

ويعالج هذا البحثُ في بيانه خصائص منجز أبي إسحاق الحويني في تحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف المطالبَ التالية:

١/ تحقيق النصوص: قراءة في خطاب التصور والمفهوم.

٢/ خصائص منجز الحويني: خطاب التحقيق الابتدائي.

٣/ خصائص منجز الحويني: خطاب التحقيق النهائي.

٤/ منجز الحويني في تحقيق نصوص الحديث: موجز الوظائف والمقاصد.

١/ تحقيق النصوص: قراءة في خطاب التصور والمفهوم.

إن تحليل عينة مادة الدراسة، تكشف عن استعمال مصطلحين ظاهرين في خطاب عنوانات الأعمال، وخطاب مقدماتها هما:

١/ ١ التحقيق ١/ ٢. التأليف والتصنيف.

لقد استعمل الشيخ أبو إسحاق مصطلح (التحقيق) في عبارات متنوعة في أعمال نشرها؛ منها:

أ/ حققه وخرج أحاديثه.

١- ١٤٠٧=١٩٨٧م- الأربعون في ردع المجرم عن سب المسلم، لابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ.

٢- ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م- كتاب البعث، لأبي بكر السجستاني، ت٣١٦هـ.

٣- ١٤١٠هـ=١٩٩٠م- جزء فيه مجلسان من أمالي الصاحب نظام الملك، ت٤٨٥هـ.

٤- ١٤١٠هـ=١٩٩٠م- كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا، ت٢٨١هـ.

٥- ١٤١١هـ=١٩٩٠- فضائل فاطمة رضي الله عنها، لابن شاهين، ت٣٨٥هـ.

٦- ١٤١٢هـ=١٩٩٢م- جزء في تصحيح حديث القلتين والكلام على أسانيده، لابن كيكلدي العلائي، ت٧٦١هـ.

٧- ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م - مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، للبزار ت٢٩٢هـ (من جملة مسانيد البحر الزخار).

٨- ١٤١٤هـ=١٩٩٤م- جزء فيه مجلسان من إملاء للنسائي، ت٣٠٣هـ.

٩- ١٤١٦هـ=١٩٩٦م- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، ت٩١١هـ.

١٠- ١٤١٨هـ=١٩٩٨م- الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي، للسمرقندي، ت٣٤٥هـ.

١١- ١٤٢١هـ=٢٠١٠م- الجزء الثاني من حديث الوزير أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح، ت٣٩١هـ.

ب/ حقق أصله وعلق عليه.

وهذه العبارة جاءت في عمله/ كتاب المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود النيسابوري ت٣٠٧هـ [١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م].

ج/ حقق أصله وخرج أحاديثه.

وقد استعمل هذه العبارة في عمله (فضائل القرآن، لابن كثير، ت٧٠٣هـ).

والملاحظ أن استعمال هذه العبارات الثلاثة المتقاربة جاء وقد تصدرها المصطلح المستقر في التقاليد العربية المعاصرة عنوانًا على عمل النشر النقدي أو التصحيح العلمي للنصوص التي ينهض على حدود أربعة صلبة هي:

أولًا: محاولة استعادة الصورة التاريخية للنص التراثي -على حد التعبير الذي يشيعه الدكتور فيصل الحفيان- أو أداء النص التراثي مطابقًا أو قريبًا من مطابقة مراد صاحبه.

ثانيًا: العمل مع الاعتماد على نسخة خطية أو نسخ خطية.

ثالثًا: مشفع ذلك بدراسة نقدية للنص تتمثل في محورين ظاهرين هما:

١. معالجة النص وتصحيحه العلمي، وتدقيقه، وضبطه، وقراءته صحيحًا متقنًا.

٢. دراسة النص في عدد من المكملات الحديثية.

رابعًا: صناعة عدد من الكشافات التي تنهض بتيسير إتاحة المعلومات الصغرى في النصوص التراثية.

١ / ٢. التأليف والتصنيف.

جاء هذان المصطلحان في الدرجة التالية لمصطلح التحقيق من منظور كثافة الاستعمال؛ فقد استعمله في البيان عن عمله في الأعمال التالية:

١- ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م- كتاب فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، لابن قدامة، (مصطلح التأليف).

٢- ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م- كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، للنسائي، وبذيله كتاب الحلي بتخريج خصائص علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مصطلح التصنيف).

٣- ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م- كتاب الأربعون الصغرى، للبيهقي، ت٤٥٨هـ وبذيله شفاء الزمين بتخريج الأربعين (لا يوجد مصطلح كاشف عن نسق عمله في هذا الكتاب).

وقد لوحظ أن هذه الثلاثة الأخيرة جاء عمله فيها وقد ظهرت فيه العلامات التالية:

أولًا: العناية بتخريج نصوص الأحاديث، والتعليق عليها تعليقًا مشفوعًا بالنقد والتوثيق.

ثانيًا: غياب النسخ الخطية. وهذا محدد مهم على طريق فحص وعي الشيخ الحويني بجوهر مفهوم (التحقيق) وهو وعي ظاهر نصًّا، حيث يقول في مقدمة عمله في كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ ص/ ١٢) الذي استعمل في بيانه مصطلح (التصنيف).

«وأعترف بأن أي رجل **يحقق** كتابًا من كتب التراث على غير أصل مخطوط تكثر زلاته، و... لا يحمد فعله عند بعض الناس مهما يكن عذره».

وهو يقصد بالفعل (يحقق) النشر النقدي بمحدداته الأربعة التي سبق بيانها هنا منذ قليل، فيما يبدو.

وعندما عمل الحويني في هذه الكتب ونشرها من غير اعتماد على نسخ خطية، مال عن استعمال المصطلح المستقر وهو (التحقيق) إلى غيره مما أريتك.

على أن مفهوم النسخة في الأعمال التنظيرية المعاصرة في علم تحقيق النصوص من لدن عبد السلام هارون تتوسع- غالبًا- في مفهوم النسخة الخطية لتشمل ما يلي:

أ/ المخطوط.

ب/ المطبوعة الأولى أو القديمة التي فُقدت أصولها الخطية.

ومن هنا فإن الملاحظ ظهور نوع وعي في أعمال الشيخ بالتصور الواضح المستقر لمصطلح (التحقيق) بوصفه تصحيحًا علميًّا للنصوص التراثية اعتمادًا على نسخة أو نسخ خطية بصورة أساسية.

٢/ خصائص منجز الحويني في تحقيق النصوص الحديثية:

خطاب التحقيق الابتدائي.

من أشهر التقسيمات لمراحل تحقيق النصوص التراثية، التقسيم الذي أرسى قواعده الفيلولوجي الألماني: كارل لخمان الذي قسم فيه أعمال التحقيق قسمين ينتظمان مراحله جميعًا هما:

التحقيق الابتدائي.

والتحقيق النهائي.

وفي هذا المطلب والذي يليه محاولة لفحص خصائص الحويني وفق هذا التقسيم.

التحقيق الابتدائي مجموعة عمليات تتوجه إلى العمليات التالية:

أولًا: اختيار النصوص مشغلة التحقيق.

ثانيًا: جمع النسخ للنصوص التي اختارها المحقق.

ثالثًا: ترتيب منازل نسخ النصوص التي جمعها للنصوص التي استقر المحقق على اختيارها.

والظاهر من تأمل منجز الحويني العلامات التالية:

أولًا: النهوض باختيار نصوص معتبرة في الإجمال، وهذا الحكم يستصحب المعايير التالية:

١. انتماؤها جميعًا إلى مجال العلم الذي عُرف به الرجل، وعكف على خدمته، وهو علم الحديث النبوي الشريف.

٢. عراقة عدد كبير من هذه النصوص من جهة انتسابها لأصحابها، ففيها نصوص كثيرة لأئمة محدثين كبار، كالبزار، والنسائي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، ومن جهة العصور التي جاءت منها، فكثير منها جاء من عصور السلف الموصوفة في الجملة بالخيرية.

على أن هذه النصوص ليست من العيون أو ليست من النصوص المركزية في هذا الباب باستثناءات قليلة- على ما يظهر من عمله في تحقيق مسند سعد بن أبي وقاص، للبزار، والديباج للسيوطي.

وهذا الحكم يستصحب في خلفيته منزلة الشيخ في حقل دراسات الحديث النبوي الشريف بالأساس.

٣. ظهور أعمال في منجز الشيخ في التحقيق كانت نُشرت من قبل نشرًا نقديًّا، ولكن هذه الإعادة جاءت مشفوعة بعدد من المسوِّغات المقبولة في الإجمال.

وإذا كان الاتجاه العام في نظرية التحقيق هو التشدد والتضييق في إعادة تحقيق النصوص التي سبق نشرها محققة- فإن **خصوصية** علم الحديث على وجه التعيين تحمل على التوسع النسبي في قبول قرارات إعادة تحقيق النصوص الحديثية التي سبق نشرها نشرًا نقديًّا إذا جاءت هذه التحقيقات السابقة متورطة في أخطاء كثيرة (بمقياس كثافة النصوص) في الأسانيد والمتون، والمعالجة والتخريج.

وهذا القول بالتوسع النسبي في قبول إعادة تحقيق النصوص التراثية الحديثية يستصحب خصوصية هذه النصوص بوصفها ركنًا من الوحي يلزم حياطته حياطة كاملة عند نشره وتحقيقه.

والإنصاف يحملنا على أن نقرر أن الشيخ الحويني يبدو منه نوع وعي بهذا المبدأ المتعلق بالتشدد في قرارات إعادة تحقيق ما سبق نشره محققًا، على ما ظهر من نقل سابق من مقدمات بعض أعماله التي أعاد نشرها محققة من دون وجود مسوغ ظهور نسخة خطية، مع أنه أعاد نشر بعض الكتب مرة أخرى عند ظهور نسخة خطية (المنتقى لابن الجارود، ت٣٠٧هـ).

٤. إن قراءة الأجزاء الخاصة التي كان يوردها الشيخ في مقدمات تحقيقاته متعلقة بخطاب بيان النسخ الخطية المعتمدة ووصفها تكشف عن مجموعة ملاحظ من مثل:

١. غياب منهجية ظاهرة في إنجاز جمع النسخ لعدد من أعمال التحقيق، يقول [ص/ د من مقدمة تحقيقه كتاب المنتقى من السنن المسندة، لابن الجارود النيسابوري، ت٣٠٧هـ (٢٠٠٧م)]: إنه كان يمنعه من إعادة نشر كتاب المنتقى العجز عن الحصول على نسخة خطية، فلما حصل عليها أعاد نشره، وأثبت في نشرته الزيادات التي زادها السيد عبد الله هاشم قبله إلى النص «وهي زيادات ضرورية لا يتم الكلام إلا بها وقد أثبتها في مواضعها، فلا أدري أزادها مخطوطًا آخر، أم أثبتها من كتب السنة الأخرى؟».

وهذا الكلام ربما اتجه إلى غياب الوعي بضرورة العودة إلى سؤال المصادر العامة المعنية بتعيين مظان وجود النسخ الخطية في مكتبات المخطوطات في العالم، مما هو مستقر في تقاليد العمل في هذا الحقل المعرفي.

والحقيقة أن مسألة جمع النسخ لما نشره محققًا، وضوابطها، ومعاييرها جاءت غامضة في المجمل في خطاب ما حققه الشيخ الحويني.

وهذا الغموض ماثل في العلامات التالية:

أولًا: الاعتماد على نسخة خطية وحيدة في عدد من الأعمال بلا إشارة إلى سبب ذلك كلام صريح (انظر: ص/ ٥ من مقدمة تحقيق: الجزء فيه الثاني من حديث الوزير/ وص/ ٧ من مقدمة تحقيق: الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي، للسمرقندي/

وص/ ٥ من مقدمة تحقيق: كتاب البعث للسجستاني/ وص/ ٤ من مقدمة تحقيق: جزء فيه مجلسان من أمالي الصاحب/ وص/ ١٠ من مقدمة تحقيق: فضائل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لابن شاهين/ وص/ ١٠ من مقدمة تحقيق: جزء فيه تصحيح حديث القلتين، لابن كيكلدي العلائي/ وص/ ١٧ من مقدمة تحقيق: مسند سعد بن أبي وقاص (البحر الزخار) للبزار/ وص/٧ من مقدمة تحقيق كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات، لضياء الدين المقدسي/ وص/ ٣ من مقدمة تحقيق: جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي/ وص/ ٢١ من مقدمة تحقيق: الأربعون في ردع المجرم عن سب المسلم، لابن حجر العسقلاني).

وهذا هو الكم الأكبر من منجزه في التحقيق لم يكشف فيه عن أسباب الاعتماد على نسخة خطية واحدة.

ثانيًا: عدم النص الواضح عن أسباب الاعتماد على نسخة واحدة في كل ما سبق رصده هنا في الفقرة السابقة.

٥. إن قراءة الوصف المادي للنسخ الخطية للكتب التي حققها ونشرها اعتمادًا على أكثر من نسخة خطية لم يظهر منها معايير ترتيبه منازل النسخ: (انظر: ص/ ١٤ من مقدمة تحقيق فضائل القرآن لابن كثير الذي نشره معتمدًا نسختين (بلدية إسكندرية ١٠١٢هـ ونسخة دار الكتب المصرية ١١٢٤هـ)/ وانظر: ص٣٧ من مقدمة تحقيق كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا الذي نشره معتمدًا نسختين أيضًا هما (دار الكتب المصرية، ق ٨هـ/ الظاهرية ٦ هـ)/ وانظر: مقدمة تحقيق فضائل القرآن، لابن كثير، معتمدًا أربع نسخ خطية هي:

(مكتبة الحرم المكي) في حياة المؤلف سنة ٧٥٩هـ (وتفسير ابن كثير ٧٧٤هـ)/ نسخة ثانية لم يذكر مكانها كُتبت في حياة المؤلف (ناقصة) لم يذكر تاريخ نسخها/ دار الكتب المصرية (ناقصة) ٨٣٨هـ/ مكتبة الحرم المكي (ناقصة) ١٢٢٦هـ).

٣/ منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص الحديثية: خطاب التحقيق النهائي.

يدور مفهوم التحقيق النهائي حول العمليات التالية:

الانتساخ أو نسخ النسخ الخطية وفق المستقر من الأنظمة الإملائية المعاصرة/ والمقابلة بين النسخ في النصوص التي حققها اعتمادًا على أكثر من نسخة خطية/ ومعالجة النصوص: قراءةً، وصيانةً من التحريف والتصحيف، وضبطًا، وتخريجًا، وتعليقًا، وتوثيقًا/ ودراسة للنص ومنهجه، وترجمةً لمؤلفه، ووصفًا لمخطوطاته، وبيانًا لمنهج التحقيق وإجراءاته (المكملات القبلية الحديثة) وصناعة لملاحق النصوص، وصناعة لكشافات محتويات النصوص الصغرى(المكملات البعدية).

وفحص منجز الشيخ الحويني يكشف عن جملة من الخصائص يمكن رصدها فيما يلي وفق اعتبار تحرير النص ونشره:

٣/ ١. خصائص منجز الشيخ الحويني في خدمة المكملات الحديثة (القبلية).

جاءت خدمة الشيخ الحويني في منجزه التحقيقي لعناصر المكملات الحديثة القبلية متسمة بما يلي:

أولًا: عدم الاستيعاب، فقد غطت في المجمل خدمة العناصر التالية:

١. الترجمة للمؤلف صاحب النص بصورة بدائية غير منتظمة ولا مستوعبة من المصادر.

٢. عدم دراسة **منهج النص**، وعدم بيان نسقه التأليفي.

ج. الغياب التام لدراسة التراث في حقل الكتاب مشغلة التحقيق.

د. عدم النص على منهج التحقيق وإجراءاته.

ثانيًا: التفاوت في معالجة العناصر محل المعالجة من كتاب لآخر.

ثالثًا: الاضطراب في مواضع معالجة عناصر المكملات الحديثة القبلية، فكثيرًا ما يبدأ مقدمة ببيان خطاب النسخ، وفي كتب أخرى يختم بها الدراسة التي تسبق متن النص

المحقق. وهو ما يمكن ملاحظته من أرقام الصفحات التي أوردتها عند الحديث عن النسخ الخطية التي اعتمدها في تحقيق ما حققه من نصوص في نهاية المطلب السابق.

رابعًا: عدم التنظيم لعناصر كل قسم من أقسام المكملات الحديثة القبلية من كتاب لآخر.

والحقيقة أن تأمل صنيع الشيخ الحويني مع مكملات التحقيق الحديثة للكتب أو النصوص التي حققها ونشرها تعكس عدم عناية ظاهرة بمبادئ هذا الجانب المهم للغاية في التصور المعاصر للتحقيق في التقاليد الاستشراقية والتقاليد العربية على السواء.

والحقيقة كذلك تفضي إلى أن نقرر أن تحقيق النصوص الحديثة تفرض -نظرًا لمنزلتها وخصوصيتها الظاهرة- العنايةَ في خطاب المكملات بما يلي:

١. دراسة مناهج النصوص.

٢. دراسة مصادر النصوص.

٣. دراسة الجهاز الاصطلاحي المستعمل في رواية النصوص والحكم عليها وتخريجها، نظرًا للتنوع الكبير في مناهج السادة المحدثين في استعمال مصطلحات الحرج والتعديل، ومصطلحات الحكم على الأحاديث.

٤. التلبث طويلًا في تراجم المؤلفين أو المصنفين، وفحص منازلهم وبيان ذلك بالدليل العلمي.

٥. التلبث طويلًا أمام الوصف المادي للنسخ الخطية، خطًّا، وضبطًا، وتحليلًا لخوارج النصوص بتأنٍّ شديد.

ويبقى أن الشيخ أظهر نوع عناية خاصة بما يلي:

أولًا: التأني في نقد النشرات السابقة لكثير من الكتب التي أعاد تحقيقها ونشرها، وهذه مسألة منهجية مهمة جدًّا في نظرية التحقيق بوجه عام، ومهمة جدًّا في نظرية تحقيق النصوص الحديثية بوجه خاص [انظر مقدمة تحقيق كتاب الصمت وآداب اللسان (٦-

١٩)] وإن يكن ذلك السلوك منه مطّردًا على الرغم من كثرة ما أعاد نشره محققًا بعد نشرات محققة سابقة عليه.

ثانيًا: وصف السماعات، وهي جزء من خوارج النسخ.

[انظر ص٧-٩ من مقدمة تحقيق كتاب البعث للسجستاني]

وهاتان المسألتان الإيجابيتان لازمتان في تحقيق النصوص الحديثية، وهو لزوم تفرضه خصوصية هذا العلم، وخطره، ومنزلته، ذلك أن حياطة متون الأحاديث أمر ضروري لتأسيس الحياة الإسلامية على نتائج أداء نصوص الأحاديث صحيحة.

وخدمة الأسانيد وما يتعلق بها من السماعات أمر ضروري؛ لأنه ركن من تصور هذا العلم، وركن من حقيقته.

٣/ ٢. خصائص منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص الحديثية:

خطاب معالجة النص.

ثمة تنبه متأخر نسبيًّا لخصوصية تحقيق النصوص الحديثية تعيينًا في الدراسة العلمية المعاصرة لتحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة، وهو ما نراه في الأعمال التالية:

١. مشكلات تحقيق النصوص الحديثية، لعبد اللطيف الجيلاني [ضمن التحقيق النقدي للمخطوطات: التاريخ، القواعد، والمشكلات [مؤسسة الفرقان، لندن ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م (ص٢٥٥-٢٧٢)].

٢. أولويات التحقيق في مخطوطات الحديث من اعتبارَي النص والوعاء، للدكتور محمود مصري.

٣. خصوصيات التوثيق في مخطوطات الحديث وقواعد تخريجها، للدكتور محمود مصري.

٤. خصوصية المخطوط الحديثي ونماذج من آفات تحقيقه، لمحمد ناصيري.

[وثلاثة هذه الأبحاث ضمن: تحقيق مخطوطات الحديث وعلومه والتراجم،

مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٦هـ=٢٠١٤م (ص ص٢١٣-٢٤٤/ ص ص١١٥-١٨٨/ ص ١٨٩-٢١٢ على الترتيب والولاء)].

٥. التعامل مع النصوص الحديثية عند تحقيق المخطوطات الفقهية، للدكتور بشار عواد معروف.

٦. تحقيق كتب الحديث، للدكتور رفعت فوزي، (ص٧٩-٩٤) [ضمن تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية وعلم الكلام، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م].

٧. خصوصيات تحقيق مخطوطات الحديث ومشكلاته، للدكتور محمود مصري [ضمن تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية وعلم الكلام، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م (ص٩٥-١٤٠)].

٨. التعامل مع النصوص الحديثية عند تحقيق مخطوطات التفسير وعلوم القرآن، للدكتور بشار عواد معروف [ضمن: أنظار في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٨هـ=٢٠١٦م (ص٢٨٩-٤٢٠)].

هذه السهمة المعاصرة قابلة للزيادة عند إرادة الاستيعاب، وهي تكشف عن تنامي الوعي المعاصر في ميدان تحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف.

وفحص معالجة الشيخ الحويني للنص الحديثي فيما حققه ونشره نشرًا نقديًّا تكشف في الجملة عن نوع وعي بخصوصية معالجته، وهو الوعي الموزع على المعالجات التالية:

أولًا: التأني في التعليقات، وخدمتها والصبر على تحريرها وصياغتها، وتعليلها.

ثانيًا: التدقيق في الحكم على الأحاديث، وفحص ذلك من جهة استثمار علم الجرح والتعديل.

ثالثًا: التدقيق في التخريج، والتنبه للطرق، والأصول.

رابعًا: جودة التوثيق من جهات عدة تمثلت فيما يلي:

١. أصالة مصادر التخريج.

٢. الوعي بمنازل المصادر وقيمتها.

ج. الوعي بتراتب المصادر، وتاريخيتها.

د. وضوح صياغة التخريج.

هـ. محاولة الاستقصاء في التخريج.

وهذه الخصائص جاءت قرينة أصل مركزي ظاهر في مجمل منجزه وهي المتمثلة في الحرص على: قراءة النص وأدائه صحيحًا خاليًا من عيوب التصحيف، والتحريف، والفساد، ثم أدائه مضبوطًا مشكولًا، ومرقمًا ترقيمًا تعبيريًّا مُعينًا على وضوحه، ومعينًا على قراءته وفهمه وتفسيره.

ومراجعة ما حققه الشيخ الحويني تكشف عن حزمة من الملاحظ الأخرى هي:

أولًا: صياغة تخريج الأحاديث بصور مختلفة مرة بذكر الكتب الحديثية وأرقام صفحات مواضع ورود الأحاديث فيها/ ومرة بذكر الكتب الحديثية ورقم الأحاديث فيها من دون ذكر أرقام صفحات المواضع، ولكن منهجه في توثيق التخريجات جميعًا يخلو من ذكر الكتاب (الباب الحديثي)، والحقيقة أن المعيار الحاكم في هذا الشأن هو التيسير على مستعملي هذه الكتب مما صار فريضة معه أن تصاغ تخريجات الأحاديث عند التوثيق كما يلي:

(الكتاب أو المصنَّف/ ثم الكتاب في داخل المصنَّف/ ثم الباب/ ثم الجزء والصفحة أو الصفحة فقط إن لم يكن المصنَّف من أجزاء/ ثم رقم الحديث إذا كان الكتاب المصنَّف مرقمًا).

ثانيًا: صياغة عدد من التعليقات غير موثقة [انظر هـ١ ص١٠٨ في تعليقه على حديث احتجام النبي ﷺ في الأخدَعَيْنِ والكاهل، من رواية أبي داود ضعيفة السند: «وقال محقق مسند أبي يعلي: إسناده صحيح!!» مكتفيًا بعلامتي التعجب من دون بيان مواضع ذكر التصحيح من هذا المصدر.

[وانظر: هـ١/ ص/ ١١٣؛ وهـ١/ ص/ ١٤٣/ وهـ١/ ص/ ١٤٤ من تحقيق كتاب الأمراض للمقدسي].

ثالثًا: صدور عدد من الكتب ليس فيها تعليقات ولا تخريج [انظر: كتاب المنتقى]، فلم يرد فيه أي تعليق أو تخريج لأي من أحاديث الكتاب!

والذي جاء في هوامشه عدد ضئيل جدًّا أُخلِصتْ لذكر بعض السقط، أو ذكر بعض ما على حواشي النسخة الخطية المتعمدة [انظر: هـ١/ ص/ ١١ وهـ١/ ص/ ٣٣ وهـ١/ ص/ ٤٦و١/ ص/ ٥٥ ومواضع أخرى قليلة.

مع أن المثبت على غلاف النشرة: حقق أصله وعلق عليه].

رابعًا: صدور عدد من التعليقات غير الدقيقة سببها عدم التنبه عند بعض عمليات التحقيق النهائي من مثل:

(يعلق في هـ١/ ص/ ٢٦ على جملة واردة في المتن هكذا: «أحمد الله الذي عظم قدر من آمن به وأسلم، والصلاة والسلام على نبيه الذي شرع لأمته سنن [الدين]» فقال: ساقطة من المخطوطة، ومقيدة بالهامش. والحق أنها ليست ساقطة بل ملحقة، وهناك علامة إلحاق إلى جهة اليمين من حاشية الصفحة الأولى التي أورد المحقق مصورة ضوئية لها ص/ ٢٣ في السطر العاشر). [انظر ردع المجرم عن سب المسلم، لابن حجر].

خامسًا: مع الحرص الشديد على أداء النصوص صحيحة، فإن ثمة مخالفات تحتاج إلى مراجعة، من مثل:

(ص٢٦ من كتاب ردع المجرم عن سب المسلم (هـ٢) قال: في هامش المخطوطة «والزجر» والحقيقة أن الموضع كله في حاجة إلى مراجعة، فالذي أثبته في المتن وهو: «فهذه أربعون حديثًا... في تعظيم المسلم **والحذر** عن سبه»، وهذا الذي أثبت المحقق خطأ وتصحيف؛ إذا الصواب الذي ينبغي أن يكتب في المتن هو ما أثبته المحقق في الهامش!

وهذا الذي نقرره مدعوم بثلاثة أمور هي:

١. أن الزجر مرادف للردع الذي هو مقصود المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كما جاء في عنوان الكتاب.

٢. أن الحذر لا يتعدى بـ«عن» كما في النص المثبت، وإنما يتعدى بـ«من» التي لم ترد في النص.

ج. أن الجذر (بالجيم لا بالحاء كما هو واضح في النسخة الخطية) يعلوها خط، وهذا علامة تضبيبه وشطبه وعدم إرادته).

وفي (هـ١/ ص/ ٢٧/ من الكتاب نفسه قال المحقق: في هامش المخطوطة: لا يظلمه) من دون تعليق. والحقيقة أن المخطوطة تقول في آخر سطر من الصفحة الثانية من الورقة الأولى المثبتة صورتها (ص/ ٢٣): «لا يسلمه» وفوقها علامة هي (^) ثم بأسفلها «يظلمه» وفوقها حرف «خ» وهو ما يحتمل أمرين هما:

١. الراجح أن العلامة فوق «يسلمه» علامة ضرب وإلغاء، ويصبح مراد المصنف هو إثبات «يظلمه» التي على يسار الحاشية، وهذا المراد المقصود قرينته الرمز «خ» الذي يشير إلى البخاري في الظاهر. ومن ثم كان على المحقق أن يثبت كلمة «يظلمه» ويضع كلمة «يسلمه» في هامشه، مع التعليل ولا سيما أن تخريجه نفسه صدق ترجيحي أن رواية الإمام البخاري هي «لا يظلمه».

٢. وهو المرجوح أن تكون العلامة (^) التي فوق «يسلمه» ليس علامة ضرب وإلغاء وإنما علامة إلحاق، ويكون مراد المؤلف الإشارة إلى أن ثمة رواية أخرى بجانب لا يسلمه هي: لا يظلمه، وإن كنت لا أرجح ذلك.

وهذان المثالان كاشفان في هذا الحيز الموجز عما عبرتُ عنه بخصوصية تحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف وضرورة التلبث، والتأني، والتدقيق لخطر هذا العلم الجليل الشريف.

وفيما يلي أمثلة لمشكلات في قراءة بعض المواضع من الكتب التي حققها:

المثال الأول:

(ص/ ١٧٣ من تحقيق فضائل القرآن لابن كثير، جاء عنوان الفصل: الوصاة بكتاب

الله، وفي تحقيق (محمد أنس مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٧م) جاء: الوصايا بكتاب الله!).

وهو اختلاف واضح كان يستلزم الرد ولا سيما أن نشرة الشيخ الحويني جاءت بعد نشرة الخن بخمس سنوات كاملة. وهما معًا اعتمدا على نسخة الحرم المكي! مع زيادات في النسخ عند الشيخ الحويني.

المثال الثاني:

(جاء في هـ٣ ص/ ٩٤ من تحقيق الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي «ف م: «الجزلة» والمثبت في المتن: «قال ابن دريد» الجزالة): العقل والوقار».

ولم يُخرِّجِ المحقق هذا النقل، وهو لازم من جهتين:

أولًا: جهة ما يلزم التحقيق وتلزمه المعالجة، والنص في (جمهرة ابن دريد [ج ز ل١/ ٤٧١]) والنص فيه «ما أبين الجزالة في فلان؛ أي: العقل والوقار».

ثانيًا: جهة التعليل للقارئ بصحة ما أثبت المحقق في المتن وما أثبت في الهامش، وأن ذلك كان بعد مراجعة المصادر!

إن تخريج هذه النقول هنا يتجاوز وظيفة تصحيح النص إلى الإعانة على حسم نتائج المقابلة واتخاذ موقف واضح من إثبات فروق النسخ اعتمادًا على الدليل وهو ما يكشف عن أهمية التخريج وقيمته.

المثال الثالث:

(أثبت المحقق في متن (ص/ ٩٨) من تحقيق كتاب الديباج ما يلي:

«والباقيات (متساوية) في كونها من أفضل الأحوال والأعمال» وقال في الهامش: هـ(٥): في «م» «متساويات».

الأولى أن يرد المتن: «والباقيات متساويات»، وإن كان المثبت منه صحيحًا لعدة أمور:

١. الاستئناس بالكتاب العزيز والباقيات الصالحات.

٢. تحقيق التعادل اللفظي بين الباقيات/ ومتساويات. وهو مطلب عزيز يحرص عليه في أساليب القوم القدماء.

المثال الرابع:

جاء في(ص/ ٢٧) [مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه] أوله: «أخبرنا أبو عبد الله» وأسقط المحقق عبارة: «أول مسند سعد بن أبي وقاص» من غير إشارة ومن غير تفسير للإسقاط والحذف.

وبعد ذلك التحليل فإنه يمكن أن نكوِّن صورة لتعامل الشيخ الحويني المحقق مع معالجة النصوص الحديثية التي ظهر منها نوع تراجع لمحددات ما تفرضه قضية الخصوصية.

٣/ ٣ خصائص منجز أبي إسحاق الحويني:

خطاب المكملات الحديثية البعدية.

المقصود بالمكملات الحديثية البعدية بمعيار تحرير النص هو: الملاحق والكشافات.

وتحليل عمل المحقق الشيخ الحويني في تحقيقاته للمصنفات الحديثية التي نشرها يكشف عن زمرة الخصائص والعلامات التالية:

أولًا: الغياب الكامل للملاحق، فلم يصنع المحقق أي ملحق لأي كتاب حققه.

وهذا الغياب يكاد يكون سمة عامة فاشية في تطبيقات التقاليد العربية المعاصرة في تحقيق النصوص التراثية.

والحقيقة أن خصوصية تحقيق نصوص الحديث النبوي توجه النظر إلى ضرورة معاودة النظر في هذا الغياب للملاحق، والاتجاه نحو الإلزام بصناعتها في الحالات التالية:

١. توافر الروايات المختلفة لنصوص الكتاب الحديثي مشغلة التحقيق، إذا كانت ظاهرة مطردة أو شبه مطردة.

٢. اطراد ظهور الطرق والحوالات في سلاسل الإسناد لأحاديث الكتاب الحديثي مشغلة التحقيق. وهو ما يمكن معه تخفيف الهوامش في التقاليد التطبيقية التي يمارسها المحققون في الثقافة العربية المعاصرة؛ بحيث يستقل الملحق بجرد هذه الطرق، ورصدها مرقمة مسلسلة على وفاق منهج إيرادها في منهج المصنف للكتاب الحديثي.

ثانيًا: تفاوت العناية بالكشافات ظهورًا وغيابًا، وترتيبًا.

إن العناية بصناعة الكشافات = الفهارس في اصطلاح عمل الحويني) اتخذ شكلًا غير مطرد الظهور في عددها أو أنواعها.

١/ لقد صنع الحويني كشافات للأحاديث في غالب ما نشره محققًا (انظر: فهرس الأحاديث لكتاب: الأربعون في ردع المجرم عن سب المسلم ص١١ . وقد وضعه في أول التحقيق وقبل النص، ولم يسوغ ذلك/ وفي جزء في تصحيح حديث القلتين، ص٦٣/ وفي الجزء فيه الثاني من حديث الوزير أبي القاسم الجراح؛ ص٣٧٣/ وغيرها).

ولم يصنع المحقق كشافًا للأحاديث في أحيان أخرى (انظر: كتاب البعث، للسجستاني ص١٣٨ وما بعدها).

٢/ وقد جاءت أغلب الكشافات التي صنعها للأحاديث مصنفة وَفق أطرافها أو أوائلها، وليس وفق جذور الكلمات التي تضمنها كل حديث. وهو الأمر الذي تفرضه خصوصية تحقيق كتب الحديث النبوي الشريف لعموم مستعمليها وتنوع أحوالهم واهتماماتهم.

ومع ذلك فقد جاءت بعض الكشافات التي صنعها لبعض كتب الحديث التي حققها الشيخ الحويني غير مرتبة لا على أوائلها، ولا على جذور كلمات كل حديث (انظر: كشافات أحاديث كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا، ص٣١٥-٣٢٣؛ فقد جاء أول حديث في هذا الكشاف: «قل آمنت بالله ثم استقم» وجاء ثاني حديث فيه: «املك عليك لسانك»!).

٣/ وقد غابت أنواع كشافات كثيرة عن مجمل الكتب التي حققها، وفيما يلي بيان

لأنواع الكشافات التي غابت:

٣/ أ غياب كشافات ألفاظ اللغة المشروحة من مصنِّفي كتب الحديث التي حققها. وقد سبق أن رأينا بعض هذه النصوص تنقل عن الأئمة اللغويين شروحًا لألفاظ لغوية كثيرة، ومع ذلك لم يصنع لمثلها كشافات لغوية، على ما رأينا من تحقيقه كتاب الديباج للسيوطي.

٣/ ب غياب كشافات الأعلام إلا في استثناءات قليلة (انظر فهرس الأعلام الذي صنعه لكتاب المنتقى لابن الجارود، فقد تنبه فيه لخصوصية كتب الحديث في هذا الباب، فصنع كشافين؛ أحدهما: لشيوخ ابن الجارود (ص٤٧٩-٥١٨) وآخر لرجال الإسناد من دون الصحابة (ص٥١٩-٥٩٣) وإن رتبه وَفق الشائع من ترتيب كتب الرجال؛ أي قسمه أقسامًا وزَّعها على الرجال والنساء وفي داخل كل قسم رتبها موضوعيًّا للأسماء والكنى، وفي داخل كل موضوع رتب الأعلام ألفبائيًّا/ ثم صنع كشافًا لأعلام الصحابة (ص٥٩٤-٦١٤).

٣/ج. غياب كشافات الآيات القرآنية الكريمة، إلا في استثناءات قليلة (انظر: كشافات للآيات القرآنية لكتاب المنتقى لابن جارد، (ص٤١٧-٤١٩) وقد رتبها وفق الترتيب المصحفي/ ولكتاب فضائل القرآن، لابن كثير (ص٣٠٣-٣٠٧) ولكتاب: جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي، ص/ ٨٣).

٣/ د. غياب كشافات لمسائل العلمية تبعًا لموضوع كل كتاب من الكتب الحديثية التي حققها الشيخ الحويني.

٣/ هـ. غياب كشافات للمصطلحات المختلفة في كل كتاب من الكتب الحديثية التي حققها الشيخ الحويني.

والحقيقة أن الخصوصية المعتبرة لنصوص الحديث النبوي تفرض نمطًا صعبًا من العناية بهذه الكشافات جميعًا، بالإضافة إلى ضرورة التوسع فيها، والتفنن في أنواع أخرى مبتكرة يفرضها الإدراك النوعي لكتب الحديث النبوي؛ نظرًا لمنزلتها ومكانتها وخطرها في حياة المسلمين على امتداد التاريخ.

٤/ منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص الحديثية:

قراءة موجزة في خطاب الوظائف والمقاصد.

إن فحص منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص الحديثية يكشف عن حزمة ظاهرة من المقاصد والوظائف المهمة المعلنة في مقدماته، والبادية في مظان مسالك الكشف عنها. وأظهر هذه المقاصد والوظائف!

أولًا: الوظيفة الدينية المتمثلة في القيام بواجب السنة القولية، وصيانة الأحاديث من:

١. التصحيف والتحريف والفساد.

٢. وأخطاء التخريج.

ج. وأخطاء الحكم عليها وبيان درجاتها.

وقد عبر عن هذه الوظيفة والمقصد بعبارات وضاحة تمثلت في إرادة صيانة العلم من باب الاشتغال به تدينًا.

ثانيًا: الوظيفة المعرفية، وهي التي تمثلت في إعلانه النظري إرادة الإسهام في استعادة الحديث النبوي لمكانته ومنزلته والاشتغال به على أسس علمية منضبطة مما سماه: القضاء على غربة هذا العلم في العصر الحديث، وفي ممارساته التطبيقية في نقد الأعمال المحققة قبله، ونهوضه لإعادة تحقيق عدد منها على خلفية مسوغات مدعومة بممارسات نقدية امتدت لتشمل المساحات التالية:

١. أخطاء التصحيف.

٢. أخطاء التحريف.

ج. أخطاء الفهم السقيم وفساد المعاني.

د. التخليط في التخريج والحكم وبيان درجات الأحاديث.

ويرتبط بهذه الوظيفة تحقيق مقصد آخر جليل يتمثل في تقويم النظر وسد الخلل

الحاصل أو الواقع في عدد من كتب الأحاديث التي نشرت -في زعم أصحابها- محققة.

ثالثًا: الوظيفة الحضارية.

وأقصد بها أن الحديث يتجاوز جغرافية كونه مصدرًا أصليًّا من مصادر الشريعة المتفق عليها ليشتبك مع مساحات شاسعة يمكن التعبير عنها بالعبارة السديدة التي تقرر أن السنة المشرفة مصدر أصيل للحضارة على خلفية استدعاء التصور الإسلامي.

وهذا يعني أن كل حياطة وصيانة لنصوص السنة النبوية يعود بالنفع العميم على مسارات التشغيل في الحياة والحضارة.

خاتمة

تناول هذا البحث تحليل خصائص منجز الشيخ أبي إسحاق الحويني، بوصفه رمزًا شهيرًا للمشتغلين بعلم الحديث النبوي في العصر الحديث.

وقد عالج البحث أربعة مطالب هي:

١. فحص الموقف من خطاب التصورات والمفاهيم المختصة بتحقيق النصوص التراثية في نجز الشيخ.

٢. فحص خطاب التحقيق الابتدائي (اختيارًا وجمعًا وترتيبًا للنُّسخ).

٣. فحص خطاب التحقيق النهائي (نَسخًا ومقابلةً ومعالجةً ومكملاتٍ).

٤. فحص موجز لكليات وظائف منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص.

وتأمل منجز الشيخ الحويني في تحقيق النصوص يكشف عن جملة من النتائج المهمة، من مثل:

أولًا: استقرار مفهوم التحقيق في منجزه، ووضوح محدداته وحدوده كما تعرفها التقاليد العربية المعاصرة في هذا العلم.

ثانيًا: جاء مجمل منجزه متمثلًا في إعادة تحقيق نصوص حديثية سبق نشرها، باستثناءات قليلة (كما في تحقيق كتاب ردع المجرم لابن حجر).

وتمثلت المسوِّغات الظاهرة لهذا الغالب على منجزه في أن التحقيقات السابقة معيبة، ممتلئة بكثير من الأخطاء والمشكلات.

ثالثًا: ظهر نوع عناية بمعالجة النصوص التي حققها على مستوى أداء النص. ولكن ذلك لا يعني عدم وجود ملاحظات كثيرة غير إيجابية تتعلق بما يلي:

١. منهجية التعامل مع فروق النسخ إثباتًا وإهمالًا بين المتون والهوامش.

٢. عدم وجود خبرة في التعامل مع النسخ الخطية، والاضطراب في عدم قراءة رموز الكتابة في المخطوطات من جهة: الإلحاق، وعلامات الإضراب والشطب وغيرها.

رابعًا: ظهور اضطراب شديد في معالجة المكملات الحديثة القبلية، وهو الاضطراب الذي تمثلت علاماته فيما يلي:

١. تفاوت في خدمة العناصر المتفق عليها في أعمال المكملات الحديثة.

٢. عدم استيعاب خدمة عناصر ما يعالجه منها.

ج. عدم انتظام مواضع معالجة البنود التي يعالجها من كتاب لآخر.

خامسًا: ظهور اضطراب وتفاوت وعدم استيعاب وعدم انتظام في مظان معالجة المكملات الحديثة على مستوى الملاحق والكشافات أو الفهارس.

إن الواضح أن الشيخ الحويني واحد من المخلصين في الاشتغال بعلم الحديث على أرضية التدين، ومقاصده واضحة في إرادة خدمة هذا العلم الجليل.

المصادر والمراجع

١. أنظار في مناهج تحقيق المخطوطات العربية، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٨هـ=٢٠١٦م.

٢. تحقيق مخطوطات الحديث وعلومه والتراجم، تقديم أحمد زكي يماني، أعمال دورة تدريبية، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ=٢٠١٦م.

٣. تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية وعلم الكلام، تقديم أحمد زكي يماني، أعمال دورة تدريبية، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ=٢٠١٦م.

٤. التحقيق النقدي للمخطوطات؛ التاريخ، القواعد، والمشكلات، تقديم أحمد زكي يماني، أعمال دورة تدريبية، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣ م.

٥. جزء فيه تصحيح حديث القلتين والكلام على أسانيده، لابن كيكلدي العلائي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٦. الجزء فيه الثاني من حديث الوزير أبي القاسم الجراح، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار التقوى، القاهرة، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

٧. جزء فيه مجلسان من أمالي الصاحب لنظام الملك الحسن بن إسحاق، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم، جدة، ١٤١٠هـ.

٨. جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٩. الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي، للسمرقندي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة الخراز، جدة، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

١٠. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

١١. فضائل فاطمة ﵂، لابن شاهين، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

١٢. فضائل القرآن، لابن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مؤسسة الحويني الخيرية، ودار التقوى، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٣. كتاب الأربعون الصغرى، للبيهقي، عناية أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١٤. كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات، للمقدسي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، القاهرة، (ط٢) ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

١٥. كتاب البعث للسجستاني تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١٦. كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عناية أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

١٧. كتاب الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ضمن النوادر المسندة، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار النوادر القيمة، القاهرة، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٨. كتاب فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب، لابن قدامة، تصنيف أبي إسحاق الحويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

١٩. كتاب المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود النيسابوري، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٢٠. مسند سعد بن أبي وقاص ﵁، البزار، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ضمن البحر الزخار (١) مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

أبو إسحاق الحويني.. أديبًا

بقلم الدكتور

عبد الرحمن فودة

أستاذ البلاغة بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحيم الرحمن، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، أفصح من نطق وأبان، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والإحسان، الذين شرقوا وغربوا في ربوع الدنيا فتسابقوا في نشر خير الأديان؛ فانتشر الخير على أيديهم وعم الأكوان... وبعد:

فإن الله ﷻ -كما سَخَّر مِن الأسباب والعِباد مَن يحقق موعودَه بحفظ كتابه العزيز ساعةَ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]- سَخَّر كذلك من يحفظ سنة نبيه ﷺ، ويصونُها من الأوشاب، ومن ادعاءات المتفيهقة والأذناب، الخُشُب المسندة، ذوي الحجج الداحضة.

ولقد كان الشيخ أبو إسحق الحويني -واللهُ حسيبُه- من أعلام محدِّثي هذا العصر، الذين سخرهم الله ﷻ لحفظ سنة نبيه ﷺ في كل بلد ومصر، والرد على كل من رام تشكيك الناس في صحيحها بهدف نسفها بعد تحريفها، والذب عنها ومنعها من كل من أرادها برمح أو سهم، من السوقة والرويبضة عديمي الفهم.

ومنهج الشيخ في الرد هو منهاج صاحب الأدلة النقلية، والحجج العقلية، والمنطق السليم، وحكمة العالم الحليم، يأسرك في رسائله وكتبه، ومحاضراته وخطبه، بعلمه الواسع، وبأسلوبه الماتع، الذي نهله من معين البيان واستقاه، وانتخبه -بعناية- وانتقاه، حتى إنك لا تكون مخطئًا إذا قلت: إنه أديب المحدِّثين، أو محدِّث الأدباء في هذا العصر.

ولقد عرفتُ الشيخ منذ ثلاثين عامًا حين كان يلقي محاضراته في مسجد الرحمة بالهرم، ثم توثَّقت عَلاقتي بفضيلته حين التقينا ببيت الأخ الحبيب الصابر بالله عماد بن صابر المرسي صاحب مكتبة التوعية الإسلامية.

ومنذ ذلك التاريخ وأنا أكتشفُ في الشيخ صفاتٍ وأخلاقًا تشهد -واللهُ حسيبُه- بأنه

عالم حقًّا وصدقًا.

فقد عرفت فيه الأدبَ مع الكبير والصغير، ومع الموافق والمخالف، فهو دَمْث الخُلق، هيِّن ليِّن، محب للخير، نقي السريرة، كريم عن طبع وفطرة، جواد سخيٌّ مع أحبابه وزواره وطلابه(١)...

وكم أُوذي من أغرار لا يعرفون قدره، ومع ذلك ما كان يضيع وقته في الرد على هؤلاء سواء كتبوا أو نطقوا في بلّاعات الإعلام الهابطة. دخلتُ عليه ذات مرة في مكتبه فإذا بكومة كبيرة من الأوراق وسألت: ما هذا؟ فقال: هذه كتابات بعضهم وانتقاداتهم -ولم تكن انتقادات علمية- قلت: لم لا ترد يا شيخ على ترهاتهم وأباطيلهم؟ فقال: دعهم.. لا أحب ذلك.

هذا في الجانب الاجتماعي..

أما في الجانب العلميّ، فهو في محاضراته يأسر القلوب بخفة ظله ومرحه المتزن،

---

(١) وقد صحبت الشيخ في حج عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م وكانت أيامًا طيبة عشناها معًا في مخيمات عرفات ومنى وفي السكن الذي سكناه والسيارات التي تتحرك بنا من مكان لآخر. وقد عرفت فيه ولمست ما ذكرت طرفًا منه آنفًا من حسن تعامل ورفق بالآخرين وخفض جناح وصوت مما يندرج تحت الأدب العام الذي يتحلى به الشيخ الكريم.
وكان قد ألم به مرض، وكان معنا الأخ شكري عبد الله سليمان -رحمه الله تعالى- وهو الذي كان يرافق الشيخ في كل مكان يرحل إليه بل كان مقيمًا معه معظم الوقت، يتولى خدمته بنفسه وتطبيبه في حال المرض وفي هذه الرحلة كان يقوم بتطبيب الشيخ، ويعطيه الدواء في موعده.
وكان يحسب أن الشيخ يكن لي شيئًا من الإعزاز والمودة -وأحسبه كذلك- ولكن من أدب الشيخ شكري أنه ما كان يستطيع الإلحاح على الشيخ في شيء، فإن عرض عليه طعامًا أو شرابًا فأبى فإن الأخ شكري يرضخ لرغبة الشيخ، لكنه كان شديد الإشفاق على الشيخ شديد الحب له، فيرغب في إعطائه الدواء، فيأتي ويقول لي: الشيخ سيأخذ الدواء بغير طعام وهذا خطر عليه، فأحتال على الشيخ وألح عليه حتى يقبل أن يتناول شيئًا يصلح معه تناول الدواء، وهكذا إذا أراد الأخ شكري أن يفعل للشيخ شيئًا في صالح عافيته، فإنه يطلب مني أن أقنع الشيخ، أو أُنهي بعض الجلسات حتى لا يرهق الشيخ. وكان الشيخ يطلب مني أن أتكلم -في حضرته- مع الحُجاج، وهذا أيضًا من أدبه الجم...

مع تقديم المعلومة السهلة للجميع، والمتخصصة حتى يدركها العامِّيُّ.

وفي خطبه أسد هصور، غضوب للحق ولما يمسُّ شريعةَ الله من استهانة أو ادعاءات فارغة من أصحاب القلوب المريضة.

وهو كذلك الأديب البليغ الذي يملك على سامعيه أو قارئيه قلوبهم، فلا تفوتهم جملة من كلامه، بل يحرصون على تشنيف آذانهم من رَطِيب خطابه، وحسن بيانه؛ ذلك أنك حين تستمع إليه أو تقرأ له فإنه يحلِّي كلامه بحسن التأتِّي أولًا أو براعة الاستهلال، ثم تجد من صور البيان ما يجعل لُبَّك وعقلَك يسعدُ ويأنس، فتأتي المعلومة هيِّنة ليِّنة، تتهادى إليك في ثوب قشيب وخطاب جميل.

ولو وقفتَ مع أية مقدمة من مقدمات كُتبِ الشيخ، فإنك واجدٌ صدقَ ما أقول من حيث البلاغة والبيان وحسن الاستدلال والاستشهاد بالحكم والأمثال.

ومن خلال بعض هذه المقدمات أستطيع أن أرصد بعض ملامح البيان عند الشيخ إثباتًا لما أقول، وقد تنوعتْ بحيث كادت تستوعب أبواب البلاغة وفروعها، فمنها ما يندرج تحت علم البيان من البلاغة؛ أي: التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

ومنها ما يندرج تحت علم البديع؛ كالسجع والازدواج والطباق والمقابلة والجناس وغيرها.

ومنها ما يندرج تحت علم المعاني؛ كالإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير وغيرها.

كما تراه يحسن الاقتباس، فيأتي في موضعه لا يريم ولا يتزحزح.

وهاك بعض الأمثلة لما ذكرنا...

فمما وقع للشيخ من التشبيه النبيه قولُه عن علم الحديث في فترة من الفترات مرت: «وكان هذا العلمُ آنذاك شديد الغربة، ولستُ أبالغ إذا قلتُ: إنه كان أغربَ من فرس بهماء بغَلَس»[1].

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص١٣).

وهذا يعد تشبيهًا ضمنيًّا متصورًا من الكلام، فشبَّه شدة الغربة كأنها فرس سوداء شديدة السواد لا ترى في ظلام الليل، والجامع بين المشبه والمشبه به عدمُ الوضوح...

ومنه كذلك ما قاله في حديثه عن منزلة علمَي: الحديث، وأصول الفقه، حيث قال: «فعلم الحديث يصحح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يُسدِّد لك الفهم، فهما كجناحَي الطائر»(١). فكما لا يستطيع الطائر التحليق إلا بجناحيه، لا يستطيع العالِم أن يحدث الناس حتى يجتمعا لديه، فهو تشبيه مجمل.

ومنه أيضًا ما قاله وصفًا لأحد الذين لا ينتسبون للعلم وقد أنكر صنيع الشيخ عندما اطلع على الجزء الأول من كتابه «بذل الإحسان»: «وصار يهذي كالمحموم»(٢)، وهو تشبيه مفصَّل.

وكذلك حديثه -في السياق نفسه- يدافع عن المتقدمين الأجلَّاء ويتَّهم بالتقصير المتأخرين الفضلاء، فيقول مستنكرًا متعجبًا: «وأيُّ شيء من العِلم لدى المتأخرين لم يكن عند المتقدمين فيأكلون لحومهم وهي مسمومة بدعوى التحقيق»(٣).

وهذا يعد تشبيهًا ضمنيًّا، وفيه دلالة أو إشارة إلى الغيبة المحرمة حفظنا الله منها.

ومن التشبيه أيضًا قوله يصف عمله وجهده في أحد كتبه: «فإن رُمْتَ الوقوف على زَلَّة لي في مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العَيْلَم، فلا شك أنك واجد...»(٤).

وهذا من التشبيه المجمل الذي شبه عمله فيه بالبحر كثير الماء.

ومما وقع له من الاستعارات الحسان قولُه مستدلًّا على أن الإحسانَ سجيةٌ في جميع البشر حتى الكافر منهم بقصة أبي بكر رضي الله عنه مع عروة بن مسعود الثقفي ومعقبًا عليها: «فما منعه من الرد عليه -وقد بالغ في عيب آلهتهم- إلا أنه كان أسير الإحسان المتقدم من أبي

---

(١) السابق نفسه.

(٢) بذل الإحسان، المقدمة (ص٥).

(٣) السابق نفسه.

(٤) بذل الإحسان، المقدمة (ص٧).

بكر له»[1]، حيث شبه الإحسان بغالبٍ له أسرى، فحذف المشبه به وأتى بأحد لوازمه: الأسر على سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك في حديثه عن سعر كتاب «تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ» الذي لم يشترِ غيره -يومئذ-؛ «لأنه أتى على كل ما في جيبي»[2]، فهي كسابقتها استعارة مكنية.

وفي حديثه عن الكتاب نفسه ومدى تأثره به: «فمَلَكَ الكتابُ عليَّ حواسّي»[3]، وكأن هذا الكتاب شخص له تأثير وسطوة على النفوس بجميل رصفه وبديع تأليفه.

وعندما أراد أن يصف المتعالم الذي أراد أن يُسَفِّه جهد الشيخ في كتابه «بذل الإحسان»، ويخطئه فيما فعل، فأنكر الرجلُ صنيعَ الشيخ هذا، و«قرطم الكلامَ وجعله جُذاذًا»[4]، حيث صوَّر الكلامَ بشيء ماديّ على سبيل الاستعارة.

وعندما عرض للحديث عن مجهوده الذي بذله في كتابه المشار إليه قال: «فكم من ليالٍ أنفقتها في تصويب تحريف...»[5].

وكأنه جعل الليالي أموالًا تنفق في سبيل شراء نفيس جدير بأغلى الأثمان، وذلك كله على سبيل الاستعارة، فلله درُّه؛ لأن العمر أغلى من المال.

ومما جاء من الكنايات كلامه عن الشيخ أبي حامد الغزالي وفقره في علم الحديث: «وكان الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مزجيّ البضاعة في الحديث»[6].

وهذه كناية عن فقره في هذا العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكذلك في حديثه عن تبدُّل حاله بعد دراسته لعلمي الحديث وأصول الفقه: «والله

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٨).

(٢) السابق، المقدمة (ص٩).

(٣) السابق، المقدمة (ص١٠).

(٤) بذل الإحسان، المقدمة (ص٥).

(٥) السابق، المقدمة (ص٣).

(٦) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص١١).

لا أشتطُّ إذا قلتُ: إنني أبصرت بعد العمى لما درستُ هذين العلمين الجليلين»[1]، وهذه كناية عما لهذين العلمين من تأثير النور والهداية والإرشاد.

كذلك في معرض حديثه عن عمله في كتابه «بذل الإحسان»: «ذلك أنني لم أَدَعْ مسألة -إلا ما نَدَّ عنِّي- تَمُرُّ بي إلا قلَّبتُ فيها وجوه النَّظر»[2]، كناية عن التدبر والتأمل والتأني والمراجعة.

ومنها أيضًا في السياق نفسه: «أو تقويم تصحيف يمر عليه القارئ مرور العابر»[3]، كناية عن عدم الانتباه.

وفي حديثه وردِّه على ذلك المتعالم الذي أنكر صنيع الشيخ في كتابه «بذل الإحسان»: «فلربما كان اعتراضُك بعد هذا البيان من تجاهل العارف، وإلا فلا يخفاك أن الزيوفَ تدخل على أعلى الصيارف»[4]، كناية عن أنه قد يخطئ في الفن أعلم الناس به، فلا يجلّ عن الخطأ أحد أيًّا كان قدره، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

وعندما أراد أن يصف ما تركه الأول للآخر قال: «وهل بقي مع الناس اليوم من العلم -إذا ذُكر الأول- إلا فضلُ بُزاق؟!!»[5]، كناية عن قلة ما بقي بعد أن تكلم المتقدمون الأجلاء الفضلاء في العلوم.

وإضافة إلى ما سبق من التشبيه والاستعارة والكناية، فإنَّا لم نعدم ورود المجاز في كلام الشيخ وإن لم تكن أمثلته بالوفرة نفسها التي كانت لسابقيه.

فمن أمثلته قوله يذكر فضل الشيخ الألباني رحمه الله عليه: «فما أعلمُ أحدًا -بعد والديّ-

---

(١) السابق، المقدمة (ص١٣).

(٢) بذل الإحسان، المقدمة (ص٣).

(٣) بذل الإحسان، المقدمة (ص٤).

(٤) السابق، المقدمة (ص٨).

(٥) السابق، المقدمة (ص٩).

له عليّ يَدٌ مثل شيخنا الإمام، حسنة الأيام، وريحانة بلاد الشام، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني»[١].

فقوله: «له عليَّ يَدٌ»: يعني بها: فضلًا، فلمَّا كانت اليد هي المسدية للفضل والإحسان، كان التعبير بها على سبيل المجاز شائعًا بليغًا.

وعلاقته ههنا السببيَّة؛ إذ اليد هي سبب النعمة والفضل.

كذلك في رسالته إلى الشيخ الألباني -طيَّب الله ثراه: «فسأجمع همتي وأسافر إليكم، فلا تطردونا عن بابكم»[٢].

فقوله: «بابكم» مجاز مرسل علاقته الجزئية من حيث إنه أطلق الجزء «الباب»، وأراد الكل: المنزل أو المكتبة؛ لأنه أول ما يقصده الزائر الكريم الذي يأتي البيوت من أبوابها.

ومنه أيضًا حديثه عن حرب إسقاط الرموز ومَن تولوا كبرها وأذكوا أُوارها، فقال: «هل يريدون أن تكون أمتُنا ثُلَّة من الغلمان بلا رءوس؟!»[٣].

فقوله: «رءوس» يعني بها: الأئمة الأعلام، وهي مجاز مرسل علاقته الجزئية أيضًا؛ حيث عَبَّر بالجزء وأراد الكل؛ من حيث إن هذا الجزء هو أشرف ما في الكل وأعلاه وأكرمه.

وأما ورود البديع في كلام الشيخ فكثير من حيث الأمثلة والأصناف:

فمن التسجيع البديع قوله أثناء حديثه عن سعادته بتوفيق الله له في طباعة كتاب «تنبيه الهاجد» الذي جاء حافلًا في ستة مجلدات، والذي وجد فيه الفرصة سانحة لإثبات بعض مصنفاته القديمة، والتي لم ينشط للنظر فيها؛ «لأنها تحتاج إلى جهد جهيد، ووقت مديد، وعزم حديد»[٤].

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٨).

(٢) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص١٥).

(٣) السابق، المقدمة (ص٢٤).

(٤) السابق، المقدمة (ص٣).

وكذلك عند حديثه عن الشيخ الألباني -رفع الله ذكره: «شيخنا الشيخ الإمام، حسنة الأيام، وريحانة بلاد الشام، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ألبسه الله حُلَلَ السعادة، وكافأه بالحسنى وزيادة»[١].

وفي حديثه عن كتاب صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني: «فلما تصفحته ألقيتُ الألواح، ولاح لي المصباح من الصباح، وهزَّني هزًّا عنيفًا، لكنه كان لطيفًا»[٢].

وأيضًا في دفاعه عن الشيخ الألباني ضد خصومه: «ولم يَدَّعِ لنفسه عصمة من مقارفة الزلل، ولا أمنا من مواقعة الخَطَل»[٣].

ومنه أيضًا ما جاء في ردِّه على المتعالم: «ثم إني أريد أن أُشير إلى شيء ألمحتُ إليه في مقدمة الجزء الأوَّل، أجعله أصلًا يكون عليه المُعَوَّل، ذلك أن بعضَ مَن يُنسَبُ إلى العلم عند العوام، وإن لم يكن كذلك عند العلماء الأعلام، لما اطلع على الجزء الأول من كتابي هذا، أنكر صنيعي وقرطم الكلام وجعله جُذاذًا، وصار يهذي كالمحموم، ويتكلم بكلام غير مفهوم، ويقول: أيُّ شيء يفيده الناس من اختلاف الطُّرُق، وما عملُ هذا وأمثالِه وعلمُ الحديث نضج ثم احترق؟!!...»[٤].

وهذا المقطع -الذي قد تظنه طويلًا- لم يكن بدعًا من المقدمة التي جاء فيها؛ حيث انبنت من أولها إلى آخرها على السجع الذي جعلها تأسر الألباب، وتأتي في أبهى حُلَّة وثياب.

ومن اللافت للنظر أن السجع عند الشيخ -حفظه الله- يأتي غضًّا طريًّا، لا يشعر المرء فيه بتكلف، وإنما هو سجيَّة وطبع؛ ولذلك بلغ هذا المبلغ من الحُسن الذي يقلُّ لمثله نظير.

كما أنه يستخدم السجع أيضًا في عناوين كتبه تأسيًا بسلفه الصالح جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين ما هو أهله سبحانه.

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٨-٩).

(٢) السابق، المقدمة (ص١٠).

(٣) السابق، المقدمة (ص٣٢).

(٤) بذل الإحسان، المقدمة (ص٥).

فمنها مثلًا:

- إتحاف الناقم بوهم أبي عبد الله الحاكم[١].

- الجزم بشذوذ ابن حزم[٢].

- الثمر الداني في الذبّ عن الألباني[٣].

- عوذ الجاني بتسديد الأوهام الواقعة في أوسط الطبراني[٤].

ومنها كتابا:

- تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد.

- بذل الإحسان بتخريج سنن النسائي أبي عبد الرحمن.

وهما اللذان اعتمدتُ عليهما في كتابة هذه الكلمات العجلى؛ إذ طُلب مني المشاركة في الكتابة عن الشيخ، وأنا على سفر بعيد عن كتب الشيخ حفظه الله تعالى.

ومما وقع له من التجنيس الأنيس قوله الذي أوردناه آنفًا: «لأنها تحتاج إلى جهد جهيد...»[٥].

وهذا من باب الجناس الناقص.

ومنه كذلك قوله في حديثه عن سفره إلى الشيخ الألباني للتتلمذ على يديه: «واستخرجت تصريح العمل الذي يخوّل لي السفر بأعجوبة عجيبة»[٦].

وهو من الجناس الناقص أيضًا.

---

(١) ذكره في مقدمة تنبيه الهاجد (ص٣).

(٢) ذكره أيضًا في المقدمة (ص٤).

(٣) مقدمة التنبيه (ص٤١).

(٤) السابق (ص٤٦).

(٥) مقدمة التنبيه (ص٣).

(٦) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص١٥).

وكذلك قوله في حديثه عن صعوبة تصويب التحريف الذي «يستتبعه العناءُ المُعَنَّى، والنَّصَبُ المُنَصَّب»(١).

ومما جاء في كلام فضيلته من التطبيق اللبيق قوله ذاكرًا فضل الشيخ الألباني: «ولا أعلم أحدًا له مساسٌ بهذا العلم إلا وللشيخ عليه فضل دَقّ أو جَلّ»(٢).

وكذلك رده على المتعالم: «وأيُّ شيء من العلم لدى المتأخرين لم يكن عند المتقدمين فيأكلون لحومهم وهي مسمومة؟!!»(٣).

وقوله في السياق نفسه: «فلما بلغني قوله الذي يعيد فيه ويُبدي...»(٤).

وجميع ما سبق من الطباق الذي هو ذكر المعنى وضده، وبضدها تتميز الأشياء.

ومن الازدواج قوله يوضح بُغيته من كتابه الذي يستدرك فيه على الأعلام: «ما كنت بطاعن في أحد منهم، ولا قاصد بذلك تنديدًا له، وإزراء عليه، وغضًّا منه، بل استيضاحًا للصواب واسترباحًا للثواب»(٥).

وأما الإطناب، فإنك تراه من طبيعة الشيخ، غير أنه -لبلاغته- لا ترى المقصود يتفلت منه، فمهما طال ما بين الحاصرتين فإنه يستطيع أن يردك إلى ما قبلهما بيُسر شديد.

انظر على سبيل المثال قصته مع الشيخ الألباني في تنبيه الهاجد(٦).

وانظر كذلك كلامه عن حرب إسقاط الرموز(٧).

(١) بذل الإحسان، المقدمة (ص٤).

(٢) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٢٩).

(٣) بذل الإحسان، المقدمة (ص٥).

(٤) السابق، المقدمة (ص٥).

(٥) بذل الإحسان، المقدمة (ص٧).

(٦) المقدمة (ص٩ وما بعدها)، ولعلها تندرج تحت باب: أدب الرحلات، وهو معروف من فنون الأدب قديمًا كرحلات ابن بطوطة، ورحلات ابن ماجلان وغيرهما، وهو أدب يُعنى صاحبه بوصف الأماكن أو الأشخاص الذين لقيهم في رحلته، ومعاناته في هذه الرحلة، ويمكن أن تكون الرحلة زمانيةً أو مكانيةً أو نفسيةً أو علميةً.

(٧) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٢٠-٢١).

ومن الإطناب كذلك قوله في حديثه عن تأخر طبع أحد كتبه بسبب حرب الخليج: «التي ذكا أُوارُها واشتدَّ ضِرامُها»[١].

فهو إطناب بالتذييل.

وفي حديثه عن عمله في كتابه حيث لم يَدَعْ مسألة -إلا ما نَدَّ عنه- إلا «قلَّبتُ فيها وجوه النظر، وأطلتُ فيها التأمل...»[٢]، وهو إطناب بالتذييل.

ومن الإطناب بالإيغال قوله: «والسعيد مَن عُدَّتْ غلطاتُه، وحُسِبَتْ سقطاتُه»[٣].

ومن الإيجاز قوله في رده على المتعالم الذي أوردناه آنفًا: «فلما بلغني قولُه الذي يعيد فيه ويُبدي...»[٤]، فهو إيجاز بالحذف، حيث حُذف مفعولا الفعلين المتعديين: يعيد، يُبدي.

ومثله قوله: «فإن رُمْتَ الوقوف على زلة لي في مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العَيْلَم فلا شك أنك واجد»[٥]، حيث حذف مفعول اسم الفاعل (واجد).

ومن التقديم والتأخير قوله: «إنه بكل جميل كفيل»[٦]؛ حيث قدم الجار والمجرور على خبر إنَّ للاختصاص.

ومنه كذلك حديثه عن المتقدمين الأجلاء واعترافه الكامل بما لهم من فضل حيث قال: «ونحن على دروبهم سائرون»[٧]، حيث قدم الجار والمجرور على خبر المبتدأ للاهتمام والتوكيد.

ومن الاحتراس قوله يصف تأثير كتاب صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ المجدد الإمام

---

(١) بذل الإحسان، المقدمة (ص٣).

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق، المقدمة (ص٧).

(٤) بذل الإحسان، المقدمة (ص٥).

(٥) السابق نفسه.

(٦) السابق، المقدمة (ص١٠).

(٧) السابق، المقدمة (ص١١).

الألباني: «هزني هزًّا عنيفًا، لكنه كان لطيفًا»[١].

وكذلك قوله في رده على أحد محبيه الذي قام بإهدائه -الشيخَ- كتاب «صفة المنافق» للفرياني بعد أن خلع على الشيخ من صفات الكمال وجميل الخصال ما قال الشيخ نفسُه إنه ليس فيه عُشر معشاره قال محترسًا: «وإن كنت أعلم أنك صادق النية فيه»[٢].

ومن **الاعتراض** قوله ينقل كلام أبي العباس المبرِّد في «الكامل»: «وصدق أبو العباس المبرد إذ قال في «الكامل» -وهو القائل المحق-...»[٣].

وهو اعتراض للمدح.

ومما يلاحظه المتأمل في كتابات الشيخ أنه يكثر الاستدلال بما يثبته من أمور، سواء كانت علمية أم غيرها.

ومن بلاغته في استدلاله أنه -حفظه الله- يذكر المثال من قصة أو شعر أو مثل مع ذكر وجه الشاهد.

فمن ذلك مثلًا استدلاله بقصة عروة بن مسعود الثقفي مع أبي بكر رضي الله عنه في سياق حديثه عن الإحسان الذي هو مطبوع في نفوس الخلق برّهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم[٤]، وقد ساق القصة ليستدل بأن عروة ترك معاقبة أبي بكر رضي الله عنه عندما بالغ في سب آلهتهم وقال كلمته المشهورة: «امصص بظر اللات»- ترك معاقبته؛ لأن أبا بكر قد أحسن لعروة قبل ذلك، ولمّا يجزه عروة بها حتى ذلك المشهد، فقال له: هذه بتلك.

ومن ذلك أيضًا استدلاله بحادثة الإفك في سياق حديثه عن الحرب على الرموز[٥] التي يشنها أعداء الإسلام ليبقى الناس بلا رءوس ولا أعلام!

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص١٠).

(٢) بذل الإحسان، المقدمة (ص١١).

(٣) بذل الإحسان، المقدمة (ص٨).

(٤) انظر: مقدمة تنبيه الهاجد (ص٧-٨).

(٥) انظر: السابق، المقدمة (ص٢٠ وما بعدها).

ومنه أيضًا الاستدلال بالمثال وشرحه، من ذلك قوله يصف حسرته أنه لم يشترِ الأصل من كتاب صفة صلاة النبي ﷺ، واكتفى بتلخيصه لعدم قدرته على ثمن الأصل آنذاك، شعر بذلك بعد مطالعته لكتاب «تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ» وفرط تأثره به، فقال: «فندمتُ ندامة الكُسَعِيِّ أنني لم أشترِ الأصل!!»[١]، وراح يشرح معنى المثال ويوضحه[٢].

ولعله متأثر في ذلك بالشيخ الألباني حين قال له: «إن البُغاثَ بأرضنا يستنسر»[٣]، أو غير ذلك من كثرة مطالعاته حفظه الله تعالى.

ومن بلاغته أيضًا وسعة اطلاعه تضمينه جُملًا وحِكمًا وأمثالًا يوشِّي بها كلامه.

فمن الأمثال قوله ردًّا على المتعالم: «فتلك شِنْشِنَةٌ[٤] نعرفها مِن أَخْزَم»[٥].

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٩).

(٢) السابق نفسه، هامش رقم (٢).

(٣) السابق، المقدمة (ص١٧).

(٤) **مناسبتُهُ:**
إذا عَرَفْتَ أَصْلَ الرَّجُلِ أَوْ مَيْلَهُ أَوْ نِحْلَتَهُ أو أُلْفَتَهُ أو فِكْرَهُ مِنْ خِلَالِ كَلَامِهِ كَانَتْ حِيْنَهَا المُنَاسَبَةُ لِقَوْلِكَ عَنْهُ: شِنْشِنةٌ أَعْرِفُها من أَخْزَم. وهِي في المَدْحِ والذَمِّ سَوَاءٌ.
حكايته: كما جاء في لسان العرب أَخْزَمُ قطعة من جبل. وأَبو أَخْزَم: جَدُّ أَبي حاتِمٍ طَيِّئٍ أَو جَدُّ جدّه، وكان له ابن يقال له: أَخْزَمُ، فمات أَخْزَمُ وترك بَنِين، فوثبوا يومًا في مكان واحد على جدهم أَبي أَخْزَمَ، فأَدْمَوْه فقال: إِنَّ بَنِيَّ رَمَّلُوني بالدَّمِ، شِنْشِنَةٌ أَعْرِفها من أَخْزَمِ، من يَلْقَ آسادَ الرجالِ يُكْلَمِ كأَنه كان عاقًّا، والشِّنْشِنةُ: الطبيعة أَي أَنهم أَشبهوا أَباهم في طبيعته وخُلُقِه، كذلك وَوَرَدَ هذا المَثَلُ بِلَفْظِ:
نِشْنِشةٌ أَعرِفُها من أَخْشَنِ.
أَتْقَى من رُوِيَت عنهُ:
عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس في شيءٍ شاوَرَه فيه فأَعْجَبه كلامُه فقال: شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِنْ أَخْزَمِ.
لمن يضرب هذا المثل: والشنشنة في هذا المثل تعني الطبع أو الخصلة. هذا المثل يضرب في العادة عندما يقوم شخص بعمل أو تصرف مشين ورثه من آخرين أو اعتاده عليه حتى أصبح معروفًا به بين الناس (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ج١ص٥٤١) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤، طبعة المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة.

(٥) بذل الإحسان، المقدمة (ص٨).

وكذلك قوله في السياق نفسه يصف قول ذلك المتعالم بأنه: «لا يكاد يجري على خُفٍّ ولا حافر»(١).

ومن الحِكَم قوله: «السعيد مَن عُدَّت غلطاتُه»(٢).

وقوله: «لولا اختلاف الأنظار لبارت السلع»(٣).

ومن الجُمَل والأقوال المأثورة قوله: «العِلْمُ رَحِمٌ بَيْن أهلِه»(٤).

وتضمينه لقول أبي عمرو بن العلاء: «ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال»(٥).

والشيخ -حفظه الله- مولعٌ بالغوص في كتب الأدب شعرًا ونثرًا، فتراه متمثلًا تارة بأبيات من الشعر الجاهلي، وأخرى من الشعر في عصور الإسلام وأبرزها العصر العباسي، وحبه الشديد للمتنبي لا يخفى.

وتراه أيضًا متأثرًا بأبي القاسم الحريري صاحب المقامات المعروفة، وبديع الزمان الهمذاني كذلك.

فمن استدلاله بالشعر الأبيات التي ذكرها في حديثه عن حرب إسقاط الرموز والتي كانت خير استدلال على ما ذكر، فذكر منها:

متى يصلُ العِطاشُ إلى ارتواءٍ ... إذا استَقَتِ البحارُ من الرَّكايا
ومَن يُثْني الأصاغِرَ عن مُرادٍ ... إذا جلسَ الأكابرُ في الزَّوايا
وإنَّ ترفُّعَ الوُضَعاءِ يومًا ... على الرُّفَعاء من إحدى الرَّزايا

---

(١) بذل الإحسان، المقدمة (ص٦).

(٢) السابق، المقدمة (ص٧).

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق، المقدمة (ص٦).

(٥) انظر نقله عن أبي عمرو بن العلاء، المقدمة (ص٧).

إذَا استوتِ الأسافلُ والأعالي فقد طابتْ مُنَادَمَةُ المَنَايا[١]

وفي الحديث عن التعالم وأثره السيئ، واختلاط المتعالمين بالعلماء، استدل بقصة تأبط شرًّا مع الرجل الذي اشترى منه اسمه ليخيف الناس:

ألا هل أتى الحسناءَ أنَّ حليلَها تأبَّطَ شرًّا واكتنيتُ أبا وهبِ؟!
فَهَبْهُ تسمَّى اسمي وسمَّانيَ اسمَهُ فأين له صَبري على مُعْظَمِ الخَطْبِ؟!
وأين له بأسٌ كبأسي وسَوْرتي وأين له في كُلِّ فادحةٍ قَلْبي؟!![٢]

وكذلك استشهاده بالشعر ردًّا على من لمز الشيخ الألباني بأن حياته قصعة وثريد:

إذا محاسِنيَ اللَّاتي أَدِلُّ بها عُدَّتْ عيوبًا، فقل لي كيف أعتذرُ؟![٣]

وكذلك استشهاده بالأرجاز في حديثه في السياق نفسه:

كَشِيشُ أَفْعَى أجمَعَتْ لِعَضِّ فَهِي تَحُكُّ بَعْضَها بِبَعْضِ[٤]

هذا..

وهذه الكلمات يعلوها التقصير والقصور في حق الشيخ الجليل؛ إذ إننا لسنا في هذا المقام متتبعين لكل كتابات الشيخ، وإنما هي كلمات من رأس القلم تتوافق مع الرغبة في المشاركة في هذا العمل العلمي الجليل الذي يتحدث عن الشيخ من جميع جوانب حياته، حفظه الله تعالى.

ولعل القارئ يدرك أن هذا الذي تقدَّم، والذي كاد يستوعب فنون البلاغة وأبوابها لم يكن إلا نظرات عابرات في مقدمة كتابين اثنين فقط!! فما بالك لو أحصينا كل المقدمات في كتبه التي بلغت المائة والثلاثين كتابًا، هذا فضلًا عن الكتب نفسها!!

---

(١) تنبيه الهاجد، المقدمة (ص٢٤).

(٢) السابق، المقدمة (ص٣١).

(٣) السابق، المقدمة (ص٤٠).

(٤) السابق نفسه.

وهذا يدل على غزارة علم الشيخ، وسعة اطلاعه، وقوة عارضته مما جعلنا نطلق عليه -بحق: أديب المحدِّثين، ومحدِّث الأدباء.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو بكل جميل كفيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه

أبو محمد عبد الرحمن إبراهيم فودة

الجيزة مساء يوم الخميس ٩ شوال ١٤٣٧ هجرية

١٤ يوليو ٢٠١٦ ميلادي

منهج التلقي عند المدرسة السلفية المعاصرة في مصر

العلامة أبو إسحاق الحويني أنموذجًا

د. فارس طالب العزّاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مضامين العنوان الذي وضعته لهذا البحث تحمل في أثنائها أثقالًا تنوء بالعصبة أولي القوة في إطارها الفكري والمنهجي، من حيث القيمة بمختلف أبعادها: الزمانية والمكانية والعلمية والتاريخية والمنهجية، فكيف بمن حاول التعرض لها حملًا وأخذًا معرفيًّا وهو عاجز عن حمل ما هو دونها بمراتب ومراحل!!

ومرجع تهيب الخوض في غمار لجج هذه القيم الثقال سببان: أولهما ذاتي، وثانيهما موضوعي، فالذاتي يتمثل في الضعف الكامن في يراع صاحب السطور معنى لا حسًّا، فأنى لأمثاله أن يطال النظر لهذه الجبال فضلًا عن ارتقائها؟! فحاله وحالها كما قال الأعشى في معلقته[1]:

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهِنَها   فلم يَضِرْها وأوهى قَرنَهُ الوَعِلُ

ولا يقال: هذا جلد للذات وتهوين من شأنها، أو هو مدح في صورة ذم، فالحق أن هذه الكلمات جالت في الخاطر عند النظر إلى العنوان، وأهل مكة أدرى بشعابها. وأما السبب الموضوعي، فالناظر في هذه المفاهيم والقيم وما يؤطرها من أبعاد مكانية وزمانية، يقف حقيقة على مكامن الهدى والرشاد والعز والتمكين، ومسالك الإسلام والإيمان والإحسان، ولا يكدرها ما تخللها من نكبات ونكسات؛ فإن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث.

ولا تخشى من تأطير البحث بلفظ «المعاصرة»؛ فإنما هو هدف منهجي يسعى من ورائه الباحث تسكين منهجية التلقي لمدرسة معاصرة -هي المدرسة السلفية في مصر- في

---

(١) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوق ضيف، القاهرة، دار المعارف، د.ت. (ص٣٥١).

طريق التأصيل العلمي مواصلةً لمسيرة من تنتسب إليها تشريفًا وتكليفًا؛ أعني بها مدرسة السلف الصالح أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، فالمعاصرة هنا لا تعدو أن تكون مسوغًا منهجيًّا يُظهر الباحث من خلاله امتداد هذه المدرسة في آفاق تاريخ هذه الأمة المباركة، وقد تجسد في ثنائية متلازمة، وهي: منهج السلف وعلماؤه، وهنا يظهر لنا سر اختيارنا لأحد أعلام هذه المدرسة التي تنتمي إلى منهج السلف رسمًا ومعنى فيما نحسب، فضيلة الشيخ العلامة المحدث أبي إسحاق الحويني -شفاه الله ومتع بعلمه- قاصدين إبراز الإطار المرجعي الذي تستند عليه هذه المدرسة وأعلامها، وإظهار حقيقة الانتماء لها في بُعدها المعرفي المنهجي بغض النظر عن صور هذا الانتماء، فالسلفية كما نفهمها لا تقف عند رسوم الادعاء ورفع الشعار، وإنما هي منهج يرتسم في قواعد وأسس منهجية تُفهم من خلالها نصوصُ الوحي، ويتم تنزيلها في واقع معيش، بجهود أعلام جعلهم الله -سبحانه- منارات هدى ودلائل خير ومحامل علم، ولعل أقرب ما ينطبق عليهم ذلكم الأثر الذي كان -ولا يزال- محل نظر واختلاف من حيث درجة الإسناد، وإن كان الاتفاق معقودًا على حسن متنه من حيث معناه، «يحمل هذا العلمَ من كل خلف عدولُه؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(١). ويصدق عليهم ما قاله الإمام أحمد بن حنبل في مقدمة رده على الزنادقة والجهمية: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان

---

(١) أخرجه الآجري في كتاب الشريعة، تحقيق د. عبد الله الدميجي، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ، (ج١ص٢٧٠)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، تحقيق د. مازن السرساوي، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٤هـ، (ج١ص٢٩٧)، رقم (٧٠٦)، والعقيلي في الضعفاء، تحقيق د. مازن السرساوي، المنصورة، دار ابن عباس، ١٤٢٩هـ، (ج٦ص١٣٢)، رقم (٦٠٦٩/ ٢)، والحديث مداره على إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، وهو مرسل، قال السيوطي في تدريب الراوي، تحقيق د. مازن السرساوي، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ، (ج١ص٤٦١): «وإبراهيم الذي أرسله قال فيه ابن القطان: لا نعرفه البتة. ومعان أيضًا ضعفه ابن معين وأبو حاتم وابن حبان وابن عدي والجوزجاني، نعم وثقه ابن المديني وأحمد..»، وله طرق مرفوعة استوفاها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه مفتاح دار السعادة، طبعة مجمع الفقه الإسلامي بجدة، (ج١ص٤٦٣)، والدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: ضوابط الجرح والتعديل، الرياض، العبيكان، (ص٣٩).

فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسنَ أثَرهم على الناس، وأقبحَ أثر الناس عليهم؛ ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين»(١).

ولكن أطر البحث العلمي تقضي على الباحث في مقدمته بيانَ مسوغات الاختيار وأسبابه، والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من وراء خوضه في هذا الخضم، والسؤالات التي تثار في ذهن الراقم والقارئ حول هذا الموضوع وأهميته المنهجية، ولا سيما ما يثار حوله من شبهات، وما يتعرض له من انتقادات، والمنهجية المتبعة في تحقيق مقاصد البحث، ثم النطاق الذي يدور حوله ومعه الباحث، وصولًا إلى هيكلة ومكونات البحث التي تمنح القارئ إطارًا جُمَلِيًّا جامعًا، ولا يسع الباحثَ إلا الاعتمادُ على الله واستمدادُ العون منه وسؤالُه التوفيق والسداد وتمام الأمر، وأن يمنَّ على شيخنا الحويني بالعافية والسلامة والشفاء عاجلًا غير آجل، وهذا أوان الشروع.

مسوِّغات الاختيار وأسبابه:

دفعت الباحثَ إلى الخوض في غمار هذا البحث جملةٌ من المسوِّغات والأسباب، ولعل من أبرزها:

- لحمةَ الانتماء المنهجي التي تربط الباحث بعلمائه العاملين ومشايخه الراسخين في العلم وإن لم يكن قد تتلمذ عليهم حسًّا، ولكن انتشار علمهم في الآفاق بوسائل مرئية ومسموعة ومقروءة جعل الانتساب ممكنًا.

(١) من مقدمة الإمام أحمد في كتاب: الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، تحقيق دغش بن شبيب العجمي، الكويت، دار غراس، ١٤٢٦هـ (ص١٧٠).

- الدورَ البارز الذي لعبته المدرسة السلفية المعاصرة في مصر من حيث التأثيرُ في تصحيح المفاهيم؛ تصفيةً وتربيةً، وإعادة تشكيل العقلية المسلمة، وتأطيرها بعقيدة السلف ومنهجية الاتباع، والقضاء على الرمزية الغارقة في التقليد والمحاكاة من غير دليل ولا برهان يسترشد بالوحي ونصوصه.

- القيمةَ المنهجية والمعرفية التي تنطوي عليها المسيرة العلمية والدعوية لشيخنا الحويني، وقد تجلَّتْ بمسارات متعددة عكستْ عمق التأصيل العلمي، وفقه النفس، وقراءة الواقع، وقدرة التنزيل للأحكام، والتقدير والاعتبار للمتلقي والتمييز بين أنواعه وأشكاله، ويكفيك برهانًا ودليلًا أن الشيخ -حفظه الله- في مصنفاته ومؤلفاته وتحقيقاته ومجالسه العلمية الخاصة والعامة تغلب عليه اللغة العلمية العميقة الجامعة للأصول والقواعد والضوابط التي لا يحسن فهمها إلا من كان متقدمًا في العلم والطلب، وخاصة في إطار الصناعة الحديثية التي أتقنها الشيخ أيما إتقان شهد بها علماؤه وأقرانه، ولكن حين تسمعه في برامج عامة ولقاءات وعظية ترغيبية وترهيبية تدرك بادي الرأي كأن الشيخ لا يحسن إلا هذا النوع من العلم، وهذا من حسن الفهم الذي أوتيه؛ إذ يعطي المقامَ حقَّه بما يناسبه، تشهد له نصوص السنة، ومن ذلك قول علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ؟»[1]، وما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنةً»[2]، وقلما تجد من يحسن الجمع بين التأصيل العلمي

(١) رواه البخاري معلقًا، ثم وصله عن علي رضي الله عنه في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، طبعة الرسالة العالمية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤٣٢هـ (ج١ص٦٦)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني مرفوعًا وصححه موقوفًا، انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته، بيروت، المكتب الإسلامي، (ص٣٩٩)، رقم (٢٧٠٢).

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٢هـ (ص١١)، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ (ج٩ص٤١٩)، رقم (٤٤٢٧)، وفي ضعيف الجامع الصغير، بيروت، المكتب الإسلامي، (ص٧٢٦)، رقم (٥٠٢٣)، وقد حكم الشيخ الألباني على المرفوع عن ابن عباس بالنكارة، وعلى الموقوف عن عبد الله بن مسعود بالانقطاع، انظره في الضعيفة (ج٩ص٤١٩)، ولا شك أن معناه صحيح، ويشهد له أثر علي رضي الله عنه.

العميق والوعظ الممزوج بالترغيب والترهيب، كما هو مستحضر عند شيخنا -حفظه الله-.

- الخصوصيةَ التي تميز وانفرد بها شيخنا عن غيره، وقد اعترف بها هو نفسه في مواطن متعددة، استدعت البحث في منهج تلقيه للعلم وتعليمه وتبليغه، وهذه الخصوصية تكمن في سلامة فكر الشيخ وعلمه من دَخَل ودَخَن الفكر وشططه، فلم يتلوث قلمه وعلمه بعقلية الاعتزال، ولا مزالق التمشعر، ولا انحرافات التحزب، ولا هفوات التقليد والمحاكاة، ولا مواقف العنف القولي بحجة تطبيق قواعد الجرح والتعديل في ساحة العمل الإسلامي، ولا مجازفات وتجاوزات العنف الفعلي التي تلبس بها غيره بحجة قراءات جهادية مزعومة، وإنما أُشرب فيما نحسب منهج السلف من بين فرث ودم لبنًا خالصًا.

أهداف البحث ومقاصده:

يرمي الباحث إلى تحقيق جملة من الأهداف والمقاصد التي يغلب عليها البعد المنهجي، ومن أبرزها:

- التعرف على القواعد الحاكمة لمنهجية التلقي في التأسيس والتأصيل العلمي، وربطها بجزئياتها، وإدراك الكيفية العلمية في ربط الجزئيات بقواعدها الكلية، والوقوف على مسالك الإلحاق بين الأصول والفروع باستحضار فهم السلف وأتباعهم في التعامل مع نصوص الوحي.

- إبراز صلاحية المنهج السلفي بإطاره المرجعي الحاكم لاستيعاب إشكاليات الواقع المعاصر، وتجاوز القراءات التجزيئية التي أفضت بالأمة إلى التشرذم والتفرق، والتشاغل بالمتشابهات عن المحكمات.

- الوقوف على كيفية تنزيل الأصول والقواعد العلمية في بناء العقلية العلمية والكشف عن إمكانية إخراج الشخصية العالمة، وإظهار الحاجة الماسة لأخلاقيات العلم وآدابه بتجلية ذلك كله من خلال الجهد الذاتي الذي عاناه شيخنا الحويني في بناء الذات وتنمية القدرات العلمية في إطارها الشرعي لتكون مثالًا يُحتذى من قبل طلاب العلم والراغبين

في الاستزادة منه، ويكفي استحضار ذلكم الأثر الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أبي يقول: «لا يُستطاع العلم براحة الجسد»[١]، وقد علق النووي على هذا الأثر فقال: «جرتْ عادة الفضلاء بالسؤال عن إدخال مسلم هذه الحكاية عن يحيى، مع أنه لا يذكر في كتابه إلا أحاديث النبي ﷺ محضة، مع أن هذه الحكاية لا تتعلق بأحاديث مواقيت الصلاة، فكيف أدخلها بينها؟ وحكى القاضي عياض -رحمه الله تعالى- عن بعض الأئمة أنه قال: سببه أن مسلمًا -رحمه الله تعالى- أعجبه حسن سياق هذه الطرق التي ذكرها لحديث عبد الله بن عمرو، وكثرة فوائدها، وتلخيص مقاصدها، وما اشتملت عليه من الفوائد في الأحكام وغيرها -ولا نعلم أحدًا شاركه فيها- فلما رأى ذلك أراد أن ينبه من رغب في تحصيل الرتبة التي ينال بها معرفة مثل هذا فقال: طريقه أن يكثر اشتغاله وإتعابه جسمه في الاعتناء بتحصيل العلم»[٢].

منهجية البحث ونطاقه:

سينصب اعتماد الباحث في تحقيق مقاصد بحثه ومراميه على المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه يتعامل مع بعض النصوص التي تُنتقى من نتاج الشيخ الحويني وثمرات فكره في مصنفاته ومؤلفاته وتحقيقاته، وهذه الانتقائية في أخذ النصوص مقصودة من قبل الباحث بسبب الجزئية المنهجية التي تحكم البحث؛ إذ المقصود الدوران حول قواعد التلقي وأصول الاستدلال ومنهجية التعامل مع نصوص الوحي قرآنًا وسنةً.

وأما نطاق البحث فإن الباحث لا يستطيع الإحاطة بنتاج الشيخ -حفظه الله-؛ وأكثره مخطوط لا يتسنى له الوقوف عليه[٣]، ولذلك سنقتصر على ما تيسر جمعه مما هو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، (ج١ص٤٢٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، ١٤١٤هـ (ج٥ص١٥٨).

(٣) ذكر الشيخ أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل أن للشيخ أكثر من ١٥٠ مصنفًا تغلب عليه الصنعة الحديثية، وأغلبها مخطوط، انظرها في: نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، القاهرة، دار ابن عباس، ١٤٣٣هـ (ج١ص٧١ فما بعدها).

مطبوع، وهو كثير بحمد الله وفضله، وكثير منه مبثوث في الشبكة العالمية وما تبثه دور النشر المصرية وغيرها، وقد تنوع نتاجه ما بين تصنيف وتحقيق، ولا شك أن منهجيته في التحقيقات ظاهرة في المقدمات التي وضعها الشيخ؛ إذ يبين فيها المنهجية التي اتبعها في التحقيق والتعليق والحكم على النصوص الحديثية قبولًا وردًّا، وعمل الباحث ينصب على قراءة فكر الشيخ ومنهجه في التلقي، علمًا أن للشيخ دروسًا علميةً، ومحاضراتٍ منهجيةً، وخطبًا عامةً، وبرامَج في قنوات متعددة، بالإضافة إلى المكتبة الصوتية، وهذا كله على الرغم من أهميته وفائدته العظمى فإنه من حيث الأصل لا يكون مراجع للبحث إلا عند الحاجة والضرورة التي يقتضيها البحث، والسبب في ذلك أن الأصل في منهجية البحث العلمي قيامها على ما هو مدون ومكتوب دون ما هو مرئي ومسموع.

مكونات البحث وهيكله:

يقوم البحث من حيث مكوناته على الأركان الآتية:

المقدمة: وتطرق فيها الباحث إلى بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والأهداف المنهجية التي يرتجى تحقيقها، ثم المنهجية المتبعة، ونطاق البحث، وأخيرًا مكونات البحث وهيكله.

مدخل مفاهيمي: وضَمَّنه الباحث قراءة موجزة في الدلالات المعجمية والاصطلاحية لمفهوم المنهج، وكذلك مفهوم السلف وما يرتبط به من مفاهيم تلتقي معه من حيث المضمون المنهجي والإطار المرجعي، ثم يعرج على الدلالات التي يقتضيها التركيب الإضافي بين مفهومي: (المنهج - السلف)، ومضامينهما المنهجية.

المبحث الأول: وفيه يستدعي الباحث السيرة العلمية والدعوية للشيخ الحويني، وما أثمرته من نتاج علمي ودعوي غزير، يشهد له بالرسوخ العلمي وعمق التأصيل، ولا سيما الصناعة الحديثية التي أضحى فيها أحد أبرز أعلامها المعاصرين.

المبحث الثاني: مصادر التلقي وقواعده عند الشيخ أبي إسحاق الحويني، وفيه يتعرض

الباحث لبيان الإطار المرجعي الذي يستند عليه الشيخ في تلقيه وأخذه للعلم، وفي تعليمه والدعوة إليه، وفي تصنيفه والتحقيق فيه.

المبحث الثالث: في منهجية الاستدلال عند الشيخ أبي إسحاق الحويني، والنظر في الأدلة من حيث الثبوت، وهذا يُبحث فيه من جهة معرفة صحيح الحديث من سقيمه، ومعرفة علله القادحة من غيرها، ومن حيث صحة الاستدلال بعد الثبوت، ثم التحقيق والتدقيق في سلامة الاستدلال، والترجيح بين الأدلة عند تعارضها.

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وما يقتضيه بحثه من توصيات يراها جديرة بالنظر والبحث.

مدخل مفاهيمي

بين المفهوم والاصطلاح نسب علمي ومصاهرة، ومرجع ذلك أن المفهوم يعد من حيث الأصل صلب الاصطلاح، والاصطلاح رحمه؛ إذ المفهوم أشبه ما يكون بمستقر الأفكار والتصورات التي يعتقدها الإنسان حول الظواهر التي تحيط به، سواء ما كان منها كونيًّا أو اجتماعيًّا، ويؤكد علماء المناهج أن المفهوم له دلالة منهجية ووظيفة معرفية، يُنظر إليه بمثابة هُوية المرء وعنوانه الفكري، وإنما يتأتى ذلك بحرص المسلم على إحصاء ممتلكاته المفاهيمية وحمايتها من اعتداء المفاهيم الوافدة[١].

وهنا تبرز أهمية التنبيه النبوي الكريم في الحفاظ على المفاهيم والقيم المنهجية التوحيدية ومنعها من التلبس بما يأتي عليها بالإبطال والنقض، فجاءت التوجيهات النبوية التي تتضمن الحرص على التوحيد ونبذ الشرك والتأكيد على منهجية الاتباع وحراسة حدود السنة من أي دخيل، وإنما يحفظ المنهج بحفظ مفاهيمه، ومن تلكم التوجيهات قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها ويعد من أصول الإسلام: «**من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[٢]، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سُبل، على كل سبيل شيطانٌ يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[٣]، في غيرها من النصوص الدالة على حفظ الشريعة وحدودها وإن أفضى إلى التضحية بالنفس في سبيل حفظ الدين والشريعة باعتبارها في أعلى سلم المقاصد الضرورية.

---

(١) يُنظر للأهمية: دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، القاهرة، دار السلام، ١٤٣٣هـ (ص٤١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (ج٢ص٤٧٢)، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد الأمور المحدثات، (ج٣ص١٣٤٣)، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه أحمد، والنسائي، وصححه الشيخ الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، (ج١ص٥٨)، رقم (١٦٦).

وفي السياق ذاته فإن للشيخ الحويني القدح المعلَّى في التأكيد على حفظ مفاهيم الشريعة وحراسة حدودها، وكانت له صولاته وجولاته التي تشهد بها مؤلفاته وتحقيقاته، بل برامجه المرئية التي ملأت الآفاق، وخاصة برنامجه «حرس الحدود»، ويكفيك مثالًا على ذلك ما قاله الشيخ -حفظه الله وشفاه- في مقدمة كتابه «تنبيه الهاجد» في إطار ما أسماه (إسقاط الرموز) في سياق حادثة الإفك ودفاعه عن الشيخ الألباني الذي ناله من الأذى من المخالفين للدعوة السلفية: «إن إسقاط الرمز أقل مؤنة على المنافقين من إحداث الشغب في المجتمع كله؛ لأن إسقاط الرمز فيه إهدار لكل المبادئ التي يدعو إليها والمثل العليا التي يدندن حولها... وماذا يكون لو أسقطنا الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز ومن على شاكلتهما من العلماء العاملين، هل يريدون أن تكون أمتنا ثلة من الغلمان بلا رؤوس؟ ويرحم الله أبا حنيفة إذ مر على جماعة يتفقهون، فقال ألهم رأس؟ قالوا: لا. قال: إذن لا يفلحون أبدًا.. ولله در القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقول:

متى يصلُ العطاشُ إلى ارتواءٍ ... إذا استقتِ البحارُ مِنَ الركايا
ومَن يثني الأصاغرَ عن مرادٍ ... إذا جلسَ الأكابرُ في الزوايا
وإنَّ ترفُّعَ الوُضَعاءِ يومًا ... على الرُّفَعاءِ من إحدى الرزايا
إذا استوتِ الأسافلُ والأعالي ... فقد طابتْ منادمةُ المنايا

وأخرج قاسم بن أصبغ في مصنفه بسند صحيح، كما قال الحافظ في الفتح عن عمر بن الخطاب: «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير، استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير، تابعه عليه الصغير»[(١)].

وعليه لا بد من ضبط المفهوم بإطار مرجعي يحكمه عن الانزلاق الذي يدفع صاحبه باتجاه التخلي عن مفاهيمه وقيمه، وإنما يثبت ذلك بإظهار الانتماء إلى منهج السلف وضرورة التحقق به والبراءة من كل ما يخالفه.

وفي هذا المدخل المفاهيمي سندور حول مفهومين يمثلان عمدة هذا البحث وهما:

---

(١) تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد، المحجة، (ج١ ص٢٢).

(المنهج-السلف)، وينصب البحث فيهما على بيان الدلالة المفهومية حالة انفرادهما، ثم بيان الدلالة المفهومية حالة التركيب.

المطلب الأول: مفهوم المنهج ودلالاته المفاهيمية:

يرجع لفظ المنهج إلى مادة (ن هـ ج) بسكون العين وفتحها، قال الزبيدي: «النَّهْج بفتح فسكون: الطريق الواضح البين، وهو النَّهَج، محركة أيضًا، والجمع نَهْجات، ونُهُج، ونُهُوج.. وطرقٌ نهجةٌ: واضحةٌ كالمَنهَج بالفتح، والمِنهاج بالكسر، وفي التنزيل ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، المنهاج: الطريق الواضح.. وأَنْهَج الأمرُ والطريقُ وَضَح، وأَنْهَج أوضح.. واستَنْهج الطريقُ: صار نَهْجًا كأَنْهَج الطريق: إذا وضح واستبان.. وفلان استنهج طريقَ فلان: إذا سلك مسلكه. ومما يستدرك عليه: طريق ناهجة: أي واضحة بينة»[١]، وقد توافق أهل التفسير المقدم منهم والمؤخر على تفسير المنهج والمنهاج والنهج من حيث الوضع بأنه الطريق الواضح البين[٢]، وزاد بعضهم معنى آخر، وهو الطريق المستمر[٣]؛ ومرجع تفسيرهم بهذا المعنى أن المنهاج ورد مقرونًا بالشرعة، والأصل أن القرآن لا تكرار فيه ولا ترادف، فتغاير اللفظ دليل على تغاير المعنى وإن كانا متقاربين من حيث المعنى[٤]، ولهذا جاء في زاد المسير قوله: «قال مجاهد: الشرعة: السنة. والمنهاج: الطريق. وقال ابن قتيبة: الشرعة والشريعة واحد. والمنهاج: الطريق الواضح. فإن قيل: كيف نسق المنهاج على الشرعة وكلاهما بمعنى واحد؟ فعنه جوابان: أحدهما:

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٦٩هـ (ج٦ص٢٥١).

(٢) يُنظر على سبيل المثال لا الحصر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ (ج٨ص٣٨)، وفتح الرحمن في تفسير القرآن، الإمام مجير الدين العُليمي المقدسي، قطر، وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٣٠هـ (ج٢ص٣٠٦).

(٣) يُنظر: اللباب في علوم الكتاب، الإمام ابن عادل الدمشقي الحنبلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ (ج٧ص٣٧٠).

(٤) يُنظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، طبعة الجامعة الأردنية، ١٤١٢هـ، الترادف: (ص١٧٢)، والتكرار: (ص٢٣٢).

أن بينهما فرقًا من وجهين: أحدهما: أن الشرعة ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرد. والثاني: أن الشرعة الطريق الذي ربما كان واضحًا، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحًا، ذكره ابن الأنباري. فلما وقع الاختلاف بين الشرعة والمنهاج، حسن نسق أحدهما على الآخر...»[١]، ولمفهوم المنهاج تفسير من حيث سياقه ونظمه الذي جاء في القرآن، فقد ذكر أبو حيان أن من معانيه: الطريق الواضح، الطريق المستمر، دين محمد ﷺ، الدليل، الكتاب، المعتقد[٢]، والحق أنه لا تنافي بين هذه المعاني، فإنها متلازمة من حيث الجمع بين الوحي ومضمونه والنبوة الخاتمة.

ومع الأهمية البالغة التي ينطوي عليها مفهوم المنهج والمنهاج لكثرة معانيه، فإن له مع ذلك منظومةً مفاهيميةً تجمعه مع أقرانه من حيث الدلالة المعنوية، والوظيفة المنهجية، وهذه المنظومة قد جاءت في سياقات مختلفة من القرآن والسنة، ومنها: الصراط، السبيل، الطريقة، السنة، الهدى، النور، الاستقامة، وثمة دلالات مشتركة في هذه المنظومة من المفاهيم، فجميعها تختص بسعي الإنسان لسلوك الطريق المستقيم، الواضح، المستمر، الميسر، الموصل إلى الغاية المقصودة والهدف المراد، وإذا كانت غاية الإنسان في الدنيا هي عبادة الله سبحانه، بمعناها العام، وتحقيق الاستخلاف في الأرض، وإقامة العمران البشري، فإن المنهاج وهو طريق الوصول إلى الغاية، سوف يقع في مستويات مختلفة، تبعًا لسعي الإنسان نحو الغاية النهائية وهي المصير، أو الغايات المرحلية. فقد تكون الغاية هي الانتقال المادي من مكان إلى آخر، عبر طريق في اتجاه محدد، أو الانتقال من حالة معرفية إلى أخرى، عبر طرق البحث والتعلم، واكتساب المعرفة، وزيادة العلم، أو الانتقال من الحياة الدنيا، وهي دار الابتلاء إلى الحياة الأخرى، وهي دار الجزاء عبر صراط الله المستقيم، وسبيله القويم[٣]، وإنما يكون ذلكم الطريق ببيان مراحله عبر مسالك الهداية

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، (ج٢ص٣٧٢).

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ (ج٣ص٥١٤).

(٣) منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، فتحي حسن ملكاوي، عمان، المعهد العالمي =

والنور، وقد تكفل الله بتفصيل ذلك وبيانه عبر وحيه بنوعيه اللفظي والمعنوي، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ١١٥].

وللمنهج اصطلاحًا عند بعض المتخصصين إطلاقان: الأول: عام: وهو بهذا الاعتبار منطق كلي يحكم العمل العلمي ويوجهه منذ أن يكون فكرة حتى يصير بناء قائمًا اعتمادًا على أصول، وقواعد تشكل في مجملها نسقًا متكاملًا. الثاني: خاص: هو نسق من القواعد والضوابط التي تركب البحث العلمي، وتنظمه، باعتباره عملًا يهدف إلى حل مشكلة معرفية قائمة، باستقراء جميع مكوناتها التي يظن أنها أساس الإشكال(١). وعرفه بعضهم بأنه: الطريق الواضح المنظم في التفكير أو الاستدلال أو العمل، الموصل إلى غاية معينة، وهو يختلف باختلاف العلوم، والمبادئ، والغايات(٢).

وللعلامة محمود محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشارة منهجية في غاية الأهمية يلزم في نظر الباحث أخذها بالاعتبار عند الحديث عن المنهج والمنهجية، وهذه الإشارة قوامها ربط المنهج بما أسماه (ما قبل المنهج)؛ فيقول: «ولفظ المنهج يحتاج مني هنا إلى بعض الإبانة، وإن كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلمون في مثل هذا الشأن، بل أريد به (ما قبل المنهج)، أي الأساس الذي لا يقوم المنهج إلا عليه»(٣)، ومقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هناك بُعدًا مرجعيًا تستدعيه غايات الوصول إلى الحقائق العلمية بمظهرها اليقيني، وهذا لا يكون -وخاصة في العلوم الإنسانية- إلا بما أسماه علماء المناهج بالإطار المرجعي المؤسَّس على علوم الوحي وقيمه العليا، وهذا يؤخذ إشارةً من ربط المنهج بالشريعة في

=للفكر الإسلامي، ١٤٣٢هـ (ص٦٧).

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي، د. فريد الأنصاري، الدار البيضاء، منشورات الفرقان، ١٤١٧هـ (ص١٩٢).

(٢) منهج الفتوى في قضايا السياسة الشرعية المعاصرة، د. محمد محمود الجمال، بحث محكم مشارك في مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل، المنعقد ٢٣-٢٤/ ١/ ١٤٣٥هـ جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (ص٥١٩).

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧م، (ص٢٢).

قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وإذا كان المنهج يُعنى بالخطوات والوسائط والوسائل التي توصل إلى غايات بحثية في مجال معرفي معين، فإن لمفهوم المنهجية ارتباطًا وثيقًا به؛ على اعتبار أن المنهج هو بمثابة بيان للطريق، وأن المنهجية تمثل علم بيان الطريق، ومن هنا يمكن تعريف المنهجية بأنها: علم بيان الطريق والوقوف على الخطوات أو الوسائط والوسائل التي يتحقق بها الوصول إلى الغاية، على أفضل وأكمل ما تقتضيه الأصول والأحوال(١).

المطلب الثاني: مفهوم السلف ودلالاته المنهجية:

مرجع مفهوم السلف لغةً ووضعًا إلى مادة (س ل ف)، وهي دائرة في أغلب استعمالاتها مع دلالات: التقدم، والمضي، والسبق الزمني، يقولون: سَلَفَ الشيءُ سَلَفًا محركةً بمعنى: مضى، وسَلَفَ فلان سَلَفًا وسُلُوفًا: تقدَّم، وقد ذكر الزبيدي أن للسلف معنيين لا يخرجان عن غالب الدلالات المتقدمة: الأول: كل عمل صالح قدمته، أو فَرَطٍ فَرَطَ لك فهو لك سلف، وقد سلف له عمل صالح، الثاني: كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السِّن والفضل، واحدهم سالف(٢).

وهذا المعنى الذي دار حوله لفظ السلف، قد ضُمِّن في خطاب الوحيين كذلك في سياقات مختلفة لم تخرج عن هذه الدلالة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]، وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، ومن ذلك

(١) نحو إعادة بناء علوم الأمة الاجتماعية والشرعية، د. منى أبو الفضل، القاهرة، دار السلام، ١٤٣٠هـ (ص٧٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (ج٢٣ص٤٥٥).

قوله عليه الصلاة والسلام: «**ولا أراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقًا بي، ونعم السلف أنا لك**»، وقوله: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**»... في غيرها(١).

والدلالة الاصطلاحية لا تخرج عن مقتضى الدلالة اللغوية، إلا أن للاصطلاحية قيدًا يلزم مراعاته عند بيانها والتأسيس عليها، وعليه فإن مفهوم السلف يراد به إطلاقان(٢):

الأول: الحقبة التاريخية التي تختص بأهل القرون الثلاثة المفضلة المتقدمة، كما جاء التنصيص عليها في قوله عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٣)، وهذه الحقبة التاريخية قد انتهت لانقضاء قرونها، فلا يصح الانتساب إليها من حيث شهودها.

الثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح.

قال الآجري: «علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق، كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه ﵃، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء؛ مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء»(٤). وقال السفاريني: «المراد بمذهب السلف ما كان

---

(١) يُنظر: المنهج السلفي: تعريفه، تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه، د. مفرح بن سليمان القوسي، الرياض، دار الفضيلة، (ص٢٨ فما بعدها).

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ (ج١ص٣٥)، منهج أهل السنة والجماعة في الحكم بالتكفير بين الإفراط والتفريط، د. محمد علي فركوس، الجزائر، دار الموقع، ١٤٣١هـ (ص٤١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، (ج٣ص١٤٧)، رقم (٣٦٥١).

(٤) الشريعة، مرجع سابق، (ج١ص٣٠١).

عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مَرضي، مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء»[(١)]. وقال الصابوني: «وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب برية، نقية، زكية، تقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية، والسيرة المرضية، والسبل السوية، والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله ﷻ لاتباع كتابه، ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره، التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيه عن المنكر منها، وأعانهم على التمسك بسيرته، والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته. ومن أحب قومًا فهو منهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحبَّ**». وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها، وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار. وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونورها بحب علماء السنة، فضلًا منه ﷻ ومنة. أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ -أسكنه الله وإيانا الجنة- ثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكى، ثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له؛ فكان في آخره: فإذا رأيتَ الرجلَ يحبُّ سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريكًا، ووكيعًا، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة. قال أحمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فألحقتُ بخطي تحته: ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه»[(٢)].

والعلامة الحويني -حفظه الله- لا يخرج -فيما نحسب والله حسيبه- عن هذا

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، دمشق، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ (ج١ص٢٠).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ (ص٣٠٦).

المنهج، وبثه ظاهرًا في مصنفاته وتحقيقاته، بل وفي برامجه ودروسه المرئية والمسموعة، ومما قاله شفاه الله: «ولعل الناظر فيما علقته على الكتاب يعلم حقيقة اعتقادي، وأنني -ولله الحمد- على مثل اعتقاد السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين كمالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أهل العلم، ومنذ طلبت العلم -منذ عشرين عامًا- لم أنتحل بدعة قط -بحمد الله- لا في الاعتقاد ولا في العمل، وأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي من عمري، حتى ألقاه على التوحيد الخالص»(١).

ويلزم في هذا المقام النظر في أحقية منهج السلف بتوحيد الاتباع دون غيره من المناهج، وبيان الحجج والبراهين النقلية والعقلية في لزوم تبنيه والأخذ به فهمًا وعلمًا وتنزيلًا، ولكن ما يلزم استدعاؤه في هذا السياق، جملة من السؤالات المنهجية التي تضفي على الموضوع علامات الوضوح والظهور:

ما هي المضامين التي يلزم تعميمها زمانًا ومكانًا بحيث لا يسع المسلم في مختلف الأعصار خلافها؟ وهل منهج السلف توقيفي كله؟ أم أنه وسع التوقيفي والاجتهادي؟ وهل منهج السلف عبارة عن نصوص منقولة وأقوال مأثورة؟ أم أنه منهج متكامل عقيدة وشريعة، ونصوص وآثار سلفية، ودلالات منهجية تستوعب حاجات الأمة وتجاوز أزماتها؟

والحق أن الذي نعتقده وندين الله به أن الحجة قائمة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم سلف الأمة، ولا يسع مسلمًا الخروجُ عنها، أو اتباعُ غيرها، وعلى ذلك اتفاق أئمة السلف ومن تبعهم من العلماء المحققين، قال الإمام ابن بطة: «فإن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ومهيمنًا على النبيين ونذيرًا بين يدي عذاب شديد، بكتاب أُحكمت آياتُه وفُصِّلت بيناتُه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بين فيه مناهج حقوق افترضها ومعالم حدود أوجبَها؛ إيضاحًا لوظائف دينه وإكمالًا لشرائع

(١) من مقدمة تحقيقه لكتاب: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، السعودية، الخُبر، دار ابن عفان، ١٤١٦هـ (ج١ص٦).

توحيده، كل ذلك في آيات أجملها وبألفاظ اختصرها أدرج فيها معانيها، ثم أمر نبيه ﷺ بتبيين ما أجمل وتفصيل ما أدرج، فقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وفرض على الخلق أجمعين طاعة رسوله، وقرن ذلك بطاعته ومتصلًا بعبادته، ونهى عن مخالفته بالتهديد وتواعد عليه بأغلظ الوعيد في آيات كثيرة من كتابه»(١).

وإذا كانت الحجة قائمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولزوم اتباعهما ظواهرَ، ودلالات سياقية ومقامية، ومقاصدَ، فإن فهم السلف لا يخرج عن هذا الأصل من حيث وجوب الاتباع، ولكن يلزم بيانه دفعًا لما يطرأ من شبهات واعتراضات عند أهل الأهواء والبدع، فيتبعون ما تشابه من النصوص في ظنهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولا شك أن نصوص الكتاب والسنة كافية في استيعاب هذه الشبهات ودفعها ودحض باطلها، إلا أن ذلك لا يمكن تحققه وتلمسه إلا باتباع أهل التحقيق في العلم من السلف وأتباعهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولم يكن في زمنهم أحد من هذه الصنوف الأربعة، ولا تجد إمامًا في العلم والدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضل والمناقب، والذين اتبعوهم من أهل الآثار النبوية وهم أهل الحديث والسنة العالمون بطريقهم المتبعون لها وهم أهل العلم بالكتاب والسنة في كل عصر ومصر»(٢). ومرجع هذا التفضيل بالإضافة إلى التنصيص عليه في حديث الخيرية المتقدم، ودلالته على الخيرية المطلقة، أن الصحابة رضي الله عنهم أعلم بالسياق اللغوي والسياق المقامي لنصوص الشرع؛ لأنهم أهل

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، الإمام ابن بطة العكبري الحنبلي، الرياض، دار الراية، ١٤١٥هـ، (ج١ص٢١٥).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام ابن تيمية، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ (ص٢١١).

اللسان العربي الفصيح، ولأنهم عاصروا التنزيل، وشاهدوا قرائنه الحالية والمقامية، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد، وأحوال الرواة، وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله، وليس في حقهم إلا أمران: أحدهما: قال الله تعالى كذا. قال رسول الله ﷺ كذا. الثاني: معناه كذا وكذا. وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، مع ما تمتعوا به من طهارة القلوب، وسلامة النفوس، وأمانة النقل، فحجية فهم السلف والصحابة في مقدمهم مبنية على ما تميزوا به من الصفات الخلقية والعلمية التي فاقوا بها غيرهم، مع التزكية النبوية التي خصوا بها دون غيرهم[1].

وللشيخ الحويني جولاته في الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فيقول -حفظه الله- في سلسلة محاضرات مفرغة بعنوان: (إلى ذُرى المجد فارتقِ): «الدعوة نفسها التي ندعو الناس جميعًا إليها هي كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ بهدي السلف الصالح، وهذا القيد الثالث في غاية الأهمية، فكل الفِرق التي تنتسب إلى الإسلام، ويقال عنها الفرق الإسلامية على بدعتها، كلها تدعو إلى كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ بفهمها، وليس بفهم السلف الصالح، ففهم السلف الصالح هو البيان العملي للأدلة، فلا يجوز أن نعتقد دينًا ما لم يكن دينًا، حتى ولو كانت عموم الأدلة تدل عليه».

فالشيخ يدلنا على القيمة المنهجية التي يدل عليها فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة، وهي كون هذا الفهم بيانًا عمليًّا للأدلة؛ ومرجع ذلك أن هؤلاء الأخيار لما عاصروا التنزيل وشهدوا التأويل والبيان، كانوا الأحق بحمل الفهم إلى من سواهم، ولقد أحسن الشيخ الحلبي علي بن حسن مقالةً حين جعل السلفية ملاذًا ومعاذًا، وقال متشرفًا بالانتساب إليها ودامغًا مخالفيها: «إن النسبة إلى السلف شرف وعز وفخار لكل من آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا. وعليه فمن علم أن السلف هم

---

(١) منهج ابن تيمية المعرفي: قراءة تحليلية للنسق المعرفي التيمي، د. عبد الله بن نافع الدعجاني، الرياض، مركز تكوين للبحوث والدراسات، ١٤٣٥هـ (ص٥٨٤).

أصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ وهم جيل القدوة الذين تربوا على عين رسول الله ﷺ، وهم فوقنا في كل خير، ونحن لهم تبع، وسبيلهم من سبيل رسول الله ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، تبين له أن اتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم واجب شرعي؛ لأن تنكب سبيلهم سبب للضلال في الدنيا والهلاك في الآخرة»[١]، وهذا الذي دندن حوله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأكثر من ذكره في مصنفاته، ومنها: «فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية فإنه لا بد أن يضل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط»[٢]، وقال أيضًا: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[٣]... في طائفة كثيرة غيرها.

---

(١) السلفية لماذا؟؟ معاذًا وملاذًا، علي حسن عبد الحميد الحلبي، ١٤٣٠هـ (ص٦٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ (ج٥ص٣٥٦).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المنصورة، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ (ج٤ص٩١).

المبحث الأول

السيرة العلمية والدعوية للعلامة الحويني

لم يكن بروز العلامة الحويني في الساحة العلمية والدعوية ضربة لازب، وإنما سبقته مراحل التأسيس والبناء العلمي والفكري، ولا يمكن لأي باحث وهو يبحث في سير العلماء أن يغفل دور البيئة بمختلف مظاهرها وصورها في تشكيل العقلية العلمية أو التأثير على أقل تقدير في بعض مكوناتها، والناظر في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، يدرك أن الحالة السلفية في مصر لم تكن وليدة الساعة أو أنها وافدة على الأوساط العلمية والدعوية في مصر، بل ترجع جذورها إلى نهايات القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ويشير بعض الباحثين إلى أن السلفية المصرية تمتد من حيث أصولها إلى بداية الفتح الإسلامي لمصر على يد الصحابة رضي الله عنهم(١)، ومرجع هذا التقرير أن السلفية كما أسلفنا من قبل هي الانتساب إلى السلف الصالح منهجًا وتطبيقًا وتنزيلًا، فهي بهذا الاعتبار عرفت مصرَ منذ دخول الإسلام إليها، وهذا له وجه من الصحة من جهة أن مصر في مختلف مراحل تاريخها عرفت العديد من الأعلام الكبار الذين كان لهم دورهم في النهضة العلمية، أمثال الليث بن سعد، والشافعي، والبويطي، والمزني، والربيع المرادي، والربيع الجيزي، والطحاوي... في ثلة من العلماء الكبار وصولًا إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وما أثمرته مدرسته المباركة.

وفي تاريخها الحديث والمعاصر، شهدت مصر زمرة من العلماء والمفكرين، في مقدمتهم الشيخ محمد رشيد رضا الذي اشتهر بمجلة المنار، وكان لها دورها البارز في إعادة الوعي في مصر وما جاورها من البلاد، وقد ضمَّن رشيد رضا مجلته فكره المؤيد للدعوة السلفية، وما تتضمنه من قضايا في التوحيد والعبادة ورفض البدع الصوفية

---

(١) ملخص تاريخ السلفية في مصر، أسامة شحادة، مقالات منشورة بالمجلس العلمي لشبكة الألوكة، ومؤرخة بتاريخ: ٦/ ١/ ٢٠١٢م، تاريخ الاستفادة: ٣/ ٦/ ٢٠١٥م.

وغيرها، إلا أن دعوته لم تخل من تأثر بالنزعة العقلانية التي كانت مستحكمة في البيئة الفكرية آنذاك فرضتها عقلية التغريب[١]، إلا أن الخطاب السلفي شهد تطورًا في اتجاهين:

الأول: في الاتجاه العلمي المحض، تمثل بالثمار العلمية التي قدمها محدث مصر العلامة أحمد محمد شاكر، وكان له دوره الفاعل في إحياء النزعة الحديثية في العلم بعد أن شهدت سباتًا في المراحل الزمنية التي أعقبت جهود الحافظ ابن حجر العسقلاني وتلميذيه السخاوي والسيوطي، وقد عده الشيخ الحويني أحد ثلاثة أعلام كبار ممن أحيا الاهتمام بعلم الحديث وعلله مع العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني، والعلامة حسنة الأيام محمد ناصر الدين الألباني، إلا أن جهود الشيخ أحمد شاكر لا تعدو أن تكون جهودًا فردية لم تتعد الأوساط العلمية إلا قليلًا ببعض الرسائل والتوجيهات ذات البعدين الفكري والسياسي.

والاتجاه الثاني: كان ذا بعد مؤسسي دون أن يكون بعيدًا عن الإسهام العلمي، تمثل في جهود الشيخ محمد حامد الفقي بتأسيسه جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٩٢٦م، وكان الطابع العام لهذه الجماعة الاهتمام بتصحيح العلوم الشرعية وفق المنهج السلفي، ولم تدخل في صلب العمل السياسي في أي وقت من الأوقات، ولا تزال حتى الآن تمثل إحدى المؤسسات السلفية العلمية المعروفة في مصر[٢]، وكان منضويًا تحتها بعض العلماء الذين كان لهم دورهم في الحياة العلمية، أمثال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ خليل هراس، والشيخ محمد صفوت نور الدين، والشيخ صفوت الشوادفي... وغيرهم.

وعلى رغم الجهود الكبيرة التي بذلها هؤلاء العلماء في تصحيح المفاهيم وتهذيب المسار العلمي والدعوي والسلوكي في الساحة العلمية، فإن بعض الباحثين يرى أن البعد

---

(١) السلفيون والربيع العربي: سؤال الدين والديمقراطية في السياسة العربية، د. محمد أبو رمان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م، (ص٩١).

(٢) المرجع السابق، (ص٩٣).

الجمعي للتأثير السلفي في الواقع الإسلامي لم يتحقق إلا في بدايات السبعينيات على يد بعض طلبة العلم، أمثال الشيخ محمد إسماعيل المقدم، والشيخ أحمد فريد، والشيخ سعيد عبد العظيم، والشيخ محمد عبد الفتاح وغيرهم، وكان جهدهم منصبًّا إلى وقت قريب في المجال العلمي والدعوي، وتخريج الدعاة عبر معهد الفرقان لإعداد الدعاة بالإسكندرية، بالإضافة إلى الجهد الإغاثي(١).

ثم تحول المسار بعد ثورة يناير إلى تبني خيار المشاركة السياسية، بتأسيسهم حزب النور السلفي، ولكن لم يكن هذا التيار منفردًا في الساحة السلفية المصرية، وإنما كانت هناك تيارات أخرى -إن صح التعبير- لها حضورها البارز بمختلف النشاطات العلمية والدعوية، بعضها مكمل لجماعة الإسكندرية بحيث يتناغم ويسير معها بخط متوازٍ، قد يكون مقصودًا في بعضه، واتفاقيًّا موفقًا في بعضه الآخر، وتبرز جهود عدة في هذا الإطار، أمثال الشيخ محمد حسان، والشيخ مصطفى العدوي، والدكتور محمد عبد المقصود، والشيخ محمد حسين يعقوب... وغيرهم.

إلا أن هناك توجهات سلفية يمكن وصفها بكونها معارضة لغيرها ممن يشترك معها في تبني الخطاب السلفي ويختلف معها في منهجية الدعوة وكيفية التعامل مع المخالف سواء كان في دائرة أهل السنة والجماعة أو كان في دائرة الإسلام العامة، ولا شك أن البيئة المصرية لا تختلف عن قسيماتها من البيئات من حيث انتشار الخلاف في الأوساط السلفية، ولكن ما يميز البيئة المصرية عن غيرها، أنها تزخر بكوكبة من العلماء في مختلف التخصصات، فضلًا عن الدعاة وطلبة العلم.

وما يهمنا في هذا السياق طرح السؤالات الآتية: ما هي أبرز المقومات التي ساعدت في التكوين العلمي للعلامة الحويني؟ وما هي القيمة المنهجية التي تنطوي عليها مسيرته العلمية والدعوية؟ وما هو منهج التلقي؟ وما هي مصادره وقواعده عنده؟ وهل جمع

---

(١) الدعوة السلفية بالإسكندرية: النشأة التاريخية وأهم الملامح، علي عبد العال، مقال منشور في شبكة الحوار، بتاريخ: ٤/ ٥/ ٢٠١١م، تاريخ الاستفادة: ٣/ ٦/ ٢٠١٥م.

الشيخ بين النظر الحديثي والمعرفة الأصولية؟

والإجابة نضمنها في المباحث اللاحقة:

المطلب الأول: السيرة والمسار:

هو أبو إسحاق حجازي بن محمد بن يوسف بن شريف الحويني المصري، (وأبو إسحاق) كنيته تكنى بها تيمنًا بكنية الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكنية الإمام أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله. ولد عام ١٣٧٥هـ بقرية حوين بمركز الرياض من أعمال محافظة كفر الشيخ بمصر. **نشأ الشيخ في بيت صلاح وفضل، وفطرة سليمة، لوالد محب لدينه، معظِّم لشرائعه، فكان صوَّامًا قوَّامًا كما حدَّث عنه الشيخ، وكان الوالد ذا حشمة بين أهل القرية، يَعُدُّونه شيخًا لها، فكان يدخل بمشورته في فض النزاع والخصومات بين الناس.**

أكمل دراسته الابتدائية، والإعدادية، والثانوية بمحافظة كفر الشيخ، ثم أكمل دراسته الجامعية بتفوق بجامعة عين شمس، تخصص اللغة الإسبانية، وقد حببت إليه القراءة الأدبية بسبب ما احتوته مكتبة الدكتور رزق شقيقه الأكبر، وظهرت له اهتمامات شعرية كتب على إثرها بعض القصائد، إلا أن الله أراد له مسارًا آخر هيأه له ويسر له أسبابه، وإن كانت فيه بعض المحن التي أعقبتها منح إلهية تجلى فيها توفيق الله للعبد، وعلى الرغم من السيرة الحسنة التي تربى عليها الشيخ -حفظه الله- لم تكن عائلته مشهورة بالعلم الشرعي، وأثناء إقامته المؤقتة بالقاهرة وحضوره خطب الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله وقف على كتاب غير مسار حياته العلمية والعملية، ذلكم هو كتاب: (صفة صلاة النبي عليه السلام من التكبير إلى التسليم كأنك تراها) لشيخه العلامة الألباني عليه رحمة الله، ولندع الشيخ -شفاه الله- يقص علينا خبره مع هذا الكتاب المبارك:

«ففي صيف عام ١٣٩٥هـ كنت أصلي الجمعة في مسجد عين الحياة، وكان إمامه إذ ذاك: الشيخ عبد الحميد كشك حفظه الله، وكان تجار الكتب يعرضون ألوانًا شتى من الكتب الدينية أمام المسجد، فكنت أطوف عليهم، وأنتقي ما يعجبني عنوانه، فوقعت عيني

يومًا على كتاب عنوانه: (صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، فراقني اسمه، فتناولته بيدي، وقلبت صفحاته، ثم أرجعته إلى مكانه؛ لأنه كان باهض الثمن لمثلي، وكان إذ ذاك بثلاثين قرشًا، ومضيت أتجول بين بائعي الكتب، فوقفت على كتاب لطيف الحجم بعنوان: (تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ)، ففرحت به فرحة طاغية، ولم أتردد في شرائه، وكان ثمنه خمسة قروش، ولم أشتر غيره؛ لأنه أتى على كل ما في جيبي، ومن فرحتي واغتباطي به قرأته وأنا أمشي في طريقي إلى مسكني، مع خطورة هذا المسلك على من يمشي في شوارع القاهرة، ولما أويت إلى غرفتي تصفحت الكتاب بإمعان، فوجدته يدق بعنف ما ورثته من الصلاة عن آبائي؛ إذ إن كثيرًا من هيئتها لا يمت إلى السنة بصلة، فندمت ندامة الكسعي أنني لم أشتر الأصل، وظللت أحلم بيوم الجمعة المقبل -وأدبر ثمن الكتاب طول الأسبوع- وأنا خائف وجل أن لا أجده عند بائعه، وكنت أدعو الله أن يطيل في عمري حتى أقرأه، ومنَّ الله عليَّ بشرائه، فلما تصفحته؛ ألقيت الألواح، ولاح لي المصباح من الصباح، وهزني هزًا عنيفًا، لكنه كان لطيفًا.. مقدمته الرائعة الماتعة في وجوب اتباع السنة، ونبذ ما يخالفها تعظيمًا لصاحبها ﷺ، ثم نقوله الوافية عن أئمة المسلمين؛ إذ تبرأوا من مخالفة السنة أحياءً وأمواتًا، فرضي الله عنهم جميعًا، وحشرنا وإياهم مع الصادق المصدوق -بأبي هو وأمي-.

وقد لفت انتباهي جدًّا حواشي الكتاب، مع جهلي التام آنذاك بكتب السنة المشهورة فضلًا عن غيرها من المسانيد والمعاجم والمشيخات وكتب التواريخ، بل قد ظللت فترة في مطلع حياتي -لا أدري طالت أم قصرت- أظن أن البخاري صحابي، لكثرة ترضي الناس عنه. وعلى الرغم من عدم فهمي لما في حواشي الكتاب، فإنني أحسست بفحولة وجزالة لم أعهدها في كل ما قرأته، فملك الكتاب عليَّ حواسي، وصرت في كل جمعة أبحث عن مؤلفات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ولم تكن مشهورة عندنا في ذلك الوقت، لكساد الحركة العلمية، فوقفت بعد شهر تقريبًا على جزء من (سلسلة الأحاديث الضعيفة) المائة حديث الأولى، فاشتريته في الجمعة التي تليها لأتمكن من تدبير ثمنه. أما هذا الكتاب

فكان قاصمة الظهر التي لا شوى لها!، وهو الذي رغبني في دراسة علوم الحديث»[1].

والحق أن هذا القدر من سيرة الشيخ تكمن فيه دلالات كثيرة يحرص طالب العلم على تلمسها، ولو لم يكن إدراكها إلا بالسير في الأرض، لكان ذلك لازمًا، فكيف وقد جاءته مليحة متزينة بلا ثمن ولا نصب، وإنك حين تقرأ هذه الأسطر من كلام الشيخ المبارك تدرك مقدار السعادة التي ينالها طالب العلم حين تزف إليه خرائد الفوائد العلمية بعد طول مشقة وعظيم خصاصة، ولله در الإمام ابن القيم إذ جعل السعادة الحقيقية سعادة العلم ولا شيء سواها، فيقول: «السعادة الحقيقية وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال، كلما طال الأمد ازدادت قوة وعلوًا، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها، وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها وعورة طريقها، ومرارة مباديها، وتعب تحصيلها، وأنها لا تنال إلا على جسر من التعب، فإنها لا تحصل إلا بالجد المحض. وسعادة العلم لا يورثك إياها إلا بذل الوسع، وصدق الطلب، وصحة النية.. وهذه السعادة وإن كانت في ابتدائها لا تنفك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي، فإنها متى أكرهت النفس عليها، وسيقت طائعة وكارهة إليها، وصبرت على لأوائها وشدتها، أفضت إلى رياض مونقة، ومقاعد صدق ومقام كريم»[2].

وكانت هذه الحادثة سببًا دافعًا للشيخ في مواصلة الطلب، وكان حريصًا على تلمس المشايخ الذين يحسنون علم الحديث رواية ودراية، فيقول: «**طفقتُ أسأل كل من ألقاه من إخواني عن أحد من الشيوخ يشرح هذا العلم، أو يدلني عليه، فأشار عليَّ بعض إخواني -وكان طالبًا في كلية الهندسة- أن أحضر مجالس الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه**

---

(١) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج١ ص٩).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الإمام ابن قيم الجوزية، جدة، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، نشر دار عالم الفوائد، (ج١ ص٢٩٧).

الله تعالى وكان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يُلقي دروسه في بيت طلبة ماليزيا، بالقرب من ميدان عبده باشا ناحية العباسية، وكان يشرح أربعة كتب، وهي صحيح البخاري، والمجموع للنووي، والأشباه والنظائر للسيوطي، وإحياء علوم الدين للغزالي -رحمهم الله جميعًا- . فوجدت في هذه المجالس ضالتي المنشودة، ودُرَّتي المفقودة، فلزمته نحو أربع سنوات، حتى توقفتْ دروسه بعد الاعتقالات الجماعية التي أمر بها أنور السادات، وانتهى الأمر بمقتله في حادث المنصة الشهير، ورحل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى السودان، وظل هناك حتى توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة، ودُفن رحمه الله تعالى في البقيع -كما قيل لي- . وأتاحت لي هذه المجالس دراسة نبذ كثيرة من علمي أصول الحديث، وأصول الفقه، ووالله! لا أشطط إذا قلتُ: إنني أبصرت بعد العمى لمَّا درست هذين العلمين الجليلين، وأقرر هنا أن الجاهل بهذين العلمين لا يكون عالمًا مهما حفظ من كتب الفروع؛ لأن تقرير الحق في موارد النزاع لا يكون إلا بهما؛ فعلم الحديث يصحح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يسدد لك الفهم، فهما كجناحي الطائر»[١].

لقد لاحت فيما يظهر لنا من هذه الكلمات مظاهر صدق اللهجة، ولهفة الصدر شوقًا ومحبة للعلم والمتحققين به من أهله، وتجلى لنا في ذات الوقت قدر الغربة التي وصل إليها علم الحديث وندرة المتخصصين به، وذكرتنا بتلكم الكلمات الذهبية التي رسمها الذهبي بمداد التحسر والأسى؛ إذ يقول: «فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب»[٢].

لقد ظهرت معالم توفيق الله ﷻ للشاب الحويني ببرهانين: الأول: بحثه عن أهل العلم واتخاذه الأسباب المعينة على ذلك. الثاني: طلبه لعلوم الآلة الموصلة إلى علوم المقاصد، وخاصة علمي أصول الحديث، وأصول الفقه، فلم تكن همته محصورة في تحصيل العلم حفظًا واستظهارًا، وإنما قصد تحصيل الفهم الموصل إلى مرتبة العلم والاجتهاد فيه.

---

(١) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج١ص١٣).

(٢) تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، بيروت، تصوير دار الكتب العلمية، (ج١ص٤).

ولقد أجمع العلماء على أن المقلد وإن كان حافظًا لمسائل العلم فإنه لا يوصف بأنه من العلماء إلا على سبيل التجوز عند المتأخرين، ولهذا قال ابن القيم: «قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم: هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد»(١).

ولا شك أن معرفة الدليل لا تتحقق إلا بعلمي أصول الحديث وأصول الفقه؛ فأصول الحديث تميز لنا صحيح الحديث من سقيمه، وتظهر لنا علل الأسانيد ومتونها بنوعيها القادح وغير القادح، وأصول الفقه يظهر لنا دلالات الألفاظ ودلالات المعاني، ولا نشك هنية أن الشيخ الحويني -حفظه الله تعالى- ممن أوتي علمًا -والتنكير للتعظيم والتفخيم- في هذين العلمين الجليلين، وخاصة علم الحديث الذي أضحى من أهله وخاصته.

ولقد أفادتنا هذه الكلمات النيرات كذلك قيمة أخذ العلم من أهله المتحققين به، فلا يصح قصره مطلقًا على بطون الكتب، وفي هذا قال الشاطبي: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام... وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات تتفق على ما تقدم، وإن خالفتها في النظر، وهي ثلاث: إحداها: العمل بما علم؛ حتى يكون قوله مطابقًا لفعله، فإن كان مخالفًا له؛ فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في علم.. والثانية: أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك؛ لأخذه عنهم، وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان السلف الصالح.. وفيه قال سهل بن حنيف يوم صفين: «أيها الناس! اتهموا رأيكم، والله؛ لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته»، وإنما قال ذلك لما عرض لهم فيه من الإشكال، وإنما نزلت سورة الفتح بعد ما خالطهم الحزن والكآبة؛ لشدة الإشكال عليهم، والتباس الأمر، ولكنهم سلموا وتركوا رأيهم حتى نزل القرآن، فزال الإشكال والالتباس. وصار مثل ذلك أصلًا لمن بعدهم؛ فالتزم التابعون

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٣٣هـ، (ج١ص١١).

في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالمًا اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة واشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وجدت فرقة زائغة، ولا أحدًا مخالفًا للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف.. والثالثة: الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ، واقتداء التابعين بالصحابة، وهكذا في كل قرن»[1].

ولم يكتفِ الشيخ بما حمله من علم عن شيخه المطيعي رَحِمَهُ اللَّهُ، بل تاقت نفسه إلى الاستزادة من علم الحديث أخذًا من أهله، فحرص على طلبه من الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، فيقول عن أول لقاء له بشيخه: «وسافرت إلى الشيخ في أول المحرم سنة ١٤٠٧هـ، واستخرجت تصريح العمل الذي يخول لي السفر بأعجوبة عجيبة، وأمضيت ثلاثة أيام في الطريق كان هواني فيها شديدًا، ومع ذلك لم أكترث له؛ لما كان يحدوني من الأمل الكبير في لقاء الشيخ. ولما نزلت عمَّان، استقبلني الأخ الكريم أبو الفداء سمير الزهيري -جزاه الله خيرًا-؛ إذ أعانني في غربتي، وآواني في داره، وبعد الوصول بقليل، كلَّمنا الشيخ بالهاتف، فرحب بي غاية الترحيب، وقال لي: حللت أهلًا ونزلت سهلًا، ولم أصدق أذني! فأنا ذاهب إليه، وقد هيأت نفسي تمامًا على الرضا بالطرد إذا فعل الشيخ ذلك. وقد بدأني بالسلام، فرددت عَلَيْهِ السَّلَامُ بمثل ما قال، فقال لي: ما أحسنت الرد! فقلت: لم يا شيخنا؟ فقال لي: اجعل هذا بحثًا بيني وبينك إذا التقينا غدًا! وظللت ليلتي أفكر في هذا الأمر، ترى! ما وجه إساءتي الرد؟ حتى خمنت أن الراد ينبغي له أن يزيد شيئًا في رده؛ نحو: (وعفوه، ورضوانه)، ولم أكن وقفت على الحديث الذي قوَّى الشيخ فيه زيادة (ومغفرته) في الرد. وكان الشيخ يصلي الغداة في مسجد الفالوجة، بجوار منزل أبي الفداء، ولم أذق طعم النوم ليلتي بسبب تأملي المسألة التي طرحها الشيخ، ولم تكتحل عيني بنومٍ إلا قبيل الفجر، وراح عليَّ بسبب ذلك لقاء الفجر مع الشيخ، وكلمناه في الصباح، فأعطانا موعدًا عقب صلاة العشاء في منزل أبي الفداء. وكان لقاء

(١) الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، السعودية، الخبر، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ (ج١ ص١٣٩).

حارًّا، بدأني الشيخ بالعناق؛ لأنني لا يمكن أن أبدأه بذلك هيبةً له، وكان معنا في هذا اللقاء الأخ الفاضل أبو الحارث علي الحلبي -حفظه الله-، وجلسنا نحو ساعة ونصف الساعة نسأل، والشيخ يجيب، فلما تصرمت الجلسة، وخرجنا من الدار، انتحيت بالشيخ جانبًا، وشرحت له باختصار ما كابدته في السفر إليه، ولم يخرجني من بلدي إلا طلب العلم، فلو أذن لي الشيخ أن أخدمه وأساعده لأتمكن من ملازمته، فشكرني واعتذر لي؛ نظرًا لضيق وقته، فقلت له: أعطني ساعة كل يوم أسألك فيها، فاعتذر، فقلت له: أعطني ما يسمح به وقتك ولو كان قصيرًا، فاعتذر! فأحسست برغبة حارة في البكاء، وتمالكت نفسي بعناء بالغ، وأطرقت قليلًا، ثم قلت للشيخ: قد علم الله أنه لم يكن لي مأرب قط إلا لقاؤكم، والاستفادة منكم، فإن كنت أخلصتُ نيتي؛ فسيفتح الله لي، وإن كانت الأخرى، فحسبي عقابًا عاجلًا أن أرجع إلى بلدي بخفي حنين! وأنا سأدعو الله أن يفتح قلبك لي! ولست أنسى هذا الموقف ما حييتُ. ثم التقيت الشيخ في صلاة الغداة من اليوم التالي، فقبلتُ يده -وهذا دأبي معه-، فقال لي: لعل الله استجاب دعاءك! وكان فاتحة الخير، وكنت أكاد أوقن أن الله سيستجيب لي، وأن الشيخ سيقبلني عنده، لا سيما بعد أن قابلتُ الأستاذ أحمد عطية -وكان من معظمي الشيخ قبل-، فاستضافني في داره وقال لي: لما طبع كتابك (فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب)، اشتريتُ منه نسخة، وقرأته، فأعجبني أنه على طريقة الشيخ، وكان الشيخ يقول: ليس لي تلاميذ -يعنى على طريقته في التخريج والنقد- قال: فأرسلت هذا الكتاب إلى الشيخ، وقلت له: وجدنا لك تلميذًا، وراجعت الشيخ بعد ثلاثة أيام، فقال: نعم. قلت: لما قص عليَّ الأستاذ أحمد عطية هذه الحكاية ضاعف من أملي أن يقبلني الشيخ عنده. والله! لقد عاينتُ من لطف الشيخ بي، وتواضعه معي شيئًا عظيمًا، حتى إنه قال لي يومًا: صح لك ما لم يصح لغيرك، فحمدت الله ﷻ على جسيم منته، وبالغ فضله ونعمته. فمن ذلك أنني كلما التقيتُ به قبلتُ يده، فكان ينزعها بشدة، ويأبى عليَّ، فلما أكثر؛ قلت له: قد تلقينا منكم في بعض أبحاثكم في (الصحيحة) أنَّ تقبيل يد العالم جائزٌ. فقال لي: هل رأيت بعينيك عالمًا قط؟ قلت:

نعم، أرى الآن. فقال: إنما أنا (طويلب علم)، إنما مثلي ومثلكم كقول القائل: إن البغاث بأرضنا يستنسر!

وبدأتُ جلساتي مع الشيخ بعد كل صلاة غداة في سيارته، ولمدة ساعة، ثم زادت المدة حتى وصلت إلى ثلاث ساعات. واستمر هذا الأمر، حتى جاء يوم ولم يصّل الشيخ معنا صلاة الغداة، فحزنت لذلك لضياع هذا اليوم عليَّ بلا استفادة، واستشرتُ من أثق برأيه من إخواني: هل أذهب إلى الشيخ في بيته أم لا؟ فكان إجماعهم ألا أذهب؛ لأنك لا تعلم ما ينتظرك هناك، ولا يذهب أحد إلى الشيخ في بيته إلا بموعد سابق، فلربما ردك، فلا يكون بك لائقًا، لا سيما بعد المكانة التي صارت لك عند الشيخ. وتهيبتُ الذهاب، ولكن قوى من عزمي أمران: الأول: أن رفيقي آنذاك والذي كان يصحبني بسيارته الأخ الفاضل الباذل أبو حمزة القيسي -جزاه الله خيرًا- قد أيدني في الذهاب. الثاني: أنني استحضرتُ قصة لابن حبان مع شيخه ابن خزيمة ذكرها ياقوت بسنده إلى أبي حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري؛ قال: كنا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور، وكان معنا أبو حاتم البستي، وكان يسأله ويؤذيه، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة: يا بارد! تنحَّ عنى ولا تؤذنِي! أو كلمة نحوها، فكتب أبو حاتم مقالته، فقيل له: تكتب هذا؟ قال: أكتب كل شيء يقوله الشيخ. فقلت في نفسى: وما لي لا أفعل مثلما فعل ابن حبان؟! وحتى لو قال لي الشيخ مقالة ابن خزيمة؛ لعددتها من فوائد ذلك اليوم. وانطلقنا إليه، وكان من أفضل أيامي التي أمضيتها في هذه الرحلة، فقد استقبلني الشيخ استقبالًا كريمًا، وأمضيتُ معه أكثر من ساعتين، وكان يخدمنا بنفسه، ويأتينا بالطعام يضعه أمامنا، فكلما هممت أن أساعده؛ أبى عليَّ، ويشير أن اجلِسْ، ويقول: الامتثال هو الأدب، بل خير من الأدب. ويعني به أن الامتثال لرغبته في الجلوس خير من سلوكي الذي أظنه أدبًا؛ لأن طاعتي له هي الأدب، وكان يومًا حافلًا»[(١)].

إن الناظر في سير العلماء وكيفية تحصيلهم للعلم يقف فيما يظهر على سمت واحد

---

(١) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج١ص١٥).

في الغالب وإن اختلفت مراحل الطلب زمانًا ومكانًا وشخوصًا وعلومًا، وهو مشقة تحمل العلم والصعوبة في طلبه، فأنت ترى كيف أن الشيخ الحويني قد عانى أول أمره في طلبه للعلم وللحديث، ومعاناته تجسدت في قلة ذات اليد، وصعوبة ملازمته للشيخ، ومع هذا تجشم الصعاب من أجل رؤية الشيخ والأخذ عنه، ولو أردنا سوق الأمثلة، لما وسعها هذا البحث الموجز، بل ولا الدراسات الموسعة، وأنت خبير أن كتب السير حافلة بأخبار الطلب وما فيها من مشاق تحملها أهل العلم من أجل تحصيله والتحقق به، ويكفي الوقوف عند بعضها؛ فقد روى الخطيب بسنده عن نصر بن حماد الوراق: «كنا قعودًا على باب شعبة نتذاكر، فقلت: ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ، فجئت ذات يوم والنبي حوله أصحابه، فسمعته يقول: «**من توضأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم صلى ركعتين، فاستغفر الله إلا غفرَ له**»، فقلت: بخ بخ. فجذبني رجل من خلفي، فالتفت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: الذي قبل أحسن. فقلت: وما قال؟ قال: قال: «**من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت**». قال: فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل. فتنحيت من ناحية. قال: ثم خرج فقال: ما له يبكي؟ فقال له عبد الله بن إدريس: إنك أسأت إليه. فقال شعبة: انظر ما تحدث؛ إن أبا إسحاق حدثني بهذا الحديث عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر، قال: فقلت: لأبي إسحاق من عبد الله بن عطاء! قال: فغضب ومسعر بن كدام حاضر، قال: فقلت له: لتصححنَّ لي هذا أو لأخرقنَّ ما كتبتُ عنك. فقال لي مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة. قال شعبة: فرحلتُ إلى مكة لم أرد الحج، أردتُ الحديث، فلقيتُ عبد الله بن عطاء فسألته؟ فقال: سعد بن إبراهيم حدثني. فقال لي مالك: سعد بالمدينة لم يحج العام. قال شعبة: فرحلتُ إلى المدينة فلقيتُ سعد بن إبراهيم فسألته، فقال: الحديث من عندكم، زياد بن مخراق حدثني. قال شعبة: فلما ذكر زيادًا قلت: أي شيء هذا الحديث؟! بينما هو كوفي إذ صار مدنيًّا، إذ صار بصريًّا. قال: فرحلتُ إلى البصرة، فلقيتُ زياد بن مخراق فسألته؟ فقال: ليس هو من بابتك. قلت:

حدِّثني به. قال: لا ترده. قلت: حدِّثني به. قال: حدثني شهر بن حوشب، عن أبي ريحانة، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ. قال شعبة: فلما ذكر شهر بن حوشب قلت: دمِّر علي هذا الحديث، لو صح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحبَّ إليَّ من أهلي ومالي والناس أجمعين»[(١)].

وما دوَّنه الشيخ شفاه الله من صعوبات في رحلته إلى شيخه الألباني إنما هو في حقيقته صورة من صور كثيرة تمر بالعالم في جميع مراحل العلم، يستوي فيها ما كان طلبًا أو تعليمًا، فهو إذن سمتٌ عام يقدره الله على عباده ممن يوفقه لطلب العلم والتحقق به، لإظهار شرف العلم والاعتزاز بالانتساب إليه، ولهذا قيل: من لم يكن رُحْلَة لن يكون رُحَلَة»[(٢)].

ولعل من مشاق التحمل التي عانى منها، وتدخل في هذا السياق العام، ما ذكره الشيخ الحويني في مقدمة كتابه: (لؤلؤ الأصداف بترتيب المنتقى على الأطراف)، حين بدا له أن يقوم بتخريج أحاديث المنتقى لابن الجارود، ويميز صحيحه من ضعيفه، فقال: «فبدأت في ذلك عام ١٤٠٢هـ، وكانت البداية ضعيفة جدًّا، فقد كنت فقيرًا آنذاك، ولا أعرف من الكتب إلا أسماءها، فذهبت إلى مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة، فوجدت مكانًا للمطالعة منفصلًا عن المكتبة، فطلبت من أمين المكتبة أن يسمح لي بدخول المكتبة ليتسنى لي أن أخرِّج بعض الأحاديث، وهذا يتطلب النظر في كتب الأسانيد والرجال، فقال لي: هذا ممنوع، ولكن اطلب الكتاب الذي تريده، آتيك به في غرفة المطالعة، فأفهمته أن هذا مستحيل ولا بد من البحث بنفسي، والنظر في الكتب، وهي مع كثرتها، فأنا لا أدري أيوجد الحديث الذي أريد أن أخرجه فيها أم لا؟ ثم لو وجدت الحديث، فهذا يتطلب النظر في كتب الرجال، وأسماء الرجال كثيرة.. فقال لي: مع تقديري لما تقول فإن اللوائح تمنع ذلك. فأفهمته أنني جئت من مكان بعيد ويتعذر عليَّ أن آتي كل يوم: إما لفقري، وإما لانشغالي بكسب قوتي، وأنا طالب علم فينبغي لك أن تساعدني، وعبثًا حاولت،

---

(١) الرحلة في طلب الحديث، الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ، (ص١٤٩).

(٢) حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ، (ص٥١).

وصارت المسألة بيني وبينه أعقد من ذَنَب الضب. فقلت له: لله الأمر من قبل ومن بعد، ولكنك لن تتحملني. فلم يرد. فقلت مختبرًا دعواه: ائتني بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وبالكتب الستة، وتحفة الأشراف، وتهذيب التهذيب. فلما سمع هذا مني فغر فاه، وقال مستهجنًا طلبي: نعم يا أستاذ؟! أتريد هذا كله، اللوائح تقول: كتاب واحد، فإذا انتهيتُ منه أتيتك بغيره، فحاولت أن أُفهمه أن هذا متعذر جدًّا، فقال لي: اللوائح يا أستاذ! فتركتُ المكان ورأسي تغلي من الغيظ... وبعد أن سكتَ غضبي قلت لنفسي: فلأحاول غدًا، ربما وجدت موظفًا آخر يكون أهدى سبيلًا من (صاحب اللوائح)! فلما كان من الغد ذهبتُ إلى المكتبة، فوجدتُ نفس الموظف، فانكسرتْ نفسي، وهممتُ أن أغادر المكان، ولكنني تصبرتُ، وتذكرتُ الحكايات التي قرأتها في تراجم العلماء عن الذل في طلب العلم، وما حدث لهؤلاء النجباء، وقلت لنفسي: لست أفضل من واحد من هؤلاء، ثم إن الذل إذا اقترن بالحب صار لذة..»[1]، وقد ذكَّرني الشيخ الحويني بما قاله شيخنا الفقيه القاضي عبد الرحمن بن عبد الله بكير في مقدمة تحقيقه لكتاب: (مختصر تشييد البنيان) في فقه الشافعية للشيخ عمر بن محمد بن صافي السقاف المتوفى سنة ١١١٩هـ، عن الشيخ بارجاء الخطيب صاحب كتاب: (تشييد البنيان)، وهو تهذيب لكتاب نخبة أصول القواعد والأركان للعلامة ابن عِرَاق أو ابن عَرَّاق على خلاف في ضبط الاسم[2]، وهو الذي يؤكد أن أهل العلم على سمت واحد في العلم وهو مشقة طلبه، وإن اختلفت مشاربهم وتخصصاتهم العلمية، قال شيخنا حفظه الله: «ويبدو أن الشيخ بارجاء -عليه رحمة الله- من الفقراء المعدمين دنيويًّا، وأنه من غير المأبوه إليهم في مجتمعه لفقره، لذلك فإنه يشكو قلة الكتب لديه لعدم وجود المال الذي به يشتريها، وإنه ليشكو ممن لا يعيرونه ليستفيد ويفيد، لتعذر الإعارة، واستمع إليه في مقدمة كتابه، وهو يئن ويتألم، ويضرب الأمثال آنَّةً متألمةً مثله: قال: «ولا الداعي إلى جمع ذلك إلا لأني فقير ليس لدي

(١) لؤلؤ الأصداف بترتيب المنتقى على الأطراف، القاهرة، دار التقوى، ١٤٣٠هـ، (ج١ص٤).

(٢) يُنظر: الجمع بعد الفراق في إحكام ضبط المحدث ابن عراق، إياد خالد الطباع، بحث منشور في ملتقى أهل الحديث بتاريخ: ٣١/ ٣/ ٢٠١٥م، تاريخ الاستفادة: ٥/ ٦/ ٢٠١٥م.

ما أحصِّل به شيئًا من هذه الكتب الآتي ذكرها، وكما قيل في المثل: ثوب الإعارة ما يغطي ستارة، وكذا يقال: من كتبه عارية، فعلمه عارية، وفي وقتنا هذا تعذرت الإعارة إلى الفقير؛ لأنه ليس من أرباب الجاهات»[١].

لقد أثمرت رحلة الشيخ الحويني في طلبه للعلم بما فيها من مشاق مقرونة بلذة الطلب وهمة القلب، وشغف التحصيل، ثمارًا ناضجة لم تصبها جائحة، جعلت الشيخ من المقدمين في علم الحديث في العالم الإسلامي وغيره من بقاع المعمورة، وأضحت أحكامه الحديثية وفتاواه العلمية مجال تتبع طلبة العلم والباحثين فيه، بحيث تطمئن نفوسهم عند وقوفهم على حكم الشيخ على الحديث، من حيث الحكم عليه سندًا ومتنًا، ومن حيث فوائده المستنبطة منه فقهًا وأصولًا؛ لأنهم فيما نحسب أَوَوْا إلى ركن شديد في العلم، والمطلب اللاحق نخصصه للحديث عن ثمار الشيخ العلمية، وثناء أهل العلم المعاصرين عليه.

المطلب الثاني: ثمار وثناء:

إن من المتفق عليه بين أهل العلم، أن العلماء هم المُقَدمون من بين الناس، وغيرهم من الناس تبع لهم، فإنهم وإن غابت شخوصهم فآثارهم موجودة، قال عليٌّ رضي الله عنه: العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة[٢]. وعند تأمل كتب السير وأقوال أهل العلم في توصيف العلماء وبيان هديهم وسمتهم في العلم وطلبه وتعليمه وتبليغه، يدرك المرء أنه أمام بحر لُجي من العلم وقيمه وآدابه وهديه، وإن تفاوتت أقدارهم في العلم، وإن وجود العلماء بين أظهرنا يُعد علامة خير وهدى، ودلالة ظهور لهذا الدين، وضمانةً من الضلال، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا**

(١) من مقدمة شيخنا عبد الرحمن بكير في تحقيقه لكتاب: مختصر تشييد البنيان، عمر بن محمد بن طه الصافي السقاف، جدة، مطابع سحر، ١٤٠٧هـ (ص١٩).

(٢) قواعد في التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرياض، دار الوراق، ١٤١٥هـ (ص٢٠).

اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»(١). والحديث دليل على أن نجاة الخلق منوطة بوجود العلماء، فإن يُقبض العلماء يهلكوا. فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال: ذهاب العلماء. وذهاب العلماء معناه: هلاك الناس، فعن أبي جَنَاب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: يا أبا عبد الله: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم(٢). وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن قبض العلم أو رفعه يفضي إلى اختلال الدين وذهاب رسومه، ولا يبقى إلا شرار الخلق، وهم الذين تقوم عليهم الساعة(٣).

فبقاء الخيرية إذن مرهون ببقاء العلماء وظهورهم بين الناس، ولذلك أخبر رسولنا عليه الصلاة والسلام أن الأمة لا تخلو من قائم بأمر الله وداع إليه، فقال: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»(٤)، وقد ورد عن العلماء أقوال كثيرة في تحديد ماهية هذه الطائفة التي ينصرها الله تعالى، قال عبد الله بن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث. ومر الإمام أحمد على نفر من أصحاب الحديث يعرضون كتابًا لهم، فقال: ما أحسبُ هؤلاء إلا ممن قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة. وقال أيضًا: إن لم يكونوا أصحابَ الحديث فلا أدري من هم؟ وبمثله قال يزيد بن هارون، وقال علي بن المديني: هم أهل الحديث، هم أصحاب الحديث. وقال البخاري: وهم أهل العلم. ونقل الخطيب عنه قوله: يعني أصحاب الحديث... في غيرها(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ج١ ص٥٥)، رقم ١٠٠، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (ج٤ ص٢٠٥٨)، رقم (٣٦٧٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) قواعد في التعامل مع العلماء، مرجع سابق، (ص٥٧).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، القاهرة، دار أبي حيان، ١٤١٦هـ (ج١ ص٣٤١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون**» وهم أهل العلم، (ج٥ ص٢١٢)، رقم (٧٣١١). ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**»، (ج٣ ص١٥٢٤)، رقم (١٩٢٣)، واللفظ لمسلم.

(٥) صفة الغرباء، سلمان بن فهد العودة، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١١هـ، (ص٢٠٦).

ولا يقتصر مفهوم أهل الحديث على المشتغلين بالحديث تصحيحًا وتضعيفًا؛ ومرجع ذلك كون بعض المشتغلين بالحديث هم من أهل البدع والضلال، وليسوا من أهل السنة منهجًا وعقيدةً، وعليه فالمقصود بأهل الحديث: أهل السنة، المتبعون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﵃، المجانبون لطريقة أهل البدع، الملتزمون بالدليل في الاعتقاد والفقه، المستقيمون على الجادة في الخلق والعبادة والسلوك، فهم بهذا الاعتبار يقابلون المشتغلين بالرأي المنحرف من أهل الكلام الذين يقدمون العقل على النقل، ولا يرفعون بالنصوص رأسًا عند معارضتها لأقوالهم أو أقوال مشايخهم، وعمدتهم التقليد لا الاتباع[١].

ولا شك أن أولى من يطلق عليهم هذا الوصف -كما دلت عليه النقول أعلاه- هم أهل الحديث المشتغلون به تصحيحًا وتضعيفًا وعللًا، قال العلامة الشهاب المنيني الدمشقي في القول السديد: «إن علم الحديث علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر، لا يعتني به إلا كل حبر، ولا يُحرمه إلا كل غمر، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزةً وجلالةً، وكم عز به من كشف الله له من مخبآت أسراره وجلاله؛ إذ به يُعرف المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصود من حبله المتصل المتين، ومنه يُدرى شمائل من سما ذاتًا ووصفًا واسمًا، ويوقف على أسرار بلاغة من شرف الخلائق عربًا وعجمًا.. وناهيك بعلم من المصطفى ﷺ بدايته، وإليه مستنده وغايته، وحسبُ الراوي للحديث شرفًا وفضلًا، وجلالةً ونبلًا، أن يكون أول سلسلة آخرها رسول الله ﷺ، وإلى حضرته الشريفة بها الانتهاء والوصول، وطالما كان السلف الصالح يقاسون في تحمله شدائد الأسفار، ليأخذوه عن أهله بالمشافهة، ولا يقنعون بالنقل عن الأسفار...»[٢].

إن هذه التقدمة المتعلقة ببيان مكانة العلماء -وبخاصة أهل الحديث- في نصوص

---

(١) المرجع السابق، (ص٢٠٩).

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٥هـ، (ص٥٧).

الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من السلف والخلف، قصد بها الباحث تأصيلها نظريًّا في هذا المطلب من أجل تنزيلها تعيينًا على الشيخ العلامة أبي إسحاق الحويني، من باب تحقيق مناط الوصف على شخصه عند ظهور معالمه وجلاء صورته، وليس في هذا شيء من الغلو أو التجاوز، فلا زال أهل العلم من القرون الأولى حتى يومنا هذا يثنون على العلماء أحياءً وأمواتًا؛ تعبيرًا عن الاعتراف بحسن صنيعهم في الأمة تأليفًا وتحقيقًا وتعليمًا ودعوةً وتصحيحًا للمفاهيم، وفي هذا المطلب نستعرض بعض ثمار الشيخ العلمية على سبيل الإيجاز دون مراعاة الترتيب الزمني لها، ثم نتبعها ثناء العلماء المعاصرين على الشيخ بما هو أهله.

طائفة من مصنفات الشيخ أبي إسحاق الحويني:

أشرنا فيما سبق أن كتب الشيخ كثيرة جدًّا، أوصلها الأخ أحمد الوكيل إلى مائة وأربعة وخمسين مصنفًا ما بين مطبوع ومصفوف ومخطوط، وهي تربو على ذلك، وقصدنا بذكر هذه الطائفة من مصنفات الشيخ -حفظه الله- التنبيه على علو كعبه في العلم، وسمو همته، والتدليل على أن هناك من العلماء في عصرنا من له نَفَسُ السلف علمًا وهديًا وتصنيفًا، والتوصيف المنهجي الذي ألحقه الباحث بهذه المصنفات ليس من وضعه، وإنما اقتبسه من مقدمات الشيخ في كتبه.

أ. المؤلفات:

أولًا: تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد: وقصة الكتاب أن الشيخ الحويني -حفظه الله- عزم على تصنيف كتاب يدفع به الظلم الواقع على شيخه العلامة الألباني، ويرد الحق إلى نصابه، وسمى الكتاب: (الثمر الداني في الذب عن الألباني)، وجعله أربعة أقسام: الأول: ترجمة الشيخ. الثاني: محاكمة بين الشيخ وخصومه في علم الحديث. الثالث: محاكمة بين الشيخ وخصومه في الفقه وأصوله. الرابع: ما وقع في كتب الشيخ من أخطاء في التخريج والتعليل والتصحيف. وقد وضع الشيخ الحويني

لهذا القسم الرابع مقدمة ذكر فيها الأوهام التي وقع فيها كبار العلماء في كتبهم، ولم يكن قصده تتبع زلات العلماء، وإنما هي من باب الفائدة الشخصية وبيان وجه الحق، ثم ظهر له جعلها في كتاب مستقل، ولم يجعل التعقبات مرتبة، وإنما وضعها حسبما اتفق له، ومنهجه في الكتاب أنه إذا وقف على وهم ما للطبراني مثلًا إذ يقول عن الحديث: «تفرد به فلان». فإنه يذكره، فإذا وقف على متابعة يذكرها، وقد تُذكر المتابعة في كتاب أشهر من الكتاب الذي ذكره، فليس من شرطه أن يذكر ذلك، وإنما مقصوده بيان أنه لم يتفرد به، والمنشور من الكتاب ستة أجزاء حسبما وقفت عليه، وقد ذكر الأخ عمرو عبد العظيم الحويني في الترياق أنه سيطبع قريبًا في ستة عشر جزءًا.

ثانيًا: غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود: وهو كتاب قال عنه الشيخ: «وبهذا يتم تخريجنا لكتاب (منتقى ابن الجارود)، وهو تخريج وسط، لا هو بالطويل الممل، ولا بالمختصر المخل، رجوت به خدمة سنة نبينا محمد ﷺ، والله أسأل أن ينفع به، والحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا». وقد أهداه لشيخه العلامة الألباني قائلًا: «إلى شيخنا، وأستاذنا، وقدوتنا، حافظ الوقت، ونادرة العصر، ناصر الدين الألباني، الذي لو حلفت بين الركن والمقام، أنني ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه -أرجو أن لا أكون حنثت-. إلى شيخنا المفضال: أهدي هذا الكتاب». وللشيخ على الكتاب ملاحظات نبه عليها في كتابه لؤلؤ الأصداف قائلًا: «عليه بعض ملاحظات علمية؛ إما لقلة مراجعي، أو لحداثة سني في هذا الفن، وقد تلافيت هذا إلا ما شاء الله تعالى في تخريجي الموسع»، والتخريج الموسع لم يكمله الشيخ، وصل فيه إلى أثناء كتاب الصلاة، يسر الله إخراجه.

ثالثًا: لؤلؤ الأصداف بترتيب المنتقى على الأطراف: وهو ترتيب على كتاب المنتقى لابن الجارود، جرى فيه على طريقة الإمام المزي في (تحفة الأشراف)، ثم قارنه بعمل الحافظ ابن حجر في (إتحاف المهرة بأطراف العشرة)، منبهًا على ما فات الحافظ من أحاديث كتاب المنتقى.

رابعًا: الانشراح في آداب النكاح: مضمون الكتاب مجموعة من الآداب المتعلقة بالنكاح جملة دون قصره على آداب الزفاف، ومنهجه فيه ألا يورد حديثًا ضعيفًا؛ لأن منهجه فيه عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف مطلقًا كما هو مذهب طائفة من العلماء المتقدمين والمعاصرين، وإن أورد حديثًا ضعيفًا نظر في الطرق والشواهد التي تقويه.

خامسًا: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة: والكتاب هو أحد المشاريع القديمة للشيخ قصد أن يضمِّنه بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة بشرط ألا يسبقه إليها شيخه الألباني، ثم انصرف الشيخ عنها لانشغاله بمشاريع أخر، ثم طرأ على الشيخ أن يكتب مقالات بقصد الرد على بعض الأدعياء الذين ينالون من بعض الصحابة ﭫ، فنشر منها بعضها، ثم توقف بسبب إداري في الصحيفة، وآل الأمر إلى إخراج المقالات في كتاب من عدة أجزاء، يضمِّن كل جزء مائة حديث، صدر منها أربعة أجزاء.

سادسًا: بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن: قصد الشيخ بهذا الكتاب خدمة سنن النسائي وتقريبه إلى طلبة العلم، ومنهجه في الكتاب: الحكم على سند الحديث حسب القواعد العلمية الدقيقة التي وضعها أهل الحديث، والترجمة لرجال الإسناد باختصار، ثم تخريج الحديث من كتب السنة المطبوعة والمخطوطة، ثم الالتزام ببيان قول الترمذي: «وفي الباب عن فلان وفلان». وتتبع الطرق وعللها مع الترجيح، وتخريج الأحاديث التي خرجها النسائي والترمذي دون ما انفرد به الترمذي، وقد وضع الشيخ للكتاب مقدمة سماها: (الإمعان مقدمة بذل الإحسان)، ضمَّنها ثلاثة أجزاء فصَّل مضامينها في مقدمة الكتاب، فلتراجع؛ فإنها مهمة.

سابعًا: جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب: وهو نقد لكتاب: (المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم: لم يصح شيء في هذا الباب) لأبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي، والمصنف استقى كتابه كاملًا من كتابين لابن الجوزي: الأول: الموضوعات. والثاني: الواهيات. وقد انتقده الشيخ الحويني نقدًا علميًّا في أكثر من ثلث الكتاب، وجعل

الباقي تعقبات زيادة في التوضيح، وكان الشيخ قد أخرج مختصرًا مستلًّا من هذا الكتاب عنوانه: (فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب)، وقد نبه الشيخ في مقدمة كتابه «جنة المرتاب» على الخطأ الطباعي في عنوان الكتاب: بإضافة ابن قدامة، ونبه عليه أيضًا في مقدمة كتابه: (نهي الصحبة عن النزول بالركبة).

ثامنًا: نهي الصحبة عن النزول بالركبة: وهو من أوائل كتب الشيخ، وقد خصه بتأصيل مسألة النزول إلى السجود في الصلاة، هل يكون على الركبة، أو على اليدين؟ وقد اختار الشيخ -حفظه الله- النزول على اليدين، وذكر أدلته في ذلك، وأقوال من رجحه من العلماء، وقد رد في هذه الرسالة على الإمام ابن القيم في زاد المعاد الذي رجح أن النزول على الركبة، وقدم الشيخ بين يدي هذه الرسالة مقدمة ضمَّنها دفاعًا عن شيخه العلامة الألباني، والرد على مخالفيه، وبيان وجه الحق فيها.

تاسعًا: كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء: وهو جزء حديثي خرَّج فيه الشيخ حديث التسمية عند الوضوء بجمع طرقه وشواهده، مرجحًا ثبوت الحديث، وأنه حسن بشواهده، وهو الذي يطلق عليه علماء الحديث: الحسن لغيره، وقد ضمَّن الجزء مسألة اصطلاحية (الحسن لغيره) وتحرير ثبوته، وقول العلماء في ثبوته، وضمَّنه أيضًا ذكر من ثبَّت الحديث، والرد على من ضعَّفه.

عاشرًا: صحيح القصص النبوي: وفيه مجموعة من القصص والأخبار النبوية الصحيحة، مبينًا درجة الحديث مع تخريج مختصر، وأتبعه بشرح غريب الحديث، وقصد به توثيق هذه القصص والأخبار فيستفيد منه الخطيب والواعظ، والجزء الأول منه ضمَّنه خمسين حديثًا، علمًا أن هذه الرسالة مستلة من حيث الأصل من كتاب: (إسعاف الجريح بالقصص النبوي الصحيح)، ولم يكمله الشيخ حفظه الله.

حادي عشر: سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي: وهو رد علمي على الشيخ محمد الغزالي في كتابه: (السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الفقه)، ضمَّنه جملة

قواعد على منهج السلف في فهم النصوص وكيفية الاستدلال بها، بعد مقدمة ضافية ذكر فيها المآخذ على الكتاب، وأظهر شرف أصحاب الحديث.

ب. التحقيقات والفتاوى:

أولًا: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي: وهو حاشية على الصحيح اعتنى فيها بضبط الألفاظ، وتفسير الغريب، وإعراب لفظ مشكل أو ذكر مبهم، دون أن يتعرض للأحكام الفقهية، وصنيع المحقق -حفظه الله- تحقيق النص، وتعقب المصنف في هناته، وخاصة ما يتعلق بمسائل العقيدة التي لم يجرِ فيها على منهج السلف.

ثانيًا: فضائل القرآن للحافظ ابن كثير: وقد جرى فيه على منوال البخاري، فذكر متنه وخرَّج أحاديثه، وعلق عليها تعليقات يسيرة، ثم أردف ذلك بباب جامع، سرد فيه طائفة من جياد الأحاديث، وصنيع المحقق تخريج أحاديث الفضائل تخريجًا مختصرًا، والحكم عليها بما يناسبها تصحيحًا وتضعيفًا.

ثالثًا: الخصائص والأجزاء والرقائق: وهي كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للإمام النسائي، وكذلك التهذيب له، الجزء فيه الثاني من حديث الوزير أبي القاسم الجراح، والجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي من حديث ابن هارون عن شيوخه، وجزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم للحافظ أبي بكر المقرئ، جزء فيه: مجلسان من إملاء النسائي، وكتاب الأمراض للمقدسي، وكتاب الزهد لأسد بن موسى، وكتاب الصمت لابن أبي الدنيا، وكتاب البعث والنشور لأبي بكر ابن أبي داود.

رابعًا: إقامة الدلائل على عموم المسائل: وهو فتاوى الشيخ الحويني في جزئها الأول، وهي عبارة عن أجوبة على سؤالات للمستفتين طيلة ربع قرن، وقد جرى فيها الشيخ على منهج السلف فقهًا واستدلالًا.

ج. ثمار الشيخ الحويني بجهود بعض طلبة العلم:

أولًا: المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة: تصنيف وانتقاء أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل في جزئين ضمَّنهما ألف حديث، بواقع خمسمائة حديث في كل جزء.

ثانيًا: مستدرك أبي إسحاق الحويني على أبي عبد الله الحاكم النيسابوري: لأبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل، وهو عبارة عن ردود على أوهام وقعت من الحاكم، واستدراكات عليه جُمعت من كتب الشيخ الحويني، ويقع في أربعة أجزاء.

ثالثًا: نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني: وهو جمع لتراجم الرجال التي ذكرها الشيخ في مصنفاته المطبوعة والمخطوطة، جمعه وأعده الوكيل أيضًا، ويقع في أربعة أجزاء.

رابعًا: الترياق بأحاديث قواها الألباني وضعفها الحويني أبو إسحاق: وهو من إعداد الأخ أبي المنذر عمرو بن عبد العظيم الحويني، جمع فيه مائة وواحدًا وتسعين حديثًا من ثمانية وعشرين كتابًا من كتب الشيخ ما بين مطبوع ومخطوط، حكم عليها الشيخ بالضعف مخالفًا شيخه في ذلك.

ثناء العلماء المعاصرين على الشيخ الحويني:

إن ما يُعرف به العالم -بعد ظهور علمه، ورسوخ قدمه في مواطن الشُّبه، وخشيته لله وتقواه، ودروسه، وفتاواه، ومؤلفاته- شهادة مشايخه له بالعلم، فقد دأب علماء المسلمين من سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان على توريث علومهم لتلامذتهم، الذين يتبوؤون من بعدهم منازلهم وتصبح لهم الريادة، والإمامة في الأمة، ولا يتصدر هؤلاء التلاميذ حتى يروا إقرار مشايخهم، لهم بالعلم، وإذنهم لهم بالتصدر، والإفتاء، والتدريس. قال مالك: لا ينبغي لرجل يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه، وما أفتيتُ حتى سألتُ ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك، ولو نهياني لانتهيت[1]. وقال أيضًا: ليس

(١) قواعد في التعامل مع العلماء، مرجع سابق، (ص٢٦).

كل من أحب أن يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس، حتى يشاور أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلًا لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك[١].

والعلامة الحويني -شفاه الله ومتع بعلمه- ينطبق عليه هذا الأصل المنهجي، فقد أثنى عليه مشايخه ومعاصروه من أهل العلم في بدايات نبوغه العلمي، حتى أضحى اليوم فيما نحسبه أبرز محدثي هذا العصر بعد شيخه الألباني؛ كما شهد له بذلك الفضلاء من العلماء، وفي الآتي طائفة من شهادات الثناء والاعتراف بالفضل والعلم للشيخ الحويني، تُنْظِمُه في السلسلة المباركة من بقايا السلف منهجًا وعلمًا ودعوةً وفضلًا، وسنقتصر على ما هو مدون وموثق في الكتب دون غيره مع كثرته؛ دفعًا لمشاغبة أهل الجرح والتجريح:

أولًا: ثناء شيخه الألباني رَحِمَهُ اللهُ عليه: قال الشيخ في السلسلة الصحيحة: «ونبه على ذلك صديقنا الفاضل أبو إسحاق الحويني في كتابه القيم: (غوث المكدود في تخريج منتقى ابن الجارود)، وقد أهدى إليَّ الجزء الأول منه، جزاه الله خيرًا»[٢]. وقال أيضًا في رده على بعض المخالفين: «وبسطُ القول في بيان عوار كلامه في تضعيفه إياها كلها يحتاج إلى تأليف كتاب خاص، وذلك مما لا يتسع له وقتي، فعسى أن يقوم بذلك بعض إخواننا في هذا العلم كالأخ علي الحلبي، وسمير الزهيري، وأبي إسحاق الحويني، ونحوهم»[٣]. وقال أيضًا: «ولقد كان من دواعي تخريج حديث الترجمة بهذا التحقيق الذي رأيته: أن أخانا الفاضل (أبا إسحاق الحويني) سئل في فصله الخاص الذي تنشره مجلة التوحيد الغراء في كل عدد من أعدادها، فسئل -حفظه الله وزاده علمًا وفضلًا- عن هذا الحديث في العدد الثالث، ربيع أول-١٤١٩ فضعفه، وبين ذلك ملتزمًا علم الحديث وما قاله العلماء في رواة إسناده، فأحسن في ذلك أحسن البيان، جزاه الله خيرًا، لكني كنت أود وأتمنى له

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد أحمد إسماعيل المقدم، الرياض، دار طيبة، ١٤١٩هـ، (ص٣٩٧).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ، (ج٥ ص٥٨٥).
(٣) المرجع السابق، (ج٢ ص٧٢٠).

أن يتبع ذلك ببيان أن الحديث بأطرافه الثلاثة صحيح؛ حتى لا يتوهمنَّ أحد من قراء فصله أن الحديث ضعيف مطلقًا سندًا ومتنًا، كما يشعر بذلك سكوته عن البيان المشار إليه. أقول هذا؛ مع أنني أعترف له بالفضل في هذ العلم»(١). ونقل الشيخ الحويني في كتابه بذل الإحسان ثناء الشيخ الألباني على كتابه، قال العلامة الحويني: «وقد بادر بعض أهل الخير والفضل من إخواننا، فأرسلوا نسخًا من هذا الكتاب إلى شيخنا الشيخ الإمام، حسنة الأيام، ناصر الدين الألباني، فأثنى عليه خيرًا.. وجاءني بعض الإخوة بشريط تسجيل سجله مع الشيخ الألباني، وسأله فيه عن أفضل الشروح على السنن الأربعة وموطأ مالك، فلما جاء ذكر سنن النسائي قال الشيخ: «أنا لا أعلم أو لم أطلع على كتاب يفيد في هذه الناحية من كتب القدامى، لكن وصلني أخيرًا جزء لأحد المشتغلين بالحديث من الشباب في مصر ولعل اسمه -حجازي-»، فقال له الأخ: هناك في مصر كتاب اسمه (بذل الإحسان)، قال الشيخ: «هو هذا، فهو يتوسع في الكتاب، في التخريج مع بيان صحة الأحاديث من ضعفها، وهو في الواقع من الكتب المفيدة بالنسبة لما يؤلف في هذا العصر». ولما قابلت الشيخ في عمان سنة ١٤٠٧هـ سألته عن الكتاب، فقال لي بالحرف الواحد: قوي، قوي، ما شاء الله»(٢).

ثانيًا: ثناء الشيخ محمد الأمين بوخبزة الحسني: قال عن الشيخ الحويني: «إمام المحدثين في ربوع مصر أبو إسحاق الحويني سلمه الله وأيده، وقد أحيا الله به رسوم الحديث والإسناد، وذكرى الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوي رغم أنف المعاندين، فبعد وفاة أبي الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر لم يأت من يخلفه حتى أنجبت (حوين) بالقرب من مدينة كفر الشيخ هذا العلامة الأحوذي الذي ثافن الشيخ الألباني، ونفض كتبه، وسار على دربه، حتى شهد بقوته، واعترف بإمامته، وأصغى إلى تعقباته، وهذه كتبه وتحقيقاته بالعشرات تشهد بشفوفه، وعلو كعبه»(٣).

(١) المرجع السابق، (ج٧ص١٦٧٦).

(٢) بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن، القاهرة، مكتبة التربية الإسلامية، ١٤١٠هـ (ج١ص٦).

(٣) صحيفة السوابق وجريدة البوائق، محمد الأمين بوخبزة، منشور بموقع أهل الحديث، تاريخ النشر: ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٧م، تاريخ الاستفادة: ٧/ ٦/ ٢٠١٥م.

ثالثًا: ثناء الشيخ إبراهيم حمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أكون مغاليًا ولا مبالغًا إذا قررت هنا أنه لم يأت بعد شيخ مصر الأشهر الجبل الحافظ الإمام أحمد بن محمد شاكر -رحمه الله تعالى- من سيكون مثله في العلم بفنون هذه الصنعة من هذا الفتى المصنف، ويقيني أنه لو امتدت به حياة فوالله لنرينَّ منه عجبًا عجابًا»(١).

رابعًا: ثناء الشيخ المحدث الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم: «الشيخ الحويني حجة على طلبة العلم المقصرين؛ لأنه لم يتح له الانقطاع لطلب العلم، لكنه عوض ذلك باطلاعه الخاص، وقد قرأت له قبل أن ألقاه، وفي كتابه (خصائص علي) للإمام النسائي، فيذكر الخلاف على الراوي، فيخرج هذا الخلاف، ويبين الراجح والمرجوح، وهذا رقي في النفس لا تجده إلا عند قلائل»(٢).

خامسًا: ثناء الشيخ المحدث مشهور بن حسن آل سلمان: «أشهد الله أن أبا إسحاق من علماء الحديث، ومن أهل العلم الراسخين فيه، ولم أر شيخنا الألباني فرحًا بأحد كما رأيته فرحًا بقدوم الشيخ أبي إسحاق، ومجالسه مع الشيخ محفوظة تنبئ عن علم غزير، بل عن تدقيق، قل أن يصل إليه أحد»(٣).

سادسًا: ثناء شيخنا المحدث الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله الحُمَيِّد: وهنا أخالف شرطي المتقدم؛ لأن سندي في هذا الثناء متصل، ومنقول بأقوى صيغ السماع، فقد سمعت شيخنا الحُمَيِّد حفظه الله تعالى، سئل في عدة مجالس إبان زيارته لحضرموت قبل ما يقرب من عشرة أعوام عن أبرز من خلف الشيخ الألباني في علم الحديث، فذكر عدة علماء، وذكر منهم بمصر الشيخ أبا إسحاق الحويني.

---

(١) من تقديم الشيخ حمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب الانشراح في آداب النكاح للشيخ الحويني، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ (ص١٢).

(٢) السيرة الذاتية للشيخ أبي إسحاق الحويني، الموقع الرسمي للشيخ، تاريخ الاستفادة: ٧/ ٦/ ٢٠١٥م.

(٣) المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة التي خرجها فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، المنصورة، مكتبة ابن عباس، (ج١ ص٧).

سابعًا: ثناء فضيلة الشيخ عبد العزيز الراجحي: وقد سأله سائل: على من أطلب العلم في مصر؟ فأجابه الشيخ: أبو إسحاق الحويني، الشيخ أبو إسحاق محدث، من علماء الحديث[١].

(١) السيرة الذاتية للشيخ أبي إسحاق الحويني، الموقع الرسمي، تاريخ الاستفادة: ٧/ ٦/ ٢٠١٥م.

المبحث الثاني

مصادر التلقي وقواعده عند العلامة الحويني

لا مراء في أن تنزيل الوحي من حيث العموم كان مقصوده تحقيق مصالح الخلق في العاجل والآجل، فأوامر الشريعة دائرة مع المصالح خالصة كانت أو غالبة، ونواهيها دائرة مع المفاسد خالصة أو غالبة، بغض النظر عن ظهور الحكمة أو عدمها؛ لأن الأصل الامتثال والطاعة والاستسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، قال ابن القيم: «فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ورسوله في أي مسألة من المسائل حكم طلبي أو خبري، فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلًا، فدل على أن ذلك مناف للإيمان»(١)، وقال أيضًا: «قطع سبحانه التخيير بعد أمره وأمر رسوله. فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع، لا واجب الاتباع»(٢)، ومرجع الإلزام -إذا أردنا تلمس القصد والحكمة- أمران:

الأول: أن خيرة الله خير لنا من خيرتنا لأنفسنا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكان من مقتضى ذلك جعل الخلق كلهم في إطار العبودية الاختيارية دون الاقتصار على العبودية الاضطرارية؛ قال الشاطبي: «إن الشرع جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم السلام؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ

(١) مجموع الرسائل، الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، (ص٤٠).

(٢) زاد المعاد في خير هدي العباد، ابن قيم الجوزية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠، (ج١ص١١).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ١-٢].. وما أشبه ذلك من الآيات التي لا تكاد أن تحصى، كلها دال على أن المقصود التعبد لله، وإنما أتوا بأدلة التوحيد ليتوجهوا إلى المعبود بحق وحده، سبحانه لا شريك له، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]»[1].

والثاني: أن التنزيل متضمن للهداية على وجه العموم زمانًا ومكانًا وشخوصًا وأحوالًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولذلك كان وصف الشريعة العموم ليتناسب مع جعلها خاتمة الشرائع والكتب والنبوات، قال ابن عاشور: «فعموم الشريعة ساير البشر في سائر العصور مما أجمع عليه المسلمون. وقد أجمعوا على أنها مع عمومها صالحة للناس في كل زمان ومكان. ولم يبينوا كيفية هذه الصلاحية. وهي عندي تحتمل أن تتصور بكيفيتين: الكيفية الأولى: أن هذه الشريعة قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.. الكيفية الثانية: أن يكون مختلف أحوال العصور والأمم قابلًا للتشكيل على نحو أحكام الإسلام دون حرج ولا مشقة ولا عسر، كما أمكن تغيير الإسلام لبعض أحوال العرب والفرس والقبط والبربر والروم والتتار والهنود والصين والترك من غير أن يجدوا حرجًا ولا عسرًا في الإقلاع عما نزعوه من قديم أحوالهم الباطلة»[2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام»[3].

فهذه إشارات منهجية قصدنا بها التمهيد للحديث عن منهج التلقي بوجهه العام عند العلماء المحققين، وبوجهه الخاص عند العلامة أبي إسحاق الحويني، ولو تأملنا نصوص

---

(١) الموافقات، مرجع سابق، (ج١ص٧٤).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ (ص٢٧٤).

(٣) الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٣٥هـ، (ج٢ص٢٢٦).

العلماء من أهل السنة في هذه المسألة المنهجية الأصولية؛ لأدركنا أنها ملكت عليهم كل شيء دون غيرهم من المفارقين لمنهجهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الأولون، فلم يوجد لهم مذهب تام مبتدع بمنزلة مبتدعة المتكلمين في المسلمين مثل: أبي الهذيل، وهشام بن حكيم، ونحوهما، ممن وضع مذهبًا في أبواب أصول الدين، فاتبعه على ذلك طائفة؛ إذ كان أئمة المسلمين -مثل مالك، وحماد بن زيد، والثوري، ونحوهم- إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء، فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين، يعتاض عنه بما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك فيهم.. وهكذا إذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم، مبينين لحقهم، مميزين بين حق ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك»[(١)].

وبهذا التأصيل المنهجي نستطيع بإذن الله الوقوف على الكيفية التي بنى بها الشيخ الحويني منهجه في التلقي، وما تضمنه من مصادر إلزامية أسس عليها علمه ودعوته، والقواعد المنهجية التي استند عليها في التأصيل العلمي وما تضمنه من استنباطات واستدلالات حديثية وفقهية، علمية وعملية. ومن باب التنبيه فإن المنهجية التي يتبعها الباحث في هذا المبحث والذي يليه مبنية على التتبع والاستقراء الناقص، وانتقاء المواضع التي تتعلق بموضوع البحث ومضمونه؛ وهذا الانتقاء باعتقاد الباحث له فائدته في البحوث والدراسات الموجزة، فإنه بالضرورة ينبه على أمثاله.

المطلب الأول: مصادر التلقي عند العلامة الحويني:

يدور مفهوم «التلقي» حول معاني الاستماع والاستمداد والأخذ والتلقين والتنزيل، قال الراغب: «اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته معًا، وقد يعبر به عن كل واحد منهما، يقال: لَقِيَهُ يَلْقاهُ لِقاءً ولُقِيًا ولُقْيَةً، ويقال ذلك في الإدراك بالحس، وبالبصر، وبالبصيرة»[(٢)]،

---

(١) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، (ج٤ص٨٤).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دمشق، دار القلم، ١٤٣٠هـ (ص٧٤٥).

ويقصد به في الاصطلاح: استمداد العلم واستخراجه من مصدره[١]. ومقصودنا بمصادر التلقي: مصادر الأحكام الشرعية ومواردها التي تدل على المطلوب عقيدة كان أو شريعة بمختلف الدلالات[٢]، قال الشافعي: «فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامًّا ظاهرًا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعامًّا ظاهرًا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعامًّا ظاهرًا يراد به الخاص. وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غيره ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره»[٣].

وإن من مسلمات المنهج السلفي ودعوته أن مصادر التلقي عند أتباعه هي: الكتاب والسنة وإجماع السلف، قال اللالكائي: «إن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلايل واليقين والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين. وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله المبين، ثم قول رسول الله ﷺ، وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون. فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة والآثار المحفوظة المنقولة وطرايق الحق المسلوكة والدلايل اللايحة المشهورة والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين. ثم من اقتدى بهم من أئمة المهتدين واقتفى آثارهم من المتبعين واجتهد في سلوك سبيل

---

(١) مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، المنصورة، دار الهدي النبوي، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٣٦هـ (ص٧٢).

(٢) مصادر الأحكام الشرعية، السلطان صالح بن غالب القعيطي اليافعي، جدة، دار المحمدي، ١٤٣٠هـ (ج١ ص١١).

(٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق العلامة أحمد شاكر، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ (ص٥١).

المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فمن أخذ في مثل هذه المحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أمن في دينه التبعة في العاجلة والآجلة وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها واتقى بالجنة التي يتقي بمثلها ليتحصن بحمايتها ويستعجل بركتها ويحمد عاقبتها في المعاد والمآل إن شاء الله. ومن أعرض عنها وابتغى في غيرها مما يهواه أو يروم سواها مما تعداه أخطأ في اختيار بغيته وأغواه، وسلكه سبيل الضلالة، وأرداه في مهاوي الهلكة فيما يعترض على كتاب الله وسنة رسوله بضرب الأمثال ودفعهما بأنواع المحال والحيدة عنهما بالقيل والقال مما لم ينزل الله به من سلطان...»(١).

وهذا الأصل المكين الذي جرى عليه السلف وأتباعهم قد أخذ به وتلقاه العلامة الحويني، فأُشرب به قلبه وعقله وفكره، وأضحى ديدنه الذي لا ينفك عنه في سرائه وضرائه، في صحته ومرضه، في فقره وغناه، فانساق يجري على لسانه ويده ثمارًا وأُكُلًا تستقي منها فروعه وأفنانه، وشهد بذلك القاصي والداني، والرائي والسامع، والعالم والمتعلم، وأضحت مصنفاته وعلومه تنطق بما نطق به حافظ إبراهيم:

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل ساءلوا الغواصَ عن صدفاتي؟!

ولأننا اشترطنا في منهجية بحثنا ألا نورد إلا ما كان مدونًا ومطبوعًا ومنشورًا؛ بقصد التوثيق، وإلا فإن هذا الأصل قد ملأ به الشيخ الآفاق دروسًا وبرامج ولقاءات وندوات، فنسوق ما خطه يراع شيخنا المبارك من فيه في بناء علمه على هذه الأصول الجامعة المجمع عليها سلفًا وخلفًا، قال الشيخ في سياق أخذ هذه الأصول وتلقيها وكلام الأئمة فيه: «ولما منَّ الله علينا أن نتفقه في دين الله تبارك اسمه اقتفينا أثر هؤلاء السادة العلماء ممن ذكرنا، فحرصنا على اتباع الدليل قرآنًا وسنة على أوثق أصول أهل العلم، طارحين التكلف والتمحل في رد الأدلة؛ إذ عافانا الله من داء التعصب، واقتفينا أثر العلماء الداعين إلى اتباع السنة والحمد لله تعالى»(٢)، وهذا التأصيل ذكره الشيخ عقب سوقه منهج

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الإمام اللالكائي، الرياض، دار طيبة، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ١٤١٦هـ، (ج١ص٧).

(٢) فتاوى أبي إسحاق الحويني المسمى: إقامة الدلائل على عموم المسائل، مصر، دار التقوى، ١٤٢٩هـ (ص٢٣).

السلف وأتباعهم في التلقي والتمسك بما عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون وتابعوهم، والمنهجية التي ساروا عليها في تعاملهم مع هذه الأصول، بحيث لا يقتصرون على النظر المجرد الذي سار عليه المتأخرون، فصار الأصل الذي حكموه في علمهم هو العقل والتقليد والمحاكاة، ورد فهم السلف والأئمة المحققين في تعاملهم مع الكتاب والسنة وإجماع السلف، ومما قاله الشيخ في هذا السياق بتصرف: «منَّ الله على هذه الأمة ببعثة النبي ﷺ، فزكى النفوس بالوحي المنزل، ثم بثباته على الحق، حتى ثابتِ القلوبُ إليه، وصار مرجعهم في كل نائبة تنوب، يستفتونه في كل ما يعرض لهم، ولا يتجاوزون قوله، ويبتدرون أمره بعد ما أدبهم الله تعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ونفى الله -جل ثناؤه- الإيمان عمن لا يحكم الرسول ﷺ فيما شجر بينه وبين غيره، فقال جل من قائل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقد أخرج البخاري من حديث عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير حدثه؛ أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخيل. فقال الأنصاري: سرِّح الماء يمر. فأبى عليهم. فاختصموا عند رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ للزبير: «**اسقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك**» فغضب الأنصاري. فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك!. فتلون وجه نبي الله ﷺ. ثم قال: «**يا زبير اسقِ. ثم احبِسِ الماء حتى يرجع إلى الجدر**». فقال الزبير: والله! إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾. وذكر الله -جل ثناؤه- وجوب طاعة النبي ﷺ في نحو من سبعين موضعًا في كتابه، فعلم الصحابة ذلك والتزموه، وما كانوا يسمحون لأحد قط أن يخالفه في دقيق ولا جليل، ويجعلون هذا حدًّا فاصلًا في الموالاة والمعاداة، ولهم في ذلك وقائع مشهورة... وقد ورَّث الصحابةُ التابعين هذا النفسَ الزكي، والتابعون تابعيهم وهكذا.. ولا زال هذا النفس الزكي يسري في أوصال هذه الأمة جيلًا

بعد جيل، وكان كأنه المثل السائر عن جميع أئمة الإسلام. وللأئمة الأربعة كلام مشهور في هذا. قال الإمام أبو حنيفة: «إذا جاء الحديث عن النبي ﷺ فعلى العين والرأس، وما جاء عن أصحابه اخترنا، وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال». وقال الإمام مالك: «ما من أحد إلا ويُؤخَذ من قوله ويُترَك، إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي ﷺ». وقال الإمام الشافعي: «كل ما قلت، وكان قول رسول الله ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني». وقال الإمام أحمد: «لا تكتبوا عني شيئًا، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلانًا وفلانًا، وفي رواية: مالكًا، والشافعي، والأوزاعي، ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا»(١).

وقال الشيخ كذلك في السياق ذاته: «ولعل الناظر فيما علقته على الكتاب يعلم حقيقة اعتقادي، وأنني -ولله الحمد- على مثل اعتقاد السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين كمالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أهل العلم، ومنذ طلبتُ العلم -منذ عشرين عامًا- لم أنتحل بدعة قط -بحمد الله- لا في الاعتقاد ولا في العمل، وأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي من عمري، حتى ألقاه على التوحيد الخالص»(٢).

والذي ينظر في كتب الشيخ ويبحر فيها، يدرك أنه -وفي أثناء ممارسة صناعته الحديثية تصحيحًا، وتضعيفًا، وتتبعًا، وتعليلًا- يستحضر هذه الأصول ويجعلها الأساس الذي يبني عليها علمه؛ لأنها هي الأصل عنده، والصناعة الحديثية وسيلته، ومن ذلك قوله في «تنبيه الهاجد» في سياق حديث سهل بن سعد في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، المخرَّج في الصحيحين: «قلت: فثبت بهذا التخريج صحة الحديث، ولا عجب أن يستبعد فخر الدين الرازي مثل هذا الحديث مع كونه

(١) المرجع السابق، (ص٦-١٤)، وقد ساق الشيخ أحاديث وأخبارًا وآثارًا كثيرة تدل على تمسك السلف وأتباعهم بهذا الأصول، والتحذير من مخالفتها، ولم نسقها خشية التطويل، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، والبعض ينبه على بعضه الآخر.

(٢) من مقدمة تحقيقه لكتاب: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، مرجع سابق، (ج١ص٦).

في الصحيحين، فإن الرجل قضى حياته في محاربة السنن ووضع الأصول الفاسدة لردها، وقد اعترف في آخر حياته بندمه، قال الذهبي في السير (٢١/ ٥٠١): «وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر...»، ومثله ابن الجويني، وأشد منهما الزمخشري وأضرابه الذين لا يعرفون قبيلًا من دبير، حتى قال قائلهم: لمَ تُسلِّمون لأمثال البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، وهم ليسوا معصومين، كأننا ادعينا أنهم ملائكة كرام لا يخطئون، ولكن هؤلاء لجهلهم بأقدار العلماء وبطرائق تلقي العلم قالوا هذا الكلام. وكتاب البخاري ومسلم تلقتهما الأمة بالقبول، وقد قرئ الصحيحان على مئات الألوف من العلماء في سائر القرون الماضية فمن معترض، ومن مذيل، ومن شارح، ومع ذلك لم يدَّعِ واحد منهم أن في الكتاب أحاديث مكذوبة، وأجمعوا على جلالة مؤلفيها، وغزارة علمهم، وفهمهم للمعاني وقواعد قبول الأخبار، ولا يزال في كل عصر من يتبنى مذهب الرازي الذي تاب منه وندم عليه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]»[١]، ومن ذلك قوله في سياق اختلاف العلماء حول حياة الخضر وموته: «فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة. فهذا كتاب الله تعالى. فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟! وهؤلاء علماء الأمة: هل أجمعوا على حياته؟»[٢].

وفيما يأتي بيان هذه المصادر عند العلامة الحويني:

أولًا: القرآن الكريم: للقرآن الكريم خصوصية منهجية لا يدانيها غيره من الكتب؛ ومرجع ذلك أن القرآن له خصائص وسمات منهجية انفرد بها تتناسب مع جعله كتابًا خاتمًا؛ وأبرزها خاصية الاستيعاب والتجاوز، ومقتضاها أن القرآن يستوعب الحاجات البشرية بمختلف صورها ومظاهرها، ثم يتجاوزها إلى غيرها، وهذا الذي نص عليه أهل

(١) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج٢ص٣٧٨).

(٢) جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، للشيخ العلامة أبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ (ج١ص٨٠).

العلم في صلاحية القرآن للتنزيل في كل زمان ومكان، وهي صلاحية مطلقة لا يشاركه فيها غيره من الكتب، فمناطات القرآن لها القدرة المطلقة للتنزيل في مختلف المراحل الزمنية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ثم خاصية الهيمنة والتصديق، ومحورها أن القرآن الكريم بمنهجه الاسترجاعي جمع كل مقومات الحق والهدى الذي جاء في الكتب السابقة بعد تصفيتها وتهذيبها مما أصابها من تغيير وتبديل على يد أهل التحريف، وصادق على ذلك بجعل القرآن المجيد محفوظًا من أن تناله يد أهل التحريف التي أصابت ما سبقه من كتب وصحف، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وبهذا ينفرد القرآن بخاصية الاستهداء المنهجي كما دلت عليها بينات القرآن وسياقات الهدي النبوي وبيانه(١).

وعلى الرغم من أن الشيخ الحويني تغلب عليه الصناعة الحديثية، وهذه كتبه شاهدة عليه، فإنه -حفظه الله- لم يغفل عن القرآن الكريم في تقريراته العلمية وما رافقها من مواعظ وفوائد، بل خص القرآن الكريم بالتصنيف على منهج أهل الحديث، وأعني به تحقيق كتابي الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، وفضائل القرآن، على طريقة المحدثين في تخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها تصحيحًا وتضعيفًا، ومع هذا فإن الشيخ ضمَّن مصنفاته آيات قرآنية وقرنها بفوائد واستنباطات، ومن ذلك الحديث عن فضائل القرآن في كتابه: جنة المرتاب، حين استدرك على صاحب المغني بعض الآثار الدالة على فضائل القرآن زيادة على ما ذكره في متن الكتاب(٢)، وبيانه الاستشفاء بالقرآن الكريم باعتباره أحد وظائف القرآن في تحقيقه لكتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات للمقدسي(٣).

---

(١) ينظر: القرآن المجيد: دراسة حول المفهوم والمحددات المنهجية، د. فارس طالب العزاوي، حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠١٣هـ، (ص١٥).

(٢) ينظر: جنة المرتاب، مرجع سابق، (ص١٢٢).

(٣) كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات، ضياء الدين المقدسي، تحقيق الشيخ أبي إسحاق الحويني، القاهرة، دار ابن عفان، ١٤٢٠هـ (ص٥٠)، ومواضع أخر ساق فيها الشيخ كلام الإمام ابن القيم في زاد المعاد.

وأما استنباطاته وتخريجاته المنهجية من القرآن الكريم، فأكثر من أن تساق في هذا البحث الموجز، وحسبنا منها مثال أو مثالان؛ قال الشيخ شفاه الله: «قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة، ودعوته نوعان: مواجهة، ونوع بواسطة مبلغ، وهو مأمور بإجابة الدعوتين في الحالتين، وقد علم أن حياته في تلك الدعوة والاستجابة لها. ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالإجابة لما لا يفيد علمًا، أو يحييه بما لا يفيد علمًا، أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علمًا بأنه إن لم يفعل، عاقبه وحال بينه وبين قلبه -معاذ الله أن يتفوه بهذا عاقل!»(١)، وقال حفظه الله: «قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠]، ووجه الاستدلال أن كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما أنزل الله، وهو ذكر من الله أنزله على رسوله، وقد تكفل سبحانه وتعالى بحفظه، فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة، ولم يقم دليل على غلطه وسهو ناقله، لسقط ضمان الله وكفالته لحفظه، وهذا من أعظم الباطل»(٢)، وما تقدم معنا من نقولات الشيخ وإقراره مصدرية القرآن الكريم ومرجعيته المنهجية على فهم السلف يعد كافيًا للتدليل على أن القرآن الكريم يعد المصدر الأول من مصادر التلقي عنده، ولقد وقفت آخر الأمر على مقالين للشيخ حفظه الله تعالى؛ جعل الأول منهما دفاعًا عن منهج السلف وفهمهم في التعامل مع القرآن الكريم، والثاني بثَّ فيه أنَّاته وحسراته أن لم يجعل للقرآن عمره تلاوةً وتدبرًا.

فمما قاله في مقاله: (القرآنيون وبيان انحرافهم): «نحن أهل السنة نفهم القرآن ليس كما يزعم المنتسبون إليه ممن يسمون الأشياء بغير مسمياتها، يقولون: نحن القرآنيون.

---

(١) إقامة الدلائل على عموم المسائل، مرجع سابق، (ج١ ص٢١٤).

(٢) المرجع السابق، (ج١ ص٢١٥).

وهم ينكرون السنة! فقد تجد رجلًا مثلًا مبتدعًا، وبدعته كفرية، ومع ذلك لقبه (محيي الدين)!! فهؤلاء القرآنيون يقولون: نعمل بالقرآن فقط. فإذا سألتهم عن السنة قالوا: ليست من القرآن. وكذبوا؛ فإن الذكر قرآنٌ وسنةٌ، بإجماع أهل العلم. والمرء إذا أهمل السنة فلا بد أن يكذب على الله، ولو أخذ بالقرآن وحده فهو كاذب على الله ولا بد؛ لأننا إذا تركنا السنة جانبًا سنحل ما حرم الله»[١].

وقال سلَّمه الله في مقاله: (فيا ليتني أعطيتُ القرآن عمري): «يمكن الفترة الأخيرة التي منعنا فيها من ارتياد المساجد كانت فترة مباركة أن يعيد المرء قراءة القرآن مرة أخرى، قراءة السنة مرة أخرى؛ لأن كثرة الدروس وكثرة مخالطة الناس تذهب بكثير من طمأنينة القلب، فلما أتيح لنا أن نخلو بكتاب ربنا وبسنة نبينا ﷺ، انكشف كثير من الغطاء، وتذكرت شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه قضى حياته في جهاد كل الفرق المخالفة للكتاب والسنة، ولكنه في آخر حياته لما سُجن وخلا من هذه الجولات التي كان يجولها مع أهل البدع، ولا شك أن مجادلة أهل البدع تسود القلب من كثرة كلامهم، خلا ابن تيمية رحمه الله بنفسه وسجل ندمه على أنه لم يُفرِّغ نفسه للقرآن، خلا بكتاب ربه -تبارك وتعالى- في قعر السجن، وأعطى قلبه لهذا الكتاب النجيب، فكان له أكبر الأثر على نفسه، كثير من الآيات كان الواحد يقرأها ولا يقف كثيرًا عند معانيها، تسنى لي أن أجلس وأن أفعل هذا، فيا ليتني أعطيت القرآن عمري»[٢].

فقد تبين بما لا مجال فيه للشك؛ كيف أن القرآن المجيد ملك على الشيخ روحه وقلبه، فجعل يقرؤه قراءة تدبر وتفكر وتأمل في معانيه، ولنا وقفة أخرى في منهجية الاستدلال.

ثانيًا: السنة النبوية: مكانة السنة النبوية عند العلامة أبي إسحاق الحويني باعتبارها

---

(١) القرآنيون وبيان انحرافهم، الموقع الرسمي للشيخ أبي إسحاق الحويني، تاريخ النشر: ٢١/ ٥/ ٢٠١٥م، تاريخ الاستفادة: ١٠/ ٦/ ٢٠١٥م.

(٢) فيا ليتني أعطيت القرآن عمري، المرجع السابق، تاريخ النشر: ١٤/ ٤/ ٢٠١٥م، تاريخ الاستفادة: ١٠/ ٦/ ٢٠١٥م.

مصدرًا من مصادر التلقي لا تحتاج إلى التدليل عليها ولا تلمس البراهين والحجج، فإنها ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار، وكما قال المتنبي:

وليسَ يصحُّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

فقد وقف الشيخ عمره وعلمه وجهده في خدمة علوم السنة النبوية، والمنافحة عنها في وجه دعاة الباطل، والطاعنين في كنوز السنة ومصنفاتها، وكذلك ردوده السنية بوجه المبتدعة الذين حاولوا النيل من حملة هذا العلم الشريف أمثال البخاري ومسلم، ورواتهما الثقات، وأعلام الحديث من السلف والمحققين من أتباعهم، فمصنفات الشيخ وتحقيقاته وحواشيه ومشاريعه العلمية المقروءة والمرئية والمسموعية بحر لا ساحل له، حتى أضحت مراجع يستقي منها علماء الحديث وطلابه في بحوثهم ودراساتهم، والحق أننا لا نستطيع في هذا المقام أن نضاهي ما قاله الفضلاء من أهل العلم المعاصرين في حق شيخنا المبارك.

وفي هذا السياق نسوق بإيجاز بعض الدلائل والنصوص الدالة على مصدرية السنة للتلقي عند العلامة الحويني:

أولًا: قال -حفظه الله- وقد ساق كلام ابن الجوزي مقرًّا له: «والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول، أما القرآن: فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فلو دام الخضر كان خالدًا. وأما السنة: فذكر حديث: «**أريتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد**»[١]، وقد سقنا قبل أسطر كلام الشيخ في نفس المرجع والسياق وبنفس المضمون[٢].

ثانيًا: قال -حفظه الله- في سياق رده على الشيخ الغزالي: «قلت: وقد قال جماعة من السلف: «إن السنة تقضي على الكتاب»، منهم مكحول، ويحيى بن أبي كثير، والأوزاعي، والدارمي، وابن عبد البر في آخرين. وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحديث

---

(١) جنة المرتاب، مرجع سابق، (ج١ ص٧٨).

(٢) المرجع السابق، (ج١ ص٨٠).

الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب، فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله أن السنة قاضية على الكتاب؛ إن السنة تفسر الكتاب وتبينه. فيظهر أن مراد الإمام أنه ما يجسر على إثبات الحديث، وهو لم يصح مرفوعًا على كل حال، وقد يكون مراده أنه ما يجسر على ذكر اللفظ الذي يشعر أن السنة مقدمة على الكتاب، وعدل إلى لفظ آخر يؤدي نفس المراد الذي أراده العلماء السالفون من قولهم: إن السنة تقضي على الكتاب، فالمسألة لفظية فحسب. ومعنى هذا القول أن الآية تأتي في كتاب الله ﷻ تحتمل أمرين أو أكثر من ذلك، فتأتي السنة بتعيين أحدهما، فيرجع إلى السنة ويترك مقتضى الكتاب، أو أن السنة تقضي لأحد المعنيين على الآخر، فهي لذلك قاضية على الكتاب»[١].

ثالثًا: قال -سلمه الله- تعليقًا على قول إبراهيم النخعي رحمه الله: «ما كانوا يرخصون في الكذب في جد ولا هزل»: «قلت: كذا قال إبراهيم النخعي رحمه الله، والحجة إنما هي في قول النبي عليه السلام وقد صح عنه أنه قال: «**ثلاث من الكذب لا أعدهنَّ كذبًا، فذكر منها والرجل يكذب بين امرأين ليصلح بينهما**»»[٢].

رابعًا: وقال الشيخ: «لقد هممت بناء على نصيحة شيخنا الألباني أن أتكلم على فقه الحديث حتى تتم الفائدة؛ إذ الغاية من الحديث هي العمل به كما قال لي شيخنا»[٣].

ثالثًا: الإجماع: وهو من الأدلة المعتبرة عند العلامة الحويني، وقد سبقت بعض النقولات الدالة على هذا الاعتبار، ومنها قوله: «فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة. فهذا كتاب الله تعالى. فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟! وهؤلاء علماء الأمة: هل أجمعوا على حياته؟»[٤]. وقال الشيخ تعليقًا على كلام شيخ الإسلام

---

(١) سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي، مرجع سابق، (ص٢٤).

(٢) كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا، تحقيق الشيخ أبي إسحاق الحويني، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، (ص٢٥٥).

(٣) بذل الإحسان، مرجع سابق، (ج١ص١٠).

(٤) جنة المرتاب، مرجع سابق، (ج١ص٨٠).

ابن تيمية في الاحتجاج بخبر الواحد مع الإقرار به: «قال: واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكره الشيخ أبو عمرو، ومن قبله العلماء كالحافظ أبي طاهر السِّلفي وغيره، فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم، مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإن الاعتبار في الإجماع على أمر من الأمور الدينية بأهل العلم دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها...». قلت: ومن ضوابط هذا الأمر أن تلقي الأمة للخبر بالقبول إجماع منهم كما تقدم، وهو أقوى في إفادة العلم من القرائن المحتفة، ومن مجرد كثرة الطرق»(١). وقال أيضًا: «والإجماع هذا الدليل الثالث من الأدلة المتفق عليها.. لكن إذا تحقق الإجماع بشروطه، فمنكره كافر، هذا عند كل العلماء، وأنا أريد هناك سبعمائة وخمسين مسألة إجماع، نقل العلماء الكبار الإجماع فيها لا نسمح بها بكثرة الجدل فيها، عندما أقول هذه المسألة فيها إجماع تتوقف مسألة فيها خلاف»(٢).

المطلب الثاني: قواعد التلقي عند العلامة الحويني:

منهج التلقي عند العلامة الحويني قد تجلى لنا ظاهره ومضمونه، ويمكن من خلال تلمس قواعد التلقي في تتبع السياق النصي في مصنفات الشيخ، وما دل عليه من دلالات إشارية وإيمائية واقتضائية، يمكننا الوقوف على مضامينه، وفيما يأتي جملة من قواعد التلقي بحسب فهم الباحث لها من السياق المتقدم بمختلف دلالاته:

أولًا: مصادر التلقي عند الشيخ الحويني: الكتاب والسنة والإجماع: وقد استوفاه الباحث في المطلب السابق بما يغني عن إعادة ذكره؛ لظهوره وجلائه في علم الشيخ ومصنفاته.

ثانيًا: أن فهم الكتاب والسنة إنما يكون على فهم السلف الصالح: ولا عبرة بفهم غيرهم عند تعارضه مع فهم السلف، وهذه القاعدة في غاية الأهمية عند الشيخ؛ لأنه يرى أن الكتاب

---

(١) سمط اللآلي في الر على الشيخ محمد الغزالي، مرجع سابق، (ص١٠١).

(٢) فقه الدعوة، مقال منشور بموقع الشيخ أبي إسحاق الحويني، بتاريخ: ٨/ ٥/ ٢٠١٥م، تاريخ الاستفادة: ١٠/ ٦/ ٢٠١٥م.

والسنة من حيث المرجعية متفق عليه عند كثير من الفرق والطوائف المنتسبة إلى الإسلام، وإنما العبرة بأخذ هذين المرجعين على الوجه الذي قصده صاحب الوحي، وهذا لم يتحقق إلا بالمنهج الذي سار عليه السلف الصالح: الصحابة والتابعون وتابعوهم، قال الشيخ: «ولعل الناظر فيما علقته على الكتاب يعلم حقيقة اعتقادي، وأنني -ولله الحمد- على مثل اعتقاد السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين كمالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أهل العلم، ومنذ طلبت العلم -منذ عشرين عامًا- لم أنتحل بدعة قط -بحمد الله- لا في الاعتقاد ولا في العمل، وأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي من عمري، حتى ألقاه على التوحيد الخالص»[١].

وقال -حفظه الله- في سياق بحثه لحكم الجماعة الثانية في الصلاة: «أما العلة الثانية التي وقعت في كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأسس عليها حكمه بكراهة الجماعة الثانية، فهي قوله: «وإنما كرهتُ ذلك لهم؛ لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا» انتهى، ولا شك أن التعليل بهذا قوي ومؤثر، لكننا وجدنا من السلف قبلنا من فعل هذا، وقد نص الترمذي على ذلك..»[٢].

ثالثًا: تقديم النقل على العقل عند التعارض: قال الشيخ -حفظه الله- في سياق رده على منهج التلقي عند الأشاعرة: «المعروف أن مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل، وقد صرح بذلك الجويني، والفخر الرازي، والبغدادي، والغزالي، والآمدي، والسنوسي، وسائر شراح الجوهرة، فلو تعارض النقل مع العقل، فإن العقل يُقدَّم على النقل. بل صرح بعضهم -وهو السنوسي منهم- بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر!! فقال: «أصول الكفر خمسة... فذكرها، ثم قال: السادس: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية». وقد وضع الفخر الرازي ضوابط هذا المنهج العقلي في أساس التقديس، فقال: «الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون

---

(١) مقدمة الديباج، مرجع سابق، (ج١ص٦).

(٢) إقامة الدلائل على عموم المسائل، مرجع سابق، (ص١٩٣).

الحال فيها؟! قال: اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة: الأول: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال. الثاني: وإما أن يبطل، فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال. الثالث والرابع: وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب العقل وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع، وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وظهور المعجزات على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معًا، وأنه باطل. ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى العقلية القاطعة، بأن هذه الدلائل النقلية؛ إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل، اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيق» اهـ[١].

وقد علق الشيخ -سلمه الله- في الحاشية على ما قاله الرازي ومدرسته المنحرفة: «وكلام الرازي هذا يشبه ما رواه ابن حبان في المجروحين (١/ ٨٧): أن رجلًا أتى إسحاق بن راهويه يسأله صدقة، ورآه إسحاق معافى فأبى أن يعطيه، وقال له، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي**» فقال الرجل: إن معي حديثًا في كراهية العمل! ثم وضع سندًا من عنده عن أمير المؤمنين، قال: «العمل شؤم وتركه خير، تقعد تهنى خير من أن تعمل تعنى»!! ثم دلل على صحة هذا الحديث بقوله: «قعد زعلج! يومًا في جلسائه فقال: أخبروني بأعقل الناس. فما أجاب أحد إجابة شافية، فقال زعلج -وهنا

(١) سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي، مرجع سابق، (ص١٣).

محل الشاهد- أعقل الناس الذي لا يعمل؛ لأن العمل يجيء منه التعب، ومن التعب يجيء المرض، ومن المرض يجيء الموت، ومن عمل فقد أعان على نفسه، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. وقول الرازي: «الدلائل العقلية القطعية» تهويل، فمتى اتفقت عقول الناس جميعًا على أمر من الأمور؟! وقد رد العلماء عليه بأدلة كثيرة، وراجع (درء تعارض العقل والنقل) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا يوجد له نظير في الأرض»[١].

رابعًا: ما صح عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجب قبوله والعمل به: ولو كان آحادًا سواء في العقيدة أو الشريعة، قال الشيخ -حفظه الله- في تأصيل هذه القاعدة وتقريرها: «واعلم أنه لا يُعلم في السلف قط أحدٌ قال: إن خبر الواحد لا يحتج به في العقيدة، إنما قال ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الكلام الذين لا عناية لهم بالسنة النبوية، وتبعهم في ذلك بعض الأصوليين.. وقد قال ابن حزم في الإحكام (١/ ١١٨): «وقد ثبت عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وداود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وجوبُ القول بخبر الواحد...». وقد ختم الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحثه النفيس في تثبيت خبر الواحد وأنه حجة بقوله في الرسالة (ص٤٥٣): «وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث يكفي بعض هذا منها. ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل، وكذلك حُكي لنا عمَّن حُكي لنا عنه من أهل البلدان» اهـ. وقال أيضًا (ص٣٥٧): «ولو جاز لأحد الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفته من أن ذلك موجود على كلهم» اهـ. وخلاصة القول أنه لا يُعلم أحد يقتدى به من السلف فرق هذا التفريق الباطل، بل كانوا يأخذون بخبر الواحد في المسائل العلمية والعملية بغير تفريق بينهما»[٢]. والشيخ قد أطال النفس في تقرير هذه القاعدة، وقد ساق دلائلها من

---

(١) المرجع السابق، (ص١٥).

(٢) إقامة الدلائل على عموم المسائل، مرجع سابق، (ص٣٢٢)، وهذه القاعدة أصلها وقررها الشيخ أيضًا في رده على الشيخ الغزالي، (ص٧٧).

الكتاب والسنة، وأقوال أهل العلم من السلف وأتباعهم، فلتراجع؛ فإنها في غاية الأهمية.

خامسًا: عدم الاستدلال بالحديث الضعيف مطلقًا: قال العلامة الحويني في نقاشه لبعض طلبة العلم: «وإن كان صاحبنا أبو عبد الرحمن يقصد أنه لا يعمل بالأحاديث الضعيفة مطلقًا، فهذا قول حق نعتقده، ولا فرق بين الأحكام وفضائل الأعمال؛ إذ الكل شرع.. قال الحافظ السخاوي في القول البديع (ص٢٥٨): «سمعت شيخنا -يعني الحافظ- مرارًا يقول، وكتبه لي بخطه أن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة:

١- متفق عليه أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفراد الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه.

٢- أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع، بحيث لا يكون له أصل أصلًا.

٣- ألا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله...» اهـ.

ثم رأيت شرحًا لشيخنا الألباني حافظ الوقت حول هذه الشروط الثلاثة، رأيت أن أنقله لفائدته. قال شيخنا في مقدمته على صحيح الجامع (١/ ٤٨-٥١): «وهذه شروط دقيقة وهامة جدًّا، لو التزمها العاملون بالأحاديث الضعيفة، لكانت النتيجة أن تضيق دائرة العمل بها، أو تلغى من أصلها.. وبيانه من ثلاثة وجوه: الأول: يدل الشرط الأول على وجوب معرفة حال الحديث الذي يريد أحدهم أن يعمل به، لكي يتجنب العمل به إذا كان شديد الضعف.. وهذه المعرفة مما يصعب الوقوف عليها عند جماهير الناس.. الثاني: أنه يلزم من الشرط الثاني: أن يكون الحديث الضعيف مندرجًا تحت أصل عام، أن العمل في الحقيقة ليس بالحديث الضعيف، وإنما بالأصل العام.. الثالث: أن الشرط الثالث يلتقي مع الشرط الأول في ضرورة معرفة ضعف الحديث، لكي لا يعتقد ثبوته، وقد عرفت أن الجماهير الذين يعملون في الفضائل بالأحاديث الضعيفة لا يعرفون ضعفها، وهذا خلاف المراد». انتهى كلام الشيخ الألباني.. قلت فظهر من كلام شيخنا حافظ الوقت

-حفظه الله تعالى- أن التزامَ هذه الشروط، يكفينا مؤونة العمل بالضعيف»[(١)].

وقال أيضًا في رده على الحافظ ابن حجر: «وتسامح الحافظ فقال في الإصابة: «في إسناده ضعف». وكم لهذا التسامح من مضار، لا سيما في أحاديث فضائل الأعمال، فإن المذهب السائد عند كثير من المتأخرين هو جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال خلافًا للراجح عندنا وهو ترك العمل بالضعيف مطلقًا»[(٢)].

وقد حذَّر الشيخ أشد الحَذَر من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والباطلة معللًا: «ذلك أن الله ﷻ قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فصارت السنة بهذه الآية وبغيرها هي المبينة لما في القرآن مما يلتبس على أفهام الناس. ويعلم كل عارف بالتاريخ كم أدخل الوضَّاعون على اختلاف مذاهبهم في السنة من الأباطيل والمناكير، بل شارك في ذلك كثير من الصالحين الذين لم يكن ضبط الحديث من همتهم، فصار الدخن كثيرًا. غير أن كثرة الأئمة العارفين بهذا الشأن كان يهون من الخطب، حتى قيل لابن المبارك شيخ الإسلام: «الأحاديث الموضوعة؟! قال: تعيش لها الجهابدة».. فلما قل العارفون بهذا الشأن، تضاعفت المصيبة بعد أن صار الناس -ومنهم من يتصدر للتدريس والوعظ- يلوكون هذه الأحاديث الباطلة، والتي لا أصل لها صحيح إطلاقًا، فيعلِّمونها للناس، ويأخذونهم بلازمها، بل يعرضون عن الحديث الصحيح أحيانًا؛ لأنه يناقض أحد هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، وذلك عن جهل بعدم ثبوتها»[(٣)].

---

(١) جنة المرتاب، مرجع سابق، (ج١ص١٩٠-١٩٣).

(٢) الأمراض والكفارات والطب والرقيات، القاهرة، دار ابن عفان، ١٤٢٠هـ (ص٦٥).

(٣) النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة، طنطا، دار الصحابة للتراث، ١٤٠٨هـ (ص١٢).

المبحث الثالث

منهجية الاستدلال عند العلامة الحويني

مفهوم الاستدلال يعد من المفاهيم التي دار فيها الخلاف بين العلماء؛ ومرجع ذلك اختلاف النظر إليه بسبب التخصص العلمي، ومن المعلوم أن الاستدلال من حيث وضعه اللغوي معناه طلب الدليل، أو طلب دلالة الدليل، وهذا موضع إجماع بين أهل العلم، وإنما الخلاف انصب في المعنى الاصطلاحي؛ فمنهم من عرَّف الاستدلال بأنه: دليل لا يكون نصًّا ولا إجماعًا ولا قياسًا، وهو بهذا المعنى يعد قسيمًا لأدلة الأحكام. وهذا هو المعنى الخاص الذي قصده الأصوليون في مباحث الأدلة، وهناك من عرَّفه بأنه: إقامة الدليل مطلقًا من نص، أو إجماع، أو قياس، على مسألة من مسائل الأحكام[١]، والاستدلال قد يكون من فعل المجتهد، وقد يكون من فعل المقلد، فالأول فعل يقوم به المجتهد يتعلق بالدليل والمقصود به الاهتداء بالدليل وبناء الحكم عليه، والثاني فعل يقوم به المقلد، وهو طلب الدلالة إلى الحق[٢]، إذا قلنا إن المقلد هنا يطلب الدليل، هذا على القول بأن المتعامل مع الدليل نوعان: مجتهد ومقلد، ومن أهل العلم من يرى أن المتعامل مع الدليل ثلاثة أنواع: مجتهد ومتبع ومقلد، وهذا الذي ذهب إليه الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره؛ إذ المقلد عنده في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، والاتباع ما ثبت عليه حجة[٣]، وأنى كان المعنى، فالمسألة خلافية، ويظهر أن شيخ الإسلام لا يرى هذا التقسيم، وإنما يذهب إلى القسمة الثنائية[٤]، أعني بها: المجتهد والمقلد، ولكل دليله، ولا مشاحَّة في الاصطلاح.

---

(١) تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، شرحه عبد الله بن صالح الفوزان، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣١هـ (ص٤٢٤).

(٢) استدلال الأصوليين بالكتاب والسنة على القواعد الأصولية، د. عياض بن نامي السلمي، الرياض، طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٨هـ (ص١٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، الإمام أبو عمر ابن عبد البر، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ (ج٢ص٩٩٣).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، (ج٢٠ص١٣).

وإذا تبين ذلك؛ فإن مقصود الباحث من منهجية الاستدلال، بيان الإطار المرجعي الذي يستند عليه المستدل عند بحثه مسائل علمية بحتة في علوم الشريعة، أو مسائل لها تعلق بعلوم الشريعة، ومقصودنا بالإطار المرجعي هو مصادر التلقي المتمثلة في الكتاب والسنة والإجماع، وقد جعلناها محور المبحث السابق من خلال تتبع كلام العلامة الحويني، والحاجة تستدعي في هذا المقام تنزيل هذا الإطار على كلامه -حفظه الله- من جهة ربط الفروع بأصولها، والجزئيات بقواعدها؛ بغية بيان عمق ورصانة المنهج العلمي الذي تمكن منه شيخنا في تعامله مع مصادر التلقي وكيفية تنزيلها في الواقع المشهود وتحقيق مناطاتها.

والتعامل مع مصادر التلقي بقصد الاستدلال يستلزم قبل النظر الدلالي، التوثق من النص المستدل به؛ لئلا يفضي إلى الاستدلال بالنصوص الضعيفة أو الموضوعة من حيث ثبوتها، وبحكم كون منهج التلقي قائمًا على الكتاب والسنة كما أسلفنا، فإن المستدِل عند تعامله مع الكتاب يحتاج إلى نظر واحد، وهو صحة الاستدلال سواء كان على سبيل القطع أو الظن الراجح على اعتبار أن الكتاب مقطوع ثبوته؛ لكونه منقولًا بالتواتر، بخلاف السنة النبوية فإنها تحتاج إلى نظرين؛ النظر الأول إلى الإسناد من حيث ثبوته؛ والثاني صحة الاستدلال على المسألة المعنية.

وفي هذا المبحث نقف بإيجاز عند منهجية الاستدلال عند الشيخ الحويني في إطار مطلبين؛ الأول: متعلق بمنهجية الشيخ في التوثق من النصوص الحديثية، والثاني: متعلق بالفوائد الدلالية على المسائل العلمية.

المطلب الأول: منهجية العلامة الحويني في التوثق من النصوص الحديثية:

التوثق من النصوص الحديثية يعد مجالًا اختصت به مصنفات وتحقيقات العلامة الحويني، فإذا ذُكر الحديث وعلله فالحويني النجم، ولك أن تتصور أن أكثر من مائة وخمسين مؤلفًا ومصنفًا جلها في خدمة السنة النبوية تصحيحًا وتضعيفًا، تحقيقًا وتخريجًا، والحق أن الوصول إلى هذه المنزلة من العلم والتمكن فيه، اقتضاه غوص وتعمق في

العلم، واجتهاد في الطلب، وصبر في بحث وتتبع مئات بل آلاف الكتب في الحديث وعلله وصولًا إلى المراد، قد يكون حديثًا واحدًا، بل لفظة واحدة، وليس غريبًا على أمثال العلامة الحويني أن يكون بهذه المثابة من العلم والاهتمام بهذا الفن الذي أضحى ألصق بأهل السنة والجماعة وأتباع السلف، أكثر من غيرهم من الفرق المخالفة.

وفي هذا السياق يقول الحافظ ابن رجب: «وأما أهل العلم والمعرفة والسنة والجماعة، فإنما يذكرون علل الحديث نصيحة للدين وحفظًا لسنة النبي ﷺ، وصيانة لها، وتمييزًا مما يدخل على رواتها من الغلط والسهو والوهم، ولا يوجب ذلك عندهم طعنًا في غير الأحاديث المعللة، بل تقوى بذلك الأحاديث السليمة عندهم لبراءتها من العلل وسلامتها من الآفات، فهؤلاء هم العارفون بسنة رسول الله ﷺ حقًّا، وهم النقاد الجهابذة الذين ينتقدون الحديث انتقاد الصيرفي الحاذق للنقد البهرج من الخالص، وانتقاد الجوهري الحاذق للجوهر مما دلس به»[(١)]. والرواية المشهورة في هذا السياق ما حكاه ابن أبي حاتم في منهج معرفة الحديث وتمييزه على لسان أبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي، وهي جديرة بالنظر والتأمل[(٢)]، والعلامة الحويني لا يخرج عن هذا النَّفَس السُّنِّي السلفي الرفيع، يقول في توصيف ذلك: «أما الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ، فكانت عنايتي بها أكثر من عنايتي بتحقيق الآثار؛ لأن الحجة بها لازمة؛ إذ هي الأصل الثاني بعد القرآن العزيز، فلم أثبت حكمي على الحديث إلا بعد دراسة متأنية، جمعتُ لأجلها طرق الحديث من دواوين السنة المشهورة، والأجزاء المنثورة سواء المطبوع منها أو المخطوط، وأنظر إلى تفرد الرواة ومتابعاتهم، مستعينًا بكلام علماء الحديث على معرفة الراجح، وربما أنفقتُ الليالي الطويلة في تحقيق لفظة واحدة، حتى أصل إلى جادة الصواب فيها، فأنظر فإذا الحديث الواحد قد استغرق عدة ورقات قد تصل أحيانًا إلى ثلاثين ورقة، فلا أستطيع أن أثبت ذلك في حاشية كتاب كبير مثل هذا التفسير، فاستقر رأيي أن آخذ خلاصة هذا

---

(١) شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، تحقيق د. نور الدين عتر، دار الملاح، (ج٢ص٨٠٧).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧١هـ (ص٣٤٩).

البحث في عدة أسطر»[١].

والمقام لا يسع تتبع جهود الشيخ في هذا المجال؛ للإيجاز الذي قصدناه في هذا البحث، وهو جدير أن تُخصص له دراسات وبحوث جامعية عليا تسبر علوم الشيخ، وتبحث في موارده؛ لتصلح مثالًا يحتذى به ويقتدى من قبل طلاب الحديث، وإن العصامية التي تميز بها الشيخ تُصَيِّره في مصافِّ مشايخه، بل تجاوزهم برتب، وهذه تحقيقاته وأحكامه الحديثية شاهدة على ما نقرره، وليس بعيدًا عن ذلك ما قام به الشيخ عمرو بن عبد العظيم الحويني حين جمع في كتابه الأحاديث التي قواها الشيخ الألباني، وضعفها الشيخ الحويني: (الترياق بأحاديث قواها الألباني وضعفها الحويني أبو إسحاق)، ويكفينا لتحقيق مقاصدنا سوق بعض الأمثلة الدالة على منهجية التوثق في النصوص الحديثية عند الشيخ حفظه الله، ولو اقتضى ذلك مناطحة جبال العلم كالإمام ابن القيم وشيخه الألباني وغيرهما.

أولًا: جاء في رسالته: (نهي الصحبة عن النزول بالركبة)، قوله[٢]: «اختلف الناس في هيئة الخرور إلى السجود؛ أهي على اليدين أم على الركبتين؟ والراجح الصحيح في هذا الباب أن النزول إنما هو على اليدين لصحة الأدلة في ذلك ووضوح معناها. والحجة في هذا الباب هي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا سجدَ أحدكم فلا يبركْ كما يبركُ البعير وليضعْ يديه قبل ركبتيه**». أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي... قلت: وإسناده صحيح لا غبار عليه، ولكن شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أعله في كتابه الفذ: (زاد المعاد) بعدة علل، هي عند التحقيق ليست كذلك.. قال شيخ الإسلام في الزاد وفي تهذيب سنن أبي داود ما ملخصه: «أولًا: حديث وائل ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثبت من حديث أبي هريرة كما قال الخطابي. وقد قال فيه الترمذي: حسن غريب. وقال في حديث أبي هريرة: غريب. ولم يذكر حسنًا...». قلت.. إنَّ حديث

---

(١) نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، صنفه أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، القاهرة، دار المحدثين، ١٤٢٨هـ، (ج١ ص٦٤).

(٢) ننقل قول الشيخ هنا باختصار، ونسوق وجهًا واحدًا في رده على ابن القيم، وإلا فقد رد عليه من وجوه متعددة.

وائل بن حجر حديث ضعيف. فأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والطحاوي في شرح المعاني والدارقطني والحاكم في المستدرك وابن حبان والبيهقي والبغوي في شرح السنة والحازمي في الاعتبار من طريق شريك النخعي، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن وائل بن حجر -رضي الله تعالى عنه- قال: «رأيت رسول الله ﷺ إذا سجد يضع ركبتيه قبل يديه وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب. لا نعرف أحدًا رواه مثل هذا عن شريك». وتبعه البغوي فقال: «حديث حسن» وكذا الحازمي. وقال الدارقطني: «تفرد به يزيد بن هارون عن شريك، ولم يحدِّث به عن عاصم بن كليب غيرُ شريك. وشريك ليس بالقوي فيما تفرد به». وقال البيهقي: «إسناده ضعيف» وقال أيضًا: «هذا حديث يُعدُّ في أفراد شريك القاضي، وإنما تابعه همام من هذا الوجه مرسلًا. هكذا ذكره البخاري وغيره من الحفاظ المتقدمين رحمهم الله تعالى»..

قلت: وهذا القول منهم هو الذي تطمئن إليه نفس المرء المنصف. فإنه لا يُعلم بتةً لشريك متابع عليه إلا همام. ومع ذلك فقد خالفه في إسناده.. وشريك كان سيء الحفظ. وسيء الحفظ لا يُحتجُّ به إذا انفرد، فكيف إذا خالف. قال إبراهيم بن سعد الجوهري: «أخطأ شريك في أربعمائة حديث»، وقال النسائي: «ليس بالقوي» وضعفه يحيى بن سعيد جدًّا.. أما مخالفة همام لشريك فأخرجها أبو داود في سننه والبيهقي عنه ثنا شقيق أبو الليث قال: حدثني عاصم بن كليب عن أبيه مرسلًا بنحوه. قال البيهقي: «قال عفان: هذا الحديث غريب». وقد خالف شقيق شريكًا القاضي فأرسله. قلت: وشقيق هذا مجهول. قال الذهبي: «شقيق عن عاصم بن كليب وعنه همام لا يعرف». وأقره الحافظ في التقريب فقال: «مجهول». وأخرجه أبو داود والبيهقي من طريق همام ثنا محمد بن جحادة عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولكنه حديث واهٍ. فعبد الجبار لم يسمع من أبيه. كما قال الحافظ في التلخيص. ولم يعتبر الحافظ الحازمي هذه الطريق شيئًا فقال في الاعتبار: «والمرسل هو المحفوظ». فتبين مما ذكرته أن حديث

وائل ضعيف بعلتين: الأولى: ضعف شريك. الثانية: مخالفة همام له»[١].

فهذا تحقيق دقيق من الشيخ -حفظه الله- نقلناه باختصار للدلالة على أن الشيخ منهجيته في التوثق من النصوص قائمة على تتبع القواعد العلمية الدقيقة التي وضعها أهل الحديث كما أشار هو -سلمه الله- في بذل الإحسان[٢].

ثانيًا: وقال الشيخ معلقًا على كلام الحافظ ابن كثير حول حديث الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه في فضائل القرآن: «قلت: وهذا سند ضعيف جدًّا. والحارث الأعور متروك الحديث. وأبو المختار الطائي وابن أخي الحارث مجهولان، وما فهمه المصنف رحمه الله من كلام الترمذي: أن العلة هي من حمزة الزيات، فبعيد، فلم يقصد الترمذي ذلك، وقوله: «إسناده مجهول» يبين ذلك بجلاء. ومع ذلك فقول المصنف رحمه الله: «ورواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته»، فهذا القول فيه شيء من التسامح يحتمل، لاختلاف السندين إلى الحارث. والله أعلم. وله طرق أخرى وشواهد لا تقويه. سقتها في التسلية. ولا يصح الحديث موقوفًا أيضًا؛ لعدم صحة الأسانيد بذلك. وقول المصنف: «وقصارى هذا الحديث... إلخ»، ليس فيه تقوية الموقوف كما لا يخفى»[٣].

ثالثًا: قال الشيخ تعليقًا على قول الطبراني في الأوسط في حديث: «**من قرأ سورة الكهف...**»: «لم يرو هذا الحديثَ مرفوعًا عن شعبة، إلا يحيى بن كثير»: «قلت: رضي الله عنك! فلم يتفرد يحيى بن كثير رفعه عن شعبة. فتابعه روح بن القاسم، فرواه عن شعبة بهذا الإسناد سواء. أخرجه أبو إسحاق المزكي في الفوائد المنتخبة من طريق عيسى بن شعيب، نا روح القاسم به، وقال: «تفرد به عيسى عن روح». وتابعه أيضًا ربيع بن يحيى، عن شعبة بهذا الإسناد. ذكره الدارقطني في العلل، وقال: «ولم يثبت». وقد تباين حكم

---

(١) نهي الصحبة عن النزول بالركبة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ (ص٢٧-٣٣).

(٢) بذل الإحسان، مرجع سابق، (ج١ص٨).

(٣) كتاب فضائل القرآن، الحافظ ابن كثير، تحقيق الشيخ أبي إسحاق الحويني، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ، (ص٤٤).

النسائي والحاكم على هذا الحديث؛ فقال النسائي بعد تخريج الرواية المرفوعة: «هذا خطأ، والصواب موقوف». أما الحاكم فقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ولا شك عندي في صواب ما ذهب إليه النسائي، وأن الحديث معل بالوقف، لثقة الذين أوقفوه، وأن جانبهم يترجح على جانب من رفعه، كما مر طرف في التعقب السابق على هذا. وقد رجح الدارقطني وقفه أيضًا. ثم رأيت شيخنا أبا عبد الرحمن الألباني تعقب الحاكم؛ إذ صحح الحديث على شرط مسلم فقال في الصحيحة (٢٣٣٣): «وأقول: بل هو على شرط الشيخين» كذا!! وليس الحديث على شرط واحد منهما فضلًا عن أن يكون على شرطهما؛ لأن البخاري لم يخرج شيئًا ليحيى بن كثير عن شعبة، ولم يخرج الشيخان شيئًا لشعبة عن أبي هاشم الرماني، ولا لقيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري»[١].

المطلب الثاني: الفوائد الدلالية على المسائل العلمية عند العلامة الحويني:

تعقبُ مرحلةَ الاستيثاق من النص من حيث ثبوته، التأكدُ من سلامة الاستدلال على المسألة المراد معرفة الدليل لها وبناء الحكم عليه، وهنا مجال علم أصول الفقه وما تضمنه من قواعد الدلالات اللفظية والمعنوية، والحقيقة أن ضبط علمي الحديث وأصول الفقه يعد شرطًا أساسيًّا في بلوغ مرتبة أهل العلم، وقد أشار إلى ذلك العلامة الحويني -كما سبق ذكره- إلى أهمية الجمع بين هذين العلمين بقوله: «**وأتاحت لي هذه المجالس دراسة نبذ كثيرة من علمي أصول الحديث، وأصول الفقه، ووالله! لا أشطط إذا قلتُ: إنني أبصرتُ بعد العمى لمَّا درستُ هذين العلمين الجليلين، وأقرر هنا أن الجاهل بهذين العلمين لا يكون عالمًا مهما حفظ من كتب الفروع؛ لأن تقرير الحق في موارد النزاع لا يكون إلا بهما؛ فعلم الحديث يصحح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يسدد لك الفهم، فهما كجناحي الطائر**»[٢].

وإنما مرجع سلامة الاستدلال إلى صحة الفهم الذي يقترن بحسن القصد، فهي إذن متلازمات لا ينفك بعضها عن بعض، والتأسيس الدلالي على هذه المتلازمات يضمن السلامة من

(١) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج٣ص٣٧٢).

(٢) تنبيه الهاجد، مرجع سابق، (ج١ص١٣).

البدع والضلالات والانحرافات، وقد ذكر بعض الباحثين أن صحة الفهم مبني على جملة من الضوابط المنهجية(١). وقد أشرنا إلى بعضها عند حديثنا عن مصادر التلقي وقواعده، وأهمها: اعتماد منهج السلف في فهمهم لنصوص الشريعة، وخاصة الصحابة ﷺ، قال الحافظ ابن رجب: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك. والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا. وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل»(٢).

وفيما يأتي جملة من الفوائد الدلالية التي حوتها مصنفات العلامة الحويني تأليفًا وتحقيقًا:

أولًا: قال الشيخ جوابًا على سؤال حول بطلان الجماعة الثانية في المسجد -بتصرف: «إن كان قصد بعدم الجواز أن الصلاة باطلة، فهذا قول ظاهر الخطأ لم يقل به أحد من أهل العلم فيما أعلم، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «**تفضُلُ الصلاةُ في الجميع على صلاة الرجل وحده خمسًا وعشرين**». ورواه عن النبي ﷺ من الصحابة، كابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وعائشة ﷺ، وفي حديث ابن عمر: «**سبعًا وعشرين**» ولو قال النبي ﷺ: «لا تجزئ» لدلَّ على البطلان، وإن قصد الكراهة فهذا أحد قولي العلماء، وبه قال ابن عون، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وأبو حنيفة، ومالك، وابن المبارك، والشافعي، وعبد الرزاق بن همام صاحب المصنف، وأحمد في إحدى الروايات، لكنه خصه بالحرمين.

والمذهب الآخر، وهو: جواز الجماعة الثانية وأنه لا كراهة فيها. وهذا قول أحمد وهو الصحيح عند الحنابلة، وإسحاق، وأبي يوسف، ومحمد، وداود بن علي، وأبي ثور،

(١) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، لندن، المنتدى الإسلامي، (ص٥٠).

(٢) بيان فضل علم السلف على الخلف، الحافظ ابن رجب الحنبلي، الرياض، دار الصميعي، (ص٧٠).

وهو أيضًا قول جمهرة من علماء الحديث كالدارمي، وأبي داود، والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن المنذر، والحاكم، وابن حزم وغيرهم.. قلت: وهو الصواب وقد احتج القائلون بالمنع بأدلة منها: ما أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل عن أبي بكرة: أن رسول الله ﷺ أقبل من نواحي المدينة يريد الصلاة، فوجد الناس قد صلوا، فمال إلى منزله فجمع بأهله، فصلى بهم. قالوا: ووجه الدلالة من الحديث أن النبي ﷺ لما فاتته الجماعة الأولى رجع إلى بيته وصلى بأهله جماعة. ومنها ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**لقد هممتُ أن آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها، فآمر بهم فيحرقوا بحزم الحطب بيوتهم...**» قالوا: ووجه الدلالة من هذا الحديث أن الجماعة الثانية لو كانت مشروعة لما حرق بيوتهم، ولجاز لهذا المتخلف أن يتذرع بذلك ويقول: سأصلي في الجماعة الثانية. ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير أن علقمة والأسود أقبلا مع ابن مسعود إلى المسجد فاستقبلهم الناس قد صلوا، فرجع بهما إلى البيت، فجعل أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، ثم صلى بهما. ووجه الدلالة منه على المطلوب واضح. قالوا: وكذلك ورد ذكر كراهة الجماعة الثانية في المسجد الذي صلي فيه مرة عن جماعة من التابعين، منهم: الأسود بن يزيد، وسالم بن عبد الله بن عمر، والحسن البصري، والقاسم بن أبي بكر، وأبو قِلابة الجرمي في آخرين.

قلت: هذا أظهر أدلة المانعين، وثم معنى آخر أظهره الإمام الشافعي فقال: «وإذا كان للمسجد إمام راتب، ففاتت رجلًا أو رجالًا فيه الصلاة صلوا فرادى؛ ولا أحب أن يصلوا جماعة، فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه، وإنما كرهتُ ذلك لهم؛ لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا، بل قد عابه بعضهم. قال: وأحسب كراهة من كره ذلك منهم، إنما كان لتفرق الكلمة، وأن يرغب رجل عن الصلاة خلف إمام جماعة، فيتخلف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصلاة، فإذا قضيت دخلوا، فجمعوا، فيكون في هذا اختلاف، وتفرق كلمة، وفيهما المكروه».

قلت: والجواب عن أدلتهم من حيث ترتيبها، أن يقال: أما الدليل الأول وهو أن النبي ﷺ لما فاتته الصلاة صلى في بيته فلا يصح، ففي إسناده معاوية بن يحيى أبو مطيع، وقد وثقه غير واحد، وضعفه ابن معين في رواية، وأبو القاسم البغوي، والدارقطني، وأورد له ابن عدي هذا الحديث مما استنكر عليه، ولا جرم، فإن مثل خالد بن مهران الحذَّاء في كثرة أصحابه الثقات، لا يحتمل لمثل معاوية بن يحيى أن يتفرد عنه بخبر، فإن هذا من علامة الحديث المنكر، ثم الوليد بن مسلم لم يصرح في كل طبقات السند، وكان من المشهورين بتدليس التسوية.

أما الدليل الثاني فما أصحه من دليل، ولكن لا يتم الاستدلال به على المطلوب، لأنه لم يتذرع أحد أصلًا بأنه سيصلي في الجماعة الثانية، بل لعل هذا الفهم لم يخطر لأحد منهم على بال، ومن البين أن الذين قصدهم النبي ﷺ، بهذا التحريق هم جماعة من المنافقين.

أما الدليل الثالث، فهو أثر ابن مسعود رضي الله عنه فليس إسناده جيدًا كما قلتم، فإن فيه حماد بن أبي سليمان وهو كما أبو حاتم: «مستقيم في الفقه، فإذا جاء الآثار شوش». وكلام العلماء فيه يدل على أنه ليس بعمدة في الحفظ. وقد اختلف عليه، وخولف فيه. وأما ما ذكروه عن الحسن البصري قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا دخلوا المسجد وقد صلي فيه، صلوا فرادى. أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن أبي هلال، عن كثير، عن الحسن ذكره. وهذا إسناد ضعيف بل منكر، وأبو هلال الراسبي محمد بن سليم تعرف وتنكر. وقد ورد بإسناد صحيح عن الحسن من قوله. وقد أبدى البيهقي رحمه الله علة أخرى لكراهة الحسن فقال في سننه الكبير: «كراهية الحسن البصري محمولة على موضع يكون الجماعة فيه بعد أن صلي: تفرق الكلمة». قلت: وفي هذا بيان للعلة التي ذكرها الشافعي في كلامه وبنى عليها فتواه بكراهية الجماعة الثانية، وهي خشية أن تتفرق الكلمة، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، وهذا المعنى مفقود في زماننا هذا، وإن كان ملحوظًا في زمان السابقين، فنحن الآن في زمن ترك فيه كثير من الناس الصلاة، فقلَّ

من الناس -بسبب الجهل والتفلُّت- مَن يلاحظ هذا المعنى الذي رآه الشافعي.

أما العلة الثانية التي وقعت في كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسس عليها حكمه بكراهة الجماعة الثانية، فهي قوله: «وإنما كرهتُ ذلك لهم؛ لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا». ولا شك أن التعليل بهذا قوي ومؤثر، لكننا وجدنا من السلف قبلنا من فعل هذا، وقد نص الترمذي على ذلك، فقال: «وهو قول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيرهم التابعين». بل حدث هذا في زمان النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد روى سليمان الناجي، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: جاء رجل وقد صلى النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: «**أيكم يتجر على هذا؟**» فقام رجل فصلى معه. أخرجه الترمذي، وابن خزيمة، وابن أبي شيبة، ومن طريقه ابن حزم في المحلى، وابن عبد البر في الاستذكار، عن عبدة بن سليمان، وأحمد قال: حدثنا محمد بن جعفر. وأحمد أيضًا، وأبو يعلى. وابن حبان عن ابن عدي. وعبد بن حميد في المنتخب، والبيهقي، عن محمد بن بشر العبدي، كلهم عن سعيد بن أبي عروبة، عن سليمان الناجي بهذا الإسناد. قال ابن حزم: «لو ظفروا بمثل هذا، لطاروا به كل مطار» يعني لصحته وظهور دلالته...»[(١)].

وهو بحث في غاية النفاسة، جمع فيه العلامة الحويني علومًا جمة، ودلالات مختلفة، سُقتُ بعضه دليلًا على منهجية الاستدلال عنده، فجمع بين علوم الحديث والفقه والأصول، وإلا فحقه أن يساق كاملًا، وحسبنا بذلك تنبيهًا.

ثانيًا: ومن اللطائف الدلالية التي يدعو من خلالها الشيخ إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وفهمهما بحسب مراد الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع إظهار الغيرة لدين الله تعالى ومحبة رسول الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قوله تعليقًا على حديث الذباب -وقول الشيخ لا يخلو من طرافة: «واعلم أن هذا الحديث ثار حوله شغب قديم وحديث، وتهوَّك في فهمه والإيمان به أقوام غالبهم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، وجمعني مجلس واحد من هؤلاء (المجددينات)، فقال لي: كيف نقدم

(١) إقامة الدلائل على عموم المسائل، مرجع سابق، (ص١٧٨ فما بعدها).

ديننا إلى الكافرين، أفبمثل هذا الحديث ونحن نصرخ في الآفاق بأن ديننا دين النظافة؟! فقلت: وهل قال النبي ﷺ: إذا رأيتم الذباب فاصطادوه ثم اغمسوه حتى تلزمني بهذا القول المنكر؟! ثم إن النبي ﷺ لم يوجب عليك أكله، وإنما أوجب عليك غمسه، فإن طابتْ نفسُك فكُلْ وإلَّا فما أجبركَ أحدٌ، وقد علل النبي ﷺ وجوب الغمس بقوله: «**إنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء**» فإذا غمسته انفجر ذاك الكيس الذي فيه الدواء بفعل مقاومة المأكل، فتكون النتيجة براءة الطعام من الضرر. فما كاد يُسلِّم لي حتى أخرجتُ له بحثًا لأحد الأطباء المشهورين في المجامع الطبية العالمية يقرر ما ذكره النبي ﷺ فحينئذ سكتَ وأطرقَ، ثم قال: إننا نسلِّم لأهل العلم. لا سيما إذا كان من المشهود لهم. فصرخت فيه قائلًا: إن رسول الله ﷺ هو سيد كل من ينسب إلى علم في الدنيا، فكيف لم تُسلِّم له لما أخبرك، وسلَّمتَ للخواجة الكافر الذي لا يعرف شيئًا عن الاستنجاء؟! الواقع أننا مصابون في إيماننا. وإن كثيرًا من هؤلاء ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقد تكلم علماؤنا قديمًا وحديثًا في دفع جهل هؤلاء المعترضين»(١).

ثالثًا: قال الشيخ في سياق توظيف مبحث الدلالات اللفظية لتصحيح مفاهيم عقدية عند حديثه عن كراهية الناس للموت: «قلت: وهذا الحديث دليل على كراهية الناس للموت، لا فرق بين مؤمنهم وكافرهم في ذلك، وهذا ظاهر قول عائشة: «كلنا يكره الموت».. وإنما نبهتُ على هذا المعنى مع وضوحه؛ لأن الشيخ محمد الغزالي أعلَّ حديثًا في الصحيحين بسبب غفلته عن هذا المعنى.. قال بعد كلام: «وعدتُ لنفسي أفكر: إن الحديث صحيح السند، ولكن متنه يثير الريبة، إذ يفيد أن موسى يكره الموت ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله.. قلت: لعل متن الحديث معلول!!..». والرجل بصره بالسنة كليل، وهو صاحب دعوى أعرض من المشرقين؛ لأنه قال:

(١) الجزء فيه من الفوائد المنتقاة الحسان العوالي من حديث أبي عمرو عثمان بن هارون السمرقندي عن شيوخه، تحقيق الشيخ أبي إسحاق الحويني، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٨هـ (ص١٠٢).

«والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما، جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع، وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة، أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى، فليس من عمل العلماء».

وهذا الكلام حق، ولكن هل التزم هو به؟ هل الرجل وهو يعلُّ حديثًا في الصحيحين ما سبقه أحد في إعلاله، وليس من أهل هذا الشأن، أقول: هل جمع الآثار المروية في الباب؟ كلا، بل إن الرجل لا يحسن فهم الكلام، ففي الوقت الذي يقول فيه: إن الحديث معلول؛ لأنه يثبت كراهية موسى عليه السلام للموت، نقول: إن في نفس الحديث ما ينقض هذه الدعوى، وهي قول موسى عليه السلام بعدما علم أنه ملك الموت: «**أي ربِّ! ثم ماذا؟ قال: الموت. قال: فالآن**» فالذي يستعجل الموت، ويقول (فالآن) هل يقال فيه: إنه كاره للموت، لذلك فقأ عين الموت؟! وإنما فقأ موسى عين ملك الموت -عليهما السلام- لأن ملك الموت أتى موسى في صورة لا يعرفها، وصورة ملك الموت كانت معروفة لموسى؛ إذ إنه كان يجالسه، فلما رأى موسى رجلًا داخل داره لا يعرف من أين دخل؟ ثم هو لم يستأذن، حلَّ له أن يفقأ عينه، وهذا الحكم ثابت في شريعتنا أيضًا، هذا خلاصة ما ذكره الشراح، ويدل عليه أنه لما جاءه في المرة الثانية لم يفقأ عينه؛ لأنه عرفه. وهناك وجه آخر أقوى من هذا: وهو أنه قد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عائشة قالت: كان رسول الله وهو صحيح يقول: «**إنه لم يُقبضْ نبيٌّ قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا أو يُخيَّر**». فكانت هذه علامة جعلها الله لأنبيائه، فلما قيل لموسى عليه السلام: أجِبْ ربك، وذلك يعني قبض روحه، ثم هو لم يُخيَّر فَعَلَ ما فعل، فلما خُيِّر بين الحياة الطويلة وبين الموت، علم أنه من عند الله، ولم يكن نبي يختار الحياة على ما عند الله تعالى، فقال: (فالآن)»[(١)].

فتبين بهذه الأمثلة المنتقاة من مصنفات العلامة الحويني أهمية الإحاطة بعلوم الإسناد وعلم الدلالات اللفظية والمعنوية؛ إذ من شأن ذلك إثبات القيمة المنهجية التي

(١) الجزء فيه الثاني من حديث الوزير أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح، تحقيق الشيخ أبي إسحاق الحويني، القاهرة، دار التقوى، ١٤٣١هـ (ص٣٥٢).

يتبوؤها المستدل، يظهر أثره في ثماره العلمية، ولا شك أن مصنفات العلامة الحويني شاهدة بهذه القيمة، لكن الحاجة ماسة في اعتقاد الباحث إلى إخراج علم الشيخ المخطوط وإظهاره في دائرة الضوء من أجل اكتمال الصورة، وليس الخبر كالمعاينة.

الخاتمة

تتجاوز الدعوة السلفية المعاصرة الحقة حاجز الزمان؛ لتعبر ماضيه تجذرًا وانتسابًا إلى تلكم الحقبة المباركة، حيث التنزيل الإلهي، والبيان النبوي، والسيرة الهادية، والفهم العميق، الذي أفضى إلى إخراج أمة الأوثان والأصنام لتكون خير أمة أُخرجت للناس، وتعطي للبشرية نموذجًا واقعيًّا يحتذى به، جعلته محط أنظار العالم حينئذ، وإنما سادت الأمة في صدرها الأول، بسبب عوامل ذاتية وموضوعية، أبرزها بإطلاق: منهجية الاتباع للوحي كتابًا وسنةً، مع همة صادقة، وحسن فهم، وتزكية نفس، وحرص على تغيير وجهة العالم باتجاه تحقيق التوحيد، وتحقيق العبودية الاختيارية للإنسان.

وهذا النموذج المبارك نظرتْ إليه الدعوة السلفية المعاصرة باعتباره مجال اقتداء وائتساء وتنزيل من خلال معرفة عوامل هذا الإخراج، وقواعده وأسسه، فظهرت أجيال مباركة من هذه الدعوة، تحرص على تغيير الواقع بالمنهج السلفي وقواعد تلقيه، وبرزتْ في أثنائها شخصيات كان لها حضورها العلمي البارز، فاندهقتْ علمًا وتصنيفًا ودعوة وتزكية، جعلها كل ذلك من بقايا السلف، ومن أبرز هذه الشخصيات الشيخ العلامة المحدث أبو إسحاق الحويني، وقد جعله الباحث محور بحثه، وأبحر في أثناء سيرته وعلمه وكتبه ودعوته، ليقف على الأسس والقواعد التي بنى عليها منهجه في التلقي، وجعل الباحث عمله مبنيًّا على أربعة أركان: مدخل مفاهيمي، وقراءة في السيرة العلمية والدعوية، ومصادر التلقي وقواعده، ومنهجية الاستدلال. وظهر لنا أن الشيخ -حفظه الله تعالى- أقام منهجه على أساس مكين، حيث جعل عماده الكتاب والسنة، ولم يكتفِ بذلك، بل قرن منهج تعامله معهما بفهم سلف الأمة؛ ليتميز عن غيره. وتبين للباحث أيضًا عمق التأصيل العلمي عند الشيخ من خلال صناعته الحديثية، ومعرفته الأصولية، ودللنا على ذلك بسياقات نصية منتقاة من كتبه.

وأبرز ما يقترحه الباحث من توصيات في هذا المجال:

أولًا: ضرورة إبراز الثمار العلمية للشيخ حفظه الله، وخاصة المخطوط منها، باعتباره أكثر من المطبوع والمنشور.

ثانيًا: تخصيص دراسات وبحوث منهجية حول المسيرة العلمية للشيخ الحويني، سواء في إطار مراكز البحوث العلمية، أو الجامعات والكليات المتخصصة.

ثالثًا: ضرورة العمل الجاد والمثمر في تكوين هيئات علمية رصينة تأخذ على عاتقها تخريج علماء أكفاء ذوي قدرة علمية شرعية، وإحاطة بكل ما تحتاجه الأمة المسلمة اليوم، ولا شك أن هذا يتطلب استثمار كل الجهود والطاقات، وإنما المسؤولية العظمى ملقاة على عاتق الجهات الرسمية.

وكتبه

د. فارس طالب العزاوي

أربيل - العراق

الاثنين ٢٧/ ٨/ ١٤٣٦هـ

١٥/ ٦/ ٢٠١٥م

ميراثُ الوفاء
شهادات وبحوث ودراسات
مُهداةٌ للشيخ

من شيوخه وأقرانه وتلامذته